التذكير القويم

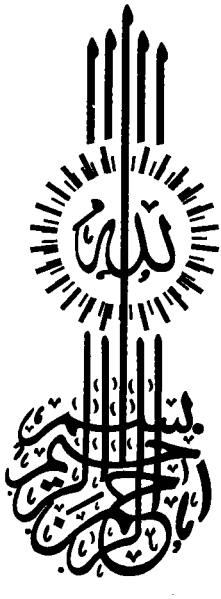
في

تفسير القرآن الحكيم

للعلامة / وحيد الدين خان

الجزء الثالث

دار الوفاء



التذكير القويم
في
تفسير القرآن الحكيم

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

خان ، وحيد الدين .
التذكير القويم فى تفسير القيرآن الحكيم / تفسير وحيد الدين خـــان . —
ط١. — المنصورة : دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨.
٦٢٨ ص ، ٢٤ سم.
رقم الإيداع : ٢٠٠٧/١٥١٧٣
الترقيم الدولى : ٥-٠٥٦٤-١٥-٩٧٧ I.S.B.N:
تدمك ٠٥٦٤٥-١٥-٩٧٧
١ — تفسير القرآن
أ — العنوان ٢٢٧

تحذير

لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل (المعروفة منها حتى الآن أو ما يستجد مستقبلاً) سواء بالتصوير أو بالتسجيل على أشرطة أو أقراص أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن كتابي من الناشر.

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - جمهورية مصر العربية
الإدارة: المنصورة - ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ص.ب ٢٣٠ ت: ٠٥٠٢٢٥٦٢٣٠+ فاكس: ٠٥٠٢٢٦٠٩٧٤+
e.mail:darelwafa@hotmail.com
www.darelwafaa.com

سورة العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾

لاَ يُفْتَنُونَ: لا يمتحنون بالمشاق والشدائد ليتميز المخلص من المنافق.

إن كون المرء مؤمناً ومسلماً لا يتحقق ولا يُعتبر بالنظر إلى العمل الذهني يمارسه في الأحوال المعتادة ، بل على أساس العمل الذي يمارسه المرء في الأحوال غير المعتادة .. وهذه الأحوال غير المعتادة تتمثل في مواقف غير عاديةٍ ؛ ينكشف عندها ما إذا كان المرء حقاً كما يدعي بعمله الظاهري ، أو هو ليس كذلك .. وإنما المؤمن المسلم المعتبر عند الله هو الذي يقيم الدليل على تمسكه بالإيمان والإسلام في غمار الأحوال غير المعتادة .

واجتياز المحنة أو الامتحان الإلهي بنجاحٍ يعني ، بعبارةٍ أخرى ، الوفاء بمقتضيات الإيمان والإسلام على مستوى التضحية .. أي أن تبادر إلى التصديق بالحق ، حتى لو تناوله عامة الناس بالتكذيب .. وأن توقن به حين يكون الناس من حولك مرتابين في أمره .. وأن تبقى مؤمناً ساعة يطالبك الإيمان بأن تدوس أنانيتك .. وأن تبذل بسخاء ساعة تدعو الظروف إلى الإمساك وعدم الإنفاق .. وأن تظل صامداً عندما تتزلزل الأقدام .. وأن تسلم نفسك دون تحفظٍ ، إذْ تميل النفوس إلى التهرب طلباً للنجاة ، وبحثاً عن السلامة .. وأن تذعن وتنقاد حين تكون فرص العناد والطغيان متاحة .. وأن تتقدم لمناصرة الحق حيث تعني مناصرته الحرمان من كل شيءٍ .

ففي مواقف غير عادية كهذه تبرز خبايا القلوب ، وتتجلى كوامن الصدور للعيان ..

وساعتئذٍ لا يبقى لأحدٍ مجال اللف والدوران لكي يتظاهر ، عن طريق ترديد الألفاظ المفترضة، وإطلاق الشعارات المدوية الجوفاء ، بما هو ليس في حقيقة الأمر!

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾

أَن يَسْبِقُونَا: أن يعجزونا ويفوتونا.

أَجَلَ الله : الوقت المعين للبعث والجزاء

الدخول في الإيمان يكون في أغلب الحالات ، مرادفاً للسير في الاتجاه المضاد للعصر.. إنه عبادة الله في بيئة تسودها عبادة الأسلاف والأكابر .. وهو وضع المبدأ في المقام الأول والأسمى حيث يُوضع الهدى في المقام الأسمى .. وهو طموح نحو العيش لأجل منفعة الآخرة ، في مناخ تُكرس فيه الحياة لمنفعة الدنيا .

وإن حياة كهذه تتطلب مجاهدةً عنيفةً مستمرةً .. وإنه لا يوفق للاستمرار والصبر على تكاليف هذه المجاهدة إلا الذين أيقنوا بالله أتم الإيقان ، والذين جعلوا من إنعام الله الموعود وحده مركزاً لآمالهم وطموحاتهم!

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾

وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ: أمرناه.

حُسْناً: براً بهما وعطفا عليهما.

إن أعظم المخلوقين حقاً على الإنسان والداه .. ولكن كما أن لكل شيءٍ حداً يقف عنده ، كذلك فإن حقوق الوالدين هي الأخرى لها حد لا تتعداه .. وذلك ما عبر عنه الرسول - ﷺ - بقوله : "لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق" (رواه أحمد والحاكم) .

وعلى هذا لابد من القيام بحقوق الوالدين ، ما دامت لا تتعارض مع حقوق الله ، وأما إذا تعارضت طاعة الوالدين مع طاعة الله ، فإن عدم الطاعة لهما عندئذٍ تصير واجبةً تماماً كما تجب طاعتهما في الأحوال المعتادة .

ويُلاحظ أن المقصود بحقوق الوالدين في الإسلام هو خدمة الوالدين وليس عبادتهما !

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾

فِتْنَةَ النَّاسِ: ما يصيبه من أذاهم وعذابهم.

إن شخصاً يدعي الإيمان .. والشأن أنه إذا رأى في الانضمام إلى صف المؤمنين بعض الأرباح المادية ، بالغ في إظهار إيمانه وحماسته .. وأما إذا كان الانضمام إلى المؤمنين ينطوي على بعض المخاطر أو يسبب له بعض الخسائر الدنيوية ، فلا يلبث أن يرجع القهقرى.. إن شخصاً كهذا يطلق عليه القرآن مصطلح المنافق .. والمنافقون قوم كانوا مؤمنين في ظاهر أمرهم ، ولكنهم أبوْا عن دفع ثمن إيمانهم .. وبالتالي فشلوا حيث كان المفروض أن يبرهنوا على النجاح!

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

خَطَايَاكُمْ: أوزاركم.

أَثْقَالِهِمْ: خطاياهم الفادحة.

يَفْتَرُونَ: يختلقونه من الأباطيل والأكاذيب.

الافتراء هو أن يتقول المرء شيئاً من تلقاء نفسه، وينسبه إلى الله سبحانه وتعالى .. ويندرج تحته كل ألوان البِدَع المستحدثة والتأويلات الفاسدة .. ومن صور هذا الافتراء أن يقول قادة الكفر والضلال لمن دونهم من الجماهير أن الزموا طريقنا، وترسموا خطانا، وسنأخذ تبعة ذلك على عواتقنا فيما لو سُئلتم عنه عند الله !.

ولما كان الله - عز وجل -لم يمنح أحداً حقاً من هذا النوع، فإن القول بذلك ضرب من الافتراء واختلاق الكذب على الله!!

إن المرء كثيراً ما يقول أقوالاً لا يحسب لها أي حسابٍ، وهي من الخطورة بحيث لو أنه رأى وخيم عاقبتها، لما نطق منها بحرفٍ أبداً .. ومن ثم حين يشاهد هؤلاء المتقولون أهوال القيامة، فسيكون حالهم هناك مختلفاً كل الاختلاف عن حالهم في دنيا اليوم !

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾

عاش نوح - عليه السلام - يدعو قومه تسعمائة وخمسين عاماً .. وقد كان - عليه السلام - قبل نبوته أيضاً رجلاً صالحاً عاملاً بشريعة آدم - عليه السلام - .. ثم نهض بعدما نُبئ داعياً إلى الله يواصل الليل بالنهار في إنذار قومه.. ولكن بالرغم من جهوده المخلصة التي دامت مئات السنين ، لم يؤمنوا بدعوته .. فما لبثوا أن أُغرقوا جميعاً - ما عدا ثلةً مؤمنةً صالحةً قليلة العدد - بطوفانٍ عظيم .

وفي سلسلة الجبال الواقعة بشرقي الأناضول على حدود تركيا وروسيا ، قمة شاهقة تعرف بأرارات أو أراراط (Ararat) ، يقدر ارتفاعها بما يزيد عن خمسة آلاف متر .. وقد أخبر الطيارون من فوق هذه الجبال أنهم رأوا على قمة أراراط المغطاة بالثلوج شيئاً أشبه بسفينةٍ .. ومن هنا بُذلت ولا تزال محاولات شتى للوصول إلى تلك السفينة .. ويعتقد العلماء أنها الشيء الذي ورد ذكره في القصص الدينية باسم "سفينة نوح" .

ولو كان هذا الخبر صحيحاً ، فمعناه أن الله - سبحانه وتعالى - قد حفظ سفينة نوحٍ من الضياع حتى هذا اليوم ، لكي تكون للناس علامةً ناطقةً بأن النجاة من طوفان الله تتطلب سفينة النبي ، وأنه ليس ثمة من شيءٍ آخر البتة من شأنه أن ينقذ المرء من طوفان الله!

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ ﴾

وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً: تكذبون: أو تنحتون كذبا.

كل ما يتخذه المرء من دون الله الواحد الأحد مركزاً لأسمى عواطفه ، لا يعدو كونه ضرباً من الكذب والبهتان .. فإنه يفترض الأوصاف الإلهية في غير الله .. إذْ لا يمكن للمرء أن يتوجه إلى غير الله بالعبادة ، إلا بعد أن يفترض فيه تلك الخصوصيات العليا التي ينفرد بها الله وحده بلا ندٍ ولا شريكٍ !

وقد كان الإنسان في عصر الشرك القديم يفترض وجود هذه الصفات الإلهية في الأصنام والتماثيل .. وأما إنسان اليوم فهو الآخر يمارس الشيء نفسه ، اللهم إلا أن أسماء الأصنام لدى الإنسان الحديث تختلف عن أسمائها لدى المشركين القدامى .. وكل ما يفرق بين القديم والحديث هو أن الإنسان القديم إذا كان يجني ثمرات الأرض على أنها نعمة أحد الآلهة المزعومة ، فإن إنسان اليوم يعبر عن ذلك بهذه الألفاظ : إن ثورتنا الخضراء (النباتية) إنما هي نتاج لتقدم علومنا الزراعية !!

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ: تردون وترجعون لا إلى غيره.

بِمُعْجِزِينَ: فائتين من عذابه بالهرب.

الإنسان لم يكن موجوداً أولاً ، ثم وُجد بعد .. إذن ، فالخلق الذي صار ممكناً مرةً واحدةً ، لِمَ لا يكون ممكناً مرةً أخرى ؟ وقد كتب الشاه عبد القادر الدهلوي في هذا

المقام تعليقاً موجزاً مفيداً يقول : "إنكم ترون البداية كيف تحصل ، ففي ضوئها يمكنكم أن تفهموا عملية الإعادة كيف تكون" !!

إن كل امرئٍ موجودٍ مثال في ذاته على الخلق الأول .. ولو أراد المرء مزيداً من الأمثلة، فله أن يحل بصره في أرجاء كون الله الفسيح ويتأمل في ظواهره .. وإنه إذ يفعل ذلك فسيجد أن الكون بأكمله نموذج حي لهذا الواقع ذاته.. وإنما وضع الله هذه النماذج الناطقة في كونه لكي يتفهم الإنسان منها حقيقة الخلق الثاني ، ويقبل بالتالي على العمل الذي ينفعه في مرحلة الحياة القادمة !

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ: للتواد والتواصل بينكم لاجتماعكم على عبادتها.

وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ: منزلكم الذي تأوون إليه النار.

الشيء الذي يتخذ شكل العرف أو العادة القومية في مجتمعٍ ما ، لا يلبث طويلاً حتى يصير حاجة كل فردٍ من أفراده .. فعلى أساسٍ منه تقوم علاقاتهم المتبادلة .. وبه ترتبط مصالحهم الحياتية على اختلاف ألوانها .. وعلى حسب قيام الفرد بمقتضاه أو

نبذه إياه تتحدد قيمته أو يسقط اعتباره بين الناس .. ولقد كان الشرك في قديم الزمان تحول إلى عادةٍ قوميةٍ كهذه .. وقد أفهم سيدنا إبراهيم أهل العراق بأن عبادة الأصنام التي أنتم جامدون عليها ، لا تعدو كونها عادة شعبية وليست بأي صدقٍ واقعي .. ومع انتهاء حياتكم الراهنة ستنتهي كل أهميتها تلقائياً .. غير أنه لم يقف إلى جانبه أحد سوى ابن أخيه لوطٍ - عليهما السلام - وذهب القوم في معاداته إلى حد أنهم ألقوه في النار .. ولكن الله تعالى أنقذه منها سالماً .. ولم يستحق إبراهيم بذلك إنعام الآخرة الأعلى وحده، بل مُنح من عند الله ذريةً صالحةً استمرت فيها سلسلة النبوة لمدة أربعة آلاف سنةٍ .. حيث كان ولده إسحاق نبياً .. ثم كان حفيده يعقوب هو الآخر نبياً .. ومنذئذ لم يُبعث نبي من أنبياء الله إلى سيدنا المسيح إلا وهو ينتمي إلى أسرة يعقوب - عليه السلام - ، ومن أولاد إبراهيم أيضاً كان مديان (مدين) الذي وُلد في نسله شعيب - عليه السلام - كما كان ولده إسماعيل بدوره نبياً.. ومن ذريته بُعث خاتم النبيين محمد - ﷺ - الذي تبقى نبوته مستمرةً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وتاريخ إبراهيم هذا كما ينطوي على عظاتٍ وعبرٍ لعَبدة الباطل ، يتضمن كذلك إشعاع النور الساطع للذين يقيمون أنفسهم على أساس الحق صامدين في وجه أعاصير الظلم والقهر والاضطهاد !

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾

وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ: بمقارفة المعاصي والقبائح.

نَادِيكُمُ: مجلسكم الذي تجتمعون فيه.

هاجر لوط من مدينة بابل إلى بلاد الأردن .. حيث أعطاه الله النبوة ، وكلفه بإصلاح قومه .. وقد كانت مساكن قومه بمنطقة سدوم قرب البحر الميت ، وكان هؤلاء مصابين بعادة اللواط غير الفطرية .. كما تفشت بينهم - إلى جانب ذلك - رذائل خلقية واجتماعية أخرى .. غير أنهم لم يقبلوا الإصلاح ، وظلوا غارقين في شهواتهم .. وقولهم ﴿ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ كان في الأصل موجهاً إلى لوط دون الله .. فقد ظنوا لوطاً من الحقارة بحيث كانوا يستبعدون أن يتعرضوا لبطش الله في حالة ما إذا لم يؤمنوا به .. ومن ثم قالوا على وجه التهكم والسخرية : أن ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين حقاً !

﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

الغَابِرِينَ: من الباقين في العذاب كأمثالها.

سِيءَ بِهِمْ: اعتراه الغم بمجيئهم خوفا عليهم.

وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً: ضعفت طاقته عن تدبير خلاصهم.

رِجْزاً: عذاباً شديداً.

دُمرت مناطق قوم لوط (سدوم وعامورة) عن طريق زلزالٍ رهيبٍ جعل عاليها سافلها.. وإن الوادي الخصيب الذي كانوا قاطنين فيه منذ أربعة آلاف سنةٍ، تمتد فيه الآن مياه البحر الميت الكثيفة.

وطبقاً لما ورد في القرآن الكريم فإن حادث التدمير هذا، إنما وقع بواسطة ملائكة الله .. ولكن علماء الجيولوجيا والآثار القديمة يقولون: إن هذه المنطقة عندما برزت فيها جبال نتيجة العملية الجيولوجية (ظاهرة التعرج)، حدث إلى جانب ذلك أن تولد في بعض أجزائها أخدود أو منحدر، ثم لم يلبث الجزء الجنوبي من هذا المنحدر بعدئذٍ أن امتلأ بمياه البحر .. وهكذا أصبحت تلك البقعة اليابسة من الأرض تحت الماء التي تعرف اليوم بضفة البحر الميت الجنوبية الأقل انخفاضاً.

إن الشيء الذي يراه القرآن آيةً إلهيةً، إذا به يتحول من خلال الرؤية غير القرآنية، إلى حادثةٍ طبيعيةٍ محضةٍ!

ويعتقد الخبراء أن أطلال هذه المدينة الخربة لا تزال توجد مطمورة تحت مياه البحر حتى هذا اليوم .. ولا شك أن في هذا موطن عبرةٍ عظيمةٍ .. غير أنها عبرة لأولئك وحدهم الذين يستعملون عقولهم في محاولة اكتشاف الأشياء والوقوف على دقائق الأمور!

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

وَلاَ تَعْثَوْا: لا تفسدوا أشد الإفساد.

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ: الزلزلة الشديدة بسبب الصيحة.

جَاثِمِينَ: هامدين ميتين لا حراك لهم.

أُرسل شعيب - عليه السلام - إلى قومٍ كانوا أهل تجارةٍ .. وقد اشتد حرصهم على اقتناء المال لدرجة أنهم أخذوا في كسبه بأساليب الغش والخداع .. وهذا كان إفسادهم في الأرض .. لئن كانت التجارة المشروعة أسلوباً لكسب المعاش ينطوي على الإصلاح، فإن الغش والابتزاز والسلب والنهب أسلوب لكسب المعاش يؤدي إلى الفساد!.

وقال شعيب لقومه : لا تغفلوا عن الآخرة سعياً وراء الدنيا .. ولتمارسوا أعمالكم الدنيوية بطريقةٍ يمكنكم أن ترجوا بها حسن العاقبة في الآخرة .. ولكن القوم ، رغم كل جهود نبيهم ، لم يقوموا بإصلاح شأنهم ، بل أنكروا عليه ما جاء به أشد الإنكار .. ومازالوا يفعلون الشرور ولا يرتدعون .. إلى أن يأذن الله بهلاكهم ، وفق سنته الجارية.. فتحولت بيوتهم ، التي ظنوها دار حياةٍ لهم ، تحولت إلى مقابر لهم ، إذْ أخذتهم الرجفة (وهي الزلزال الشديد) ، فصاروا كأن لم يغنوا فيها!

﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ: عقلاء متمكنين من التدبر.

ما لبث قوم عاد وثمود بدورهم طويلاً حتى حاق بهم عذاب الله .لقد كان هؤلاء أذكياء فيما يتعلق بشئون الدنيا ، غير أنهم كانوا غايةً في الحمق والغباء فيما يتعلق بشأن الآخرة.. ففيما اكتشفوا سر بناء البيوت والقصور من الجبال والصخور ، لم يتعلموا سر بناء الحياة والسعادة من نبي الله .. وإنما كان السبب في ذاته ما أطلق عليه القرآن "تزيين الأعمال" ، إذْ غرّهم الشيطان قائلاً بأن بناء الدنيا هو البناء

كله .. وإذا تمكنتم من بناء الدنيا ، لم تعد هناك أية مشكلةٍ تكدر صفو حياتكم أو تتهدد مصيركم. غير أن هذا الغرور ما أغنى عنهم شيئاً ، ولا هو مُغنٍ عن أحدٍ فيما يأتي شيئاً !

كانت مساكن عاد في المناطق الواقعة بجنوبي الجزيرة العربية التي تعرف اليوم باليمن والأحقاف وحضرموت .. وأما الجزء الشمالي من الحجاز ، بدءًا من رابغ حتى العقبة ، ومروراً بالمدينة وخيبر ، وانتهاءً بتيماء وتبوك ، فهو المنطقة التي كان يسكنها ثمود في قديم الزمان!

﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

سَابِقِينَ: فائتين من عذابه تعالى.

حَاصِباً: ريحا عاصفا ترميهم بالحصباء.

أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ: صوت من السماء مهلك مرجف.

إن أمم الأنبياء لما كذبتهم وأنكرت دعوتهم ، دُمرت بالعذاب السماوي والأرضي.. فحلّ بقوم لوط عذاب الحاصب (وهو الريح العاصفة تمطر الحصباء أي الحجارة) ، ونزل بقوم عاد ، وثمود ، وأصحاب مدين عذاب الصيحة (الرعد والبرق) ، وأُهلك قارون بعذاب الخسف ، بينما أهلك فرعون وهامان وجنودهما بعذاب الغرق..إلخ.

وكان السبب المشترك الذي استوجب هذا العذاب بمختلف ألوانه ، يكمن في

استكبار الناس ؛ أي عدم قبول دعوة الحق لكونها ستقضي على كبريائهم وسيادتهم!

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

العَنكَبُوتِ: حشرة معروفة.

أرشدت الآيات هنا إلى أن الشخص الذي يدرك درس الحقيقة، وهو يشاهد بيت "العنكبوت" ، هو العالم حقاً..

ومن هذا يتضح لنا مَنْ هم العلماء الحقيقيون عند الله .. إنهم ليسوا خبراء المباحث الكتابية .. بل هم أولئك الذين يستلهمون الموعظة من الآيات الطبيعية المنبثة في كون الله .. والذين تتحول وقائع الدنيا الصغيرة في أذهانهم إلى دروسٍ وعبرٍ عظيمةٍ .. والإيمان ليس إلا اسماً آخر لهذا العلم ذاته حين يبلغ درجة المعرفة اليقينية القصوى!.

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

قوله : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ يعني أن كيفية الصلاة هي التي تنهي عن الفحشاء والمنكر.

ولو أن المرء أضحى في الواقع راكعاً ساجداً لله ، لتولّد في نفسه الشعور بالمسئولية والتواضع .. وإن السلوك الذي ينبثق عن الشعور بالمسئولية والتواضع ، إنما يتمثل في

إتيان المرء ما ينبغي لله وحده ، وابتعاده عما لا ينبغي له كل الابتعاد.

والمراد بالذكر هو استحضار الله .. فحين يحصل المرء على معرفة الله الكاملة ، وحين يتوجه بكامل وجوده إلى الله ، فتكون النتيجة أن يتصور الله يستولي عليه ، وتتفجر في داخله ينابيع الذكر الإلهي .. والكلمات اللطيفة السامية التي يناجي بها المرء ربه ، عند بلوغه هذا المستوى الروحاني ، هي الذكر .. وليس من الشك في أن هذا الذكر هو أسمى مراتب العبادة.. والمقصود بتلاوة الوحي هنا هو تبليغ الوحي .. أي قراءة آيات القرآن على الناس ، وإخبارهم من خلال ذلك بمرضاة الله .. وعملية الدعوة والتبليغ عملية شاقة تتطلب غاية الصبر والتحمل .. حيث إنها تفرض على الذي ينهض بأعبائها أن يكون ناصحاً لمعارضيه .. وأن يعرض عن أذاهم وإساءاتهم من طرفٍ واحدٍ ، كما يتعين عليه أن يعتبر مخاطبه "مدعوا"، حتى لو كان هذا المخاطب منافساً عنيداً سافر الخصومة له!!

وكما تنهى الصلاة المؤمن في حياته اليومية عن السوء ، تنهي كذلك الداعي عن سلوك مسلك أو تبنّي خطوة لا تليق به كداعيةٍ .. وإنه لن يكون داعي الله حقاً إلا الشخص الذي أصبح صدره معموراً بذكر الله ، والذي يكون قد صار بكل كيانه خاضعاً لله – سبحانه وتعالى!

﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

المنهج الصحيح للداعي ، إذا حاول بعض الناس جره إلى نقاشٍ عقيمٍ لا طائل تحته، أن يفارقه بسلامٍ .. وأما الذين يستمعون إليه بجديةٍ ، فعليه أن يبذل جهده في إيضاح

أمر الحق لهم .. وينبغي أيضاً أن يكون الكلام الدعوي كلاماً حكيماً .. ومن مزايا الكلام الحكيم أن يراعى فيه نفسية المدعو مراعاةً تامةً .. إذْ أن الداعي يفرض حديثه بأسلوبٍ يجعل المدعو يأنس به لدرجة يعتبره معها حديثاً نابعاً من قلبه هو .. دون أن يعتبره - لفظاظة أسلوب العرض - حديث الغير ، فيزداد منه نفوراً وكراهيةً .

إن أسلوب الكلام الدعوي هو أسلوب النصح والموعظة ، وليس أسلوب الجدل والمناظرة !

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

الناس نوعان ، نوع يشمل أولئك الذين يتمتعون بعلم الحق سلفاً (أهل الكتاب) ، وآخر يضم أناساً لا يتمتعون بعلم الحق في ظاهر الأمر ، غير أنهم مع ذلك ، يكونون عارفين بالحق على مستوى الفطرة ، فلئن كان أولئك حاملي الكتاب ، فإن هؤلاء حاملو الفطرة .

وإن الناس سيعرفون الحق من فورهم لو كانوا جادين في الواقع .. فإن مجموعةً منهم إذا عرفته على مستوى الكتاب السماوي ، عرفه آخرون على مستوى كتاب الفطرة .. وعلى هذا سيبدو الحديث عن الحق للكل كأنما هو حديث قلبه .. بيد أن الناس لا يلبثون في الأعم الأغلب أن يصابوا بمختلف ألوان العُقَد النفسية ؛ مما يولّد في نفوسهم مزاج الإنكار والجحود ؛ فهم لا يفتؤون ينكرون الصدق ، مهما اجتمعت القرائن الواضحة على ظهوره ، وتضافرت الأدلة والبراهين القاطعة لتأييده!!

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

رداً على أولئك الذين كانوا يقولون : ما بال هذا النبي لم يأت من عند ربه بالآيات كما جاء بها - مثلاً - موسى من قبل ؟! قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ، أي أن أمر المعجزات يتعلق بالله وليس بالنبي .

إن دعوة النبي تعتمد أساساً على الدلائل .. والنبي دوماً يعرض دعوته ، وهو يستند إلى قوة الدلائل .. بيد أن الله سبحانه وتعالى قد يعطي ، نظراً لمصالح واعتبارات أخرى، لبعض الأنبياء آيةً (معجزةً) ، وقد لا يعطيها لبعضهم الآخر .

وإن الإيمان حدث شعوري .. وإنما الإيمان الحقيقي هو الذي يكون قد انبثق في قلب العبد اقتناعاً بدلائل الحق .. والمحق هو الذي يؤمن بالشيء بعدما فحصه واختبره جيداً في ضوء الدليل ، وأما الذي يثير مناقشاتٍ فارغة لا صلة بها بجوهر الموضوع ، فهو المبطل ذاته!.

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

أَجَلٌ مُّسَمًّى: هو يوم القيامة.

بَغْتَةً: فجأة.

يَغْشَاهُمُ العَذَابُ: يجللهم ويحيط بهم.

إن أعمال الإنسان هي جنته ، وهي جحيمه .. ولو أُتيح لنا بصر نتمكن به من رؤية حياة الكافر العنيد الطاغي من حيث نهايتها المعنوية المحتومة ، لوجدنا كأن أعماله السيئة محيطة به من كل جانبٍ في صورة العذاب، ثم يأتي الموت ليقذف به في جهنم من صنع يده!

وطغيان الإنسان كثيراً ما يكون نتاجاً لغفلته وعدم وعيه بحقيقة ذاته، ولو زالت غفلته هذه ، واسترد وعيه وشعوره لعاد فجأة إنساناً آخر تماماً !!

﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾

لَنُبَوِّئَنَّهُم: لننزلنهم على وجه الإقامة.

غُرَفاً: منازل رفيعة عالية.

وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ: كثير من الدواب.

إن الهجرة هي ، من إحدى النواحي ، علم على تغيير منهج العمل .. وهذا التغيير يتمثل حيناً في تغيير مكان العمل ، كالانتقال من مكة إلى المدينة مثلاً ، ويتمثل حيناً آخر في تغيير ميدان العمل ، كالانتقال من ميدان الحرب إلى ميدان الدعوة، عن طريق صلح

الحديبية مثلاً .

وقد نزلت هذه الآيات تقول لضعفاء أهل الإيمان المقيمين بمكة: إنه لو كان أهل مكة يتناولونكم بصنوف الأذى والإساءة ، فلتغادروا إذن أرض مكة إلى أية بقعةٍ أخرى من بقاع أرض الله الواسعة .. ولتعبدوا ربكم هناك .. ومن هذا نعلم أن معنى الصبر والتوكل هنا هو الثبات على العبادة ، دون الإصرار على مجابهة العدو .. إذْ لو كان المقصود هو المجابهة لذاتها مهما كانت الظروف ، لأمر هؤلاء المستضعفين من أهل الإيمان أن يستميتوا في قتال المعارضين بلا هوادةٍ ، ولا يفكروا في الخروج من هناك على أية حالٍ !!

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ: فكيف يصرفون عن توحيده.

وَيَقْدِرُ لَهُ: يضيقه على من يشاء لحكمة.

إن خلق السماء والأرض واقعة عظيمة لدرجة أنه لن يتمكن من إنجازها إلا الله الواحد القهار القادر المطلق .. وهكذا فإن دوران الشمس والقمر ، وهطول الأمطار ، وخروج الشجر والنبات من الأرض ، كل ذلك وقائع أعظم من أن يقوم بإيجادها أحد غير الله - سبحانه وتعالى !!

وليس هناك حتى من بين الذين يمارسون بعض أنواع الشرك ، من يعتقد عن إلهه المزعوم أنه قام بإيجاد هذه الوقائع العظيمة .. وبالرغم من ذلك فإن كثيراً من الناس

يعبدون أشياء أو أولياء من الأحياء أو الأموات رجاء أنهم سيلقون البركة في أرزاقهم .. ولكن لما كانت كل القدرات والاختيارات العليا بيد الله وحده ، فمن هناك غيره تعالى يقدر على التدخل أو التصرف في تقسيم الرزق للعباد!

﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾

لَهْوٌ وَلَعِبٌ: لذائذ متصرمة ، وعبث باطل.

لَهِيَ الحَيَوَانُ: لهي دار الحياة الدائمة والخالدة.

الدِّينَ: العبادة والطاعة.

السبب الأصلي في ضلال الإنسان يرجع إلى أنه يستغرق في مباهج الدنيا ومسائلها إلى حدٍ لا يستطيع معه أن يفكر متحرراً من أسرارها ، مترفعاً عن مغرياتها ، فلكي تدرك الحقيقة لابد من أن تسمو بنفسك فوق الظاهر .. وبما أن أكثر الناس يعجزون عن السمو بأنفسهم فوق الظاهر، فإنهم لا يحالفهم التوفيق إلى إدراك الحقيقة كذلك .

ومن حينٍ إلى حينٍ يمر الإنسان في هذه الدنيا بتجارب شتى تذكره بمقدار عجزه وضعفه .. فعندها تتلاشى كل أفكاره المصطنعة عن نفسه .. ويستيقظ فيه "إنسان" الفطرة الحقة .. ولكن حين يعتدل الجو ويستقيم أمره ، يعود سيرته الأولى من الغفلة والطغيان .. ومن تلك التجارب الدقيقة تجربة السفر التي أشارت إليها الآية الكريمة .

ينبغي على المرء أن يضع في اعتباره دائماً أن فرصة الحرية والانطلاق هذه إنما هي

متاحة لمدة الحياة الدنيا القصيرة الأجل وحدها ، وأنه سيدخل بعد الموت إلى عالم جديدٍ تماماً، حيث تواجهه مشاكل وقضايا أخرى لم يكن له بها عهد !.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ: يستلبون قتلا وأسرًا.

مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ: مكان يثوون فيه ويقيمون.

إن الحرم المكي نعمة من الله عجيبة .. لقد فرض الله له هيبةً على النفوس، لدرجة أنه يَذْهَل هناك حتى الظالمون والطغاة عن ظلمهم وطغيانهم .. وقد كانت قدسية الحرم هذه آيةً من آيات قدرة الله .. وكان مقتضاها أن تخضع قلوب الناس ورقابهم لله رب العالمين وحده.. غير أن عبدة الباطل لم يلبثوا أن صرفوا اتجاه مشاعر العبودية لدى الناس إلى غير الله بإسباغ أوصاف الله عليه كذباً وبهتاناً .. ثم ازداد هؤلاء ظلماً على ظلمٍ إذْ نصح لهم رسول الله بأن ينبذوا تقديس هذه الآلهة المزعومة ، ويخضعوا أمام الله الواحد الأحد ، فناصبوه العداء وتناولوه بالأذى .

إن اتباع الحق في بيئةٍ تسودها عبادة الباطل ضرب من المجاهدة العنيفة .. والذي يتصدى لها يُنتزع منه كل ما عنده ، حيث تنقلب راحته وسكينته إلى قلقٍ واضطراب لا ينتهي .. ولكن يكمن في هذا الحرمان ذاته سر فوزٍ عظيمٍ .. ألا وهو المعرفة والبصيرة .. فلئن كان أمثال هؤلاء قد سُدَّت في وجوههم أبواب الناس ، فإن أبواب الله تنفتح لهم على مصاريعها ، فيأخذون ينالون من الله خيراً مما فقدوه في الدنيا .. وإنهم

بقدر ما يبتعدون عن أسباب الراحة المادية ، يقتربون من الكيفيات الربانية .. وإذ تكون الأشياء الظاهرية قد غابت عن أنظارهم ، فإن الأشياء المعنوية تتجلى لعيونهم ، وتبدأ تنكشف عليهم أسرار دقيقة لا يدري عنها العظماء والأغنياء وأرباب الجاه والسلطان الدنيوي شيئاً !

سورة الروم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾

غُلِبَتِ الرُّومُ : قهرت فارس الروم .

أَدْنَى الأَرْضِ : أقرب أرض الروم إلى فارس .

غَلَبِهِمْ : كونهم مغلوبين .

وَأَجَلٍ مُّسَمًّى : وقت مقدر أزلاً لبقائها .

عند ظهور الإسلام كانت هناك إمبراطوريتان عظيمتان في العالم ؛ تعرف إحداهما بالإمبراطورية الرومانية المسيحية ، والأخرى بالإمبراطورية الفارسية المجوسية ، وقد كان بينهما عداء مستحكم وتنافس شديد من أجل السيطرة والتوسع ، وقد أغار الفرس في عام ٦٠٣ الميلادي على الإمبراطورية الرومانية مستغلين بعض مواطن ضعفها ، فأنزلوا بجيوشها هزائم متتالية ؛ مكنتهم من الاستيلاء حتى عام ٦١٦م على جزءٍ كبيرٍ من المناطق الشرقية الخاضعة لدولة الرومان بما فيه القدس .

وقد نال رسول الله - ﷺ - النبوة عام ٦١٠ الميلادي ، وقام على إثر ذلك ، بدعوة

التوحيد في قلب الجزيرة العربية ، وعلى هذا فقد كانت تلك الأحداث متزامنةً مع الصراع بين التوحيد والشرك الذي كان يدور في مكة المكرمة حينذاك ، وتفاؤلاً بما جرى على حدود الجزيرة ، راح مشركو مكة يقولون للمسلمين : لقد هزم إخواننا الوثنيون (المجوس) إخوانكم من أهل الكتاب (المسيحيين) ، وكذلك سوف نقضي بدورنا عليكم وعلى دينكم الجديد!!

وفي ذلك الوقت ، وعلى النقيض تماماً من مؤشرات الأحوال القائمة ، تنبأ القرآن الكريم قائلاً بأن الروم سيغلبون الفرس مرةً أخرى في أقل من عشر سنواتٍ ، وفي أعقاب ذلك - كما يقول المؤرخون الروم - سرعان ما أخذ تغير مفاجئٍ يظهر في شخصية هرقل الملك الرومي المهزوم الفاقد العزيمة - على نحوٍ غامضٍ ، إلى أن شنَّ هجوماً معاكساً على الفرس في عام ٦٢٣م ، وأحرز عليهم انتصاراً حاسماً في عام ٦٢٤م ، ولم يكد ينتهي عام ٦٢٧ الميلادي، حتى كان قد استرد كل الأراضي الرومية المحتلة من قبضة الفرس ، وبذلك تحققت النبوءة القرآنية بكاملها حرفاً حرفاً .

ومن هذا يثبت أن مؤلف القرآن - إن صح التعبير - هو الله ؛ إذْ ليس ثمة من أحدٍ، غير الله - سبحانه وتعالى - يمكنه أن يخبر عن شئون المستقبل إخباراً يتسم بهذا القدر من الصحة والضبط !

كما يدل هذا الواقع على أن النصر والهزيمة بيد الله وحده ، فبقضائه تعالى يحصل أحد الناس على السلطة ، وينتزع زمامها من يد الآخر، وإن سقوط أمةٍ وصعود أخرى حدث دنيوي في ظاهر الأمر ، غير أن لهذا الظاهر باطناً،فوراء كل الأحداث تكون ملائكة الله يعملون بطريقةٍ مؤثرةٍ وحاسمةٍ،وإن كانت العيون البشرية لا تستطيع رؤيتهم،وهكذا فإن لهذا العالم الظاهري هو الآخر باطناً،ألا وهو عالم الآخرة !!

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ

وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾

وَأَثَارُوا الأَرْضَ : حرثوها وقلبوها للزراعة .

السُّوأَى : العقوبة المتناهية في السوء (النار) .

إن الله – سبحانه وتعالى – إنما يُدرك على مستوى الذكر والفكر ، أي أن المرء يصل إلى الله عن طريق التدبر والتفكر ، ولقد بثّ الله دلائله في أرجاء هذا الوجود ؛ حيث أودعها في الإنسان ذاته ، ثم في آفاق الكون الخارجي المحيط به ، وأخيراً في تعاليم الأنبياء والمرسلين ، وإنه لن يظفر بالله سبحانه إلا الذين يقفون عند هذه الآيات الإلهية، وينظرون إليها بعين التأمل والاعتبار ، فالدليل ممثل الله في عالمنا الراهن ، فلو أهمل شخص دليلاً عُرض عليه ، فكأنما أهمل الله نفسه ، وإنه ليس لأمثال هذا عند الله شيء سوى الحرمان الأبدي!!

﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾

يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ: تنقطع حجتهم . أو ييأسون .

يُحْبَرُونَ: يسرون . أو يكرمون .

فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ: لا يغيبون عنه أبداً

وَحِينَ تُظْهِرُونَ: تدخلون في وقت الظهيرة .

إن وجود عالمٍ كاملٍ متكاملٍ - كعالمنا هذا الذي نعيش في رحابه - برهان قاطع على الخلق الأول ، فإذا أمكن الخلق الأول فعلاً ، تُرى ، ماذا سيجعل الخلق الثاني مستحيل الوقوع ؟! بل الحق أن مَنْ ينكر الآخرة وهو يقر بالعالم الراهن ، فإنما ينكر مقتضى حتمياً لما هو مقر به بالفعل ، وعليه فإنه يعاني من التناقض مع ذاته من حيث يشعر أو لا يشعر .

والمراد بـ "المجرمين" أولئك الكبار الذين تزعّموا مسيرة إنكار الحق ، وقاموا بحشد الأدلة المفتعلة لإنكار الحق ، وحين يتغير نظام الكون ، عند قيام الساعة ، فسيرى هؤلاء المجرمون فجأةً أن كل تلك الدعائم كانت باطلة تماماً ، التي كانوا مرتكزين عليها في ثقة واعتزازٍ ، وأن الألفاظ التي كانوا يعتبرونها دلائل لا تُدحض في صالح موقفهم ، إذا بها صارت كلها هباءً ، لا تزن شيئاً في ميزان الحق ، وعندما يصادف القوم هناك هذا الوضع المناقض كلياً لآمالهم وأمنياتهم الحالمة ، فسوف يتملكهم ذهول ودهشة لا يوصفان!!

والناس في ساحة المحشر يوزعون على صنفين : المسبّحين بحمد الله ، وآخرين مُلئت حياتهم بكل شيءٍ عدا الحمد والتسبيح لله رب العالمين ، والمسبّحون بحمد الله هم الذين أدركوا الله بحيث أمسى ذكره تعالى يجري من أنفسهم مجرى الدماء في

عروقهم ، ويستقر شعور حي متجدّد بعظمته وجلاله في أعماق أفئدتهم ، فلا تكلّ عقولهم عن إدمان التأمل والتفكير في آلائه ، ولا تمل ألسنتهم من دوام التحدث بفضله ونعمائه ، والصلوات الخمس ما هي إلا أحد الأشكال المعينة لممارسة هذا التحميد والتسبيح ، فالمقصود بالتسبيح وقت الصباح هو صلاة الفجر ، بينما يشمل تسبيح المساء صلاتي المغرب والعشاء الآخرة ، أما التسبيح عند الدخول في الظهيرة فالمراد به صلاة الظهر ، وأما التسبيح عشياً (أي في آخر النهار) فالمراد به صلاة العصر !

﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

تَنتَشِرُونَ: تتصرفون في شؤون معيشتكم .

لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا : لتميلوا إليها وتألفوها .

إن عالمنا الراهن يزخر بوقائع شتى كثيرة تدعو إلى الدهشة والاستغراب، ومنها تحول شيءٍ إلى شيءٍ آخر ، إذ تتحول هنا المادة غير القابلة للنمو إلى مادةٍ قابلةٍ للنمو ، كما يتحول التراب الجامد الهامد ، إلى شكل إنسانٍ يمشي ويتكلم ! كما أن كل هذا يحدث على نحوٍ هادفٍ حكيم، وعلى سبيل المثال حين يمر "التراب" بشتى الأطوار والمراحل، لكي يستحيل إنساناً ، فيصب نصفه تقريباً في قالب الرجل ، والنصف المتبقي في قالب المرأة ، وإلى هذا التقسيم يرجع الفضل في بقاء النوع البشري واستمرار الحضارة الإنسانية منذ آلاف السنين ، إن هذا التحول العجيب ، والذي يخضع لنظام ضبطٍ وتنسيقٍ دقيق ، لا يمكن أن يقع إلا إذا أقررنا بوجود إلهٍ قادرٍ مطلق القدرة يتصرف

وراءه !!

الحقيقة هي أن المرء لو تأمل في خلق الله ، لبدا له كأن الله يتجلى في كل شيءٍ ، وكأنه تعالى يشرف بوجهه الكريم من خلال كل شيءٍ !!

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

الكون ، بكل موجوداته آية الله ، فإنشاؤه من العدم يشهد بقدرة الله على الإبداع، والتنوع الهائل في المخلوقات يدل على اتساع قدرة الله إلى غير نهايةٍ ، وكون الأشياء على أتم درجةٍ من الحكمة والمعنوية يعكس اتصاف الله باللطف والرحمة ، ووجود أشياء مدمرةٍ كصاعقة الرعد والبرق يعرفنا بالله بوصفه عزيزاً ذا انتقامٍ ، واستحالة الأرض ، بعد تعرضها مدةً تطول أو تقصر لليبس والجفاف ، ناضرةً خضراء من جديد ، تشير إلى إمكان الخلق الثاني (البعث بعد الموت) .

كل هذه آيات الله ، غير أنها آيات لأولئك وحدهم الذين يصغون إلى نداء الكون الصامت ، والذين يستعملون عقلهم وعملهم في الاتجاه الصحيح !

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

لَهُ قَانِتُونَ: مطيعون منقادون لإرادته .

وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى : الوصف الأعلى في الكمال والجلال

إن نظام الأرض والشمس والكواكب والنجوم البديع في هذا الفضاء اللانهائي ، واقعة فذة ومدهشة، لدرجة أنه دليل صارخ في ذاته بأنه لم يقم إلا بقدرة "قيومٍ" ، وأنه لا يسير هكذا في غاية الانضباط والدقة إلا بقوة مسيّر ، ولو فارقه هذا الإشراف والدعم الخارجي المتواصل لمجرد لحظةٍ واحدةٍ ، لعم الكون كله فساد واختلال وفوضى ، إن طائرةً عاديةً في هذا العالم لا تلبث أن تتعرض للانفجار والعطب عندما تفلت من سيطرة الطيار عليها ، فكيف يُتصور إذن أن يسير هذا المصنع الكوني الهائل بدون أي مسيطرٍ أو ضابطٍ يشرف عليه ليل نهار!!

إن إعادة خلق الإنسان من جديدٍ بعد موته ، لأمر أيسر وأكثر سهولةً على خالق الكون ؛ بالنظر إلى آثار قدرته المتجلّية في أرجاء هذا الوجود ، وإن التسليم بالخلق الثاني، بعد مشاهدة الخلق الأول الذي يتم عرضه في هذا الكون كل حينٍ وآنٍ ، هو بمثابة التسليم بأمرٍ ثابتٍ لا يحتاج إلى مزيد برهانٍ ، حيث إن الكون زاخر بمظاهر قدرة الله وآيات حكمته الباهرة على مستوىً أعلى، ليس من المستبعد معه أن يُنسبَ إلى الله -جل وعلا - أي عملٍ إبداعيٍ يمكن تخيله أو هو يخرج عن نطاق الخيال البشري ؛ فإنما أمره تعالى إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون!!

﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن

يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

إن هناك من الأموال والعقارات ما يشترك فيه أكثر من رجلٍ ؛ وبالتالي يكون كل واحدٍ من الشركاء ملزماً بأن يراعي فيه حق الشريك الآخر ، أما أمر الله - سبحانه وتعالى - فإنه ليس من هذا القبيل ، إذْ أنه تعالى هو وحده مالك الكون كله بلا منازعٍ ولا شريك ، والمثال الصحيح لله هو مثال السيد والمملوك ، دون مثال الشركاء العديدين في مالٍ أو عقارٍ ، حيث توجد بين الله ومخلوقاته على نطاقٍ أوسع وأشمل النسبة نفسها التي نراها بين سيدٍ ومملوكٍ ، وكما لا يعطي السيد لمملوكه أو خادمه درجةً مساويةً مع نفسه هو ، كذلك ليس في الكون أحد يمكنه أن يرقى إلى مستوى الله أو ينافسه في ملكوته الأعلى، فإن إلى جانب الله السيادة المطلقة من غير ندٍ ولا شريكٍ ، بينما ليس إلى جانب الخلق كله سوى العبودية والمحكومية!!

وخضوع الموجودات كافةً للأنظمة التي فرضها عليها الخالق المبدع ، يدلنا على أن النسبة الصحيحة بين الله وخلقه هي نسبة السيد المختار على عبده الذليل ، وكل نسبةٍ أخرى سواها ستكون قائمةً على أساس فرضية إنسانية محضةٍ ، لا على أساس أي دليلٍ واقعيٍ!

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

فَأَقِمْ وَجْهَكَ : قومه وعدله .

لِلدِّينِ : دين التوحيد والإسلام .

حَنِيفًا : مائلا إليه مستقيما عليه .

فِطْرَةَ الله : الزموها وهي دين الإسلام .

فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا: جبلهم وطبعهم عليها.

لِخَلْقِ اللهِّ : لدينه الذي فطرهم عليه .

ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ : المستقيم الذي لا عوج فيه .

مُنِيبِينَ إِلَيْهِ : راجعين إليه بالتوبة والإخلاص .

وَكَانُوا شِيَعًا : فرقا مختلفة الأهواء .

الدين الحقيقي واحد ، وإنه قد نزل بشكله الكامل على كل نبيٍ من الأنبياء ، وهو يُلخص في : الرجوع إلى الله الواحد ، وعبادة الله الواحد ، والتوجه الكلي إلى الله الواحد دون سواه ، هذا هو دين الفطرة ، وهذا الدين كامن في نفسية كل إنسانٍ بصورةٍ أبديةٍ ، وقد جاء الأنبياء قاطبة لتعليم البشر هذا الدين الواحد نفسه ليس غير ، ولكن الأجيال اللاحقة بأتباعهم الأولين لم تلبث أن حوّلت الدين الواحد إلى أديانٍ متعددةٍ ، وتعدّد الأديان والمذاهب ينشأ دوما عن تلك المباحث الإضافية التي يخترعها الناس على مر الأيام في تعاليم الأنبياء الأساسية ، كاختلاق تفريعات مستحدثة في العقائد ، وابتداع المسائل والآداب المزعومة في العبادات ، وإلباس الدين ثوب تفسيراتٍ جديدةٍ مجاراة للاتجاهات العصرية السائدة .. إلخ.

تلك هي الأشياء التي تجعل من الدين الواحد أدياناً في القرون المتأخرة ، وحين تتولد هذه الإضافات ، تعود هي ذاتها محور اهتمام الناس بدلاً من الدين الحقيقي ، مما يؤدي إلى التفريق والتحزّب على أساس إضافةٍ معينةٍ أو مجموعةٍ معينةٍ من تلك الإضافات ، بحيث تأخذ طائفة منهم تؤكد على هذه ، وأخرى تركز على تلك ، وهكذا

يصل الأمر في نهاية المطاف أن الأمة الواحدة (أتباع الدين الواحد) تنقسم على نفسها ، فإذا بها تتحول عملياً إلى فرقٍ وأحزابٍ دينيةٍ شتى ، وكل حزبٍ بما لديهم فرحون!

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

سُلْطَانًا : كتابا أو حجة .

يجد المرء نفسه في ظل الأحوال العادية مختاراً حرّ التصرف ، مما يجعله يطغى ويتفرعن في تلك الأحوال بلا حدودٍ .. وأما حين تُشعره الظروف الحرجة الدقيقة بمدى عجزه وضعفه، فعندئذٍ يرتفع عن ذهنه كل حجابٍ ، وبالتالي يرجع الإنسان إلى حجمه الحقيقي كما هو ، وعندها يأخذ ينادي الله في ضراعةٍ وخشوع معترفاً بعجزه وقلة حيلته .

وإن هذا لدليل نفسي على وحدانية الله ، فهكذا يُكشف للإنسان عن وجه الحقيقة ، لكي يراه من خلال تجربته الذاتية ، غير أن المرء ظلوم جهول لدرجة أنه حين تتغير الظروف والأحوال ، يعود سيرته الأولى من التمرد والغفلة والطغيان !

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ

فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾

فَرِحُوا بِهَا : بطروا وأسروا .

هُمْ يَقْنَطُونَ: ييأسون من رحمة الله .

وَيَقْدِرُ : يضيقه على من يشاء لحكمة .

رِّبًا : هو الربا المحرم المعروف .

لِّيَرْبُوَ : ليزيد ذلك الربا .

فَلَا يَرْبُو : فلا يزكوا ولا يبارك فيه .

الْمُضْعِفُونَ : ذوو الأضعاف من الحسنات .

إن المؤمن يعد كل ما يصيبه في هذه الدنيا من الراحة أو البلاء من عند الله تعالى ، ولذا فهو يتوجه إلى الله في كلتا الحالتين ؛ شاكراً عند الراحة ، وصابراً عند البلاء والمحنة.

أما غير المؤمن فإنه يضع ثقته في نفسه ، مما يجعله يمرح ويتغطرس في أحوال الرخاء والعافية ، وعندما يشعر بأن قواه قد شُلّت ، ولم يعد لديه الآن حول ولا حيلة ، فلا يلبث أن يقع فريسة اليأس والقنوط ، لكونه يحس أنه قد بلغ حده الأقصى! وكأنما هذه شهادة الفطرة تدلنا على أن الاتجاه الأول هو الاتجاه الحقيقي ، وأن الاتجاه الأخير غير حقيقي .

ومن أمارات المؤمن أنه يبذل ماله ابتغاء مرضاة الله ، حيث إنه يخصص جزءاً من أمواله أيضاً لغيره من الفقراء والمحتاجين ؛ بغض النظر عما إذا كانت تربطه بهم صلة القرابة أم لا .. وإنما هو ينفق ماله لكسب أرباح الآخرة ، وليس لمجرد كسب الأرباح

الدنيوية وحدها كما هو شأن المرابين (آكلي الربا) !

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

إن خلق الإنسان أولاً ، وتوفير ما يحتاج إليه من القوت اليومي صباح مساء ثانياً ، ثم تعرضه للموت أخيراً ، كل هذه وقائع عظيمة لدرجة أن إحداثها يتطلب القوة الكونية ، وليس هناك أي موجودٍ مفترضٍ ، عدا خالق الكون ، يتمتع بمثل هذه القوة الكونية الجبارة ، والحقيقة هي أن التوحيد يحمل معه دليل صدقه ، والشرك يحمل معه دليل بطلانه .

إن مركز توجهات الجميع يكون واحداً ، فيما لو اتخذ كل إنسانٍ من الله الواحد الأحد إلهه ، الأمر الذي يتسبب في إيجاد مناخٍ من الوحدة والإخاء بين البشر ، وأما حين تُتخذ آلهة شتى من دون الله ، فإن أشياء كثيرة لا تُحصى تصبح مركز التوجه ومحور الاهتمام، مما يولد العناد والاختلاف والفرقة بين الأفراد والشعوب، وبالتالي يمتلئ البر والبحر والجو بالشر والفساد!

إن عاقبة انحراف الإنسان، وإن كانت ستواجهه في صورتها الكاملة الأبدية بعد الموت، إلا أنها قد يتم إظهارها، بصفةٍ جزئيةٍ مؤقتةٍ ، في هذه الدنيا ذاتها لكي تكون عبرةً وذكرى للناس!

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ

يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

لِلدِّينِ القَيِّمِ : المستقيم (دين الإسلام) .

لاَّ مَرَدَّ لَهُ : لا يقدر أحد على رده .

يَصَّدَّعُونَ: يتفرقون إلى الجنة وإلى النار .

يَمْهَدُونَ: يوطئون مواطن النعيم .

إن الأبرار والفجار مختلطون ببعضهم في العالم الراهن ، وستأتي الآخرة لكي تفرز كلا هذين الصنفين من الناس فرزاً ، ويومئذٍ سيكون الإنعام الإلهي خالصاً للذين عاشوا في العالم الراهن ربانيين متجردين مخلصين دينهم لله وحده ، وأما الذين كانت اهتماماتهم ورغباتهم مرتبطةً بغير الله ، فإنهم سوف يُحرمون هناك من رحمات الله للأبد!

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

إن هبوب الرياح الباردة الندية قُبيل نزول المطر ، إعلان بأن إله هذا الكون إله ذو رحمةٍ واسعةٍ ، إن الملاحة البحرية لها أهميتها البالغة في بناء التمدّن ، ولكن الملاحة في البحر لا تكون ممكنةً إلا إذا ظلت الرياح في إطارٍ معينٍ محدودٍ ، وهكذا ، فإن الرحلة الجوية في عصرنا الحاضر هي الأخرى تعتمد إلى حدٍ كبيرٍ جداً على ذلك الغلاف الهوائي السميك الذي يحوط الأرض من كل جانبٍ ، وليس هذا إلا بتدبير من الله

العزيز الرحيم .

وإنما الغرض من كل هذه العناية والتدبير هو أن يعيش الإنسان عبداً شاكراً لله رب العالمين ، وما بُعث الأنبياء والمرسلون إلا لكي يلفتوا انتباه الناس إلى هذه الحقائق البالغة الخطورة ، فمنهم مَنْ آمنوا بهم ، ومنهم من كفروا بهم ، وعندها نصر الله المؤمنين ، ودمر الكافرين ، وسيُعامل كلا الفريقين هذه المعاملة في الآخرة على نطاقٍ أوسع وأشمل وأمم!

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

فَتُثِيرُ سَحَابًا : تحركه وتنشره .

وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا : قطعا متفرقة .

الوَدْقَ : المطر .

مِنْ خِلالِهِ : فُرَجِه ووسَطِه .

لَمُبْلِسِينَ: آيسين من نزوله.

فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا : فرأوا النبات مصفرا بعد الخضرة .

حين يختار المرء طريق الحق ، كثيراً ما يتعرض لصعوبات شديدةٍ تقصم ظهره، كما حدث مع الرسول - ﷺ - وأصحابه الكرام في فجر التاريخ الإسلامي ، ولكن لا داعي لليأس والقلق مهما أحيط المؤمن بظروف بالغة القسوة، فإن الله الذي هو رحيم لدرجة أنه إذا كانت الحقول والمزارع بحاجةٍ إلى الماء ، سقاها بتحريك النظام الكوني ، لينصرن السالكين في طريقه أيضاً بكل تأكيدٍ ، بيْد أن هذا النصر إنما يأتي بحسب تقدير الله نفسه ، ولهذا فليس ينبغي ، إذا تأخر مجيئه ، أن يمتلئ قلب المرء كآبةً أو يأساً .

إن حديث الله حديث أوضح وأقطع ما يكون برهاناً، على أنه لا يُوفق إلى الإيمان بحديث الله إلا الذي ينظر في الأشياء نظرة فاحصةً متعمقةً ، ويُصغي إلى الأحاديث بانتباهٍ حادٍ، والذي يخلو مزاجه من عنصر العناد والتعنت ، بحيث إذا فهم أمراً بادر إلى الإقرار به فوراً ، وإذا اتضح له كون طريقٍ ما صحيحاً ، سار عليه في الحال!!

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

وَشَيْبَةً : حال الشيخوخة والهرم .

يُؤْفَكُونَ: يصرفون عن الحق والصدق .

وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ: لا يطلب منهم إزالة عتبه وغضبه تعالى عليهم – بالتوبة والطاعة .

إن الإنسان حين يولد يكون طفلاً غاية في الضعف ، ثم تليه سنوات عدة حافلةً بالقوة والشباب والحيوية ، إلى أن يفاجئه مرةً أخرى ضعف الكهولة والشيخوخة ، ومعنى هذا أن قوة الإنسان ليست ذاتيةً ، بل إنما هي معارة له لفترة محدودةٍ ، والخيار كله هنا بيد "المعطي" وحده ، فيُبقي عطاءه إلى متى شاء ، ويسترده متى يشاء !

وإنه لا يكاد المرء يهتم أو يكترث بأمر الآخرة في الحياة الدنيا ، ذلك لأن القيامة تبدو له شيئاً بعيداً ، بعيداً جداً ، كأنها ليست بواقعةٍ ، غير أن هذا ليس إلا جهلاً محضاً .. فإن القيامة يوم تقوم ، سيخيل إليه كأنه لم يلبث في العالم السابق غير برهةٍ يسيرةٍ من الزمن حتى وجد نفسه في العالم الآخر!!

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ : لا يحملنك على الخفة والقلق .

كان الناس في مكة يطالبون الرسول بأن يظهر لهم بعض الخوارق إن كان هو نبي الله حقاً ، غير أن طلب القوم هذا لم يلق الإجابة ، والسبب في ذلك أن الخوارق كانت غير مجديةٍ تماماً في تحقيق الهدف الأصلي المنشود ، فقد كان الإسلام يهدف إلى تغيير عمل الناس، وإنما يتغير العمل بتغير الفكر ، وليس بإدهاش الناس بخوارق العادات !.

ومن هنا نرى القرآن الكريم يركز كل التركيز على جوانب الاستدلال والإقناع وحده، فإنه يتوخى تغيير ذهن الإنسان عن طريق الدليل والبرهان ، ويبغي تأهيل المرء ليرى الواقعات من الوجهة الصحيحة ، ويتبنّى أحكاماً وآراء صائبةً سديدةً تجاه

القضايا والأمور الحياتية المختلفة.

والحقيقة هي أن مشكلة الإنسان الجوهرية تكمن في صحة الفكر، ولو أن المرء لم يكن قد أيقظ في نفسه الفكر الصحيح السليم ، لما منعه شيء ، حتى بعد مشاهدة المعجزات والخوارق ، أن يرفضها بدورها بترديد بعض الألفاظ الفارغة الحمقاء،كرفضه من قبل الأدلة والبراهين باللجوء إلى ألفاظٍ مماثلةٍ.

والطبع على القلوب لكون أصحابها من : "الذين لا يعلمون" ، يعني أن يُحال بينهم وبين إدراك الأمور بسبب انعدام الصحة الفكرية لديهم، والمرء إذا كان يعوزه القدرة على الحكم أو تكوين الرأي فإنه لا يستطيع رؤية الأشياء من وجهتها الصحيحة ، ومن أجل ذلك فهو لا يتمكن بطبيعة الحال من استخلاص التوجيه الصحيح المفيد لنفسه من دراسة الأشياء.

وإن العبد الذي ينهض بدعوة الحق الخالص النقي ، يواجه دوْماً برد فعلٍ مثبطٍ من قِبل الناس ، إذ الداعي يتحدث عن الآخرة وحدها ، بينما تكون أذهان المستمعين مشغولةً بالهموم والقضايا الدنيوية البحتة ، مما يجعل الناس يحتقرون الداعي أيّما احتقارٍ، ويحاولون الاستخفاف بشأنه والتقليل من أهميته من جميع النواحي ، حتى ليبدو حديث الداعي كأنه حديث تافه لا يقام له وزن ولا يستحق أن يُصغى إليه !.

وهذا الوضع ، كما هو ابتلاء بالنسبة إلى المدعو ، محنة للداعي كذلك ، وفي وقتٍ كهذا يجب على الداعي ألا يفقد ثقته ويقينه بدعوته ، فلو أنه فقد يقينه تحت ضغطٍ من الظروف ، واشتداد وطأة الأحوال ، فسيأخذ يتحدث حديثاً ربما يبدو ذا أهميةٍ لعامة الناس ، ولكنه سيكون كلاماً عديم الأهمية فاقد القيمة على الإطلاق عند الله - سبحانه وتعالى!!

سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾ .

الإحسان في أصل معناه اللغوي : الإتقان للعمل ، أي إنجازه على أفضل وجهٍ ، والمحسن: فاعل الإحسان أو المتقن لعمله ، ومقياس كوْن عملٍ ما حسناً في هذه الدنيا هو أن يكون مطابقاً للحقيقة الواقعة ، وعليه فالمحسن هو : الذي يعترف بالحقيقة الواقعة ، والذي يكون عمله كما ينبغي أن يكون وليس بالعكس .

والذين يمتلكون مزاج التكيف مع الحقيقة الواقعة ، إذا ما تبيّن لهم الصدق ، فلا يلبثون أن يتلقوه بالقبول ، لا تحول بينهم وإياه أية تعقيداتٍ أو عوائق نفسية ، ويأخذون في ممارسة كل مقتضيات العملية من غير تحفظٍ ولا ترددٍ ، وهم بالتالي يصبحون : مقيمي الصلاة ، التي هي علامة لتأدية حق الله ، ويؤدون الزكاة ، حيث إنها تعني أداء حق العباد في دائرة المال ، ويصيرون محبين للآخرة بدلاً من حب الدنيا ، لكونهم يعلمون أن الآخرة ، لا الدنيا، هي الدار التي يتقرر فيها مصير الإنسان النهائي إلى الفلاح أو إلى الخسران !

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ .

لَهْوَ الحَدِيثِ : الباطل المُلهِي عن الخير والعبادة .

هُزُواً : سخرية - مهزوءا بها .

وَلَّى مُسْتَكْبِراً : أعرض متكبرا عن تدبرها .

وَقْراً : صمما مانعا من السماع .

الأحاديث نوعان: النصيحة والتسلية ، وبما أن النصيحة تبعث في النفس الشعور بالمسئولية ، وتدعو المرء إلى فعل شيءٍ وترك شيءٍ ، فإنها كانت - ولا تزال - موضع اهتمام قلةٍ من الناس قليلةٍ جداً في كل العصور ، وأما مزاج الإنسان العام فقد ظل دوماً مولعاً بأحاديث التسلية والمجون ، وفي مقابل ((كتاب)) النصيحة والموعظة ، فإنه يحرص غالباً ، على شراء الكتاب الذي يتضمن مواد التسلية والمتعة الذهنية ، دون أن يفرض عليه أية مسئوليات والتزامات ، أو يأمره بأداء واجبٍ ما . ومن أعظم الناس جرماً الشخص الذي لا يكتفي بذاته في الاشتغال باللهو والمجون ، بل يأخذ في إلهاء الآخرين بفنون التسلية الفارغة والمتعة الباطلة كذلك ؛ ذلك لأنه نصب من نفسه قائداً لهذا الانحراف الذهني ، وأنه شغل أذهان الناس بما لا خير فيه ولا فائدة ، حتى جعلهم غير صالحين لكي يوجهوا عنايتهم نحو الأحاديث الجدية والمفيدة .

إن نفسية الاستكبار هي أسوأ النفسيات إطلاقاً ، والذي يكون مصاباً بنفسية الاستكبار ، فإنه لا يكاد يعترف بالحق وإن ظهر أمامه في أجلى مظاهره ، بل إن شعوره بالكبرياء والاستعلاء يدفعه إلى مقابلة الحق بالاحتقار وعدم الاكتراث ، وعلى نقيضٍ من هذا تماماً يكون حال أهل الإيمان ، فإن مزاجهم المولع بالنصيحة يرغمهم على أن

يبادروا إلى الاعتراف بالحق وأن يسخروا حياتهم كلها لخدمته !!

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ .

بِغَيْرِ عَمَدٍ : بغير دعائم وأساطين تقيمها .

رَوَاسِيَ : جبالاً ثوابت .

أَن تَمِيدَ بِكُمْ : لئلا تضطرب بكم .

وَبَثَّ فِيهَا : نشر وفرق وأظهر فيها .

زَوْجٍ كَرِيمٍ : صنف حسن كثير المنفعة .

الكون فضاء رحيب إلى غير نهايةٍ ، يدور فيه ما لا يُحصى من الأجرام السماوية الضخمة بانتظامٍ ، وإن بقاء هذه الأجرام متماسكة في أماكنها ، رغم دورانها المستمر في الفضاء اللامتناهي ، واقع عظيم لدرجة تثير الدهشة والإكبار ، ثم إن أرضنا هذه كوكب استثنائي فذ ، بكل معنى الكلمة ، في هذا الكون ، حيث توجد هنا أسباب وتدابير لا يحصيها عدّ ؛ جعلت الحياة الإنسانية فوقها ممكنةً وجديرةً بأن تُعاش ، ومن بين هذه الأسباب والتدابير : وجود التوازن المدهش في الأرض بسبب ارتفاع الجبال على سطحها ، وتوافر أشياء عجيبة وضرورية للحياة كالماء والهواء والنبات بمقادير هائلةٍ .. إلخ.

وإنه ليس هناك من أحدٍ ، غير الله الواحد الكبير المتعال ، يقدر على إقامة هذا النظام العظيم وإدارته.. إذن ، فكيف يجوز للإنسان أن يتخذ من أشياء أخرى دون الله مركز عبادته!!

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ .

لُقْمَانَ : كان صالحا حكيما وليس نبياً .

الحِكْمَةَ : العقل والفهم والفطنة وإصابة القول .

إن شخصية لقمان الحكيم يكتنفها الغموض من الناحية التاريخية ، وقد وردت عنه أخبار كلها غير مقطوعٍ بصحتها ، إلا أنه - على أية حالٍ - كان رجلاً صالحاً حكيماً عابداً لله - عز وجل !

حيث يقول القرآن الكريم: إن لقمان كان عبداً شكوراً لله ، وإنه أوصى ولده بتجنب الشرك ، وكلاهما أمر واحد ، إذ التوحيد ينبع من نظرنا إلى الله على أنه وحده ولي نعمتنا وصاحب المنة والإحسان إلينا ، وأما الشرك فهو أن يجعل المرء أحداً من دون الله ولي نعمته والمتفضل عليه ، وبالتالي يأخذ في توجيه عواطف الشكر والامتنان الجياشة في صدره نحوه!!. ولئن كان المعطي واحداً لا ثاني له ؛ فإن الشكر هو الآخر ينبغي أن يكون خالصاً له وحده كذلك!

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ : أمرناه وألزمناه .

وَهْناً : ضعفاً .

وَفِصَالُهُ : فطامه عن الرضاع .

أَنَابَ إِلَيَّ : رجع إليَّ بالإخلاص والطاعة .

أعظم حقٍ على الإنسان - بعد حق الله - لوالديه ، بيد أنه إذا ما تعارض أمر الوالدين مع أمر الله - سبحانه وتعالى - كان أمر الله مقدماً على أمر الوالدين ، ولكن لابد - مع ذلك - من القيام بخدمتهما ومواصلة البر بهما على مدى الحياة .. وهذه الموازنة الدقيقة بين واجبين أو مطلبين متقابلين هي أسمى صور الحكمة الإسلامية، وفي هذه الحكمة السامية يكمن سر النجاح الأعلى في كل شعب الحياة !

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ .

مِثْقَالَ حَبَّةٍ : وزن أصغر شيء .

وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ : لا تمل وجهك عنهم كبراً وتعاظماً .

مَرَحاً : فرحا وبطراً وخيلاء .

مُخْتَالٍ فَخُورٍ : متكبر ، مباه متطاول بمناقبه .

وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ : توسط فيه بين الإسراع والإبطاء .

وَاغْضُضْ : اخفض وانقص .

لقد أثبت التقدم العلمي الحديث أن كلمات الحاجز والفاصل والبعد (الزماني والمكاني) كلها نسبية ؛ فالأشعة السينية (أشعة إكس) بإمكانها أن ترى حتى داخل الجسم الإنساني ، كما أن الأشياء البعيدة أو المتناهية في الصغر ، التي تخفى عن عيوننا المجردة ، تبدو واضحةً جليةً عن طريق التلسكوب والميكروسكوب ، وهذا الإمكان الذي نجرِّبه هنا على مستوى محدودٍ ، يوجد عند الله سبحانه على مستوى غير محدودٍ .

إن عملك بالدين أو قيامك بدعوة الآخرين إلى الدين ، كلاهما مهمّة شاقة وعسيرة تتطلب الصبر ، والنهوض بأعبائها يفرض عليك أن تأخذ الأناة والتريث قبل الإقدام ، وتخالف هوى نفسك بدلاً من الانقياد لرغباتها ، وأن تتنازل عن كبريائك ، بدلاً من الحفاظ عليها ، وأن تتحمل أذى الآخرين وإساءاتهم من طرفٍ واحدٍ .

وكل هذه من عزائم الأعمال ، وإن الخلق المفعم بروح الجد والعزيمة هو الخلق الإسلامي ذاته!!

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ .

سَخَّرَ لَكُم : لمنافعكم ومصالحكم .

وَأَسْبَغَ : أتم وأوسع وأكمل .

لقد أنشئ عالمنا الراهن بحيث يجده الإنسان ملائماً لنفسه من كل الوجوه والنواحي، هذا إلى جانب أن هذا العالم يتوفر فيه كل شيءٍ يحتاج إليه الإنسان بمقدار هائل ، ولكن الإنسان لا يشكر خالق الكون ، بل ربما يحاول - بإثارة مجادلاتٍ عقيمةٍ

فارغةٍ - أن يصرف توجه الناس عن الله رب العالمين!

وإن سبب انحراف الإنسان يرجع، في الأعم الأغلب، إلى أنه لا يستعمل عقله، ولا يُعمل فكره مترفعاً على العادات والتقاليد السائدة، ولو أن المرء قد ارتفع بنفسه على التقاليد والعادات، وتحرر من أسرها، لصار العقل الذي زوّده الله به كافياً في ذاته لكي يوجهه نحو الاتجاه الصحيح!!

﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ ﴾.

يُسْلِمْ وَجْهَهُ : يفوض أمره كله .

اسْتَمْسَكَ : تمسك وتعلق واعتصم .

بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى : بالعهد الأوثق الذي لا نقض فيه .

عَذَابٍ غَلِيظٍ : شديد ثقيل (عذاب النار) .

إن كل امرئٍ له اتجاه معين في هذه الحياة، وهو يكون منصرفاً إليه بكليته فكراً وعملاً، والمؤمن هو الذي يتجه بكيانه كله نحو الله، إن الحياة الإيمانية هي حياة إلهية الاتجاه، وأما الحياة غير الإيمانية فهي حياة لا إلهية الاتجاه .. ومنَ اتجه نحو الله، فقد سار في اتجاه الهدف الصحيح، وإنه واصل حتماً إلى مصيرٍ طيب وعاقبةٍ محمودةٍ .. وعلى نقيضٍ من هذا فإن مَنْ يغفل عن الله ويتجه بالتالي نحو غيره، فقد صار بلا اتجاه صحيحٍ ولا هدفٍ معينٍ، وقد يمكن أن ينال هذا الشخص بعض الفوائد الآنية في مجال هذه الحياة الفانية، ولكن ليس ينتظره في حياة الآخرة الأبدية شيءٍ سوى عذاب غليظٍ !!

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

يَمُدُّهُ : يزيده وينصب إليه .

سَبْعَةُ أَبْحُرٍ : مملوءة ماء .

مَا نَفِدَتْ : ما فرغت وما فنيت .

كَلِمَاتُ الله : مقدوراته وعجائبه أو معلوماته .

إن الكون يبلغ من العظمة والاتساع حداً لا يستطيع معه أي شخصٍ ادعاء أن له صانعاً آخر غير الله - جل وعلا ، ولكن الإنسان ، مع اعترافه بهذه الحقيقة الجلية ، يرفع أشياء أخرى من دون الله إلى مقام العظمة والقداسة ، وما الشرك إلا اسم آخر لهذا المسلك اللامعقول .

وإن عظمة الكون لأعظم من أن يُستطاع وصفها بالألفاظ ، إن تاريخ العلوم الطبيعية يغطي من المساحة الزمانية آلاف السنين ، ولكن ، بالرغم من أبحاث ودراسات هائلة تفوق الحصر ، لم يتمكن علم الإنسان بعدُ ، حتى من الإحاطة بأسرار شيءٍ واحدٍ وخفاياه إحاطةً كليةً شاملةً .. فكم في رحاب الفضاء عدد النجوم والكواكب؟ ، وكم عدد أنواع النبات والحيوان الموجودة على ظهر البسيطة ؟ وما كُنْه ذرةٍ من ذرات الرمال ، وحقيقة ورقةٍ من أوراق الشجر؟ ، وكم من عجائب ونفائس مخبوءة في أعماق البحار؟

وجملة القول: فإن أي شيءٍ من أشياء الدنيا ، مهما كان صغيراً أو كبيراً ، لم يستطع الإنسان أن يستقصي عنه معلومات كاملةً وشاملةً .. إذن ، أفلا يكفي هذا الواقع وحده للبرهنة على أن الإنسان لن يستطيع أبداً ، حتى ولو صارت له كل أشجار الأرض أقلاماً ، واستحالت بحارها مداداً ، أن يدون آلاء الله ويصف عجائب صنعه التي لا تُعدُّ ولا تحصى!!

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

يُولِجُ : يدخل .

الإنسان دليل في ذاته على أن ظهور الحياة الأولى ممكن ، وإذا أمكن ظهور الحياة مرةً واحدةً ، فإن ظهور الحياة مرةً ثانيةً وثالثةً بل مراتٍ ومراتٍ يصير ممكناً بطريق الأوْلى والأحْرى.

وهكذا ، كل واحدٍ منا يعلم ، من واقع تجربته الذاتية ، أنه يستطيع أن يسمع صوتاً ، وأن يرى منظراً ، وإذا كان سماع صوتٍ واحدٍ ورؤية منظرٍ واحدٍ ممكناً ، فماذا يجعل من سماع الأصوات الكثيرة ورؤية المناظر الكثيرة أمراً مستبعداً أو مستحيلاً ؟!

وإيلاج النهار في الليل وبالعكس إشارة ، في لغة الكناية ، إلى تلك الظاهرة التي تُعرف في عصرنا الحديث بدورة الأرض المحورية ، إن دوران الأرض في محورها بانتظامٍ ودقةٍ ، وما إلى ذلك من ظواهر أخرى مماثلةٍ ، يدل على أن خالق هذا الكون ومالكه إله عظيم إلى حدٍ لا يمكن تصوره ، فمن هناك سواه ، والحالة هذه ، الذي

يستحق أن نعبده ونرفعه إلى مقام العلو والكبرياء في حياتنا؟!

والحقيقة هي أن كل ما يُرفع إلى درجة الكبرياء والعظمة من دون الله الواحد الأحد، الفرد الصمد ، فإنما يكون ذلك كذبًا وباطلًا ، إذْ ليس ثمة من أحد غير الله الواحد يتمتع بأية عظمة أو مجدٍ ذاتي حقيقي !

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

غَشِيَهُم مَّوْجٌ : علاهم وغطاهم

كَالظُّلَلِ :كالسحاب . أو الجبال المظلة .

فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ :موف بعهده شاكر لله .

خَتَّارٍ كَفُورٍ : غدار جحود للنعم .

لو أننا ألقينا بشيءٍ ما في البحر لغرق من فوره ، ولكن الله سبحانه قد أخضع الماء لقانون خاصٍ ، مما يجعل السفن والباخرات الضخمة لا تغرق في أعماق البحار ، بل تطفو على سطح المياه ، وتنتقل بالإنسان وأمتعته من مكانٍ إلى مكانٍ ، وهذا من غير شكٍ آية عظيمة ، بيد أن هذه الآية لن يعتبر بها إلا الإنسان الصابر والشاكر. أما الصابر فهو الذي يجنب نفسه الاندفاع وراء الأحاسيس الخاطئة والنزوات الطائشة . وأما الشاكر فهو الذي يستطيع أن يعترف بالحقيقة التي توجد خارج ذاته هو ، على أن البحر حين يهيج ، وتحيط بالمرء أمواجه العاتية كالجبال ، تتأرجح فيها سفينته كالقشة ، فيدرك كم هو عاجز وضعيف، عندئذٍ لا يلبث أن يذهل عن كل مظاهر الكبرياء والعظمة ، ويتوجه إلى الله وحده ؛ ليستغيثه في ضراعةٍ وابتهالٍ . وهذه التجربة التي يمر بها رُكاب

السفينة في البحر خليقة أن يستخلص الناس منها الدرس والعبرة ، ولكن قليل جداً هم الذين ينظرون إلى أمثال هذه الحوادث بعين التذكر والاعتبار ، ويسيرون بالتالي على جادة الحق والعدل بثباتٍ واستقامةٍ ، وأما أكثر الناس فتراهم إذا وقعوا في مصيبةٍ ما ، ذكروا الله وأنابوا إليه ، وإذا انقشعت غيوم المصيبة، عادوا ثانيةً سيرتهم الأولى من الجحود والطغيان ونكران الجميل !!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

يَوْماً لاَّ يَجْزِي : لا يقضي فيه شيء .

فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ : فلا تخدعنكم وتلهينكم بلذاتها .

الغَرُورُ : ما يغر ويخدع من شيطان وغيره .

قد يبدو ظاهراً أن المرء مهما فعل من شيءٍ ، لن يؤاخذه أحد أبداً ، بينما تنتظره ساعة رهيبة لدرجة تنقطع معها الروابط حتى بين الوالد وولده ، فلا يعود يغني أحدهما عن الآخر فتيلاً !

"متى ستأتي هذه الساعة إن كانت آتيةً ؟!" .

إن طرح سؤال كهذا تجاوز عن حدودنا ، فالإنسان لا يدري شيئاً عن أحداث الغد القريب حتى في إطار عالمه المعلوم ، وعلى سبيل المثال ليس بإمكاننا التنبؤ ، بصيغةٍ

حتمية أكيدة ، عن نزول المطر ، وعن شئون الأجنة في الأرحام ، وعن مستقبلنا الاقتصادي ، وأين يفاجئ أحدنا الموت وفي أي مكان يُقبر ، إلخ . ولكن بالرغم من هذا القصور العلمي فإن الإنسان يسلم بهذه الحقائق كواقعةٍ لا مندوحة عنها ، وهكذا ينبغي عليه أن يوقن بيوم القيامة أيضاً على أساس الخبر الإجمالي غير المحدد!

سورة السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝٣ ﴾

ٱفۡتَرَىٰهُ : اختلق القرآن من تلقاء نفسه .

"هذا كتاب الله " : جملة وجيزة تتألف – على ما يبدو – من ثلاث كلمات غير أنها جملة صعبة وثقيلة ، لدرجة أنه لم يجرؤ على التفوه بها أحد على مدار التاريخ سوى أولئك النخبة الممتازة من البشر الذين كانوا قد نزل عليهم كتاب من عند الله حقاً ، ولو تجرأ أحد يوماً على التفوه بهذه الجملة ، فإنه لن يكون إلا مهرجاً أو مصاباً بالجنون، وإن كونه مهرجاً أو مجنوناً لن يلبث أن يتضح بجلاءٍ بعد مدةٍ غير طويلةٍ من الزمن.

أما القرآن الكريم فهو يحمل في ذاته برهان صدقه وحقيّته ؛ فأسلوبه المعجز ، وعدم ثبوت أية أخطاء علميةٍ في محتوياته على (مرجع سابق) القرون ، وانتصاره الحاسم على أعدائه ومعارضيه.. إن هذه وما إليها من خصائص أخرى مماثلة تقيم الدليل القاطع على أن القرآن كتاب منزل من عند الله – سبحانه وتعالى ، وما دام هو كتاب الله ، كان لزاماً على كل شخصٍ أن يصغي إلى إنذاره ، ويتأمل فيه بمنتهى الجدّية والإخلاص !

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ

ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾

اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ : استواء يليق بكماله وجلاله تعالى .

يَعْرُجُ إِلَيْهِ : يصعد الأمر ويرتفع إليه .

أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ : أحكمه وأتقنه .

سُلالَةٍ : خلاصة .

مَاءٍ مَّهِينٍ : منى ضعيف حقير .

سَوَّاهُ : قومه بتصوير أعضائه وتكاملها .

المقصود بالخلق في ستة أيامٍ (بمعنى ست مراحلٍ أو فتراتٍ) هو التنبيه على ما صاحب عملية الخلق من عنايةٍ وتدرّجٍ .. وإن إبداع الكون المتدرج ونظامه البديع الحكيم يدلنا على أن للخالق - جل وعلا - هدفاً خاصاً من هذا الإبداع العظيم .

ثم إن هذا الكون تجري في أرجائه أعمال شتى ووظائف لا تحصى بإتقانٍ وانتظامٍ عجيبٍ .. مما يثبت بمزيد الوضوح أن خالق الكون يقوم على تدبير شئونه بأسلوبٍ مخططٍ تخطيطاً واعياً دقيقاً .

والإنسان كائن حي فذ ،كل جانب من جوانبه مثار دهشةٍ واستغرابٍ ، حيث يظهر، من تحليل جسده كيماوياً،أنه مركب أساساً من التراب - أي العناصر الأرضية - ثم إن

خلقه الأوّلي هذا لم يتعرض للفناء وحده،بل تسبب في إيجاد غيره،فظل نوعه هكذا يتكاثر عن طريق التوالد والتناسل دون انقطاعٍ.

وكل شخصٍ يتأمل في هذه الوقائع بإمعانٍ ، ستنعدم وتتلاشى من صفحة ذهنه كل مظاهر العظمة الأخرى غير عظمة الله الواحد القهار ، وسيعود بالتالي عبداً شاكراً لله .. ولكن قليل جداً أولئك الذين يتأملون بعمق وجديةٍ ، وللسبب ذاته قليلون جداً مَنْ يقومون بواجب الحمد والشكر لله رب العالمين!!

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٖۚ بَلۡ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ۝١٠ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ۝١١ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝١٢ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ۝١٣ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝١٤ ﴾

ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ : ضعنا فيها وصرنا تراباً.

نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ : مطرقوها خزيا وحياءً وندماً .

حَقَّ القَوْلُ : ثبت وتحقق ونفذ القضاء .

الجِنَّةِ : الجن .

إذا وقف المرء بين يدي الله - عز وجل - للحساب ، تلاشت كل معاذيره .. وسيقول الطغاة والمتجبرون يومئذٍ ، وهم منكسو الرؤوس : ها نحن قد أيقنا يا رب ، فردنا إلى الدنيا مرةً أخرى لكي نعمل صالحاً .. غير أن إيمانهم هذا لن يجدي شيئاً .. إذ

لو كان الله سبحانه يريد إيماناً قسرياً كهذا ، لأرغم الناس جميعاً على الإيمان في الحياة الدنيا!. إن القيمة عند الله إنما هي للاعتراف الذي يتم بدون مشاهدةٍ ، أما الاعتراف بعد المشاهدة ، فلا قيمة له مطلقاً !!

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ : ترتفع وتتنحى للعبادة .

مِن قُرَّةِ أَعْيُنٍ : من موجبات المسرة والفرح.

إن الهداية لا يوفق لها إلا الذين يملكون مزاج تلقي الصدق بالقبول الفوري إذا ما ظهر أمامهم ، حتى ولو تم إظهاره على يد رجلٍ "صغيرٍ" عادي المظهر، ولو كان الإقرار به بمثابة الإقرار على أنفسهم بالخطأ، ولو كان التسليم به مؤدياً إلى هدم خريطة حياتهم من القواعد وإقامتها على أسسٍ أخرى جديدةٍ . إن الذين يتمتعون بهذه الروح المعنوية العالية هم الذين يظفرون بالصدق . وأما الذين يريدون أن يقروا بالصدق إقراراً لا يهدد كبرياءهم، ويضمن بقاء سيادتهم كما هي ، فإنهم لن يوفقوا للظفر بالصدق أبداً .

وإن مَنْ يفقد كبرياءه لأجل الحق يظفر بأكبر شيءٍ في الوجود ؛ ألا وهو كبرياء الله وجلاله ، ويسري الشعور بالله في أعماقه ، ويمتزج في حياته العملية بحيث إنه ينام وهو يذكره، ويقوم من الفراش وهو يذكره ، وتعود مشاعر خوفه ورجائه كلها مرتبطةً بالله وحده .. ويهب نفسه وكل ما عنده لله ، بحيث لا يستبقى منه لذاته شيئاً . وأمثال هذا

هم الذين ستقرّ أعينهم في جنات النعيم الأبدية!!

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

نُزُلاً : ضيافة وعطاء وتكرمة .

المؤمن هو الذي يعترف بالصدق الإلهي ، وأما الفاسق فهو الذي حين يظهر الصدق أمامه ، يقابله بالإنكار والتكذيب حفاظاً على ذاته ومصالحه ، وظاهر أن هذين "دوران" يختلف كل واحدٍ منهما في جوهره عن الآخر تمام الاختلاف ، وأن مصير دورين ، بينهما هذا الاختلاف والتباين ، لن يكون متساوياً ومماثلاً أبداً .

وإن الشخص الذي يعترف بالصدق في العالم الراهن ، يقيم دليلاً على أنه يجعل الصدق أكبر الأشياء إطلاقاً ، ومثل هذا الشخص سيجعل في الآخرة "كبيراً" ، وعلى العكس من ذلك فإن الذي يعرض عن الصدق ، فإنما يعد نفسه هو الأكبر . وسوف يدخل شخص كهذا في عالم الآخرة الحقيقي ، قد جُعل منه أصغر الصاغرين!!

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾

أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾

فِي مِرْيَةٍ : في شك .

مِن لِّقَائِهِ : تلقيه إياه بالرضا والقبول .

أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ ؟: أغفلوا ولم يبين لهم مآلهم .

كَمْ أَهْلَكْنَا : كثرة إهلاكنا الأمم السابقة.

القُرُونِ : الأمم الخالية .

إن تحميل طائفةٍ ما أمانة الكتاب الإلهي يعني تسليمها مقاليد الإمامة للعالم ، غير أن مقام الإمامة العالمية لا ترتقي إليه طائفة إلا إذا أقامت الدليل على الصبر، وفي تفسير ﴿ لَمَّا صَبَرُواْ ﴾ روي عن قتادة قوله : "أي لما صبروا عن الدنيا"[1].

والناس لا يدينون بالولاء لجماعةٍ أو شخصٍ ما ، باعتباره إماماً لهم إلا إذا وجدوه يفوقهم بمزايا فكرية وعملية، ويمتاز عليهم بخصائص معنويةٍ ساميةٍ ؛ تجعله يعيش للمبدأ في وقتٍ يعيش فيه الناس للمصلحة ، ويتحمس لناصرة العدل ، عندما يتحمس الناس لمناصرة مطالبهم القومية .. إلخ ، وهذا هو الصبر ، والذين يقيمون الدليل على هذا الصبر ، يُقدر لهم وحدهم أن يكونوا أئمة الشعوب والأمم .

وإن الذين يثيرون الخلافات بين صفوف الأمة باختراع تفاسير جديدةٍ للدين ، إنما يعرّضون أنفسهم لخطر أن يرفضهم الله وما أحدثوه في دينه رفضاً باتاً ، ولا يقع بالتالي في نصيبهم شيء سوى الخزي والهوان الأبدي .

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير ، المجلد الثالث ، ص٧٧.

وإنه لا يكاد الإنسان ، في أغلب الأحوال ، يتذكر أو يعتبر ، إلا أن يمر عليه بدوره ما مرّ على غيره من قبل!!

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

الأَرْضِ الجُرُزِ : اليابسة التي قطع نباتها .

هَذَا الفَتْحُ : النصر علينا، أو الفصل للخصومة .

يُنظَرُونَ : يمهلون .

لقد كان المشركون في مكة القديمة يتمتعون بالغلبة والتفوق بكل المقاييس ، بينما كان الإسلام مغلوباً مقهوراً من جميع النواحي والاعتبارات ، مما جعل المشركين يسخرون من ضعف الإسلام وسوء حال المسلمين، وقد رد الله تعالى عليهم هنا بضرب مثالٍ بليغٍ فقال : ألستم تشاهدون من دلائل القدرة الإلهية أنه حين تكون بعض بقاع الأرض يابسة جرداء ، بحيث يخيل للناظر وكأنها لن تعود ناضرةً خضراء من جديدٍ أبداً ، يسوق الله نحوها السحب السوداء الثقال ؛ تهطل بالمطر الغزير ، فإذا بتلك البقعة التي كانت قبل أيامٍ يلفها الغبار القاتم والسموم اللافحة إذا بها تكتسي بصنوف النباتات والأزاهير الجميلة ، فالله الذي يقدر على هذا ، قادر أيضاً على أن يمكّن الإسلام من الازدهار والانتشار إلى حدٍ يصير معه هو الفكر الغالب السائد في هذا العصر وفيما يليه من العصور كذلك!!.

سورة الأحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ ﴾

اتَّقِ الله : دُمْ على تقواه أو ازدد منها .

وَكِيلاً : حافظاً مفوضاً إليه كل أمر .

لقد كان رسول الإسلام - ﷺ - داعياً إلى الحق الخالص .. وإن مَنْ ينهض داعياً إلى الحق الخالص في هذه الدنيا ، تواجهه ظروف قاسية وأوضاع مثبطة للغاية .. حيث إنه يعود "غريباً" في مجتمعه بكل معنى الكلمة ، فالناس من حوله بين محبٍ للدنيا لا يروقه دين الداعي القائم أساساً على حب الآخرة ، وبين نفعيّ مساير لتيار العصر تتعارض مصالحه مع ما يدعو إليه الداعي من التجرد والإخلاص الكامل للحق وحده .. ومنهم مَنْ يكون قد أحال الدين "ملحقاً" بمذهبه القومي ، بينما يطالب الداعي بإقامة الدين على أساسٍ من العبودية الإلهية المحضة .

وفي هذه الحالة لو أن الداعي خضع واستسلم لضغوط البيئة ، لوجد في الناس كثيراً من الأعوان والأنصار يلتفون حوله ويقفون إلى جانبه . أما لو أنه ثبت على الحق الخالص ، لم يترك من دون الله ناصراً ولا معيناً ، وليس للداعي ، بأي حالٍ من الأحوال، أن يختار الطريق الأول: طريق الاستسلام والمداهنة. وإنما يتعين عليه أن يثبت على الحق الخالص معتمداً على الله ، واثقاً من أنه تعالى حكيم وعليم ، سينصر

عبده بكل تأكيدٍ ، ولن يخذله أبداً !!

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ ﴾

تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ : تحرمونهن كحرمة أمهاتكم .

أَدْعِيَاءَكُمْ : من تتبنونهم من أبناء غيركم .

أَقْسَطُ : أعدل .

وَمَوَالِيكُمْ : أولياؤكم في الدين .

إن عدم امتلاك المرء لقلبين اثنين في جوفه ، مما يدل على أن التناقض الفكري لا يتفق وشروع الله التكويني . ولئن كان الإنسان قد مُنح قلباً واحداً ؛ فإن فكره هو الآخر ينبغي أن يكون واحداً ليس غير ، فمن المستحيل أن يكون قلب واحد ملتقى نقيضين في آنٍ واحدٍ : بأن يجمع بين الإخلاص والنفاق ، وبين عبادة الله ، وعبادة الدنيا ، وبين العدل والظلم ، وبين الكبر والتواضع .. إلخ .

إذْ المرء لا يسعه إلا أن يكون إلى أحد الجانبين ، وينبغي عليه بالأحرى أن يكون كذلك !!

هذا أمر مبدئي ، تندرج تحته بعض التقاليد التي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي مثل : الظهار والتبني،فقد كان من عادة العرب في الجاهلية أن الرجل إذا قال لزوجته :

"أنت عليّ كظهر أمي" طُلقت منه،وصارت محرمة عليه إلى الأبد كما تكون الأم محرمةً على ابنها،وسُمي هذا ظهاراً. وهكذا كان اعتقادهم في الولد المتبنيّ أنه يصير كابن الرجل من صلبه ، وكانوا بالتالي يُجرون عليه أحكام الابن الحقيقي نفسها. وقد أبطل القرآن الكريم هذه العادة الخرافية من الأساس ، وأعلن صراحةً : أنه لما يتنافى تماماً مع النظام التكويني الفطري أن تصبح الزوجة - المظاهر منها - كالأم الحقيقية،أو يمسي المتبني كالابن الصُلبي سواء بسواء .

وإن الله سبحانه ليعفو عن الأخطاء ما دامت هي صادرةً عن جهالةٍ وعدم العلم . أما لو أصر المرء على مسلكه الخاطئ ، حتى بالرغم من بيان حقيقة الأمر له على نحوٍ واضحٍ جلي ، فإنه لا يعود بعدئذٍ جديراً بعفو الله وغفرانه !

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦ ﴾

أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ : أرأف بهم ، وأنفع لهم .

وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ : مثلهن في تحريم نكاحهن وتعظيم حرمتهن .

وَأُوْلُو الأَرْحَامِ : ذوو القرابات .

إن النبي في حياته شخصياً ، وبعد وفاته مبدئياً ، أحق بأهل الإيمان حتى من أنفسهم . فأمره ينبغي أن يكون مقدماً على كل أمرٍ ، وحبه يجب أن يفوق كل حبٍ؛ ذلك لأن النبي يكون مندوب الله في هذه الدنيا ، ولكي تترسخ عظمة تعاليمه في النفوس ، لابد من أن يكون وجوده مقدساً في أنظار الناس ، حتى تعتبر أزواجه بدورهن بمثابة أمهاتهم في التوقير والاحترام وحرمة النكاح.

وأما بقية أفراد الأمة ، بعد النبي وأزواجه الطاهرات ، فإن أساس علاقات التوارث وتقاضي الحقوق فيما بينهم أخذا وعطاءً ، يقوم على القرابة الرحمية (النسبية) انطلاقاً من الأدنى فالأدنى . وقد يمكن ، بسبب بعض الضرورات الدينية الطارئة ، إقامة شركة مؤقتةٍ في الحقوق مع غير ذوي الأرحام ، كما حدث في أول العهد المدني في أعقاب الهجرة النبوية من المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين ، على أن ذوي الأرحام والقرابات النسبية هم الأولى ، والأحق بعضهم ببعض من حيث التنظيم الاجتماعي العتيد ، وسيظلون كذلك على الدوام!

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨ ﴾

مِيثَاقَهُمْ : العهد على الوفاء بما حملوا .

مِّيثَاقاً غَلِيظاً : عهدا قويا على الوفاء .

إن المشروع الذي خلق الله الإنسان بمقتضاه هو الامتحان ، أي إسكانه في بيئةٍ حرةٍ مع تزويده بكل أسباب الحياة في العالم الراهن ، ثم مجازاة كل إنسان بما صنع ، إن خيراً فنعيم أبدي ، وإن شراً فعذاب أبدي.

ونوعية الحياة الامتحانية هذه تقتضي بالضرورة أن يتم إعلام الإنسان بالوضع الحقيقي على أكمل وجهٍ ، ولهذا الغرض ذاته أجرى الله سبحانه وتعالى سلسلة النبوة والرسالة . وليست النبوة إعلاناً بواسطة مكبر الصوت ، بل إنها مهمة باهظة التكاليف تتطلب غاية الصبر . ومن ثم أخذ من كل الأنبياء والمرسلين هذا الميثاق المؤكد الغليظ بأنهم سيقومون بأداء مهمة تبليغ الرسالة الخطيرة هذه مع رعاية جميع شروطها وآدابها،

ولن يدخروا أي جهدٍ في سبيل الوفاء بمقتضياتها أبداً !!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾

جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ : الأحزاب يوم الخندق سنة خمس .

زَاغَتِ الأَبْصَارُ : مالت عن سننها حيرة ودهشة .

وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ : نهايات الحلاقيم (تمثيل لشدة الخوف) .

ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ : اختبروا بالشدائد ومحصوا .

وَزُلْزِلُوا : اضطربوا كثيرا من شدة الفزع .

كانت غزوة الأحزاب (عام ٥ من الهجرة) غارةً مشتركةً من قبائل العرب واليهود على المدينة، وكان عدد المغيرين فيها زهاء اثني عشر ألفاً ، ولم يكن المسلمون قادرين على الالتحام مع هذه الجيوش الضخمة، بيد أن الله تعالى أدخل إلى قلوب الأعداء -بتدابيره الخاصة - رعباً جعلهم ينصرفون بأنفسهم عن أطراف المدينة بعد حصارهم إياها قريباً من شهرٍ ، وإن مثل هذه الأحوال الشديدة إنما تواجه الدعوة الإسلامية لكي تميز المخلص من جماعة المسلمين من غير المخلص ، وثانياً : لتعلم القُوَى المعادية أن الله يتولى بنفسه حماية دينه، وأنه لن يدعه يُقهر ويُغلب على أمره أبداً !

﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ

ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا ٱلْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَٰهَدُوا ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾

غُرُوراً : قولا باطلاً . أو خداعا .

يَثْرِبَ: اسم المدينة المنورة قديماً .

لاَ مُقَامَ لَكُمْ : لا إقامة لكم ههنا .

إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ : قاصية يُخشى عليها العدو .

فِرَاراً : هربا من القتال مع المؤمنين .

مِنْ أَقْطَارِهَا : نواحيها وجوانبها .

سُئِلُوا الفِتْنَةَ : طلب منهم مقاتلة المسلمين .

وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا : ما أخروا المقاتلة .

يَعْصِمُكُم مِّنَ الله : يمنعكم من قدرة الله تعالى .

طارت نفوس المنافقين شعاعاً لما عرفوا مبلغ الخطر المحدق في غزوة الأحزاب .. وراحوا يبحثون عن المهارب للفرار بأنفسهم ، وأما أهل الإيمان الصادقون فقد ظلوا صامدين اعتماداً على الله ؛ لكونهم يعلمون جيداً أنه ليس أمامهم سوى الله ، وليس وراءهم سوى الله كذلك ، إذاً ، فالفرار من خطر أعداء الإسلام تعريض للنفس لبطش الله الذي عذابه أشد وعاقبته

أوخم .. وقد كانت أفئدتهم مشحونة بيقين يؤكد لهم: إننا لو ثبتنا في مواجهة العدو، لجاءنا نصر من الله وفتح قريب ، أما لو فررنا هاربين من جبهة الدفاع عن حمى الإسلام ، فإننا لن نستطيع إنقاذ أنفسنا آخر الأمر من الخزي والدمار حتى في هذه الدنيا، فضلاً عما سنلقاه في الآخرة من عقاب الله الشديد!

﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ ﴾

المُعَوِّقِينَ مِنكُمْ : المثبطين منكم عن الرسول ﷺ .

هَلُمَّ إِلَيْنَا : أقبلوا أو قربوا أنفسكم إلينا .

البَأْسَ : الحرب والقتال .

أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ : بخلاء عليكم بكل ما ينفعكم .

يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ : تصيبه الغشية من سكراته.

سَلَقُوكُم : آذوكم ورموكم .

بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ : ذربة سليطة قاطعة كالحديد .

أَشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ : بخلاء حريصين على المال والغنيمة .

فَأَحْبَطَ الله : فأبطل الله .

بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ : كانوا معهم في البادية .

هناك رجل لو تخلف أو تهاون يوماً في الاستجابة لداعي الفداء والتضحية، لاعتراه ندم يعقد لسانه ، وآخر لا يتقدم للفداء والتضحية حين يُدعى إليها فحسب، بل يسعى لصدّ الآخرين عنها كذلك ، إن هذا إضافة التمرد إلى جانب التهاون ، وقد يمكن أن يقابل التهاون بالعفو ، ولكن التمرد غير جدير بالعفو البتة .

والذين تنطوي نفوسهم على التمرد والعناد ، لا قيمة لأعمالهم ولا يقام لها وزن .. حتى لو كانت صالحةً طيبةً في ظاهر الأمر ، فإن روح العمل الأصيل هو الإخلاص ، وهو الذي تخلو منه قلوب القوم كل الخلو .

وعدم التضحية للدين يكون دوْماً نتيجة حب الدنيا ؛ فالمرء يفقد دينه من أجل الحفاظ على دنياه ؛ ومن ثم فحيثما يجد أمثال هذا أن الدين قد اقترنت به بعض الفوائد الدنيوية أيضاً ، فإنهم يلجؤون هناك إلى استخدام مهارتهم الكلامية ، لكي يتمكنوا من الحصول على أوفر قسطٍ من المغانم إيهاماً للمؤمنين بأن صلتهم بالدين لا تقل عن أحدهم متانةً بل تزيد ، وغيرتهم عليه مثل غيرتهم بل أشد ، وأما حيث يكون معنى الدين هو التضحية فلا يشعرون هناك بحاجةٍ أو رغبةٍ ما في إظهار التدين !

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ : قدوة صالحة في كل الأمور .

قَضَى نَحْبَهُ : وفي بنَذره . أو مات شهيدا .

إن حياة الرسول وأصحابه تمثل نموذجاً دائماً للحياة العابدة لله يحتذي به أهل الإيمان إلى يوم القيامة .. إنها نموذج نتبين من خلاله ماذا يعني رجاء الله واليوم الآخر، وما معنى ذكر الله كثيراً ، وما الصمود في وجه المآزق الحرجة والظروف الصعبة، وكيف تكون الثقة في مواعيد الله، وما الإيمان الذي ينمو ويتجدد دائماً ، وكيف السبيل إلى الفوز به .. وما أسلوب الوفاء بالعهد الذي يعاهد المؤمن عليه ربه ؟!

ولقد قدّم الرسول وأصحابه أرفع نموذج عملي لهذه المعاني كلها ، فما وهنوا ولا ضعفوا ولا استكانوا في أحلك الظروف وأحرج الساعات . وقد أقاموا الدليل الباهر على الفكر الإسلامي والخلق الإسلامي في كل الشؤون والقضايا التي عالجوها أفراداً وجماعاتٍ .. وكانوا متمسكين بالحق قبل أن يمتحنوا ، كما ظلوا ثابتين على جادة الحق حتى في أثناء المحنة وبعدها ، لم يحيدوا عنها قيد شعرةٍ.

ثم إن حياة الرسول وأصحابه هي أيضاً النموذج الحي لحقيقة أن مصير فردٍ أو جماعةٍ ما لا يتقرر عند الله بدون امتحان ، فقد جرت سنة الله بخلق الظروف القاسية والأزمات لكي يتميز المؤمنون الصادقون من المدّعين الكاذبين ، ولم يكن في هذه السنة الإلهية أي استثناء من قبل ، ولن يكون هناك أي استثناء فيها .

﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾

الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم : يهود قريظة الذين عاونوا الأحزاب .

صَيَاصِيهِمْ : حصونهم ومعاقلهم .

الرُّعْبَ : الخوف الشديد .

كانت الظروف في غزوة الخندق (الأحزاب) قد بلغت منتهى الشدة ، ولكن لم تندلع هناك نار الحرب الفعلية بين الفريقين ، حيث كفى الله المؤمنين القتال بأن أرسل ريحاً عاصفةً هوجاء وجنوداً من الملائكة ملأت قلوب الأعداء ذعراً ويأساً دفعهم إلى الانسحاب والعودة على أدراجهم . وقد كان ليهود المدينة (بني قريظة) مع المسلمين عهد الموادعة ، ولكنهم غدروا في تلك الساعة الحرجة ، فنقضوا العهد وانضموا إلى صفوف المشركين .

فلما انصرفت حشود المهاجمين عن المدينة ، زحف رسول الله - ﷺ - بأمرٍ من الله على مستوطنات بني قريظة ، حيث ضرب المسلمون حصاراً مشدوداً حول حصونهم وقلاعهم ، وظل هذا الحصار خمساً وعشرين ليلةً ، إلى أن تم تحكيم سعد بن معاذ بناء على طلب سادة بني قريظة أنفسهم ، وقد حكم سعد بن معاذ فيهم ما هو مقرر في شريعة التوراة نفسها للمجرمين أمثالهم ، أي أن يقتل شبانهم ، وتسبى نساؤهم وأطفالهم ، وتصادر أموالهم وعقاراتهم !! [1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾

---

(١) انظر : سفر التثنية ٢٠ : ١٠ - ١٤.

أُمَتِّعْكُنَّ : أعطيكن متعة الطلاق .

وَأُسَرِّحْكُنَّ : أطلقكن.

سَرَاحاً جَمِيلاً : طلاقا حسنا لا ضرار فيه .

بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ :بمعصية كبيرة ظاهرة القبح .

تعطلت أنشطة المسلمين التجارية بسبب الهجرة ، هذا إلى جانب أنهم دخلوا في سلسلة حروبٍ متصلةٍ أضرمها أعداء الإسلام ، وترتب على ذلك أن بلغت حالة المسلمين الاقتصادية منتهى السوء والتردي ، وقد انعكست آثار ذلك على بيت الرسول - ﷺ - في أسوأ مظاهرها، حيث صار من المتعذر عليه حتى القيام بتوفير الحاجيّات الأساسية اللازمة لأهله .. إلى أن بدأت أزواجه - عليه الصلاة والسلام - في مطالبته بالزيادة في نفقاتهن .

إن الأزواج المطهرات لم يطالبن إلا بالنفقة الضرورية، ولكن الله سبحانه عبر عنها بزينة الحياة الدنيا ، وهذا في الحقيقة شدة في الإظهار ،كما أن كلمة "الفاحشة" هي الأخرى إنما جاءت هنا للغرض نفسه ، فقد كان رسول الإسلام - صلى الله عليه وسلم- مكلفاً بتكميل أعظم رسالةٍ في التاريخ البشري، ألا وهي القضاء على عصر الشرك ، وتأسيس عصر التوحيد ، وبالتالي كان مستحيلاً عليه - والحالة هذه - أن يعطي الأهمية لأي شيءٍ آخر في حياته؛ ومن ثم نزل الوحي يخيّر زوجات الرسول بين أمرين لا ثالث لهما: إما مرافقته - عليه الصلاة والسلام - بالصبر والقناعة ، أو مفارقته بالمعروف والإحسان ، أما إحراج الرسول وتشتيت فكره بإثارة النزاعات العائلية ، فذلك ما لا يُحتمل بأي حالٍ من الأحوال !

﴿ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا

لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾

يَقْنُتْ مِنكُنَّ : تطع أو تخضع منكن .

فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ : لا تلن القول ولا ترققنه للرجال .

إن نساء النبي كن يتمتعن بمكانةٍ شبه قيادية في المجتمع . والقيادة مسئولية باهظة التكاليف ، حيث يضطر أصحابها في سبيل الخضوع للحق إلى تقديم تضحية أكبر من الرجل العادي ، ولهذا السبب وعد الله تعالى أمثال هؤلاء بالأجر المضاعف ، فلئن كان هؤلاء يستخدمون للعمل قوة إراديةً أكثر بالقياس إلى غيرهم ، فإنهم يستحقون بالطبع أن ينالوا على أعمالهم جزاءً أكثر وأوفر من الآخرين .

وقد كانت نساء النبي ، لمكانتهن الخصوصية هذه ، يتكرر اتصال الآخرين بهن من حينٍ إلى حينٍ ، إذْ كان الناس كثيراً ما يختلفون إليهن للاستفسار في شتى الأمور الدينية .. ومن ثم أمرن بالتحدث إلى الآخرين بأسلوبٍ فيه شيء من الخشونة والجفاف، وليس بأسلوب يتسم بالرقة وعدم الكلفة كما يكون الحديث مع أحد الأقارب وذوي الأرحام!.

﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ : الزمن بيوتكن وكذا جميع النساء .

وَلاَ تَبَرَّجْنَ :لا تبدين الزينة الواجب سترها .

الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى : ما كان قبل الإسلام من الجهالات .

الرِّجْسَ : الذنب أو الإثم أو النقص .

وَالْحِكْمَةِ : هدي النبوة أو أحكام القرآن .

في خطابٍ موجهٍ إلى أزواج الرسول يرشد الله تعالى هنا نساء المسلمين إلى كيفية معاشرتهن في البيوت ، فينبغي لهن - مبدئياً - أن يقرن في بيوتهن ، وألا يتخذن من التبرج والترفل في الحلل والحلي مقصدهن في الحياة كشأن النسوة الغارقات في حب الدنيا المبهورات بزخارفها ، بل يجب أن يكون مركز اهتمامهن أن يصبحن عابداتٍ لله حقاً ، باذلاتٍ أموالهن في سبيل الله بسخاءٍ ، ويبادرن إلى امتثال أمر الله ورسوله في كل شئون الحياة ، صغيرها وكبيرها ؛ وافق هواهن أو خالفه ، ويقضين معظم أوقاتهن في الاستماع إلى أحاديث الله ورسوله وتدبر معانيها ، وهذا أسلوب للحياة والمعاشرة يجعل مَنْ يتبعه إنساناً طاهراً وإنما الإنسان الطاهر هو الذي يحبه الله ويقع عند الله موقع الرضا والقبول!

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾

وَالْقَانِتِينَ : المطيعين الخاضعين لله .

هذه الآية الكريمة تبين لنا ما هي الصفات التي يريد الله أن يراها في الرجال أو

النساء، إنها الصفات العشر التالية : الإسلام ، والإيمان ، والقنوت ، والصدق ، والصبر ، والخشوع، والتصدق ، والصيام ، والعفة ، وذكر الله .

وإن هذه الكلمات العشر لم تدع جانباً من جوانب العقيدة الإسلامية والسلوك الإسلامي إلا احتوته ، وخلاصتها أن كل شخصٍ يرجو المغفرة والإنعام عند الله ؛ ينبغي له أن يجعل من نفسه خاضعاً لأمر الله ، وموقناً بالله ، وأن ينقطع بوجوده كله لله ، وأن تكون حياته خاليةً من التناقض بين القول والفعل ، ويكون صامداً ثابتاً على الحق في كل الظروف والأحوال ، وأن يكون الشعور بعظمة الله وجلاله قد جعله إنساناً متواضعاً ؛ فصار يعد حتى القيام بسد حاجات الآخرين جزءاً من مسئوليته ، ويهتم بالصيام الذي هو تربية لضبط النفس، وأن يكون عفيفاً طاهر الذيل في مواجهة الرغبات الشهوانية ، وأن تصير آناء ليله وأطراف نهاره عامرةً بذكر الله سبحانه وتعالى. وهذه الأوصاف كما هي مطلوبة من الرجال، مطلوبة من النساء كذلك ، ومع أن دائرة ممارسة هذه الأوصاف تختلف من جنسٍ إلى آخر من بعض النواحي ، إلا أن الأوصاف نفسها متماثلة لكلا الجنسين على حدٍ سواء ، فأيما امرأةٍ أو رجلٍ لن يعد عند الله جديراً بالقبول إلا إذا وصل إليه تعالى متحلياً بالصفات العشر المذكورة أعلاه !!

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾

الخِيَرَةُ : الاختيار .

إن الإنسان خُلق مختاراً ؛ وهو مُطالب بتفويض اختياره هذا إلى الله. وذلك هو امتحان الإنسان الحقيقي في العالم الراهن. وإنما المهتدي إلى الصراط المستقيم حقاً هو الذي يجتاز هذا الامتحان الخطير بنجاحٍ .

ومن الأمثلة على ذلك : واقعة زواج زيد بن حارثة من زينب بنت جحش؛ فقد كان زيد عبداً مُعتقاً ، بينما كانت زينب - وهي ابنة أميمة بنت عبد المطلب - تنتمي إلى أسرةٍ عاليةٍ من قريشٍ. ولما خطبها رسول الله - ﷺ - على مولاه زيد ، لم يرض أفراد أسرتها بذلك ، حتى امتنعت زينب بنفسها قائلةً : "أنا خير منه نسباً" ، ولكن حين تُليت عليهم الآية القرآنية المذكورة ، أذعنوا من فورهم ؛ فتم زواجهما في العام الرابع من الهجرة، تلك هي طبيعة الإسلام ، وما أحراها أن تكون هي طبيعة كل مسلمٍ ومسلمة!

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾

وَطَراً : حاجته المهمة كناية عن الطلاق .

حَرَجٌ : ضيق أو إثم .

أَدْعِيَائِهِمْ : من تبنوهم قبل نسخ التبني .

تزوج زيد من السيدة زينب في السنة الرابعة من الهجرة ، ولكنهما كانا في حياتهما الزوجية كالتنوين والإضافة - إن جاز التعبير - فتعذر الوفاق بينهما ، مما أدى إلى الفصل بينهما في العام التالي ، ولما جاء زيد إلى رسول الله - ﷺ - يستأذنه في تطليق زوجته ، سأله عن السبب ، فأجاب قائلاً : "إنها تتعظم علي لشرفها"، بيد أن النبي لم يسمح له بذلك بادئ ذي بدءٍ وقال : أمسك عليك زوجك واتق الله ، ولكنه عندما تكررت شكواه ، وزاد إلحاحه ، أذن له آخر الأمر في أن يفارق زينب .

ومن خلال تزويج زينب من زيد كان قد تم القضاء أولاً على عادةٍ متأصلةٍ في

نفوس العرب ؛ قائمةٍ على دوافع العصبية وحدها ، وهي أن الفوارق الاجتماعية لا ينبغي أن تقف عقبةً في طريق النكاح والزواج ، وأما بعد أن وقع الفصل بينهما ، فقد شاءت إرادة الله أن تكون هذه الحادثة سبباً في تحطيم عادةٍ خاطئةٍ أخرى .

فمن عادات العرب في الجاهلية أنهم كانوا يعتدّون المتبني كالابن الصلبي تماماً ، وبالتالي كانوا يجرون عليه أحكامه حتى في الميراث وفي حرمة النسب والمصاهرة. ولهدم هذه العادة ربما لم تكن هناك من صورةٍ عمليةٍ أفضل من أن يتم تزويج زينب من رسول الله - ﷺ- بعد تطليق زيد إياها ، حيث كان زيد مولى رسول الله تبناه، حتى صار يُدعى زيد بن محمدٍ ، وفي هذه الحالة كان زواجه - عليه الصلاة والسلام - من زوجة متبنّاه ، بمثابة انفجارٍ ضد هذه العادة ؛ إذْ كانوا يعتقدون أن حليلة المتبني محرمة على الأب كحرمة حليلة ابنه الحقيقي .

وكان رسول الله - ﷺ- قد تم إعلامه مسبقاً بأن زينب ستدخل بعد أن يطلقها زيد في عداد أزواجه ، كوسيلةٍ لإبطال هذه العادة الجاهلية، وبما أن نكاحاً كهذا كان من شأنه أن يجعله عرضةً للطعن والتشويه في المجتمع القديم ، لذا فما زال رسول الله - ﷺ- ينصح زيداً بإمساك زوجه عليه ، عساه ، إن لم يطلقها ، أن يتخلص من هذه المحنة الشديدة ، بيد أن الأمر المقدر في العلم الإلهي لابد أن يتحقق ، لا يحول دونه شيء ؛ فلم يلبث زيد أن طلق زينب ، التي زُوِّجت بعد ذلك من النبي - ﷺ- في عام ٥ من الهجرة، كتدبيرٍ عمليٍ لنقض تلك العادة البالية من أساسها!!

﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن

رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

فَرَضَ الله لَهُ : قسم له أو قدر أو أحل له .

خَلَوْا مِن قَبْلُ : مضوا من قبلك من الأنبياء .

قَدَراً مَّقْدُوراً : مرادا أزلا أو قضاء مقضيا .

حَسِيباً : محاسبا على الأعمال .

وعقب هذا الحادث ، وكما كان متوقعاً ، بدأت الدعايات المغرضة ضده - عليه الصلاة والسلام - على قدمٍ وساقٍ ، ودار على ألسنة الناس أن محمداً تزوج حليلة ابنه ، بينما تكون حليلة الابن حراماً على أبيه ، فقال تعالى رداً على تلك الأقاويل : إن محمداً لم يُرزق من الولد سوى البنات ، وإنه ليس أبا أحدٍ من الرجال ، أما زيد بن حارثة ، فإنما هو مولاه الذي تبناه ، ومتى كان المتبني ابناً حقيقياً ، حتى يكون الزواج من طليقته محرماً على من تبناه!؟.

ولم تعرض - عليه الصلاة والسلام - في حياته لهذه التقلبات وأحداث المدّ والجزر، مع أنه كان رسول الله ؟!.

وجواب ذلك : أن الرسول مع كونه يتلقى الوحي من الله سبحانه وتعالى إلا أنه ملزماً أن يعيش عيشة البشر العاديين ، فيواجهه في عالم الامتحان الراهن من الأحوال والظروف ما يواجه الآخرين عداه ، ولولا ذلك ، لم تكن حياة النبي حجةً على عامة البشر ، وهذا هو السر في أن التوجيه النبوي إنما يُقدم في قالب الظروف الحقيقية ، وليس في قالب الظروف الخيالية المصطنعة ..

إن خاتم النبيين يعني حرفياً: هو الذي ختمت به النبوات والرسالات السماوية ، وكلمة "الخاتم" لا ترد بمعنى الطابع (Stamp) ، بل بمعنى المهر أو الختم (Seal) ، أي

العملية الختامية ، وختم الغلاف معناه إغلاقه بصورةٍ نهائيةٍ لا يدخل إليه أو يخرج منه بعدها شيء ، ومن هنا تقول العرب : "خاتم القوم آخرهم" .

وإعلان كونه - عليه الصلاة والسلام - "خاتم النبيين" في سياق هذا الحادث ذاته ، إن دل على شيءٍ فإنما يدل على أنه إذا كان لا نبي بعده ، صار من الضروري أن يتم إظهار كل الأحكام الإلهية والتوجيهات الربانية عن طريقه - ﷺ !

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾

بُكْرَةً وَأَصِيلاً : أول النهار وآخره .

إن اعتناق الدين الحق ، لا سيما في بيئةٍ يسودها الدين الزائف المغشوش ، يكون دوماً أصعب الأعمال على الإطلاق ، مما يجعل أهل الإيمان تغمرهم أحياناً مشاعر التذمر والخيبة واليأس ، وليس هناك لتفادي هذا الوضع غير طريق واحدٍ ، ألا وهو تركيز الأنظار على الجانب الحلو الجميل الذي يكمن وراء المنغصات والمثبطات الظاهرة ..

الناس في الغالب يعيشون على الماديات ، أما المؤمن فإنه يُضطر إلى أن يعيش على الأفكار (Ideas) ، والعيش على مستوى الأفكار يعني أن يعيش المرء غارقاً في ذكر الله الدائم ، وتأخذ آذانه تلتقط همسات الملائكة غير المسموعة، وينظر إلى الاكتشاف الفكري الذي يتوصل إليه في صورة الهدف الصحيح ، ينظر إليه على أنه هو الشيء الأكبر في الحياة ، ويمتلئ قلبه رضاً وطمأنينةٍ بما سيفوز به في الآخرة مقابل الدنيا يضحي بها في سبيل الحق!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾ ﴾

إن "الشاهد" ، و"المبشر" ، و"النذير" ، و"الداعي" ، كلها كلمات تعبر عن جوانب مختلفةٍ لحقيقة واحدةٍ ، ورسالة النبي تتلخص في إعلام الناس بحقيقة الحياة ، وإخبارهم بأحوال الجنة والنار ، وهذه مهمة دعوية ، وعلى أساس هذه المهمة الدعوية ذاتها سوف يدلي النبي بشهادته أمام محكمة الآخرة على أولئك الذين أبلغ إليهم أمر الحق في الدنيا؛ فمنهم مَنْ آمن به ومنهم مَنْ كفر وناصبه العداء .

ورسالة النبي هي نفسها رسالة الأمة المسلمة كذلك ، وفي هذا الطريق لابد من مواجهة شتى ألوان الأذى وضروب الإساءة من قبل الناس ؛ فقد لا يخرج من بينهم نصير واحد للحق ، وقد يقف بعضهم إلى جانبه ويناصره لبعض الوقت ، ثم لا يلبث أن يتخلى عنه وينسحب هو الآخر مردداً بعض الألفاظ الكاذبة. وفي مثل هذه الأحوال فإن التوكل على الله وحده ، هو العامل الوحيد الذي من شأنه أن يُثبت أقدام النبي – أو الدعاة السائرين على هداه – على العمل الدعوي ، فالصبر على أذى الناس والإعراض عن إساءاتهم ، والتوجه الدائم إلى الله على كل حالٍ ، هما رأس مال العاملين في مجال الدعوة الإسلامية .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٤٩﴾ ﴾

سَرَاحاً جَمِيلاً : عاريا عن أذى ومنع واجب .

يتزوج رجل من امرأةٍ ، ثم يطلقها قبل المساس أو الاتصال الزوجي ، فلا تجب العدة في هذه الحالة كما هو الشأن في حالات الطلاق العادية على أن من مقتضى الخلق الإسلامي أن تجري عملية التفريق بين الزوجين على نحوٍ مهذبٍ شريفٍ تماماً كما جرت به عملية الاقتران بينهما ، فلئن كانت المرأة قد فرض لها مهر ، فعلى الزوج أن يدفع إليها نصف المهر المفروض ، وألا يودعها بإحسانٍ بعد أن يمتّعها بشيءٍ حسب سعته ووفقاً للعرف السائد ، وللمرأة - إذا شاءت - حق في أن تتزوج بعد ذلك من أي رجلٍ آخر على الفور ؛ حيث إنها غير ملزمةٍ في هذه الحالة بقضاء العدة كما تقدم!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَٰتِ عَمِّكَ وَبَنَٰتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَٰتِ خَالِكَ وَبَنَٰتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٠﴾ ﴾

آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ: أعطيتهن مهورهن .

أَفَاءَ الله عَلَيْكَ : رجعه إليك من الغنيمة .

لقد حُصر عدد الزوجات ، بالنسبة إلى عامة المسلمين ، في أربع لا يحل تجاوزه ، غير أن النبي - ﷺ - لم يكن ملزماً بهذا القيد ، حيث تزوج - عليه الصلاة والسلام - بإذنٍ خصوصيٍ من الله - سبحانه وتعالى - بأكثر من أربع نسوةٍ . وقد كانت الحكمة من ذلك ألا يكون على الرسول أي نوعٍ من الحرج أو المشقة .

والمراد بالمشقة هو المشقة في أداء المهمة النبوية ، فبالنظر إلى شتى الأغراض الدعوية والمقتضيات الإصلاحية والتعليمية كان رسول الله - ﷺ - يشعر بالحاجة إلى التزوج

بعددٍ أكثر من النساء ، وبناءً على هذه المصلحة الدينية ، لم يوجب الله عليه الاكتفاء بالأربع كما أوجبه على المؤمنين ، وعلى سبيل المثال فقد كانت الحكمة من زواجه بالسيدة عائشة أن تكون بصحبته الدائمة امرأة صغيرة السن حادة الذكاء قوية الحافظة لكي تقوم بعده - عليه الصلاة والسلام - بتعليم الناس أمور دينهم لمدةٍ طويلةٍ من الزمان ، ولقد ظلت السيدة عائشة بالفعل ، بعد وفاته - ﷺ - نصف قرنٍ تقريباً ، تنقل للأمة أقواله وأخباره وأفعاله المنزلية كشريطٍ مسجل حيٍ ، كما نتج عن زواجه من السيدتين أم سلمة وأم حبيبة أن انتهت خصومة خالد بن الوليد وأبي سفيان بن حرب وخمدت عداوتهما لرسول الإسلام والمؤمنين به إلى الأبد ... وما إلى ذلك .

﴿ ۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ ﴾

تُرْجِي : تؤخر ولا تضاجع .

وَتُؤْوِي إِلَيْكَ : تضم إليك وتضاجع .

ابْتَغَيْتَ : طلبت .

عَزَلْتَ : اجتنبت بالإرجاء.

رَقِيباً : حفيظا ومطلعا .

يكثر إمكان التخاصم أو التظالم إلى حدٍ بعيدٍ حيث يتعلق الأمر بأكثر من امرأةٍ ،

ولقد كانت تحت رسول الله - ﷺ - عدة نساءٍ ، وكان من المحذور ، بناءً على ذلك ، أن تشكو زوجاته من عدم التسوية بينهن في حقوق الزوجية ، وبالتالي لا يتمكن - عليه السلام - من التفرغ لأداء مهمته الدينية والقيام بأعبائها على أحسن وجهٍ وأكمله ، ومن ثم أعلن الله - سبحانه وتعالى - مقرراً أن أمر النبي أمر خصوصي ، وهو غير ملزمٍ كآحاد المسلمين بالتسوية بين الأزواج ، فإذا ما تعارضت حقوق الزوجية مع حقوق الإسلام، جاز للنبي أن يفضل الأخيرة على الأولى ، وقد كان الغرض من استثناء الرسول - ﷺ - من القاعدة العامة: الحيلولة دون تولّد العقلية الاحتجاجية في زوجاته الطاهرات.. بيد أن الرسول - ﷺ - لم يستعمل هذا التخيير عملياً إلا في القليل النادر!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣ إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ٥٤ ﴾

غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ : غير منتظرين نضجه واستواءه .

فَانتَشِرُوا : فتفرقوا ولا تمكثوا عنده.

سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً : حاجة ينتفع بها .

في معرض بيان الأحكام الخاصة برسول الله - ﷺ - تم إرشاد المسلمين هنا إلى

آدابٍ ساميةٍ لابد من مراعاتها في حياتهم الاجتماعية ، فيجب ألا يدخلوا بيوت الآخرين إلا بعد الاستئذان ، وإذا دعاهم أحد لتناول الطعام في منزله أو لأي غرضٍ آخر ، فلا يطيلوا المكث عنده إلا بقدر الحاجة ، وليعودوا أدراجهم فور تفرغهم من ذلك ، وليجتنبوا الخوض في الأحاديث غير الضرورية فيما إذا توجهوا لزيارة بعض إخوانهم ، وإن كان الأمر يتعلق بالنساء ، فليؤدوه من وراء حاجزٍ وحجابٍ .. إلخ.

وفي الحياة الاجتماعية ينبغي على كل فردٍ ألا يضع نصب عينه مجرد رغبته أو حاجته الذاتية وحدها ، بل عليه أن يأخذ في اعتباره دائماً ألا يتسبب سلوكه في إلحاق الأذى أو الضرر بغيره ، ولا تكون أحاديثه غير الضرورية مضيعة لأوقات أخيه الثمينة!!.

﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۚ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ ﴾

كان الرجال ، بموجب الآية السابقة (٥٣) قد نُهوا عن مخاطبة أزواج الرسول مباشرةً - أي وجهاً لوجهٍ - وأمروا بالتحدث إليهن من وراء حاجزٍ وحجابٍ ، وقد جاءت هذه الآية (٥٥) تستثني المحارم من الرجال والنساء من وجوب الاحتجاب من بعضهم ، وسيندرج تحت قائمة الأقارب المذكورين هنا تلك القرابات التي تدخل في حكمهم، وهذا التوجيه القرآني قد سبق ذكره بمزيدٍ من التفصيل في الآية (٣١) من سورة النور .

وخلاصة كل الأحكام الشرعية هي: أن كل إنسانٍ - ذكراً كان أو أنثى - يجب أن يكون قلبه مفعماً بخوف الله وتقواه ، ويمارس حياته آخذاً في حسبانه أن الله - عز وجل- يراقبه كل حينٍ وأنٍ !

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾

يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ : يثنون عليه بإظهار شرفه وتعظيم شأنه ﷺ .

بُهْتَاناً : فعلا شنيعاً أو كذباً فظيعا .

لقد بُعث رسول الله - ﷺ - لإظهار دين الله في هذا العالم، وإن العبد الذي ينهض لعملٍ مقدسٍ كهذا - يحظى ولا ريب - بتأييد كاملٍ شاملٍ من الله وملائكته ، وبالتالي يكون مسايرته مسايرةً لله وملائكته، والإعراض عنه إعراضاً عن الله وملائكته .

وإن الذين تناولوا رسول الله بصنوف الأذى ، كان في حسبانهم أنهم إنما يؤذون أحد البشر، وغاب عنهم أنهم يؤذون في الواقع ممثل الله، والذين يتناولون ممثل الله بالأذى ، فإنما يجعلون من أنفسهم ملعونين عند مالك الكون إلى أبد الآبدين!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾

يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ : يرخين ويسدلن عليهن .

جَلابِيبِهِنَّ : ما يسترن به كالملاءة .

وَالْمُرْجِفُونَ : المشيعون للأخبار الكاذبة .

لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ : لنسلطنك عليهم .

ثُقِفُوا : وجدوا وأُدركوا .

كيف تخرج المرأة المسلمة ، فيما إذا ألجأتها الضرورة إلى الخروج من بيتها ؟ ينبغي لها أن تخرج وهي مرتدية لباساً سابغاً يكون في ذاته إعلاناً صامتاً بأنها امرأة نبيلة ومتعفّفة، وأنها إنما خرجت لغرضٍ جادٍ وليس للتسلية ، وإن المشية الوقورة المحتشمة ، وكون البدن مغطى بالملحفة أو البرقع لمن علامات تلك الجدية والاحتشام والوقار ، والحقيقة هي أن المرأة إذا ما خرجت سافرةً متبرجة فكأنها تدعو الآخرين إلى التلفت نحوها وتعقبها بالنظرات الجارحة والتعليقات الماجنة . وأما إذا خرجت غير سافرة ولا متبرجةٍ فكأنما تقول للآخرين بلسان حالها : إنما أنا خرجت لأمرٍ يهمني ، وليس لي معكم من شأنٍ !!

ولعل المراد بـ"مرضى القلوب" هنا هم اليهود، إذْ أنهم هم الذين كانوا كثيراً ما يؤذون المسلمين والمسلمات كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، وهم الذين كانوا قد قُتلوا أو تم نفيهم عن المدينة وضواحيها وفق التحذير المذكور أعلاه!!

﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾

يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ : يرخين ويسدلن عليهن .

جَلابِيبِهِنَّ : ما يسترن به كالملاءة .

وَالْمُرْجِفُونَ : المشيعون للأخبار الكاذبة .

لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ : لنسلطنك عليهم .

ثُقِفُوا : وجدوا وأُدركوا .

إن السؤال عن وقت قيام الساعة على التحديد لا يعني أنهم لم يكونوا مؤمنين بقيام الساعة أصلاً، فالواقع أنه لم يكن استهزاءً بالقيامة ، بل بالذي جاء يخبر عن القيامة وينذر من أهوالها . إنهم لم يكونوا منكرين للقيامة في ظاهر الأمر ، وإنما منكرين لنوعية القيامة تلك،التي كان ينبئهم بها رسول الله وأصحابه .

وكان خطؤهم الحقيقي يكمن في أنهم قد اعتبروا رؤساء قومهم كبراء ، ولم يعتبروا الرسول كبيراً ؛ مما جعلهم يعدون حديث كبرائهم القوميين جديراً بالاعتبار ، ويعدون حديث الرسول غير ذي قيمةٍ ولا جدير بالاعتبار ، ومن ثم فحين تنكشف عليهم الحقيقة يوم القيامة ، يندمون أشد الندم قائلين : يا ليتنا أدركنا الفرق بين الكبرياء الزائف والكبرياء الصادق ، ولم نكن قد ضللنا وانحرفنا عن السبيل منخدعين ببريق الكبرياء الزائف !!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾

وَجِيهاً : ذا جاه وقدر مستجاب الدعوة .

قَوْلاً سَدِيداً : صواباً أو صدقاً أو قاصدا إلى الحق .

ما المراد بالنهي عن إيذاء "الرسول كاليهود الذين آذوا رسولهم موسى" ؟

يمكننا أن نفهم ذلك في ضوء واقعةٍ رواها الإمام أحمد ، نقلاً عن عبد الله بن مسعود قال : "قسم رسول الله - ﷺ - ذات يومٍ بين الناس مالاً ، فقال رجل من الأنصار : والله ما أراد محمد بقسمته وجه الله ولا الدار الآخرة" ، ولما ذُكر ذلك للنبي - ﷺ - قال : "رحمة الله على موسى ، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر" [1].

الكلام نوعان ، سديد وغير سديدٍ . أما الكلام السديد فهو الذي يطابق الحقيقة كل المطابقة ، والذي يكون مبنياً على التحليل الواقعي ، مصحوباً بالدلائل القوية الصلبة، وأما الكلام غير السديد فهو - بالعكس - الكلام الذي لا يراعي الحقيقة ، وإنما يقوم على أساسٍ من الظن والتخمين ، والذي لا يعدو كونه رأياً ارتآه صاحبه ، دون أن يكون تعبيراً عن الحقيقة الواقعة . إن النوع الأول هو كلام المؤمن ، والنوع الأخير هو كلام المنافق!!

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾

عَرَضْنَا الأَمَانَةَ : التكاليف من أوامر ونواهٍ .

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير ، المجلد الثالث ، ص١١٦.

فَأَبَيْنَ : امتنعن .

وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا : خفن من الخيانة فيها .

المقصود بالأمانة: الاختيار. وإنما عبر عن الاختيار بلفظ الأمانة؛لأنه وديعة من الله خوّلها إلى الإنسان على سبيل الابتلاء لفترةٍ محدودةٍ من الزمان؛حتى يأخذ الإنسان نفسه بطاعة الله تعالى بمحض إرادته،والأمانة، بمعنى آخر،هي أن نقوم على أنفسنا ونتعهدها كنائبين عن الله،فنفعل بها ما يفعل الله بالنجوم والكواكب وسائر موجودات هذا الكون الفسيح، أي نخضع أنفسنا بإرادتنا واختيارنا لسيطرة الله المطلقة.

لا حاكم في هذا الكون إلا الله، وكل ما عداه محكوم ، ولكن شاءت إرادة الله - سبحانه وتعالى - أن يخلق كائناً حراً يمتثل لأمر خالقه باختياره الذاتي ، وبدون أي قهرٍ أو إجبارٍ خارجي . وقد كانت هذه الطاعة الاختيارية بلاءً جد عظيم؛عجز عن تحمل أعبائها حتى السماوات والأرض والجبال،ولكن الإنسان أخذها على عاتقه رغم خطرها الشديد. وقد صار الإنسان بذلك أميناً على أمانة إلهيةٍ في هذه الأرض. وهو الآن مطالب بأن يفعل بنفسه ما يفعله الله بالأشياء الأخرى . وهو مكلف بتنفيذ أحكام الله على نفسه بنفسه. إن الإنسان في حالة امتحانٍ،وهذا العالم الراهن هو بالنسبة إليه قاعة الامتحان الفسيحة.

وهذه الأمانة مسئولية جسيمة بالغة الخطورة ؛ لأنها مناط التكليف ، وعليها تترتب مسألة الثواب والعقاب ، وبما أن المخلوقات الأخرى مجبورة مقهورة ، لا تواجهها مسألة الثواب والعقاب . أما الإنسان فلكونه مختاراً حر التصرف يستحق الثواب أو العقاب بحسب عمله.

وقد رُوي عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أنه لما سأل الله آدم - وقد عرض عليه الأمانة بعد عرضها على السموات والأرض والجبال وإبائهن عن حملها - قائلاً : "هل أنت آخذ بما فيها"؟ ، قال آدم : "يا رب وما فيها"؟ ، قال : "إن أحسنت جُزيتَ ، وإن أسأت عُوقبتَ" !! [1].

(١) انظر مختصر تفسير ابن كثير ، ٣ / ١١٧.

سورة سبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾

مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ : ما يدخل فيها من مطر وغيره .

وَمَا يَعْرُجُ : ما يصعد من الملائكة والأعمال .

إن الكون دليل خالقه المبدع ، فاتساعه الرهيب يدلنا على عظمة الخالق ، وكونه على أتم درجةٍ من التناسق والانسجام يعرفنا بأن مبدعه وجود كامل متكامل ، وكون أجزائه كلها تسير وتؤدي وظائفها بمنتهى التوافق ، بحيث لا يقع في سيرها أدنى خللٍ أو اضطرابٍ أبداً ، يبرهن على أن القائم بإدارته وتدبير شئونه ذو حكمةٍ وعلمٍ لا ينتهيان . وكونه ملائماً للإنسان إلى الحد الأقصى ، مما يوضح أن خالقه كريم ورحيم بمخلوقاته بلا حدودٍ ، والذي يتأمل في الكون بجديةٍ وإمعانٍ سوف لا يلبث أن يغمره شعور عارم بجلال الله وكماله ، وسوف يخرج من تأملاته مقتنعاً اقتناعاً لا يمازجه شك أن كل الأمجاد ومظاهر العظمة والكبرياء ، من الأزل حتى الأبد ، إنما هي لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، وليس هناك من أحدٍ غيره يستحق شيئاً منها على الإطلاق !!

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ

إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾

ولايَعْزُبُ عَنْهُ : لا يغيب عنه ولا يخفى عليه .

مِثْقَالُ ذَرَّةٍ : مقدار أصغر نملة أو هباءة .

مُعَاجِزِينَ : مسابقين ظانين أنهم يفوتوننا .

من رِّجْزٍ : أشد العذاب وأسوئه .

إن مخاطبي القرآن الكريم لم يكونوا منكرين للقيامة ، وإنما كانوا منكرين لأن القيامة ستكون بالنسبة إليهم خزياً أبدياً وعذاباً سرمدياً لا يزول ، إذْ كانوا يجدون أنفسهم آمنين من الناحية المادية ، في هذا العالم الراهن ، مما جعلهم يستبعدون كيف سينعكس حالهم ؛ فيعودون غير آمنين إذا دخلوا العالم الآتي ؟!

بيد أن هذا القياس باطل من أساسه ؛ فدراسة العالم الراهن تدلنا على أنه مؤسس على مبادئ أخلاقية خالدة ، ومنذ أن كان الكون قد تم إنشاؤه على الأساس الأخلاقي، فلابد إذن ، أن يتقرر مصيره النهائي هو الآخر على الأساس الأخلاقي ، وليس على أي أساسٍ مزعومٍ آخر.

وإن حقيقة الحياة والكون هذه الموجودة في كل الكتب السماوية ، ورسالة القرآن تلخص في إظهار هذه الحقيقة بشكلها الخالص النقي من كل شائبةٍ ، والآن فالذين يتصدون لمعارضتها ، هم يرتكبون خسارة جد عظيمةٍ ؛ يستحقون عليها عند الله أشد

العذاب .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾

مُزِّقْتُمْ : قطعتم وصرتم رفاتا وترابا .

بِهِ جِنَّةٌ : به جنون يوهمه ما يقول .

نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ : نغيب بهم الأرض كقارون .

كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ : قطعا منها كأصحاب الأيكة .

مُّنِيبٍ : راجع إلى ربه بالتوبة والطاعة .

كان أهل مكة ينظرون إلى الرسول وأصحابه نظرة احتقارٍ وازدراء ؛ دفعتهم إلى تناول كل ما يقولون بالسخرية والاستخفاف ، والسبب الحقيقي في ذلك كان يرجع إلى عدم تيقنهم من الآخرة. إن قلوبهم كانت خاويةً من رهبة المؤاخذة في الآخرة؛ مما جعلهم ، بطبيعة الحال ، لا يأخذون الأحاديث المتصلة بشأن الآخرة بالكثير أو القليل من الجدّية .

وإن أكبر عذاب يلقاه أحد في هذا العالم هو أن يُحرم من صحة الفكر، فإن شخصاً كهذا لا يتمكن من رؤية شيءٍ ما في صورته الصحيحة ، ولا يوفق للاعتبار حتى بالحقائق الواضحة الصارخة ، وعلى سبيل المثال : لا تزال تتجه من جانب الفضاء

العلوي أحجار لا تُحصى نحو الأرض بسرعةٍ فائقةٍ ، ولو بدأت هذه الأحجار تنهال على المساكن الإنسانية ؛ لهلك الجيل البشري عن آخره في غضون أيامٍ معدوداتٍ. وهكذا يتكون الجزء الأكبر من باطن الأرض من مواد مصهورةٍ شديدة الحرارة (اللافا) ؛ لو أنها انفجرت يوماً على نطاقٍ غير محدودٍ ، لاحترق كل شيءٍ على وجه البسيطة واستحال رماداً ..

غير أن الله - سبحانه وتعالى - قد اتخذ في هذا الكون تدابير خصوصية تحول دون وقوع كارثةٍ شاملةٍ كهذه . وإن السماوات والأرض تزخر بأمثال هذه الآيات البينات التي تدل على مدى عجز الإنسان ، ولكن المرء إذا حُرم صحة التفكير ، لم تعد أية آية ، مهما كانت صارخة الدلالة عميقة المغزى ، تهديه إلى الصراط المستقيم .

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾

أَوِّبِي مَعَهُ : سبحي أو راجعي معه التسبيح .

اعْمَلْ سَابِغَاتٍ : دروع واسعة كاملة .

وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ : أحكم صنعتك في نسج الدروع .

إن المؤمن حين يسبح لله ؛ وهو مستغرق في ذكره تعالى، فإنه يتناغم في ذلك الوقت مع الكون كله ؛ حيث يتجاوب كل شيءٍ في السماء والأرض معه في نغمات التسبيح الإلهي، بيد أن تجاوب الكون هذا يكون ، بالنسبة إلى عامة المؤمنين ، بلسان الصمت .

أما سيدنا داود - عليه الصلاة والسلام - فقد اختصه الله سبحانه بأنه إذا رفع عقيرته بالتسبيح ، أخذت الجبال والطيور في ترديد تسابيحه على نحوٍ محسوسٍ مسموعٍ .. كما علّم الله - سبحانه وتعالى - نبيه داود صناعة الحديد ، فقام - عليه

الصلاة والسلام - بتطوير فن إذابة الحديد وصوغه إلى حد أنه بدأ يعمل الدروع الخفيفة ذات الحلقات المتناسبة المتناهية في الدقة ؛ بحيث يتمكن المرء من أن يلبسها كما يلبس الثوب. ولم يكن هذا الفن قد ظهر في العالم إلى يومه ذاك، وإنما علمه الله إياه عن طريق الملائكة مباشرة .

والمؤمن يستطيع أن يبلغ أعلى درجات التطور والرقي في مجال الصناعة والعلوم ، ولكن يجب عليه أن يحصر استعمال التقدم الإنساني في دائرة الإصلاح وحده ، وأن يفعل ما يفعل آخذاً بعين الاعتبار دائماً أنه سيحضر في نهاية المطاف بين يدي ربه للحساب !!

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾

غُدُوُّهَا شَهْرٌ : جريها بالغداة مسيرة شهر .

وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ : جريها بالعشي كذلك .

عَيْنَ القِطْرِ : عين النحاس فنبع ذائبا كالماء .

يَزِغْ مِنْهُمْ : يمل ويعدل منهم .

مِن مَّحَارِيبَ : قصور أو مساجد .

وَتَمَاثِيلَ : صور مجسمة من نحاس وغيره .

وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ : ثابتات على المواقد لعظمها .

لقد قام سليمان - عليه السلام - بتطوير السفر البحري والتجارة البحرية إلى حدٍ كبيرٍ جداً، بحيث أعد السفن الشراعية من الطراز الأعلى، هذا إلى جانب ما أنعم الله به عليه من جعل الرياح تجري وفق ما تشتهي سفنه البحرية في أكثر الأحيان. كما تطور في عصره فن إذابة النحاس وتحويله إلى ضروب الأواني والأمتعة تطوراً عظيماً. وقد كان سليمان - عليه السلام - يستخدم هذه المواهب والقوى غير العادية في شتى الأعمال البنائية والإصلاحية، بما فيها صناعة تلك الأشياء التي ورد ذكرها ضمن الآية الأخيرة. إن الإنسان غارق في نعم الله تعالى من قمة رأسه إلى أخمص قدميه، ولذا ينبغي أن تشغل عاطفة الشكر لله والثناء عليه الحيز الأكبر من وجوده وحياته، ولكن هذا هو الشيء الذي لا يوجد لدى الإنسان بمقدارٍ أقل ما يكون.

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾

دَابَّةُ الأَرْضِ :الأرضة التي تأكل الخشب.

تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ : تأرض عصاه.

كان سيدنا سليمان متوكئاً عصاه يراقب الجن يشتغلون ببعض الأعمال الإنشائية؛ إذْ وافته منيّته، فقبض ملك الموت روحه، ولكن جسده الهامد الميت مازال قائماً على عصاه كعهده، فظل الجن مشغولين في عملهم، وهم يظنون أنه - عليه السلام - جالس بالقرب منهم يشرف عليهم كعادته، وبعد ذلك وقعت الأرضة في عصاه، فأكلتها حتى نخرت، فسقط جثمانه على الأرض، وعندها أدرك الجن أنه قد مات منذ مدةٍ من الزمان!!. ولعل هذه الواقعة أن تكون قد وقعت بهذا الشكل لتقوم دليلاً عملياً

على بطلان عقيدة الناس القائلة بأن الجن يعلمون الغيب !

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾

لِسَبَإٍ : حي بمأرب باليمن .

لآيَةٌ : على قدرتنا أو عبرة وعظة .

جَنَّتَانِ : بستانان أو جماعتان من البساتين .

بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ : زكية مستلذة .

فَأَعْرَضُوا: عن الشكر أو كذبوا أنبياءهم .

سَيْلَ العَرِمِ : سيل السد أو المطر الشديد .

أُكُلٍ خَمْطٍ : ثمر مر حامض بشع .

وَأَثْلٍ : ضرب من الطرفاء .

سِدْرٍ: الضال أو شجرة النبق .

كان السبئيون من أرقى الشعوب المتمدنة في قديم الزمان ، وكانت مساكنهم باليمن الحالية ، وقد اتخذوا من مدينة مأرب عاصمةً لدولتهم ، ولقد استطاع هؤلاء إحراز تقدمٍ حضاريٍ كبيرٍ جداً في عصر ما قبل المسيح ، وظلوا حوالي ألف سنةٍ في قمة المجد والازدهار ، حيث إنهم كانوا قد بسطوا نفوذهم التجاري براً وبحراً ، وقاموا بإنشاء السدود والخزانات وفق تصميماتٍ هندسيةٍ دقيقةٍ . وقد كان لهم قرب مأرب سد كبير

كان يبلغ ارتفاعه ١٤ متراً طوله نحو ٦٠٠ مترٍ ؛ حصروا داخله مياه الجداول والممرات الجبلية ، واستخرجوا من شتى جوانبه قنواتٍ منسّقة متعددة الاتجاهات لسقي المزارع وإرواء الأراضي المرتفعة . وهكذا أضحت بلادهم تتدفق حيوية ونضارةً وخصوبةً لدرجةً أن المرء أينما توجه ببصره ، تراءت له عن يمينه وشماله سلسلة حدائق غناء وبساتين رائقة المنظر لا تكاد تنتهي.

وإنما أمكنهم إحراز كل هذا التقدم بسبب التدابير الإلهية ؛ ولذا كان ينبغي على السبئيين أن يكونوا شاكرين لله المنعم الوهاب . ولكنهم لم يلبثوا أن وقعوا ضحايا الغفلة والطغيان كما يكون حال الأمم الغنية السعيدة في الأعم الأغلب. وقد أخذ سد مأرب بعد ذلك يحدث فيه من حين إلى حينٍ ثقوب وتصدعات ، وكان ذلك بمثابة تحذيرٍ أوّلي من الله ، إلا أنهم تمادوا في غفلتهم ولم يعودوا إلى رشدهم ، حتى انكسر السد - كما تقول دائرة المعارف البريطانية - على إثر زلزال في أواخر القرن السادس الميلادي ، إلى حدٍ لم يعد معه أمل في إصلاحه وترميمه ، مما أسفر عن سيلٍ عارم جبار لا يقف دونه شيءٍ ، خرّب المنطقة من أقصاها إلى أقصاها ، يضاف إلى ذلك أن هذه المنطقة بعد ذلك - لانعدام التربة ذات الخصوبة من أراضيها - لم تعد تصلح لشيءٍ سوى الأحراش والنباتات البرية!!

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ ﴾

القُرَى : قرى الشام .

قُرًى ظَاهِرَةً : متواصلة متقاربة .

وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ : جعلناها على مراحل متقاربة.

فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ : أخبارًا يتلهى به ويتعجب منه .

وَمَزَّقْنَاهُمْ : فرقناهم في البلاد .

المراد بالقرى المباركة منطقة الشام الناضرة الخصيبة ، فقد كانت هذه المنطقة تمتد في رحابها طوابير متلاحقة من مستوطنات جميلة رائعةٍ من قلب اليمن حتى الشام . وبذلك كان السفر من خلالها قد صار نوعاً من النزهة اللطيفة الممتعة. وقد كانت هذه البيئة ، باعتبار حقيقتها ، مثيرة للعواطف الربانية ، وكأنما نصب الله ، ثمة يافطة صامتة تقول: امشوا هنا آمنين من كل خطرٍ ، واشكروا لربكم!

غير أن السبئيين الغافلين لم يتمكنوا من قراءة هذه اليافطة الإلهية ، وبالتالي فقدوا بمسلكهم العملي الشائن ذاك استحقاقهم لتلك النعم الجليلة ، فبادوا واندثرت آثارهم بحيث أصبحوا قصةً تحكى وحديثاً يُروى؛ إذْ نزحت قبائلهم بعد خراب المنطقة من ديارها وتشتت في مختلف الجهات النائية ، حتى ضرب بهم المثل فقيل : «تفرقوا أيادي سبأ» .

إن هذه الأحداث من وقائع التاريخ المعلومة ، غير أن العالم بها حقاً هو الذي يستخلص منها درساً يجعله لا يصاب بالأشر والبطر حين يتاح له من أسباب الرخاء والسعادة نصيب ، وإنما يعده هبة الله ، فيعيش شاكراً له - سبحانه وتعالى !!

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ ﴾

صَدَّقَ عَلَيْهِمْ : حقق عليهم .

سُلْطَانٍ : تسلط واستيلاء بالوسوسة والإغواء .

إن إبليس وأعوانه يرسمون خطتهم دوماً ضد مصلحة الإنسان . والمطلوب من الإنسان بهذا الصدد أن يعمل على إفشال خطتهم بتجنيب نفسه أن تقع ضحيةً لها ، إلا أن السبئيين لم يتمكنوا من إقامة الدليل على هذا الحذر والتعقل والبصيرة ، وإنما ساروا في طريق الغواية والدمار مندفعين وراء الترغيبات الشيطانية ، ولم يكن هناك سوى عددٍ يسير من أتباع الحق الذين نجحوا في هذا الامتحان .

وإن الله - عز وجل - لم يعط الشيطان أو ممثله أي سيطرةٍ فعليةٍ على أحد الناس ، وإنما أعطاه القدرة على الإغواء والوسوسة في النفوس ليس غير ، وذلك لكي يمتحن عباده. والناجح في هذا الامتحان الإلهي هو الذي يستمسك بالحق ويظل ثابتاً عليه بعيداً عن التأثر أو الميل إلى الترغيبات الشيطانية !!

﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ : وزنها من نفع أو ضر .

ظَهِيرٍ: معين على الخلق والتدبير .

فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ : أزيل عنها الفزع والخوف .

الحَقَّ : قال القول الحق (الإذن بالشفاعة) .

على الرغم من أن أكثر الناس كانوا - ولا يزالون - يؤمنون بالآخرة في كل

العصور، إلا أن الشيطان مازال ينشر بينهم دائماً عقائد مزعومة تجعلهم غير خائفين ولا حذرين من عقاب الآخرة ، ومن بينها هذه العقيدة الفرضية القائلة بأن لبعض الذّوات عند الله مقاماً سامياً يمكنها من أن تشفع لمن تشاء شفاعة تقبل بالضرورة ولا تُرد أبداً !

غير أن كل عقيدةٍ من هذا النوع تقدير بخس لألوهية الله وجلاله. فما أغرب هذا الواقع وأكثره إثارة للعجب والدهشة أن الذوات التي قد استولى عليها من الشعور بعظمة الله ما يملؤها خوفاً وهلعاً دائمين لا ينقطعان ، يعتقد عبادها أنها ستكون كافيةً لنجاتهم عند الله عز وجل!!

﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾

أَجْرَمْنَا :اكتسبنا من الزَّلات .

يَفْتَحُ بَيْنَنَا : يقضى ويحكم بيننا .

وَهُوَ الفَتَّاحُ : القاضي والحاكم .

كَلاَّ : ارتدعوا عن دعوى الشركةِ .

إن الكون عظيم إلى حدٍ لا يمكن تصوره. وهو إلى جانب ذلك منطوٍ على حكمةٍ بالغةٍ ومعنويةٍ تدعو إلى الدهشة والإكبار. وإن كوناً هذا شأنه لابد أن يكون من صنع الله العزيز الحكيم. وإنه ليس بإمكان شخصٍ يدعي جاداً أن خالقه ومالكه تلك الذوات الأخرى التي قد افترضها الإنسان قديماً أو حديثاً من دون الله ، إذن، فهل ثمة

أحد غير الله الواحد يستحق مقام الكبرياء والجلالة في هذا الكون ؟ كلا!!

الحقيقة هي أن دراسة الكون تبطل كل النظريات المشركة ، فكل عقيدةٍ تتضمن الاعتراف بأي نوعٍ من العظمة لأحدٍ غير الله الواحد لا تلبث أن تتعارض مع طبيعة هذا الكون. وفي هذه الحالة فإن النظرية الصحيحة إنما هي التي تُبنى على أساس وحدانية الله ، وأما النظرية التي تقوم على التسليم بتصرف أي وجودٍ آخر من دون الله الواحد ، فهي نظرية مناقضة لذاتها !

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

كَافَّةً لِّلنَّاسِ : إلى الناس جميعا .

كل نبيٍ مارس نشاطه الدعوي على نحوٍ مباشرٍ بين بني قومه وحدهم ، وذلك ما كان ممكناً من الناحية الفعلية وهكذا قام رسول الإسلام - ﷺ - منذراً ومبشراً لقومه مباشرةً (الأنعام : ٩٢) ، ولكنه لما كان خاتم الأنبياء والمرسلين قد انتهت به الرسالات السماوية ، صار - حكماً - هو المنذر والمبشر لجميع الشعوب والأمم إلى يوم القيامة . وإنما تقع المسئولية الآن على عاتق أمته - عليه الصلاة والسلام - أن تؤدي بالنيابة عنه واجب الإنذار والتبشير تجاه الآخرين ، تماماً كما أداه الرسول تجاه مخاطبيه الأولين في عصره . وستُعد هذه العملية الدائبة امتداداً لنبوته - ﷺ - ، فالعمل الدعوي الذي تم إنجازه في حياته داخل في دائرة نبوته بصفةٍ مباشرةٍ ، وينضم إليها ما سيؤدي من الأعمال بعد وفاته بصفة غير مباشرة. إن عمل النبي يقتصر دوماً على الإبلاغ وحده ، أما تقرير مصائر الشعوب العملية فهو مما

اختص به الله تعالى نفسه في هذا العالم وفي العالم الآتي بعده على السواء!.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

مَوْقُوفُونَ : محبوسون في موقف الحساب .

يَرْجِعُ : يرد .

مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ : صدنا مكركم بنا فيهما .

أَندَادًا: أمثالا من مخلوقاته نعبدها .

وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ : أخفوا الندم أو أظهروه .

الأَغْلالَ: القيود تجمع الأيادي إلى الأعناق .

إن إنكار الحقيقة هو الجريمة الكبرى على الإطلاق . وبما أن عاقبة هذه الجريمة لا تظهر في هذه الدنيا ، لا يزال المرء ينكر الحقيقة دونما خوفٍ ولا وجل. ولكن سينقلب حال الناس فجأة إلى حالٍ يبعث على الدهشة والرثاء معاً ، حين ستدهمهم عاقبة إنكار الحق المشئومة في الآخرة .

وسوف تصب الجماهير هناك أغلظ اللعنات على أكابرها الذين كانوا موضوع

فخرها في الحياة الدنيا ، باعتبارهم مسئولين عن ضلالها وضياعها. وسيرد عليهم أولئك الكبراء قائلين : لا تلقوا بالتبعة كلها علينا تخليصاً لأنفسكم من مرارة الشعور بالندم والحسرة. إذْ لم نكن نحن الذين أضلوكم ، بل إنما كانت أهواؤكم هي التي انحرفت بكم عن سواء السبيل ، فما وقفتم إلى جانبنا إلا لكون ما ندعو إليه يتفق وأهواءكم ، حيث كنتم تبتغون ديناً يمكن صاحبه من الحصول على شرف التدين بدون تكليفٍ ولا عناءٍ ولا حاجةٍ إلى تغيير النفس وإصلاح العمل. وهو الذي هيأناه لكم فتلقيتموه بالقبول . إذن فأنتم بأيديكم أنفسكم جعلتم في أعناقكم هذه الأغلال التي صنعناها ، وإلا فلم نكن نملك قدرةً على أن نطوّقها إياكم!!

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾

مُتْرَفُوهَا : متنعموها وقادة الشر فيها .

وَيَقْدِرُ : يضيق على من يشاء بحكمته .

زُلْفَى : تقريباً .

لَهُمْ جَزَاءُ الضِعْفِ : لهم الثواب المضاعف .

فِي الغُرُفَاتِ : المنازل الرفيعة العالية في الجنة .

مُعَاجِزِينَ : مسابقين ظانين إنهم يفوتوننا .

مُحْضَرُونَ: تحضرهم الزبانية إلى جهنم .

وَيَقْدِرُ لَهُ : يضيق على من يشاء بحكمته .

إن الذين تتوافر لديهم أسباب القوة والثروة ، يرتقون إلى مقام الكبرياء في العالم الراهن، وهذا الشيء يولد في أنفسهم ثقةً كاذبةً. وأمثال هؤلاء حين يتم تخويفهم من الآخرة لا يعطونها أهميةً تُذكر ؛ إذ يصعب عليهم التأكد من أن الله سيُذلهم في الآخرة ، مع ما أعطاهم في هذه الدنيا من العز والجاه والكرامة !

وهذه الثقة الكاذبة هي التي كانت - ولا تزال - العقبة الكئود دون إيمان الكبار بدعوة الحق في كل عصرٍ ومصرٍ ، حيث إن كبار العصر إذا احتقروا شيئاً ما ، عاد الصغار هم الآخرون ينظرون إلى ذلك الشيء بعين الاحتقار، وهكذا يحرم كل من العامة والخاصة من تلقي الحق بالقبول .

إن الثروة وأسباب الحياة الدنيا كلها امتحان وليس بإنعامٍ، فكثرة المال والأسباب الدنيوية لدى أحد الناس ليست علامة على كونه من المقربين ، ولا قلتها لدى الآخر علامة على أنه من غير المقربين. وإن مقام التقرب والزلفى عند الله إنما يحظى به شخص يقيم الدليل على أنه قد عاش فيما أوتي من مالٍ ومتاعٍ ذاكراً لله، مراقباً إياه في كل حركاته وسكناته ، وواقفاً بنفسه عند الحدود التي قررها الله سبحانه وتعالى ، فأمثال هؤلاء هم الذين سيعتبرون في الآخرة أهلاً لإنعامات الله الأبدية !

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم

مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

أَنْتَ وَلِيُّنَا : أنت الذي نواليه .

إن الملائكة لا تُرى للناس ، وإنما هم الأنبياء والمرسلون الذين أخبروا الناس بوجود الملائكة. وقد كان المقصود من هذا الإخبار أن يستشعروا عظمة الله وجلاله حق الاستشعار، فيقبلون بكيانهم كله على عبادته وتمجيده سبحانه وتعالى، ولكن الشيطان ألقى في قلوب الناس بطريقةٍ عجيبةٍ أن الحصول على قرب الله مباشرةً يكاد يكون أمراً مستحيلاً، لذا ينبغي لهم أن يعبدوا الملائكة ؛ توسلاً بذلك للاقتراب من الله! ومن هنا بدأت تنصب تماثيل منحوتة للملائكة في شتى أنحاء المعمورة ، وراح الناس يقيمون أمامها طقوس العبادة والتقديس . وما عقيدة تعدد الآلهة والإلاهات لدى الشعوب الوثنية إلا صورة مشوهة لتأليه الملائكة ، فالملك الذي كان موكلاً بالمطر ، اعتبروه إله المطر، والذي كان موكّلاً بالهواء ، حسبوه إلهاً للهواء، وهكذا.. وستتبرأ الملائكة في الآخرة من أمثال هؤلاء العباد وعبادتهم، وبالتالي لن ينالهم هناك من جانب الله ولا من جانب الملائكة نصر ولا عون ، وإنما سيظلون مخذولين دون سندٍ ولا معينٍ إلى الأبد!

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَـٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾

أَنْتَ وَلِيُّنَا : أنت الذي نواليه .

إِفْكٌ مُّفْتَرًى : كذب مختلق

مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ : عشر ما أعطيناهم من النعم .

كَانَ نَكِيرِ: إنكاري عليهم بالتدمير .

لقد جاء القرآن بأدلةٍ وبراهين في منتهى الوضوح والجلاء . ومع أن مخاطبيه الأول كانوا عاجزين عن مقاومته بقوة الدليل ، إلا أنهم نجحوا في صدّ الجماهير التابعة لهم عن دعوته ، وإنما كان السر الوحيد في نجاحهم ذاك ، يكمن في أنهم جعلوه "مشبوهاً" في أعين الناس قائلين : إنه لا يتفق مع ما كان عليه أسلافنا الكرام ! وأما ما كان يتميز به القرآن من أدبٍ رفيعٍ وأسلوب بديعٍ معجز لا سبيل إلى إنكاره أو تجاهله ، فقد صرفوا اهتمام الناس عنه زاعمين لهم بأن هذا لا يخرج عن كونه مظهراً من مظاهر البراعة الأدبية وسحر البيان. دون أن يكون له علاقة ما بالوحي الإلهي. إنه قوة قلمٍ وليس بقوة علم الحقيقة !

إنه لمن أغرب تجارب التاريخ البشري أن التعصب كان دوماً - ولا يزال - أعظم سلطاناً على عقول الناس وأشد تحكماً في نفوسهم من الدليل والبرهان !! كان على مخاطبي القرآن الكريم ، إذْ هم أبوْا إلا إنكاره ومعارضته ، أن يلجؤوا إما إلى أدلةٍ عقليةٍ تفنّده ، أو إلى كتابٍ سماوي يستمدون منه نصاً ينقض دعواه، غير أنهم كانوا يفتقدون كلا هذين الشيئين معاً ، مضافاً إلى ذلك أنهم كانوا متخلفين جداً عن الشعوب الأخرى حتى في مجال التقدم المادي والرفاهية الدنيوية. وإن أناساً هذا شأنهم لئن تناولوا دعوة الحق بالرفض والإنكار فإنما يرجع سبب ذلك إلى دواعي التعنت والعنجهية ، وليس إلى مقتضى العقل والمنطق !.

﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ ﴾

من جِنَّةٍ : من جنون .

وقف المعاصرون للنبي - ﷺ - تجاه دعوته موقف الرفض والإنكار. ولكن موقفهم ذاك لم يكن يعتمد على شيء سوى العناد والتعصب . والحقيقة هي أنهم لو فكروا يوماً خالي الأذهان من مشاعر العناد والتعصب - سواء على مستوى فردي أو جماعي - لوجدوا أن رسولهم ليس برجلٍ مجنون ، ولرأوا حياته السابقة التي قضاها بين أظهرهم تشهد بجديته وإخلاصه ولهجته الواهة المؤثرة تدل على أن ما يجري على لسانه هو بعينه ما يختلج في فؤاده ، ولوجدوا في أسلوب كلامه الحكيم شهادةً داخليةً ناطقة بصدقه وصحته، وفي كونه لا يطلب من الناس أي أجر أو تعوضٍ عن دعوته وبرهاناً صارخاً على أنه إنما قام بهذا العمل خالصاً لوجه الله ، وليس لأجل أية منفعةٍ أو تجارةٍ ذاتيةٍ ، ففي ضوء التأمل النزيه والتفكير المحايد كان بإمكان القوم أن يدركوا أن لهفته - عليه الصلاة السلام - ليست بلهفة الجنون ، بل مصدرها أن الخطر الذي نهض لإنذار الآخرين منه ، هو يراه رأي العين يدنو ويقترب بسرعةٍ والناس عنه غافلون ! ولكن القوم إذا لم يكونوا جادين بشأن دعوة الحق ، فقد عجزوا - وبطبيعة الحال - عن أن يبصروا هذه الحقائق الواضحة الجليلة !!

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴾

يَقْذِفُ بِالْحَقِّ : يرمي به الباطل فيدمغه .

لقد أنشئ هذا العالم بالحق ، حيث القوة كلها فيه إلى جانب الحق ، كما أن كل الدلائل هنا تؤيد الحق وتدعمه . وأما الباطل فلا يملك من حيث الحقيقة الواقعة أي قوةٍ ولا دليلٍ أو برهانٍ . وقد كان ينبغي، والحالة هذه أن يكون الحق هنا هو الغالب السائد ومرفوع الراية دائماً ، وبالمقابل يصير الباطل عديم الوزن فاقد الأهمية مغلوباً على أمره في كل مكانٍ ، ولكن هذا لا يحدث فعلاً ، إذْ ليس الحق في هذا العالم من القوة بحيث يمكنه أن يمحو الباطل بحكم قوته الذاتية ، ولا الباطل من التفاهة بحيث لا يتمكن شخص ما من أن يفوز بالمجد والرفعة على أساسٍ منه!

وهذه الواقعة سوف تظهر في أكمل صورها يوم تقوم الساعة ، ولكن الله قد يظهرها، متى يشاء ، ولو بصورةٍ جزئيةٍ في هذه الدنيا أيضاً ، كي تكون عبرةً للناس ، ولقد كانت غلبة الإسلام في القرن الأول إظهاراً جزئياً من هذا القبيل ، ومن ثم فحين فُتحت مكة ، وانتصر التوحيد على الشرك انتصاراً حاسماً ، كان رسول الله - ﷺ - تتردد على لسانه إذْ ذاك هذه الآية الكريمة: ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ !.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾ ﴾

فَزِعُوا : خافوا عند الموت أو البعث .

فَلاَ فَوْتَ : فلا مهرب ولا نجاة من العذاب .

مكَانٍ قَرِيبٍ: موقف الحساب .

التَّنَاوُشُ : تناول الإيمان والتوبة .

مَّكَانٍ بَعِيدٍ: هو الآخرة .

وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ : يرجمون بالظنون .

بِأَشْيَاعِهِم : بأمثالهم من الكفار .

مُّرِيبٍ : موقع في الريبة والقلق .

إن المرء إذْ يتناول الحق بالإنكار في العالم الراهن ، لا يتعرض من فوره لمصيره المحتوم. وهذا الوضع يجعله عنيداً جسوراً على إنكار الحق، فهو لا يعتبر دعوة الحق جديرةً بالاهتمام الجدي ، ويذكرها بألفاظٍ مفعمةٍ بالسخرية اللاذعة والازدراء الشديد، ويرفضها كلما عرضت عليه بعدم الاكتراث واللامبالاة ، ويعلق عليها بأسلوب هزلي عابثٍ كما لو أنها لا تستحق أن يقام لها حساب ما !

على أن الأمر سيتبدل فجأةً غير الأمر، حين سينتهي نظام هذا العالم الراهن ، وسيرى المرء وقتئذٍ أن ما قد أهمله الإهمال كله، كان هو الشيء الأهم والأعظم قيمةً في هذا الوجود، وعندها سيتبخرّ كل عناده ويتلاشى بطره وكبرياؤه ، وهو يسارع إلى الاعتراف بالحق الذي كان لا يعده خليقاً بأدنى عنايةٍ ولا اهتمام في الحياة الدنيا، ولكن الوقت الآن سيكون قد فات، وسيقال له: إن الاعتراف كانت له قيمة في عالم الغيب ، أما في عالم الشهود هذا فلا قيمة للاعتراف البتة !

«الشك المريب» هو الشك الباعث على التردد والحيرة والارتياب ، وهذا الوصف يصوره حالة المنكرين النفسية، فالحق الذي كان يُعرض عليهم في الدنيا ، كان من حيث اللغة والبيان قوياً لدرجة أنهم لم يكونوا يجدون أنفسهم قادرين على رده بواسطة الدليل

والبرهان ، ولكنهم - مع ذلك - لم يتمكنوا من توطين أنفسهم على قبول هذا الحق ؛ لكونه لا يتفق مع شاكلتهم الفكرية. وقد أصابهم هذا الوضع الثنائي أو المزدوج بنوعٍ من التذبذب الداخلي المتصل ، إلى أن جاء ملك الموت ، فرفع عن أعينهم الغطاء الذي كان المفروض أن يرفعوه بأيديهم أنفسهم ، إلا أنهم لم يوفقوا إلى ذلك!

سورة فاطر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾

فَاطِرِ : مبدع ومخترع.

مَا يَفْتَحِ اللهُ : ما يرسل الله .

لقد خلق الله الملائكة لحمل رسالته والقيام بتنفيذ أحكامه، ولكن الشيطان ألقى في قلوب الناس أن الملائكة يتمتعون بالاستقلال الذاتي التام ، بحيث يمكن أن يُتوسل بهم لتحصيل البركات في الدنيا ونيل النجاة في الآخرة، ومن هنا أخذت بعض الأمم تعبدهم باتخاذ تماثيل مزعومةٍ لهم بأسماء اللات والمناة ونحوهما، بينما جعلت بعض الأمم الأخرى من الملائكة آلهةً أنداداً لله ، وبدأت بعبادتها وتقديسها، وإن تعظيم قانون الطبيعة (Low of nature) في عصرنا الحاضر هو الآخر ليس إلا طبعةً جديدةً لهذا الضلال القديم .. ولكن الحقيقة هي أنه بأي اسم سمينا القوى المدبرة لشئون الكون – بقوانين الطبيعة ، أم بالملائكة – فإنها جميعاً محكومةً خاضعةً لمشيئة الله الواحد ، عاملةً طبقاً لأمر الله الواحد ، لا تطيق الخروج عليه ولا الانحراف عنه أبداً .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ ﴾

فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ : فكيف تصرفون عن توحيده .

إن الإنسان يحتاج لأجل حياته إلى أشياء لا تُحصى ، وهذه الأسباب الضرورية للحياة لا يتمكن من توفيرها أحد غير الله الواحد ، فإذا كان الله وحده هو خالق هذه الأشياء ومدبرها بلا منازع ولا شريك ، فكيف يجوز اتخاذ آلهة أخرى سواه !؟!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾

فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ : فلا تخدعنكم ولا تلهينكم بالزخارف والملذات .

الغَرُورُ : ما يغر ويخدع من شيطان وغيره .

إن نوعية الحياة الدنيا ، كما أخبرنا الله بها عن طريق رسله ، ربما تبدو صورةً أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة؛ لأن المرء لا يتعرض لها في الحال . أما أشياء الدنيا فهي - على نقيضٍ من ذلك - تبدو حقيقةً ؛ لأن المرء يعاني منها ويجريها في اللحظة الراهنة .. وإن الموت والزلازل والحوادث والنكبات لا تفتأ تنبه المرء من سبات الغفلة ، كأنها هي سابق إنذارٍ بالقيامة قبل أن تقوم بالفعل ، غير أن الشيطان لا يلبث أن يصرف أذهان الناس عن التفكير في ذلك مقرراً أن كل هذه وقائع تحدث بموجب الأسباب والعلل ،

دون تدخل الإرادة الإلهية.. بيد أن كل فكرةٍ من هذا النوع خدعة شيطانية ، إذْ لابد من يومٍ يتميز فيه الصدق من الكذب ، والحق من الباطل .. يوم يلقى المحسن جزاء إحسانه ، والمسيء عقابه إساءته!!

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾

فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ: فلا تهلك نفسك عليهم غموما وأحزانا لكفرهم .

لقد أعطى الله كل إنسان قدرة التأمل والتفكير ؛ لكيما يميز الحق من غير الحق، فمن يستعمل استعداده الفطري هذا يهتد ، ومَنْ يهمل هذا الاستعداد الفطري لا يوفق للاهتداء !.

وإن المرء حين يظهر أمامه الحق ، يشعر بهزّةٍ ذهنيةٍ ؛ يجد نفسه معها على مفترق طريقين : فإن هو أسرع إلى الاعتراف بالحق ، سار ذهنه من فوره في الاتجاه الصحيح المستقيم ، ودخل هو بالتالي في عداد المسافرين لأجل الحق . وعلى العكس من ذلك فإن عرضت له عندئذٍ أية مصلحةٍ أو عقدةٍ نفسيةٍ ، يمتنع عن الاعتراف بالحق خضوعاً لسلطانها ، فيأخذ ذهنه في تلفيق ألوانٍ شتى من المبررات لعدم اعترافه ، وهو يحاول أن يظهر عمله القبيح في ثوب العمل الحسن ، وهذا مرض ذهني . والمصابون بهذا المرض الذهني أبداً لا يوفقون إلى الاعتراف بالحق ، حتى يفاجئهم الموت ، وهم على حالهم ذاك ، فيقودهم إلى محكمة الله ، ليلقوا جزاء ما عملوا!!

﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ

ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾

فَتُثِيرُ سَحَاباً : تعركه وتهيجه

النُّشُورُ : بعث الموتى من القبور للجزاء .

يُرِيدُ العِزَّةَ : الشرف والمنعة .

الكَلِمُ الطَّيِّبُ: كلمة التوحيد وجميع عبادات اللسان.

وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ: يرفع الله العمل الصالح ويقبله .

يَبُورُ : يفسد ويبطل .

إن العالم الراهن تمثيل للآخرة ، فمن ظواهره المطر ، الذي يمثل لنا بشكل واقعةٍ معلومةٍ واقعةً غير معلومةٍ ، وما المطر؟ إنه - باختصار - نتيجة عملٍ موحّد يشترك فيه الكون بأسره ، فمن خلال تفاعل الشمس والهواء والبحر والجاذبية ، وما إلى ذلك من العوامل والأسباب الكونية الهائلة ينشأ ذلك المطر الذي يبعث الحياة والحيوية في الأرض اليابسة المجدبة .

وظاهرة المطر هذه تبرهن على أن مدبر الكون يتمتع بالاختبار الكامل والقدرة المطلقة على الكون كله، حيث إنه يُحدث واقعةً بحسب خطته ، ثم هو يقوم إذا انمحت آثارها بإعادتها من جديدٍ ؛ ولو استدعى الأمر تحريك الكون وتشغيله بما فيه !!. وإن إعادة الأرض الهامدة ناضرةً خضراء من جديدٍ ، وإحياء الإنسان الميت من جديدٍ ، واقعتان مماثلتان تماماً .. فإذا قام الدليل على إمكان الواقعة الأولى، فيقوم الدليل تلقائياً على كون الواقعة الأخرى المماثلة لها ممكنة الحدوث !

إن العالم الراهن موضع امتحانٍ ، ومن ثم فقد يُتاح العزة هنا حتى لمن لا يستحقها من الناس على نحوٍ مؤقتٍ ، ولكن العزة ستكون في الآخرة خالصةً لأولئك وحدهم ، الذين يستحقونها في واقع الأمر ، ومعيار هذا الاستحقاق هو الكلم الطيب والعمل الصالح ، أي أن يجد المرء ربه بحيث يصير ذكره تعالى جزءاً لا يتجزأ من كيانه ، وابتغاء مرضاته هو عمله الذي يكرس لأجله كل طاقاته. والذين يبنون حياتهم على هذا الطراز ، يتكفل الله لهم بالنصر والتأييد ، ومَنْ صار الله نصيره ومؤيده ، فلن يجد إلى النيل منه أو التغلب عليه أحد سبيلاً !

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾

أَزْوَاجاً : ذكورا وإناثا .

مُّعَمَّرٍ : طويل العمر .

خلق الإنسان الأول - آدم عليه السلام - وقد تم تركيبه من الأجزاء الأرضية . ثم أودع الله سر الإنسان في قطرة ماء ، شأنها شأن البذرة تحوي - على صغرها - شجرةً كاملةً، ثم بدأ تعالى النسل الإنساني ومكّنه من البقاء والاستمرار بجعل البشر أزواجاً - ذكراً وأنثى - وهذه الواقعة تدلنا على قدرة الله اللاّمتناهية.

هذا ، وإن جنينا حين يبدأ بالنمو داخل الرحم ، فيجد هناك كل الأسباب الضرورية الملائمة مهيّأة له دون طلبٍ . وهذا الواقع يقيم الدليل - إلى جانب إثبات القدرة - على أن خالق الجنين كان على سابق علمٍ بحاجاته ، وإلا فكيف استطاع أن يقوم بهذا الترتيب الكامل الدقيق لما يلزم لنشأة الجنين ونموه بصورةٍ مسبقةٍ !؟ وهذا هو شأن

العمر كذلك .. إذْ ليس في مقدور أحدٍ منا أن يحدد عمره وفق مرضاته هو ، حيث يبدو أن قضية تحديد الأعمار إنما تتعلق بأي وجودٍ خارجي أعلى ، فهو يرفع (يتوفى) مَنْ يشاء ولمّا يتجاوز عمره سنوات قصيرة معدودات ، ويهب لمن يشاء عمراً طويلاً ، وليس في هذه الوقائع كلها دخل لأحدٍ من دون الله ، إذن ، فكيف يجوز أن يخاف الإنسان من أحدٍ غير الله ، وأن يعقد آماله على أحدٍ سواه !؟!

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾

عَذْبٌ فُرَاتٌ : طيب حلو شديد العذوبة .

مِلْحٌ أُجَاجٌ : شديد الملوحة أو المرارة .

حِلْيَةً : اللؤلؤ والمرجان من الملح .

مَوَاخِرَ : جواري بريح واحدة .

يُولِجُ : يدخل .

لأَجَلٍ مُّسَمًّى : مقدارا لفنائهم (يوم القيامة)

قِطْمِيرٍ : هو القشرة الرفيعة للنواة .

يوجد على سطح الأرض مخزون مائي هائل ؛ وهو موزع على البحار والمحيطات الواسعة بشكل المياه المالحة من ناحيةٍ ، وعلى الأنهار والترع والينابيع بشكل المياه العذبة من ناحيةٍ أخرى ، وإن الماء مصدر فوائد كثيرة لا تحصى للإنسان ، حيث إنه يُستخدم للشرب والري ، وهو يمثل بما يعيش فيه من شتى ألوان الحيوانات المائية مورد غذاءٍ ثمين للإنسان، وإن هذه البحار الممتدة على ثلاثة أرباع الكرة الأرضية هي بمثابة شوارع مائية فسيحةٍ قد جعلت الأسفار ونقل البضائع من قارةٍ إلى أخرى أمراً بالغ السهولة، كما يُستخرج من أغوار البحار اللؤلؤ والمرجان وغيرها من النفائس الغالية الأخرى .. إلخ .

وبالإضافة إلى هذا فقد سخر الله الشمس والقمر في الفضاء الرحيب . وفي ذلك من المنافع العظيمة ما لا يقع تحت الحصر . وقد جعل الأرض تدور في محورها حول الشمس بحسابٍ دقيقٍ يترتب عليه اختلاف الليل والنهار بانتظامٍ . وهناك أنظمة كونية لا تحصى من هذا النوع أنشأها الله وحده ، وهو وحده يقوم بإدارتها .. إذن ، فمن يستحق أن يوجه إليه الإنسان عواطف شكره غير الله ؟ ومَنْ يقدر على قضاء حاجات الإنسان ؛ آلله الذي طاقاته لانهائية ؛ أم تلك الآلهة المفترضة التي لا تمتلك من السلطة والاختيار شيئاً ؟!

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾

وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ : لا تحمل نفس آثمة .

مُثْقَلَةٌ : نفس أثقلتها الذنوب

حِمْلِهَا: ذنوبها التي أثقلتها .

تَزَكَّى : تطهر من الكفر والمعاصي .

إن الإنسان في العالم الراهن موجود غير منيع بكل ما تتسع له هذه الكلمة من معنى. وإنما يتوقف أمر الإنسان بكليته على توازن الطبيعة الخاص . ولو اختل هذا التوازن يوماً ، لانتهت الحياة الإنسانية في أقل من لمح البصر .

فلو غادرت الشمس موقعها الحالي ، فاقتربت من الأرض ، لاحترق جميع البشر واستحالوا رماداً . وإن جزءاً كبيراً من باطن الأرض عبارة عن مادة ملتهبة شديدة الحرارة ؛ ولو اتجهت حركة هذه المادة الملتهبة إلى جانب السطح الأعلى ، لتعرضت الأرض لزلزال عنيفٍ يحول مدنها العامرة إلى خرائب موحشةٍ . ومن جهة الفضاء العلوي لا تزال تتساقط الشهب أو النيازك كل حينٍ وآنٍ ، ولو فسد نظام الكون الحالي، لتحولت هذه النيازك إلى وابلٍ من الحجارة لن يقينا من ويلاته شيء . وثمة إمكانات مدمرة كهذه لا حصر لها هي محيطة بالإنسان من كل صوبٍ ، والحقيقة هي أن الإنسان مخلوق كله احتياج ، وإن الإنسان بحاجة إلى الله ، وليس الله بحاجة إلى الإنسان .

إن أثقال يوم القيامة ستكون أثقال الذنوب التي اقترفها المرء في حياته ، وليست أثقال الطوب والحجارة، وقد يمكن أن يشارك شخص ما أخاه أو صديقه في حمل أثقالٍ من الطوب والحجارة ، ولكن الخزي والألم اللذين يلحقان أحد الناس لقاء ما عمله من سوء ، فإنما يكون ذلك عذاباً ذاتياً محضاً ؛ لا مجال فيه للمشاركة من قبل أحد الناس .

الحقيقة واضحة غاية الوضوح، ولكن الحقيقة لا يفهمها إلا مَنْ يريد أن يفهمها أما الذي لا يكون جاداً بشأن معرفة الحقيقة فلا يمكن إفهامه أي شيءٍ مهما كان سهلاً قريب المنال!

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴾

الحَرُورُ : شدة الحر ليلا كالسموم .

وَبِالزُّبُرِ : الكتب المكتوبة كصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام .

كَانَ نَكِيرِ : إنكاري عليهم بالتدمير .

من البديهي أن ما يُرجى من النور لا يُرجى من الظلام .. وهكذا ما يُتوقع من الظل غير متوقع حصوله من الحر ، وهذا هو شأن الإنسان ، فالناس بين بصيرٍ وأعمى . أما البصير فسرعان ما يتعرف على سبيله حين يراه ، وأما الأعمى فلا يسعه إلا أن يبقى تائهاً يتخبط ؛ دون أن يتمكن من التعرف على سبيله أبداً .

وكذلك ينقسم الناس - من حيث المعرفة الداخلية - إلى نوعين : حيّ وميتٍ ، أما الإنسان الحي فهو الذي ينظر في الأقوال نظرة متعمقة فاحصةً ، فيسبر أغوارها ، ويدرك المعاني مخترقاً الحواجز اللفظية البراقة ، ويحاول الوصول إلى الحقيقة الأصلية

متخطياً القشور والجوانب السطحية . والذي يختبر الأشياء ويحكم عليها باعتبار جوهرها وليس باعتبار مظهرها الشكلي وحده ، ويركز بصره دائماً على الحقيقة الأصلية وليس على التفريعات الهامشية ، والذي لا يطيق صبراً ، إذا ما عرف الصدق ، على ألا يربط نفسه ومصيره به ، إن أمثال هذا هم الأحياء ، وهم الذين يكتب لهم التوفيق لقبول الحق في العالم الراهن. وأما الذين يتصفون بصفاتٍ هي على نقيضٍ مما تقدم ذكره آنفاً ، فهم الموتى، لا يحالفهم التوفيق أبداً لقبول الحق في عالم الامتحان هذا، وإنما هم يظلون عمياناً أو كالعميان إزاء دعوة الحق ، إلى أن تنتهي آجالهم فيصلوا إلى الله لكي يذوقوا وبال عماهم !!

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

جُدَدٌ: ذات طرائق وخطوط مختلفة الألوان .

وَغَرَابِيبُ سُودٌ: متناهية في السواد كالأغربة .

ينزل من السحاب ماء واحد ؛ وتنبت به أشياء ذات أنواع وألوان شتى ، بما فيها أشجار مثمرة وأحراش شائكة .. وهكذا فإن مادةً واحدةً هي التي تتجمد فتأخذ شكل الجبال والصخور ، ولكنها هي الأخرى تأتي متعددة الألوان ، بين أحمر وأبيض وأسود فاحم.. وكذلك تأكل جميع الحيوانات غذاءً واحداً ، ولكن بعضها مفيد للإنسان وبعضها الآخر غير مفيد!

ونعلم من هذا أن العطاء وإن كان عاماً ، إلا أن الكل ينتفع به على قدر كفايته

واستعداده ، وهذا هو شأن الإنسان كذلك ، فإن فيوض الرحمة الإلهية التي تُغدق في صورة الدعوة إلى الحق ، وإن كانت واحدةً في حد ذاتها ، إلا أن تأثر الناس بها يختلف - كماً وكيفاً - باختلاف أمزجتهم وتنوع ميولهم وأذواقهم ، فمنهم من يجد في دعوة الحق غذاءً لروحه .. فسرعان ما يتلقاها بالقبول ويربط نفسه بها بأوثق رباطٍ .. ومنهم مَنْ تحول نفسيته المعقدة دون اعترافه بالحق ، فيبتعد عنه ، بل ربما لا يلبث حتى يتصدى لمعارضته ومحاربته .

وإنما العالم حقاً هو الذي تكون دعوة الحق صدى لنبضات قلبه ، حيث إنه كان لا يزال محتفظاً بنور الفطرة الإلهي ، مما جعله يتعرف على الحق فور ظهوره، وبالمقابل فإن الجاهل هو الذي أخفى نور فطرته وراء حجب كثيفةٍ ، ومن ثم لا ولن يحالفه التوفيق للتعرف على الحق إذا ما تجلّى أمامه!

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ﴾

لَّن تَبُورَ : لن تكسد وتفسد ، أو لن تهلك .

إن رجل العلم هو رجل المعرفة ، والذي يفوز بالمعرفة يتخذ من كتاب الله دليله ومرشده الفكري ، وهو يصبح عبداً عابداً لله ، ويعود سمحاً كريماً فيما يتعلق بحقوق الناس، لدرجة أنه يخصص لهم أيضاً جزءاً من ماله الذي كسبه بمجهوده الذاتي .. وترتفع معنوياته بحيث إنه يسخر وجوده كله في سبيل إعلاء كلمة الله قانعاً راضي النفس بأنه سينال أجره في الآخرة !

ومن الأدلة الناطقة بصدق القرآن الكريم وحقيّته: أنه مطابق كل المطابقة لتلك النبوءات التي كانت قد وردت في الكتب السماوية قبل نزوله بقرونٍ . وإنه لو كان أحد الناس جاداً حق الجدية لصار هذا الواقع كافياً لإيمانه بالقرآن الكريم !!

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم : رجحت سيئاته على حسناته .

مُّقْتَصِدٌ : استوت حسناته وسيئاته .

سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ : رجحت خيراته على سيئاته .

الحَزَنَ : كل ما يحزن ويغم .

دَارَ الْمُقَامَةِ : دار الإقامة الدائمة (الجنة) .

نَصَبٌ :تعب ومشقة .

كان سيدنا يعقوب حفيداً لسيدنا إبراهيم - عليهما السلام - وقد ظل الأنبياء ، بدءاً من يعقوب وانتهاءً بالمسيح عيسى ابن مريم - عليهم صلوات الله وسلامه - يبعثون في سلالة بني إسرائيل .. وهكذا فقد استمرت سلسلة النبوة في نسل اليهود نحو ألفي سنةٍ ، غير أن اليهود لم يعودوا فيما بعد أهلاً لكي يُؤتمنوا على الكتاب الإلهي ، ومن ثم وقع اختيار الله على أمة حية أخرى (بني إسماعيل) لتكون حاملة أمانة الكتاب

الإلهي . وقد كانت ولادة رسول الله - ﷺ- في بني إسماعيل تنفيذاً لهذا القرار الإلهي ذاته ، وبنو إسماعيل هؤلاء هم الذين عناهم الله في قوله ﴿ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ..﴾ .

ولما عرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القرآن على بني إسماعيل ، انقسموا إلى أصناف ثلاثةٍ: فمنهم مَنْ تصدوا لمعارضته ، وآخرون اختاروا طريقاً وسطاً .

وأما الطائفة الثالثة فهي طائفة السابقين المقدمين ، وهؤلاء هم الذين صنعوا تاريخ الإسلام العظيم بمناصرتهم لنبي آخر الزمان - صلى الله عليه وسلم - .

وقد اضطرُ هؤلاء لأجل حماية القرآن رفع لوائه عالياً خفاقاً إلى الحرمان من كل ألوان الراحة ، وتحولت حياتهم العملية، نتيجةً لذلك ، إلى حياة كلها صبر وكفاح ومشقة وتعب .. وسيعوضهم الله في الآخرة ، بدل تضحيتهم تلك ، بأن يدخلهم جناتٍ لن يعكر صفو عيشهم فيها أي حزنٍ أو ألمٍ إلى الأبد!

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

لُغُوبٌ : إعياء من التعب وفتور.

وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ : يستغيثون ويصيحون بشدة .

إن المنكرين للحق في الدنيا سيعترفون به في الآخرة أتم الاعتراف .. ولكنه لن يغني عنهم يومئذٍ شيئاً ؛ ذلك لأن الاعتراف في الآخرة هو اعتراف الإنسان المقهور ، بينما

الاعتراف المطلوب عند الله هو الاعتراف الاختياري دون الإجباري !.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ ﴾

جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ : خلفاء من كان قبلكم .

مَقْتاً : أشد البغض والغضب والاحتقار .

خَسَاراً : هلاكا وخسرانا.

المراد بالخلافة هنا هو خلافة الأمم والشعوب الغابرة ، وعليه فمعنى قوله : ﴿ جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي استعمركم في الأرض بعد ذهاب الأمم السابقة . وقد جرت سنة الله تعالى بأن يتيح لإحدى الأمم فرصة السكنى والاستقرار والعمل في جنبات الأرض ، ثم إذا أقامت تلك الأمة الدليل على عدم كفايتها وفقدانها للأهلية ، استبدل بها أمة أخرى مكانها . وهكذا ستبقى عملية استخلاف الأمم ، الواحدة تلو الأخرى، جاريةً فوق الأرض، إلى أن يرثها الله ومَنْ عليها !

إن قوانين الطبيعة ، تلك التي تم اكتشافها في العصر الحديث ، تدلنا على أنه يمكن هنا التقاط صورة شيءٍ يغمره ظلام حالك ، وتحويل صوتٍ غير مسموعٍ في ظاهر الأمر بواسطة الآلة إلى صوتٍ مسموعٍ بوضوحٍ ! إن هذه الإمكانات الكامنة في المخلوقات تعرفنا بقدرة الخالق العظيم ، إذْ نعلم منها أن خالق الكون هو إله يعلم الغيب ، وهو يقدر على أن يسمع حتى خبايا القلوب ، وعلى الجملة فإن أمر الإنسان مع إلهٍ عليمٍ وقديرٍ لا يمكنه أن يخفى عنه جرماً، صغيراً كان أو كبيراً ، كما إنه ليس في مقدوره أن يغير قضاءه أو يعدّله بأية حيلةٍ أو وسيلةٍ !!

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾

جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ : خلفاء من كان قبلكم .

مَقْتاً : أشد البغض والغضب والاحتقار .

خَسَاراً : هلاكا وخسرانا .

هل الأصنام والأنداد التي تعبد من دون الله تستطيع خلق شيء ، أو لها نصيب في السماوات والأرض ؟ كلا، والذي يقول بذلك إنما يتبع أهواء نفسه وأمنياتها ، وما ذلك إلا محض كذب وخداع . فإن الله هو خالق كل شيء وهو المتصرف في جميع شئون هذا الكون.

﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾

جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ : مجتهدين في الحلف بأغلظها وأوكدها .

نُفُوراً : تباعدا عن الحق وفرارا منه .

وَمَكْرَ السَّيِّئِ : والمكر السيئ (الكيد للرسول) .

وَلاَ يَحِيقُ : ولا يحيط أو لا ينزل .

فَهَلْ يَنظُرُونَ : فما ينتظرون .

سُنَّةَ الأَوَّلِينَ : سنة الله فيهم بتعذيبهم لتكذيبهم .

كان العرب ، كلما سمعوا أن اليهود وغيرهم من الأمم كذبوا أنبياءهم وعصوا أمر رسلهم ، قالوا بحماسٍ بالغٍ: لو ظهر بيننا نبي لصدقنا به ولأطعناه على أحسن وجهٍ وأكمله.. ولكنه لم يكد يُبعث فيهم نبي حتى ناصبوه العداء !

وهذه النفسية توجد - بشكلٍ أو آخر - في كل الناس .. فما من امرئٍ في هذه الدنيا إلا تجده يتظاهر بأنه محب للحق ، ويدعي أنه إذا ما أتاه أمر صحيح فسوف يذعن إليه ويتقبله دون توقفٍ أو ترددٍ ، ولكن حين يتجلى الحق مصحوباً بأدلةٍ واضحةٍ ساطعة لا سبيل إلى إنكارها ، فإذا به يقابله بالإعراض ، بل وينبري لمعارضته وزرع العراقيل في طريقه .

وسر ذلك أن إنكار الحق ليس من خصوصيات أمةٍ دون أمةٍ ، وإنما هو من خصائص النفس البشرية العامة ؛ فالإيمان بالحق يكون ، في الأعم الأغلب ، مرادفاً للقضاء على كبرياء الذات ، وبما أن المرء لا يريد أن يفقد كبرياءه الذاتي ، لذا فهو لا يكاد يستعد بطبيعة الحال للإيمان بالحق ، ويغيب عن باله أن إنكار الحق ، وإن كان في مقدوره ، إلا أن إنقاذ نفسه من عاقبة إنكار الحق الوخيمة ليس في مقدوره البتة !

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾

كان الإنسان قد منح حرية العمل في هذا العالم ، ولكنه أساء استخدام هذه الحرية،

حيث تبلغ إساءات الإنسان وأخطاؤه من الكثرة إلى حد أنه لو صار يؤاخذ عليها فور اقترافها ، لانقرض النوع الإنساني من الأرض بيد أن حرية الإنسان أتيحت له من أجل الامتحان .. وهذا الامتحان له مهلة معينة ، وتمتد هذه المهلة - بالنسبة للفرد - إلى حين وفاته ، وبالنسبة إلى البشرية جمعاء إلى يوم القيامة ، وذلك هو سر بقاء نسل الإنسان واستمراره على وجه البسيطة .. ولكن كما أن هناك حقيقةً تقول بأن الله لا يؤاخذ أحداً قبل انقضاء المهلة المحددة ، فكذلك ثمة حقيقة أخرى تقول بأنه تعالى سيؤاخذ الإنسان حتماً على أثر انقضاء المهلة المحددة ، ولن يجد أحد ، كائناً من كان ، إلى الهرب من بطشه ومؤاخذته سبيلاً !

سورة يس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ ﴾

من دلائل كون محمد العربي - صلى الله عليه وسلم - رسول الله : هذا القرآن الحكيم الذي عرضه مقراً أنه أوحي إليه من عند الله ، وأما كوْن القرآن "حكيماً" فمعناه : إنه داعٍ إلى الصراط المستقيم ، أي يهدي إلى الطريق الذي هو أقوم الطرق وأصوبها ؛ إذْ ليس في محتوياته شيء يتعارض مع العقل والفطرة ، فبالرغم من مضي أكثر من أربعة عشر قرناً على نزول القرآن ، إلا أن أحداً من الناس لم يستطع حتى الآن إبطال شيءٍ مما جاء بحجة أنه منافٍ للعقل أو الفطرة ، وإن هذه الميزة الفريدة لهي أكبر دليلٍ على كونه كتاباً منزلاً من عند الله العزيز الحكيم.

والمقصود من القوم في قوله : ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا ﴾ بنو إسماعيل ، وإن كل نبيٍ إنما يأتي لإنذار قومه في المقام الأول ، وكذلك كان المخاطبون الأولون لنبي الإسلام بدوره هم أفراد قومه هو ، ولكن بما أن النبوة قد انتهت بعده - عليه الصلاة والسلام - لذلك فما زالت نبوته باقيةً مستمرةً إلى يوم القيامة ، وإنما الفارق هو أنه - عليه الصلاة والسلام - أعذر في حياته إلى بني إسماعيل وأقام عليهم الحجة بصفةٍ مباشرةٍ ، بينما تضطلع أمته بعد وفاته ، نيابةً عنه، بواجب الدعوة والتبليغ والإعذار إلى مختلف شعوب العالم !

﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا

فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾

لَقَدْ حَقَّ القَوْلُ :والله لقد ثبت ووجب العقاب .

أَغْلالاً :قيوداً تشد أيديهم إلى أعناقهم .

فَهُم مُّقْمَحُونَ : رافعوا الرؤوس غاضوا الأبصار

سَداً : حاجزاً ومانعاً .

فَأَغْشَيْنَاهُمْ : فألبسنا أبصارهم غشاوة .

لئن امتلأ عنق المرء أغلالاً وقيوداً ؛ فإن رأسه سيبقى مرفوعاً متجهاً إلى فوق ، بحيث لا يمكنه أن يبصر موضع قدميه . وهذا تمثيل لأولئك المغرورين الذين قد استغرقوا في كبرياء أنفسهم ، لدرجة أنهم لا يكادون يرون أية حقيقةٍ خارج ذواتهم ، وأمثال هؤلاء لا يوفقون للاعتراف بالحق أبداً !

وإن أهم شيءٍ فيما يتعلق بالاهتداء إلى الحق ، هو أن يتوافر في داخل المرء مادة الاعتراف، وأن يكون هو على حذرٍ دائمٍ من لحظة المثول بين يدي رب العالمين، وألا ترضى نفسه الطموح بشيءٍ أقل من الصدق الكلي الشامل، فأمثال هذا هم الذين يندفعون سراعاً وراء الحق إذا تجلّى ، وبالتالي يستحقون عند الله الجزاء الأوفى ، والإنعام الأكبر !!

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾

وَآثَارَهُمْ : ما سنوّه من حسنٍ أو سيئ .

أَحْصَيْنَاهُ : أثبتناه وحفظناه .

إِمَامٍ مُّبِينٍ : أصل بين ، (اللوح المحفوظ)

لقد أثبتت الكشوف العلمية الحديثة أن كل صوتٍ يخرجه الإنسان من فمه يبقى كما هو في "الأثير" في حالة نقوشٍ ، وهكذا كل ما يمارسه الإنسان من عملٍ تنعكس صورته أيضاً بشكل الموجات الحرارية على شاشة الكون وتحفظ إلى الأبد ، وهذا يعني أن حياة كل منا تُصور تصويراً دقيقاً كاملاً كشرائط التسجيل التلفزيونية . وهذه التجربة تدلنا على أنه من الممكن في هذا العالم أن تسجل جميع أعمال الإنسان وأقواله بدقةٍ تامةٍ ، من حيث لا يدري ولا يسعه الحيلولة دونها أو الهرب منها ، ثم يُعاد عرضها عليه في أية لحظة!

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

القَرْيَةِ : أنطاكية .

فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ : فقويناهما وشددناهما به .

تَطَيَّرْنَا بِكُمْ : تشاءمنا بكم .

طَائِرُكُم مَّعَكُمْ : شؤمكم كفركم المصاحب لكم .

أَئِن ذُكِّرْتُم : أين وعظتم تطيرتم .

لعل المراد بالقرية هنا بلاد مصر ، حيث بُعث لإنذار أهلها برسولين اثنين (موسى وهارون) في زمانٍ واحدٍ ، ولكنهم قابلوها بالجحود والإنكار، ثم نهض من بني جلدتهم رجل ثالث أيد الرسولين بحماسٍ ويقينٍ ، وربما يكون المراد بهذا الرجل الثالث هو الرجل المؤمن الذي ذكره القرآن في سورة المؤمن بالتفصيل .

وإن أشد الأشياء مرارةً بالنسبة إلى الإنسان ، مازال يتمثل ، على اختلاف العصور ، في النصيحة تسدى إليه وهي لا تتفق ومزاجه؛ إذْ لا يلبث المرء أن يثور ويمتعض فور سماعه إياها ، وتكون النتيجة أنه لا يكاد يتأمل فيها بذهنٍ هاديءٍ معتدلٍ ، وبدل أن يختبرها من حيث الدليل والبرهان ، يلجأ إلى ترديد أقاويل غير ذات الصلة ضدها ، تحت دواعي العناد والكراهية، وإن اختبار أمرٍ ما والحكم عليه في ضوء الدليل هو لزوم الحد والوقوف عنده . وأما معارضته العمياء بدون دليلٍ ولا برهان فهو تعدٍ ومجاوزة لحدود العقل والشرع!

﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

يَسْعَى : يسرع في مشيه لنصح قومه .

جاء الرجل الثالث - مع ذلك - ووقف إلى جانب الرسولين ، إذْ لابد للمرء ، وهو يشهد معركة الحق والباطل ، من مناصرة الحق لأنه حق ، حتى ولو كان ذلك مرادفاً لمناصرة الضعيف في مواجهة القوي!! وقد قال الرجل الثالث - فيما قال - لقومه : إن هؤلاء المرسلين لا يسألونكم أجراً على دعوتهم ، وهم - إلى جانب هذا - مهتدون.

ونعلم من هذا أن النزاهة أو الإخلاص وحده ليس بدليلٍ كافٍ على كون المرء على الهدى ، بل يجب أن يُختبر كلامه ، بغض النظر عن كونه مخلصاً وحسن النية ، على محك الدليل ، ثم إنه لن يعدّ صواباً إلا إذا ثبت صوابه على محك الدليل !

﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

فَطَرَنِي : خلقني وأبدعني .

لا تُغْنِ عَنِّي : لا تدفع عني .

كان رجل الحق قد أيد المرسلين معرضاً حياته للخطر . وقد كان عمله هذا قيماً لدرجة أنه أدخل بعده إلى الجنة ، وعلى إثر دخوله في الجنة لا يتناول الرجل قومه الظالمين بالذم أو التشنيع ، وإنما يود لو أنهم قد علموا مصيره ، لما تصدوا لمعارضته الحق !!

تلك هي صورة المؤمن الصادق ؛ إذْ لا يزال المؤمن ناصحاً للناس يتمنى لهم الخير على كل حالٍ ، حتى ولو عامله الناس معاملة الجور والعدوان !

﴿ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

صَيْحَةً وَاحِدَةً : صوتا مهلكاً من السماء .

خَامِدُونَ : ميتون كما يخمد النار .

يَا حَسْرَةً : يا ويلاً . أو يا تندماً .

كَمْ أَهْلَكْنَا : كثيراً أهلكنا .

القُرُونِ : الأمم .

لَّمَّا جَمِيعٌ : إلا مجموعون .

مُحْضَرُونَ : نحضرهم للحساب والجزاء .

إن الله - عز وجل - حين يحكم على أمةٍ ما بالهلاك ، فيكفي لذلك أن يحرك الأسباب الأرضية ضدها ؛ ولا يستدعي الأمر أن يستعمل جميع القوى السماوية الجبارة .

لِمَ استهزئ بالرسل على مدار التاريخ ؟ إن جواب ذلك يكمن في لفظ "الاستهزاء" نفسه ؛ فالمستهزئون إنما يستهزئون دوماً بإنسان يبدو لهم حقيراً . وهذا ما حدث مع الأنبياء والمرسلين ، حيث أبى معاصروهم أن يؤمنوا بهم لكونهم اعتبروا شخصياتهم أهون شأناً من أن يتم إعلان الصدق الإلهي على ألسنتهم !!

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

وَفَجَّرْنَا فِيهَا : شققنا في الأرض .

خَلَقَ الأَزْوَاجَ : الأصناف والأنواع .

إن وجود التربة الخصبة على سطح الأرض ، وتوفير الماء والحرارة والهواء بمقادير مناسبة لها ، وكون البذور الملقاة فيها تتمتع بصلاحية النمو الازدهار. وما إلى ذلك مما لا يحصى من عوامل وأسبابٍ معلومةٍ وغير معلومةٍ كهذه؛ تتحول آخر الأمر إلى الحبوب وأنواع الثمار والخضراوات لتكون غذاء الإنسان ، وإن هذا النظام قد وُجد بأكمله من غير أن يوجده الإنسان ، وإنما يتم إيجاده وتصريفه بفضلٍ من الله ورحمته ليس غير ، ولو فكر الإنسان في ذلك ، لامتلأ كيانه كله شكراً وعرفاناً .

ثم إن هذا النظام يتضمن أيضاً آيةً على حقيقةٍ عظمى، حيث تدلنا الدراسات على أن كل شيءٍ من أشياء هذا العالم يسري فيه مبدأ الزوجية، فإذا كان نظام الكون قائماً على هذا المبدأ الذي يفرض على جميع الموجودات أن تكمل نفسها عبر الانضمام إلى أزواجها، فلابد أن يكون لعالمنا الراهن هو الآخر "زوج" يكمّله، وهكذا يثبت نظام الزوجية السائد في العالم الحالي إمكان وقوع الآخرة !

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ : ننزع من مكانه الضوء .

قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ : قدرنا سيره في منازل ومسافات .

كَالْعُرْجُونِ القَدِيمِ : كعود عذق النخلة العتيق .

وَلاَ اللَّيْلُ :ولا آية الليل (القمر) .

سَابِقُ النَّهَارِ : سابق آية النهار (الشمس) .

يَسْبَحُونَ : يسيرون بانبساط .

لكلٍ من الأرض والقمر والشمس مدار معين لا يتخطاه، والكل يتحرك في مداره بدقةٍ فائقةٍ ، ويترتب على هذا الدوران ظواهر شتى ، كتعاقب الليل والنهار على وجه الأرض بانتظامٍ ، وأداء القمر دور "تقويمٍ فلكيٍ" بما يعتريه من زيادةٍ ونقصانٍ .. إلخ . ومع أن هذا النظام لا زال قائماً منذ آلاف القرون ، إلا أنه لم يحدث في سيره أي خللٍ أو اضطرابٍ ولو للحظةٍ واحدةٍ !.

وهذه المشاهدة تعرفنا بقدرة الله اللانهائية ، ولو أن المرء نظر فيها بعين الاعتبار لغمره شعور بعظمة الله الواحد القهار بحيث تنعدم بعدها كل آثار العظمة غير الإلهية من ذهنه تلقائياً !

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ ﴾

ذُرِّيَّتَهُمْ : أولادهم وضعفائهم

الْمَشْحُونِ :المملوء .

فَلاَ صَرِيخَ لَهُمْ : فلا مغيث لهم من الغرق .

إن أرضنا هذه يوجد بها مناطق البر جنباً إلى جنبٍ مع البحار المترامية الأطراف، كما يحيط بنا من فوقنا فضاء رحيب هائل . ولقد أودع الله في هذا الكون إمكاناتٍ لا يعجز

معها المرء عن السفر في أي جزء شاء من هذه الأجزاء الثلاثة ، فهو يستطيع أن يسافر براً وبحراً وجواً على حدٍ سواء.

وإنما يمكن القيام بكل هذه الأسفار تحت التدبير الإلهي، وهي رحمة للإنسان عظيمة لدرجة أنه لو تأمل فيها لطرح نفسه خاشعاً متضرعاً ذليلاً بين يدي الله ، ولما سلك في طريق المعصية والطغيان أبداً !

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ ﴾

إن المرء تتبعه من ورائه أعماله ، وبين يديه يوم الحساب العسير، وكأنما الحياة رحلة من دنيا العمل إلى دنيا الجزاء ، وهذا وضع خطير للغاية ، ولو شعر المرء بخطورته حق الشعور ، لارتعدت فرائصه وجلاً وإشفاقاً، ولكن ما بال الإنسان ، فلا هو يأخذ نفسه بالتأمل والتفكير الجاد ، ولا تكاد آية ما تجعله يفتح عيونه! وإنما هو يظل مشغولاً بتبرير أعماله وتصرفاته عن طريق التأويلات الكاذبة حتى يموت !

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

صَيْحَةً وَاحِدَةً : نفخة الموت .

وَهُمْ يَخِصِّمُونَ : يختصمون في أمورهم غافلين .

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ : نفخة البعث .

الأَجْدَاثِ : القبور .

يَنسِلُونَ : يسرعون في الخروج .

صَيْحَةً وَاحِدَةً : نفخة البعث .

مُحْضَرُونَ : نحضرهم للحساب والجزاء .

إن الذين لا يوقنون بالآخرة يقفون منها موقف اللامبالاة وعدم الاكتراث ، كما لو أنها شيء مستبعد جداً. أما الذين هم أشد افتقاراً إلى الجدية نسبياً بين هؤلاء ، قد تبلغ بهم الجراءة أحياناً إلى حد اتخاذ الآخرة موضوع السخرية والاستهزاء، وسيبقى أمثال هؤلاء الناس غارقين في غفلتهم هذه ، إلى أن تقوم القيامة . وإن القيامة ستأخذهم بغتةً لن يتمكنوا معها من اتخاذ أية إجراءات أو تدابير ضدها .. وقد جاء في الحديث ما معناه: أن إسرافيل مازال ينظر نحو العرش ، واضعاً الصور في فمه ، يرتقب متى يصدر إليه الأمر الإلهي حتى ينفخ فيه! وإن النفخ في الصور شأنه شأن الجرس يدق إيذاناً بانتهاء مهلة الامتحان ، وبعدئذٍ سيعتري نظام هذا العالم تغير مفاجئ شامل ، حيث ستبدأ بعد ذلك مرحلة الجزاء ، بينما نحن الآن نمر بمرحلة العمل !

﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾

شُغُلٍ : نعيم عظيم يلهيهم عما سواه .

فَاكِهُونَ : متلذذون . أو فرحون .

الأَرَائِكِ : السرر في الحجال .

وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ : ما يتمنونه أو ما يطلبونه .

إن المرء لا تواجهه في العالم الراهن النتائج المعنوية لعمله . أما الآخرة فهي المكان الذي يلقى فيه كل أحدٍ من الناس نتائج عمله المعنوية، فالشخص الذي كان قد اقتصر سعيه ونشاطه في الأرض على إحراز المنافع الوقتية وحدها ، سيُبعث في عالم الآخرة الأبدي صفر اليدين تماماً . وعلى نقيضٍ من ذلك فإن الذين كرسوا حياتهم الدنيوية في سبيل الهدف الأسمى، سيفرحون هناك بما ينتظرهم من راحةٍ ونعيمٍ لا يفني . ذلك إلى جانب تكريم الله إياهم بعناياته الخاصة!!

﴿ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

وَامْتَازُوا : تميزوا وانفردوا عن المؤمنين .

أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ : أوصكم . أو أكلفكم .

جِبِلاًّ : خلقا . أو جماعة عظيمة .

اصْلَوْهَا : ادخلوها . أو قاسوا حرها.

الناس في الحياة الراهنة ، يتعايشون - بّرُهم مع فاجرهم - في دنيا واحدةٍ، أما في الحياة القادمة فسوف تفُصل دنيا كلا الفريقين عن دنيا الآخر، فصلاً تاماً ، بحيث يكون عُبّاد الشيطان مع الشيطان ، وعُبّاد الرحمن مع الرحمن. وإنه ليس ثمة أحد يعبد الشيطان باسم الشيطان. ولكن كل عابدٍ لغير الله هو في الحقيقة عابد للشيطان بصورةٍ غير مباشرةٍ ، لأنه إنما يفعل ذلك تحت تزيين الشيطان نفسه .

أثبتت الأبحاث والتجارب العلمية الجديدة أن جلد الإنسان شأنه كشأن إسطوانة تسجيل حساسة ، ترتسم عليه كل الأصوات الصادرة عن المرء ، وأنه يمكن إعادة هذه الأصوات كما هي في أي وقتٍ لاحقٍ . إنها آية تقرب إلى أفهامنا كيف أن جوارح الإنسان (يديه ورجليه) ستأخذ تحكي عليه في الآخرة أخباره وفصول حياته أولاً بأول؟!!

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

لَطَمَسْنَا :لصيرناها ممسوحة لا يرى لها شق .

فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ: ابتدروا الطريق لتجتازوه .

فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ؟: فكيف يبصرون الطريق؟

عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ : في مكان معاصيهم .

وَمَن نُّعَمِّرْهُ : نطل عمره .

نُنَكِّسْهُ فِى الْخَلْقِ :نرده إلى أرذل العمر .

طالما يغترّ الإنسان بما يتمتع به من نعمة العين واليدين والرجلين وغيرها من المواهب والقدرات الأخرى ، فيعدو طورَه ويتمرد على الله فيتجاوز حدوده ، وينتهك محارمه، على حين لو أنه فكرّ ملياً لكفاه هذا الواقع عظةً واعتباراً بأن مواهبه وقدراته تلك ليست من صنعه هو ، بل هي مما أعطاه الخالق إياه ، وإذا كان المعطي إلهاً آخر ، فبإمكانه أن يسترد عطاءه تماماً كما أعطاه .

وبالإضافة إلى ذلك فإن لمحةً سريعةً لهذا الإمكان لا تزال تعرض على الناس بالفعل في صورة الشيخوخة ؛ فالمرء حين يهرم ويبلغ نهاية الشيخوخة ، تنزع منه كل قدراته تلقائياً، حتى إنه ليعود ثانياً من شدة الضعف والاحتياج كما كان أيام طفولته الأولى، غير أن الإنسان غبي بليد الحس، لدرجة أنه رغم مشاهدته كل هذه الأحوال صباح مساء لا يستخلص منها درساً ولا عبرةً !

﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾

لقد كان أسلوب القرآن المعجز يجذب إليه السامعين جذباً ، ومن ثم أخذ معارضوه يحاولون التقليل من تأثيره على الناس قائلين بأنه شعر وليس بكلامٍ إلهي.

غير أن هذه دعوى لا تستند على أساسٍ ، فما يسود القرآن من جوٍ مفعمٍ بالجدية اللامحدودة ، وما يحمل بين طياته من أسمى التعاليم عن معرفة الحق ، ومن كشفٍ لا مثيل له عن حقائق الغيب وأسرار الكون ، وما يوجد بين مضامينه - على اختلاف موضوعاتها - من نظم بديعٍ ووحدةٍ فكريةٍ فذةٍ ، وما يتخلل صحائفه من الإشراقات الربانية وانعكاساتٍ لألوهية الله وجلاله لا توصف ، كل ذلك يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك على أن القرآن كلام أعلى وأرفع من أن يصح وصفه بالشعر الإنساني .

بيد أن الحقيقة إنما يؤمن بها دوماً الأحياء وحدهم .. وهكذا فإن صدق القرآن هو الآخر لن يراه إلا من كان حياً ، وأما الإنسان الميت فلن يوفق لرؤيته أبداً !

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾

وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ : صيرناها لهم مسخرة منقادة لهم .

وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ: والأصنام جند معدون للكفار نحضرهم معهم في النار لعذابهم .

إن الحيوانات الداجنة بمثابة علامات حية تدلنا على أن صانع العالم المادي قد صنعه بحيث يستطيع الإنسان أن يقوم بتسخير موجوداته واستغلالها بشتى الوجوه ، وعلى أساسٍ من صلاحية العالم المادي هذه يقوم بناء الحضارة الإنسانية بأكمله ، ولو كان الحصان والثور هما الآخران من وحشية الطبع والغريزة حيث تكون الدببة والذئاب ، أو كان الحديد والبترول وراء مقدرة الإنسان تماماً ، كما هو شأن المواد البركانية الدفينة تحت الأرض ؛ إذن لاستحال رقي الحضارة الإنسانية وتطورها كل الاستحالة .

وإن الخالق الذي أسدى هذه النعم الجليلة ، كان ينبغي على الإنسان أن يشكر له وحده ، ويفرده بالعبادة من غير شريكٍ ، ولكنه يتخذ من الآخرين دونه آلهةً ، وإذا ذُكر فلا يتذكر ، بل لا يكاد يلقى إلى التذكير والنصيحة بالاً ، وهذا بدون شكٍ هو الطغيان الأكبر ، وليس بإمكان أحدٍ يرتكبه أن ينقذ نفسه من مصيره المحتوم على أية حالٍ !

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

هُوَ خَصِيمٌ : مبالغ في الخصومة بالباطل .

وَهِيَ رَمِيمٌ : بالية أشد البلى .

بَلَى : هو قادر على خلق مثلهم .

مَلَكُوتُ : هو الملك التام .

ليس الإنسان خالق نفسه ، وإنما هو مخلوق الخالق المبدع بلا جدالٍ ، وهذا الواقع كان يقتضي أن يتصف الإنسان بصفة التواضع والخضوع، ولكنه طالما ينحرف عن منهج الواقعية ، ويثير مناقشات تتنافى مع حيثيته المتواضعة العاجزة ..

إن خلق الإنسان والكون للمرة الأولى يكفي في حد ذاته للبرهنة على أن عملية الخلق هذه يمكن إعادتها مرة أخرى ، ولكن الإنسان يتعامى عن هذا البرهان الجلي الصارخ ويتساءل جدلاً كيف سيعود الميت حياً من جديد؟! ومع أن حادث تحول الإنسان الميت ثانيةً إلى إنسانٍ حي يقع - ولا ريب - يوم القيامة ، غير أن هذا الإمكان يبدو لنا اليوم جلياً في الأشياء الأخرى ، فلننظر إلى الشجر مثلاً : إن الشجر يكون في ظاهر الأمر أخضر ، ولكنه حين يقطع ويحرق أخشاباً ، فيتخذ شكلاً مختلفاً عن حالته

الأولى كل الاختلاف : يُسمى النار!

إن تحول شيءٍ إلى شيءٍ آخر واقعة ثابتة لا تحتاج إلى مزيد برهانٍ ، وقد جعلها الله بالنسبة إلى بقية الأشياء ممكنة الحدوث والتكرار في عالمنا الراهن. وأما بالنسبة إلى الكائن البشري ، فإنه تعالى سيجعل ذلك ممكناً في يوم القيامة، إلا أنه لن يكون لأجل الإرغام على الإيمان ، بل لمجازاة الإنسان على عناده وطغيانه !!

سورة الصافات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥ ﴾

وَالصَّافَّاتِ صَفاً : قسم بالجماعات تصطف للعبادة .

فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً : تزجر عن المعاصي بالأقوال والأفعال .

فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً : تتلو آيات الله للعلم والتعليم .

إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ : جواب القسم .

من جملة الحقائق الغيبية التي أخبر عنها الأنبياء الكرام وجود الملائكة . وقد ذُكرت هنا ثلاث وظائف خاصة بالملائكة . أما أولاها: فهي تتمثل في خضوعهم التام وانقيادهم الكلي لمشيئة الله ، حيث إنهم لا يزالون يقفون في جناب الله تعالى صفوفاً ، وهم على أتم الاستعداد لامتثال أمره ، دون أن يخطر ببالِ أحدٍ منهم خاطر العصيان أو التمرد عليه أبداً .

ومن الملائكة : طائفة أخرى تقوم بتنفيذ العقوبات الإلهية على الناس ، إما بشكل النوازل والآفات والنكبات أو بأي شكلٍ آخر سواها .

وأما ثالث الوظائف المنسوبة إلى الملائكة هنا: فهي أنهم يتنزلون بذكر الله وموعظته على قلوب عباد الله ؛ في صورة الإلهام أو الإلقاء بالنسبة إلى البشر العاديين ، وفي صورة الوحي بالنسبة إلى الأنبياء والمرسلين !.

إن الله هو مالك هؤلاء الملائكة الذين لا يراهم الإنسان ، كما أنه تعالى هو مالك هذه السماوات والأرض التي يراها الكل رأي العين . وفي حالة كهذه فإن كل ما يُتخذ من دون الله الواحد إلهاً سيكون هو إلهاً لا يستحق أن يؤلّه أو يُعبد إطلاقاً! .

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠ ﴾

شَيْطَانٍ مَّارِدٍ : متمرد خارج عن الطاعة .

وَيُقْذَفُونَ : يرجمون .

دُحُوراً : إبعادا وطرداً .

عَذَابٌ وَاصِبٌ : دائم لا ينقطع .

خَطِفَ الخَطْفَةَ : اختلس الكلمة مسارقة بسرعة .

شِهَابٌ : مايرى كالكواكب منقضا من السماء .

ثَاقِبٌ : مضيء أو محرق .

ربما يكون المراد بـ "السماء الدنيا" هو هذا الجزء من الفضاء الذي يقع قريباً منا نحن البشر ، والذي يمكننا أن نشاهده بالعيون المجردة من غير استعانةٍ بأية وسائط أو آلاتٍ .

وكما أن الإنسان كائن مختار ، فكذلك يتمتع الجن بحرية الاختيار ، ومن ثم فهم يحلقون في أجواء الفضاء في محاولة التوصل إلى الملأ الأعلى (العالم العلوي) كي يستمعوا - خلسةً ومسارقةً - إلى أخبار المستقبل ، غير أن الله - جلّت قدرته - قد اتخذ

في السماء الدنيا تدابير محكمة لدرجة أنهم لا يكادون يقتربون منها حتى يُطردوا خائبين، ولا تسنح لهم فرصة للوصول أو الاستماع إلى الملأ الأعلى !

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

طِينٍ لَّازِبٍ : ملتزق بعضه ببعض .

وَيَسْخَرُونَ : يهزأون ويتعجبون .

يَسْتَسْخِرُونَ : يبالغون في سخريتهم .

دَاخِرُونَ : صاغرون أذلاء.

إن هذا الكون الذي يمتد أمام أبصارنا يبلغ من الدقة والتعقيد والعظمة والاتساع حداً يبدو بجانبه إعادة خلق البشر في عالم آخر عملاً هيناً صغيراً نسبياً، إذْ كيف يستحيل أو يُستبعد على خالقٍ نشاهد الأنموذج الأعظم من قدرته على الخلق والإبداع؛ أن يقوم بعملية إبداعية أصغر من ذلك بكثير؟!

ومن تحليل الجسم الإنساني ندرك أنه علم على مزيج من الأجزاء الأرضية ، حيث تم تكوين الإنسان من تركيب المواد أو العناصر المتوافرة في أرضنا كالماء ، والكالسيوم ، والحديد ، والصوديوم ، والتنجستين ، وما إلى ذلك، وكل هذه العناصر توجد في هذا العالم بمقادير هائلةٍ جداً ، إذن ، فالعناصر التي أنشأ الخالق بتركيبها هذا الإنسان مرةً واحدةً ، كيف لا يستطيع أن يفعل ذلك بإعادة تركيب هذه العناصر نفسها مرةً

أخرى؟!

﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ : صيحة واحدة (نفخة البعث)

يَا وَيْلَنَا : يا هلاكنا أحضر .

يَوْمُ الدِّينِ : يوم الجزاء والحساب .

وَأَزْوَاجَهُمْ : أشباههم . أو قرناءهم .

وَقِفُوهُمْ : احبسوهم في موقف الحساب .

يساق الحديث عن الحياة القادمة في العالم الراهن كما يُساق خبر من الأخبار . ولكن المرء لا يلقى إلى هذا الخبر بالاً ولا يعطيه أهميةً تُذكر ، وأما إذا فوجئ الناس بالحياة القادمة، وقد استحالت حقيقةً قاسيةً لا مندوحة عنها ، فسوف لا يلبث المرء يومئذٍ أن يلقى بنفسه بين يدي الله خاضعاً مستسلماً ناسياً كل عناده وطغيانه. وإنه سيكون مشهداً فظيعاً مروعاً لا يوصف. وقد سُلطت بعض الأضواء على ما سيؤول إليه حال الناس يومئذٍ في ساحة المحشر في الآيات التالية .

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾

فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾

عَنِ اليَمِينِ : من جهة الدين فتصدوننا عنه.

قَوْماً طَاغِينَ : مجاوزين الحد في العصيان .

فَحَقَّ عَلَيْنَا : ثبت ووجب علينا .

فَأَغْوَيْنَاكُمْ : فدعوناكم إلى الغي فاستجبتم .

هذا حوار بين العوام (الأتباع) والقادة (المتبوعين) ، ففي يوم القيامة سوف يلقي العوام بتبعة هلاكهم وضياعهم على قادتهم قائلين : إنكم أنتم الذين أغويتمونا بشتى وسائل الإغواء والتضليل .. وسيرد عليهم القادة بقولهم: إن اتهامكم هذا خاطئ ، إذْ لا يغوي أحد أحداً ، وإنما كانت أنفسكم منطويةً على مزاج التمرد والطغيان ، وبالتالي فقد استجبتم لنا واتبعتمونا لكون كلامنا يتفق مع مزاجكم ، والواقع أن استجابتكم إنما كانت أساساً لأهوائكم وليست لنا .. إذن فكلنا في الجريمة سواء .

والحقيقة أن كلا الفريقين - القادة والأتباع - سيلاقون يوم القيامة مصيراً مشتركاً واحداً ، فلن تتمكن عظمة القائد من إنقاذه من العذاب ، ولن ينجي العوام اعتذارهم : إننا كنا جهلة ، وإنما أضلنا قادتنا عن سواء السبيل !.

﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

ليس معنى قوله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ أنهم

كانوا يقفون موقف الاستكبار إزاء الله .. إذْ لا أحد يفعل ذلك فإن عظمة الله أجل وأكبر من يجترئ أحد على التعالي والاستكبار تجاهه ، وإنما كان استكبارهم في الحقيقة بالنسبة إلى رسول الله وليس بالنسبة إلى الله تعالى !.

وحيث إن رسالة التوحيد التي جاء بها الرسول كانت تمثل ضربة موجهةً نحو أكابرهم أولئك الذين كانوا يمارسون أعمالهم المشركة بأسمائهم ؛ فإذا قارنوا بين شخصية الرسول -من ناحيةٍ - وبين أكابرهم المزعومين - من ناحيةٍ أخرى - بدا لهم الرسول في ظاهر الأمر أقل وأنزل رتبةً من أكابرهم ، وكانوا بالتالي لا يلبثون أن يعرضوا عن الرسول ازدراءً واستهانةً بشأنه . وكانوا يظنون باستمرارهم على التشبث بأهداب أكابرهم المزعومين ، أنهم مرتبطون بالكبار .

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾

الْمُخْلَصِينَ : الذين أخلصهم الله لطاعته .

بِكَأْسٍ : بخمر . أو بقدح فيه خمر .

مِن مَّعِينٍ : من شراب نابع من العيون .

لاَ فِيهَا غَوْلٌ : ليس فيها ضرر ما كخمر الدنيا .

قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ : حور لا ينظرن إلى غير أزواجهن.

عِينٌ : واسعات العيون حسانها .

بَيْضٌ مَّكْنُونٌ :مصون مستور لم يصبه غبار .

الذين سيقيمون بأقوالهم وأعمالهم الدليل على أنهم أهل للسكنى في عالم الجنة اللطيف النفيس ، سوف يختارهم ربهم للإسكان في جنته، وسوف يوفر لهم هناك كل أنواع النعم الرفيعة، ثم يقال لهم : عيشوا في حدائق اللذات والراحات خالدين أبد الدهر!.

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

لَمَدِينُونَ : لمجزيون محاسبون ؟

سَوَاءِ الجَحِيمِ : وسطها .

إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ : إنك قاربت لتهلكني بالإغواء .

المُحْضَرِينَ : للعذاب مثلك .

إن الجنة ستكون عالماً حافلاً بأنشطةٍ لطيفةٍ وممتعةٍ للغاية ؛ حيث ستكون هناك اجتماعات يسودها الأنس والمودة والصفاء ، ومشاهدات رائعة تبعث البهجة والسرور في النفس ، وسيدور بين أصحابها أحاديث وأسمار لذيذة هادئة ؛ إذْ ستكون كل ألوان القيود والحدود قد ألغيت هناك ، وكل أنواع المنغصات قد انعدمت وتلاشت إلى غير

رجعةٍ.

وليس المراد من الإيمان بالآخرة إقرارها اللفظي بسهولةٍ ، وإنما اعتبار أمرها من الأهمية والخطورة بحيث يطغى ذلك على حياة المرء بأكملها ، وبالتالي يسخِّر المرء كل ما يملك في سبيل الآخرة ، والذين كانوا يعتبرون محبي الآخرة مجانين أو مغفلين ، سوف يتملكهم الذهول حين يرون فوزهم ونجاحهم الباهر في الآخرة، ومن جهةٍ أخرى سينظر المحبون للآخرة إلى مصيرهم الرائع نظرة ملؤها الدهشة والإكبار ، كما لو أنهم غير متأكدين من أن الله كافأهم على عملهم الصغير بهذا الجزاء الكبير .. ما أعجب ذلك الإنسان الذي لا يحترق شوقاً إلى جنةٍ هذا شأنها ، والذي لا يعمل جهده لأجل الحصول عليها !!

﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾

خَيْرٌ نُّزُلاً : ضيافة وتكرمة ولذة .

شَجَرَةُ الزَّقُّومِ : شجرة من أخبث الشجر بتهامة .

فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ : محنة وعذاباً لهم في الآخرة .

أَصْلِ الجَحِيمِ : قعر جهنم .

طَلْعُهَا : ثمرها الشبيه بطلع النخل .

كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ : تمثيل لتناهيه في البشاعة والقبح .

لَشَوْباً : لخلطا ومزاجاً .

مِنْ حَمِيمٍ : ماء بالغ غاية الحرارة .

عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ : يزعجون ويحثون على الإسراع الشديد على آثارهم .

لقد جاء في القرآن غير مرةٍ أن في جهنم شجرة من زقومٍ ، سيأكل أهل جهنم من ثمارها إذا اشتد بهم الجوع . (الدخان : ٤٢ ، الواقعة: ٥٢) .

ولما أخبر القرآن بذلك اتخذه قدماء العرب موضوع التندر والسخرية ، فقال أحد الرؤساء : كيف ستنبت الشجرة وسط نيران جهنم الملتهبة ، بينما النار تحرق الشجر ؟ وقال آخر : إن محمداً يحذرنا من الزقوم ، وإنما هو في لغة البربر التمر والزبد . وذات يومٍ ذهب أبو جهلٍ ببعض الناس إلى داره ، فنادى جاريته بأن ائتيني بالتمر والزبد ، فلما أحضرت ، قال لأصحابه : "تزقموا ، هذا ما يخوفنا به محمد "[1].

وقد كانت مثل هذه التصريحات القرآنية أفضل وسيلةٍ يستغلها المعارضون للدعاية المغرضة ضد القرآن وتشكيك الجماهير في شأنه ، وقد كان بالإمكان ألا يستعمل الله - سبحانه وتعالى - في القرآن أية كلمةٍ يجد فيها المعارضون مأخذاً أو موضوع الطعن والانتقاص ، غير أن الله سبحانه لم يفعل ذلك . وسر ذلك أن هذا هو المكان الذي يتم فيه امتحان المرء ، فلكي يدخل المرء في عداد الناجين لابد له من أن يقيم الدليل على أنه قد ركز اهتمامه على الحقيقة الجوهرية بغض النظر عن المطاعن والمآخذ ، وأدرك المراد الحقيقي من الكلام مع اجتياز مزالق سوء الفهم بسلامةٍ ، وجنّب نفسه الانحراف

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٣/ ٤١.

الذهني رغم توافر إمكاناته .

إن عباد الله "المخلصين" هم الذين يكتشفون الصدق متحررين من أسر الدين التقليدي الموروث ، ويدركون المعاني مترفعين عن الظواهر، والذين يتعرفون على مندوب الله البشري ، وبالتالي يقفون إلى جانبه بكل ما عندهم من همةٍ ونشاطٍ !

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾

لم يلبث قوم نوح أن صاروا له أعداء ، فنادى - عليه السلام - ربه طالباً نصرته على قومه ، فنصره الله على أفضل وجه وأكمله، وتوضح هذه الكلمات أن عبداً من عباد الله حين ينادي ربه ، فيتلقى من لدنه تعالى أحسن الجواب . ولكن لكي نفهم هذا الأمر على وجهه لابد أن نضيف إليه أمراً آخر، وهو أن نوحاً - عليه السلام - استمر يعمل ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً ، ظل فيها يدعو قومه إلى الله ، متحلياً بالصبر والحكمة ، ومراعياً كل آداب النصح والموعظة الحسنة ، وهكذا بعد مضي حقب طويلة من الزمان حافلة بالجهد الدءوب والعناء المتصل ، حان الوقت الذي لم يعد يسعه فيه إلا أن يدعو الله على قومه ، وبالتالي تتوجه عناية الله إلى نصره بكل قواه .

وقد هلك معارضو نوح في طوفانٍ هائلٍ بحيث لم يبق لهم ذكر ولا أثر. وأما نسل البشر الذي بدأ في أعقاب ذلك بالتكاثر ، فإنما جاء من ذرية أولئك الأفراد القلائل الذين ركبوا في السفينة مع نوحٍ فنجوا من الغرق !

﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ

وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

مِن شِيعَتِهِ : ممن شايعه على منهاجه وملته .

أَئِفْكاً : أكذباً وباطلاً.

كان سيدنا إبراهيم هو الآخر على الدين نفسه الذي كان عليه سيدنا نوح من قبل؛ فقد ظلت دعوة جميع الأنبياء والمرسلين ، على اختلاف الزمان والمكان ، واحدةً ، ألا وهي أن يصل المرء إلى ربه وهو يحمل بين جنبيه قلباً سليماً . والقلب السليم معناه القلب الطاهر ، أي القلب المصون من الآفات . وهذا هو الشيء الأصيل الذي يطلبه الله من الإنسان.

لقد بعث الله بالإنسان إلى الدنيا بعد أن خلقه على الفطرة الصحيحة . واختباره الآن يكمن في أن يجنب نفسه فتن الدنيا ومغرياتها ، حتى يلقى ربه وهو منزّه نقي من كل دنسٍ أو لوثةٍ شيطانية ونفسانيةٍ . وإن هذا الإنسان الطاهر المصون هو الذي يسكنه الله وأمثاله في جنانه الأبدية!

﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

فَنَظَرَ : تأمل تَأَمُّل الكاملين .

إِنِّي سَقِيمٌ : يريد أنه سقيم القلب لكفرهم .

فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ : فمال إليها خفية ليحطمها .

ضَرْباً بِالْيَمِينِ : يضربهم ضرباً ملتبسا بالقوة .

يَزِفُّونَ : يسرعون في مشيهم .

بِغُلامٍ حَلِيمٍ : رجح كثير أنه إسماعيل عليه السلام.

ربما كان قوم إبراهيم يتهيأون للذهاب إلى خارج البلدة لأجل الاحتفال ببعض أعيادهم ، وبالمناسبة طلب منه - عليه السلام- أهل أسرته أن يخرج معهم هو الآخر، إلا أنه اعتذر إليهم عن ذلك بأسلوب التورية . ولما ذهب جميع الناس ، توجه ليلاً صوب معبدهم ، وحطّم أصنامهم ، وإنه - عليه السلام- لم يقدم على هذا إلا بعد ما استنفد كل جهوده في دعوة القوم إلى الحق وأقام عليهم الحجة، ولما لم يقتنعوا بكون الأصنام باطلةً عن طريق الأدلة والبراهين ، أعلمهم بلسان العمل بأنها باطلة لا حقيقة لها ؛ إذْ لو كانت لها حقيقة ما لأنقذت نفسها من التحطم تحت ضربات المعول !.

وبعد قيامه - عليه السلام- باتخاذ هذه الخطوة النهائية الحاسمة ، لم يلبث القوم أن رموه بآخر سهامهم ، حيث ألقوه في النار المستعرة ، ولكن الله أنقذه منها سالماً، وقد اضطر بعد ذلك إلى الفرار من قومه ، فغادر وطنه (العراق) ورحل إلى الشام ، ويتردد على لسانه آنذاك الدعاء التالي : اللهم ارزقني أولاداً صالحين ، حتى أقوم بتربيتهم على معاني الإيمان والإسلام ، لكي يضطلعوا من بعدي بأعباء دعوة التوحيد ويستمروا في إبلاغها إلى الأجيال اللاحقة!

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ

قَالَ يَٰٓبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾

بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ : درجة العمل معه في حوائجه .

أَسْلَمَا : استسلما وانقادا لأمره تعالى .

وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ : أضجعه على جبينه على الأرض .

البَلاءُ المُبِينُ : الاختبار البين . أو المحنة البينة .

بِذِبْحٍ : بكبش يذبح .

لقد غلب الشرك في زمن سيدنا إبراهيم وسرى نفوذه في كل شعبةٍ من شعب الحياة البشرية بحيث قام له تسلسل فكري عبر الأجيال المتعاقبة، فما من مولود يولد في ذلك الزمان إلا ترسخت جذور الشرك في أعماقه بتأثير البيئة المحيطة به ، لدرجة أن أية محاولات دعوية لم تعد تنجح في تنقية ذهنه من آثار الشرك ، ولما خرج سيدنا إبراهيم، بعد كفاحٍ دعوي طويلٍ من أرض العراق ، لم يكن معه حينذاك سوى مؤمنين اثنين : أحدهما زوجه سارة ، والآخر ابن أخيه لوط!!

ولما كان الناس يأبون قبول التوحيد على كثرة دعوات الأنبياء وطول مداها ، شاءت إرادة الله أن يضع خطةً لإعداد نسلٍ جديدٍ من البشر ينشأ بمعزلٍ عن مؤثرات بيئة

الشرك ، وقد اختير لهذا الغرض منطقة الحجاز النائية التي كانت غير مسكونةٍ تماماً ، وكانت تتلخص هذه الخطة الإلهية في أن يتم إسكان شخصٍ في تلك المنطقة غير المأهولة ، ويُعد من أعقابه وذريته نسل محفوظ نقي، غير أن الحجاز لم يكن يعدو أن يكون صحراء مجدبة حينذاك ، فكان إسكان أحد الناس في هذه الصحراء المجدبة مرادفاً لذبحه حياً .. وقد أمر الله خليله إبراهيم بأن يقدم ابنه البكر إسماعيل لهذا الذبح، فما لبث أن أحضر ولده للذبح امتثالاً لأمر الله.. فكأن إسماعيل تعرض للذبح مرتين وقد نجاه الله فيهما!!

وكان لسيدنا إبراهيم ولد آخر هو سيدنا إسحاق - عليه السلام - وقد ظلت النبوة مستمرةً في نسله إلى أن وُلد النبي الخاتم في بني إسماعيل ، وهو الذي فجر - باستخدام "النسل المحفوظ" الآنف الذكر ثورة توحيديةً عامةً قضت على غلبة الشرك الفكرية إلى الأبد!!

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

لقد نصر الله موسى وقومه ونجاهم من ظلم فرعون . والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : كيف تم ذلك؟ إنما تم ذلك عن طريق الدعوة إلى الله ، حيث دعا موسى فرعون إلى الحق ، وبذل في هذا السبيل قصارى جهده حتى أعذر إليه وأقام عليه الحجة . وبعدئذٍ حان الوقت الذي لم يعدْ فيه بد من أن يُدان فرعون ويهلك ، ويكتب لموسى وقومه الغلبة والتمكين في الأرض، ومما يُستفاد من هداية الصراط المستقيم في

هذا السياق أنه قد وُفقوا إلى الحل الصحيح لقضية فرعون .. وبالرغم من أنها كانت قضية قومية بالنسبة إلى بني إسرائيل ، إلا أنهم أُرشدوا إلى حلها في إطار الدعوة ؛ ومن ثم فإن الغلبة التي حصلوا عليها إنما جاءت ثمرة كفاحهم الدعوي ، وليس نتيجة أي نضالٍ قومي ضد الطاغية فرعون !.

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾

أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ : أتعبدون الصنم المسمى بعلاً تحضرهم الزبانية في النار .

إِلْ يَاسِينَ : إلياس أو إلياس وأتباعه .

كان إلياس - عليه السلام - من نسل هارون - عليه السلام - عاش في القرن التاسع قبل المسيح وفي عهده كانت فلسطين يحكمها الملك اليهودي أخآب (Ahab) ، وكانت لبنان خاضعةً لحكومة الشعب الفينيقي ، الذي كان شعباً مشركاً يعبد صنماً يقال له: "بعل" . وقد تزوج أخآب من ابنة الملك المشرك ، وبتأثيرٍ من هذه الأميرة المشركة انتشرت عبادة الصنم بعل بين اليهود، وعندها قام إلياس يحذر اليهود مغبة انحرافهم ، ودعاهم إلى عبادة الله الواحد ؛ دين آبائهم وأسلافهم الحقيقي. وقد ذُكرت أحوال سيدنا إلياس (باسم إيليا) في أسفار التوراة .

ولم يقف إلى جانب إلياس - عليه السلام - في زمانه سوى عددٍ قليلٍ من اليهود ، بينما وقفت أغلبيتهم الساحقة منه موقف الجحود والمعارضة ، حتى تآمروا على سفك

دمه .. فأذاقهم الله جزاء ذلك شتى العقوبات ، على أن إلياس لم يلبث أن نال مقاماً رفيعاً جداً لدى اليهود فيما بعد ؛ حيث إنه يُعد الآن من كبار الأنبياء في تاريخ الشعب اليهودي!

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾

فِي الغَابِرِينَ : في الباقين في العذاب .

دَمَّرْنَا الآخَرِينَ : أهلكناهم .

مُّصْبِحِينَ : داخلين في وقت الصبح .

كان سيدنا لوط ابن أخٍ لسيدنا إبراهيم - عليهما الصلاة والسلام - وقد أُرسل إلى قريتي سدوم وعاموره قرب البحر الميت لهداية أهلهما الذين كانوا مصابين بعبادة غير الله وسوء الأخلاق ، غير أنهم لم يتقبلوا الهداية ، فما لبثوا أن حل بهم آخر الأمر عذاب الله ، فأهلكوا عن آخرهم ما عدا لوطاً ونفراً قليلاً من الذين آمنوا به .

وقد كانت قريش كثيراً ما تمر قوافلها التجارية ، وهي في طريقها إلى بلاد الشام وفلسطين ، بأطلال مساكن قوم لوط الواقعة على شواطئ البحر الميت ، ولكن من

عجائب أمر الإنسان أنه لا يعرف إلا الحادث الذي يقع على نفسه هو، أما مصائر الآخرين فقلما يأخذ منها درساً أو ينظر فيها بعين التدبر والاعتبار !

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾

أَبَقَ: هرب .

المَشْحُونِ : المملوء .

فَسَاهَمَ : فقارع مَنْ في الفلك.

المُدْحَضِينَ : المغلوبين بالقرعة .

فَالْتَقَمَهُ الحُوتُ : ابتلعه .

وَهُوَ مُلِيمٌ : آت بما يلام عليه .

المُسَبِّحِينَ : الذاكرين الله كثيراً بالتسبيح .

فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ : طرحناه بالأرض الفضاء الواسعة .

يَقْطِينٍ : هو القرع المعروف وقيل غيره .

يرجع عهد يونس - عليه السلام - إلى القرن الثامن قبل المسيح ، وقد أرسله الله إلى نينوى - إحدى مدن العراق القديم - فمكث هناك يدعو أهلها إلى الحق مدةً من الزمان ،

حتى يئس من إيمانهم ، فغادر المدينة ولم ينتظر أمر الله بمفارقة قومه . ولعله حين أزمع الرحيل قصد نحو شاطئ دجلة ، حيث ركب في سفينة كانت مكتظةٍ بالمسافرين ، فلم تكد السفينة تتوسط النهر حتى اضطربت وكادت أن تغرق ، فاضطر ركابها أن يقترعوا على من يُلقى في البحر منهم ، فخرجت القرعة على يونس وألقوه في الماء ، فابتلعه - بإذن الله - حوت عظيم، ثم نبذه بالساحل بعدما لبث في بطنه ما شاء الله أن يلبث .. وبم أن يونس - عليه السلام - كان قد ترك قومه قبل الآوان ، أمره الله بأن يعود مرةً أخرى إلى قومه ، فجاء ، واستأنف دعوته ، ولم يلبث حتى آمن به جميع سكان المدينة البالغ عددهم أكثر من مائة ألف نسمةٍ .. وهذا يفيد أن الداعي لابد له من التزام الصبر على كل حالٍ ، حتى في الوقت الذي يكون سلوك الناس قد صار في ظاهر أمره باعثاً على اليأس !

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

إِفْكِهِمْ : كذبهم على الله .

أَصْطَفَى ؟: اختار ؟ (استفهام توبيخ) .

سُلْطَانٌ : حجة وبرهان .

إن ترغيب الشيطان أو تفسير البشر الخاطئ لحقائق الغيب كثيراً ما يؤدي إلى انحرافات فكرية وضلالات عقيدية عظيمة ، ومنها ما يعتقده بعض الناس أن الملائكة بنات الله ... ، إن هذا زعم سخيف باطل لا يستند على أساسٍ من العقل أو النقل،

وحسبك دليلاً على بطلانه بأمرٍ بديهي وهو أنه لو كان الله - فرضاً - بحاجةٍ إلى الولد لمساعدته ، لاتخذ لنفسه الذكور دون الإناث التي هي رمز للضعف حتى لدى المشركين أنفسهم !!

﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾

الجِنَّةِ : الملائكة ، أو الشياطين .

إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ : إن الكفار لمحضرون للنار .

عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ : مضلين أو مفسدين على الله أحداً.

صَالِ الجَحِيمِ : داخلها أو مقاسِ حرها .

الصَّافُّونَ : أنفسنا في مقام العبادة .

المُسَبِّحُونَ : المنزهون الله تعالى عما لا يليق بجلاله .

تعتقد الأمم الضالة عن الجن أنهم أنداد ومنافسون لله سبحانه وتعالى ؛ حيث تزعم أن الجن يملكون قوى الشر كما يملك الملائكة قوى الخير ، وأن كلاهما قادر على أن يجرّ من شاء إلى هوة الشقاء والتعاسة ، ويقود من شاء إلى طريق النجاح والسعادة، كشأن المجوس القائلين بالثنوية ؛ أي بوجود مبدأين أو إلهين اثنين: أحدهما "أرْمُزد" وهو - في زعمهم - إله النور والخير ، وثانيهما "أهريمان" وهو إله الظلمة والشر .

إن الإنسان يؤله الملائكة ويعبدهم في الدنيا بناءً على افتراضاته الكاذبة ، بينما الملائكة

لا يزالون يقفون بين يدي الله الواحد القهار صفوفاً كالخدم المطيعين ، وألسنتهم لا تفتأ تلهج بتكبير الله الواحد وتسبيحه كل حينٍ وآنٍ !

﴿ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ ﴾

الناس يهملون أمر دعاة الحق بعد الاكتراث ، ويغيب عن بالهم أن دعاة الحق هم جنود الله في هذه الدنيا ، وأن كلمتهم تعلو على كل حالٍ ، مهما اشتدت معارضة المعارضين لها ، ومهما وضعوا في طريق انتشارها من صنوف العراقيل !

﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾

بِسَاحَتِهِمْ : بفنائهم . والمراد .بهم .

رَبِّ العِزَّةِ : الغلبة والقدرة والبطش .

كان الرسول ينذر الناس قائلاً بأنكم لئن لم تؤمنوا بما جئتكم به،حل عليكم عذاب من الله شديد .. بيد أن الناس ما برحوا يعتبرون هذا القول ضرباً من اللغو أو الهذيان ، فظلوا يسخرون منه ومن قائله .

ولكن بالرغم من سخرية الناس واستهزائهم لم ينزل عليهم العذاب فوراً ، لأن العذاب الإلهي لابد له من قيام الحجة وبلوغ الدعوة إلى حد انقطاع العذر ، ولهذا

السبب يؤمر الأنبياء بالصبر والإعراض حتى يأتي الأجل المقدور بحسب العلم الإلهي !

سورة ص

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ ﴾

وَالْقُرْآنِ : (قسم) جوابه ما الأمر كما تزعمون .

ذِي الذِّكْرِ : ذي البيان لما يحتاج إليه في الدين .

عِزَّةٍ : حمية وتكبر عن الحق .

وَشِقَاقٍ : مشاقة ومخالفة لله ولرسوله .

كَمْ أَهْلَكْنَا : كثيرا أهلكنا .

قَرْنٍ : أمة . **فَنَادَوْا** : فاستغاثوا حين عاينوا العذاب .

وَ لاَ تَ حِينَ مَنَاصٍ : ليس الوقت وقت فرار وخلاص .

حيث إن التذكير إنما يتم بشيءٍ يكون موجوداً بالفعل بصورةٍ مسبقةٍ ، فيكون معنى كون القرآن "ذي الذكر" أي مذكراً أنه يدعو إلى التسليم بتلك الحقائق التي هي مودعة في فطرة الإنسان سلفاً ، وإنه لم يكن لأحد الناس أن يعثر في القرآن على شيءٍ يتعارض مع الواقع أو ينافي الفطرة ، وهذا بحد ذاته دليل كاف على أن القرآن حق لاريب فيه ، والذين يأبون الإيمان بالقرآن فمن المؤكد أن الباعث على إنكارهم نفسي وليس بعقلي، أي إنهم لا ينكرونه استناداً إلى دليل أو برهان ، بل لأن كبرياءهم يزول فيما لو آمنوا به .

وإن القرآن ليس إلا امتداداً لدعوة التوحيد تلك التي ظلت جاريةً على أيدي

الأنبياء فيما خلا من العصور ، وكلما قابل قوم هذه الدعوة بالتكذيب والإنكار في الأزمان الغابرة ، لم يلبثوا أن أهلكوا وجُعلوا أحاديث ، وينبغي لمنكري الحال أن يعتبروا بهذا المصير المحتوم الذي لقيه منكرو الماضي !

﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ ﴾

عُجَابٌ : بالغ الغاية في العجب .

المَلأُ مِنْهُمْ : الوجوه من كفار قريش .

امْشُوا : سيروا على طريقتكم ودينكم .

المِلَّةِ الآخِرَةِ : دين قريش الذي هم عليه .

اخْتِلاقٌ : كذب وافتراء منه .

كان القرآن - من جهةٍ - بأسلوبه الفذ وكلامه البليغ المؤثر على نحوٍ غير عادي ، يصيب المعارضين بذهولٍ واندهاشٍ بالغين ، وكان مظهر صاحب القرآن العادي يوقعهم - من جهةٍ أخرى - في شكٍ وارتيابٍ ، ومن ثم كانوا لا يزالون يرددون صنوفاً من الأقاويل لرفضه وتكذيبه ؛ فيقولون تارة: إنه ساحر ، ويرمونه طوراً بالكذب والافتراء ، ويزعمون حيناً أن له وراء ذلك بعض الأغراض المادية ، ويتساءلون حيناً آخر كيف يمكن أن يكون أسلافنا الكبار جميعاً على خطأ ، وهذا الرجل العادي وحده

على الصواب ؟!

وقولهم ﴿ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ﴾ مما يوضح أنهم كانوا يجدون أنفسهم عاجزين في ميدان الدليل ، ولذلك حاولوا إنقاذ الجماهير التابعة لهم من التيار القرآني برفع شعار التعصب !!

﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۖ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ﴾

الأَسْبَابِ : المعارج إلى السماء .

جُندٌ مَّا : هم مجتمع حقير و"ما" زائدة .

هُنَالِكَ : بمكة يوم الفتح أو يوم بدر .

ذُو الأَوْتَادِ : الجنود أو المباني القويتين .

وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ : سكان الغيضة الكثيفة الملتفة الشجر (قوم شعيب).

وَمَا يَنظُرُ : ما ينتظر .

صَيْحَةً وَاحِدَةً : نفخة البعث .

مَا لَهَا مِن فَوَاقٍ : ما لها توقف قدر فواق ناقة ، وهو ما بين حلبتيها .

قِطَّنَا : نصيبنا من العذاب الذي أوعدته .

إن رحمة الهداية الإلهية لا تُوزع بحيث إن مَنْ نال العظمة الدنيوية ، يُمنح بالضرورة هداية الله الأخرى ؛ إذْ لو كانت العظمة الدنيوية مما يجعل صاحبها عند الله عظيماً ، لكان بإمكانه هو وأمثاله من عظماء الناس أن يعطوا رحمة الله من شاءوا ، ويمسكوها عمن شاءوا.. ولكن الحقيقة أن الله يقسم رحمته حسب معياره هو ، وليس بحسب معيار عبدة الظواهر من البشر ، وقد كان المنكرون للرسول يسخرون منه قائلين: بأن ائتنا بالعذاب الإلهي الذي تخوفنا به !

وإنما تولدت هذه الجراءة في نفوسهم لكونهم يحسبون أن عذاب الله لن ينزل عليهم أبداً ، فتم تنبيههم إلى أنه قد مضت قبلكم أمم ظنت هي الأخرى نفسها بمأمنٍ من العذاب اعتماداً على أمثال هذه الأصنام التي تظنون أنفسكم آمنين في جوارها ، ولكنها لم تلبث طويلاً حتى أهلكت عن بكرة أبيها ، إذن ، فما الذي سيجعلكم لا تلقون هذا المصير المحتوم!!

﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾

ذَا الأَيْدِ : ذا القوة في الدين والعبادة .

إِنَّهُ أَوَّابٌ : رَجَّاعٌ إلى الله تعالى وطاعته .

بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ : من الزوال للغروب ، ووقت الضحى .

وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ : قويناه بأسباب القوة كلها .

وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ : النبوة وكمال العلم وإتقان العمل .

وَفَصْلَ الخِطَابِ : علم فصل الخصومات .

الخَصْمِ : ملكين في صورة إنسانين .

للصبر أهمية بالغة في الدين ، ولكن لا يطيق الصبر على أذى الإنسان إلا الذي يستطيع تفويض أمر الإنسان إلى الله ، فإن الشخص الذي يكون غارقاً في تسبيح الله وحمده ، يمكنه أن يعرض عما يلقاه من أخيه الإنسان من منكر القول وسوء الأخلاق .

وقد كان سيدنا داود - عليه السلام - النموذج الأعلى لهذه الصفة ، فمع ما أعطاه الله من قوة خارقةٍ ومملكةٍ عظيمةٍ واسعةٍ ، إلا أنه كان رجاعاً إلى الله في كل الأمور والمعاملات، وكان لا يزال مستغرقاً في التسبيحات الإلهية المترددة أصداؤها في أرجاء الكون.. وقد كان - عليه السلام - يعزف ، وهو جالس في سفح الجبل ، نغمات الحمد الإلهي بصوته الجميل الممتزج بحرقةٍ وشوقٍ ووله يجعل كل ما حوله يتجاوب معه ، حتى إن الجبال والطيور والأشجار كانت بدورها تردد تسابيحه .

وإن المملكة التي أعطاها الله داود كانت مملكةً قويةً متماسكةً للغاية، وسر هذه القوة والتماسك كان يكمن في الحكمة وفصل الخطاب، والمقصود بالحكمة أنه كان يعالج دائماً كل ما يعرض له من قضايا وشئون بأسلوبٍ حكيم ومتعقلٍ . وأما فصل الخطاب فمعناه أنه كان يتمتع بصلاحية الحكم الصحيح واتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب، وهذان الشيئان هما اللذان يجعلان من أحد الحكام حاكماً صالحاً ؛ إذْ وجود الحكمة فيه كفيل بأنه لن يقدم على ما قد يكون ضرره أكبر من نفعه، بينما يتكفل فصل الخطاب بأن قضاءه سيكون دوماً قضاءً عادلاً !

﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ

فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾

تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ : علوا سور مصلاه ونزلوا إليه .

بَغَى بَعْضُنَا : تعدى وظلم وجار .

وَلَا تُشْطِطْ : لا تجر في حكمك .

سَوَاءِ الصِّرَاطِ : وسط الطريق وهو عين الحق .

يقولون: إن داود - عليه السلام - كان قد نظم أوقاته بحيث خصص يوماً لتصريف شئون الملك وللقضاء بين الناس ، ويوماً لأهله وعياله ، ويوماً للخلوة والعزلة يتفرغ فيها لعبادة الله وتسبيحه ، وفي ذات يومٍ - وهو يوم عبادته - فوجئ بشخصين يتسوران المحراب الذي كان يتعبد فيه وحيداً منفرداً بنفسه ؛ ففزع من هذه المفاجأة بعض الشيء، ولكنهما بادرا يطمئنانه قائلين : إننا متخاصمان ، وإنما جئناك لتحكم بيننا بالحق في أمرٍ هو مثار الخصومة بيننا !

﴿ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

أَكْفِلْنِيهَا : انزل لي عنها حتى أكفلها .

وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ : غلبني وقهرني في المحاجة .

الْخُلَطَاءِ : الشركاء.

فَتَنَّاهُ : ابتليناه وامتحناه .

وَخَرَّ رَاكِعاً : ساجداً لله تعالى .

وَأَنَابَ : رجع إلى الله بالتوبة .

لَزُلْفَى : لقربة ومكانة .

وَحُسْنَ مَآبٍ : حسن مرجع في الآخرة (الجنة) .

والقضية التي عرضها المتحاكمان لم تكن قضية حقيقيةٍ ، وإنما كانت بلسان التمثيل، تنبيهاً لداود عليه السلام نفسه إلى بعض شئونه الخاصة ، ومن ثم فما لبث أن تذكر ، وهو يقضي بين الخصمين ، شأنه الخاص الذي كان مماثلاً للقضية المعروضة ، مما جعله يرجع عنه في الحال ، ويخر بين يدي ربه ساجداً في خشوعٍ وإنابةٍ .

وقد كان داود - عليه السلام - يمتلك في ذلك الوقت زمام سلطةٍ جد عظيمةٍ ، ولكنه ما عاقب الرجلين الداخلين عليه من غير مدخلٍ ، ولا تناولهما بالزجر أو التأنيب . وهذا هو منهج عباد الله الصادقين ، حيث لا تنبعث في نفوسهم مشاعر العناد والتعنت تجاه أي أمرٍ من الأمور ، وإذا ما تم إشعارهم ببعض نقائصهم ، بادروا إلى الاعتراف بها وإصلاحها من فورهم ، حتى لو كانوا هم أصحاب قوة واقتدارٍ ، وكان المُشعرون لهم قد أشعروهم بأسلوبٍ فظٍ غير لائقٍ ولا مهذبٍ !!

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾

إن الحاكم - أي حاكمٍ - يكون دوماً أمام مفترق طريقين لا ثالث لهما : فإما أن يقضي في الخصومات على هواه ، أو بحسب مبدأ الحق ، وإن الحاكم الذي يحكم أهواءه ورغباته فيما يعرض عليه من القضايا ، والخصومات قد ضل عن الطريق السوي والجادة المستقيمة ، وإنه سيحاسب عند الله أشد الحساب ، وبالعكس فإن الحاكم الذي يقضي في الخصومات ملتزماً بمبدأ الحق والعدل ، هو وحده على الطريق القويم ، وإنه سينال عند الله الثواب والإنعام بغير حساب .. وهذا التوجيه ضروري لعامة البشر تماماً كما هو ضروري بالنسبة إلى مَنْ يتولى الحكم والقضاء ، فكل امرئٍ مطالب بأن يفعل في حدود اختياره نفس ما أمر به الحاكم صاحب السلطة في هذه الآية الكريمة !

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾

بَاطِلاً : لعبا وعبثا .

عندما نتأمل الكون وما فيه ، نجد أن نظامه قائم على أسسٍ حكيمةٍ للغاية ، بينما كان من المحتمل أيضاً أن يكون هذا النظام عشوائياً ؛ كل شيءٍ فيه يسير كيفما اتفق بلا ضابطٍ أو قانونٍ . وإن وجود أنسب الاحتمالين في هذا الكون قرينة دالة على أن خالقه قد خلقه تحت خطةٍ هادفةٍ .. إذن ، فالكون الذي يكون هادفاً في بدايته ، كيف سيعود غير ذي هدفٍ ، ولا معنىً في منتهاه؟!

ومرةً أخرى تدلنا الملاحظة على أن من الناس من يعترف بالحقيقة ، ويخضع نفسه لمقتضيات الحق والعدل بمحض إرادته واختياره ، ومنهم من لا يعترف بالحقيقة ، وإنما

يعيش حراً طليقاً من كل القيود والالتزامات ؛ فيقول ما شاء ، ويفعل كما يشاء ، وإن العقل ليرفض التسليم بأن ينتهي كلا هذين النوعين من البشر ، على ما بينهما من التفاوت البين والبون البعيد ، إلى مصيرٍ مماثلٍ واحدٍ !.

ولئن أخذنا وضع العالم هذا بعين الاعتبار ، فإن تصريح القرآن عن الحياة وحده سيبدو لنا أقرب إلى الواقع وأكثر تطابقاً معه ، وليس مزاعم أولئك الذين يحاولون تفسير الحياة على نحوٍ مضادٍ لذلك !.

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى ۖ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾

فَوَيْلٌ : هلاك . أو واد في جهنم .

إِنَّهُ أَوَّابٌ : رجاع إليه تعالى بالتوبة .

بِالْعَشِيِّ : ما بعد الزوال إلى الغروب .

الصَّافِنَاتُ : الخيول الواقفة على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة .

الجِيَادُ : السراع السوابق .

أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ : آثرت حب الخيل.

عَن ذِكْرِ رَبِّي : لأجله تعالى تقوية لدينه .

تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ : غربت الشمس أو غابت الخيل عن بصره لظلمة الليل .

رُدُّوهَا عَلَيَّ : ردُّوا الخيل عليَّ .

فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ : فشرع يقطع سوقها وأعناقها بالسيف .

كان سليمان بن داود - عليهما السلام - رئيس دولةٍ عظيمةٍ بلا منازعٍ ، وقد عُرض عليه عشية يومٍ من الأيام الخيول المطعمة المدربة من جيشه ، ثم كان بينها سباق ، حتى اختفت الخيول ، وهي تعدو مسرعةً كالبرق الخاطف ، عن بصره ، وغابت في الأفق البعيد ، ثم عادت إليه بعد برهةٍ من الزمان ، ومثل هذا المنظر يكون دوماً رائعاً إلى حدٍ بالغٍ ، وإنه ليملأ قلب الإنسان العادي بمشاعر الزهو والكبرياء ، ولكن سليمان - عليه السلام - لم يكد يشاهد ذلك المنظر الرائع حتى أخذ يذكر الله عز وجل .. فقال: إنني لم أحب هذه الخيول إظهاراً لأبّهتي أنا ، وإنما أحببتها لله - سبحانه وتعالى - وحده ، حيث بدا له في شكل تلك الخيول بديع صنع الله وآثار قدرته الباهرة؛ مما جعله يمرّر يده على سوقها وأعناقها اعترافاً بعظمة الله وجلاله . إن المؤمن ينظر في كل شيءٍ كبرياء الله ، أما غير المؤمن فإنما يرى في كل شيءٍ كبرياء نفسه هو !!

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

وَالأَعْنَاقِ : قرباناً لله تعالى وكان ذلك مشروعا في ملته .

فَتَنَّا سُلَيْمَانَ : ابتليناه وامتحناه .

جَسَداً : شق إنسان ولد له .

أَنَابَ : رجع إلى الله تعالى بالتوبة .

رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ : لينة . أو منقادة حيث أراد .

وَغَوَّاصٍ : في البحر لاستخراج نفائسه .

الأَصْفَادِ : الأغلال تجمع الأيدي إلى الأعناق .

بِغَيْرِ حِسَابٍ : غير محاسب على شيء من الأمرين

لَزُلْفَى : لقربا وكرامة .

ما من إنسان إلا تصدر منه هفوات أو تقصيرات ، غير أن التقصير بالنسبة إلى عباد الله الصالحين يعود مبعث خيرٍ عظيمٍ ، إذْ أنهم لا يلبثون على أثره أن يرجعوا إلى ربهم بمزيدٍ من الخشوع ، وبالتالي يستحقون مزيداً من الإنعام والتكريم .

وذات مرةٍ صدر من سليمان - عليه السلام - بدوره تقصير اجتهادي في بعض الأمور ، ولما تبين له وجه الحقيقة أناب إلى الله مبتهلاً مستغفراً ، فعفا الله عنه ، وأنعم عليه بأن أعطاه ملكاً كبيراً ، واختصه بقدرات وصلاحيات غير عادية لم تُمنح لأحدٍ من البشر سواه!

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾

وَحُسْنَ مَآبٍ : حسن مرجع في الآخرة .

بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ : بتعب ومشقة وألم وضر .

ارْكُضْ بِرِجْلِكَ : اضرب بها في الأرض .

هَذَا مُغْتَسَلٌ : ماء تغتسل به . فيه شفاؤك .

ضِغْثاً : قبضة من قضبان أوعثكال النخل بشماريخه .

كان أيوب - عليه السلام - من أنبياء بني إسرائيل ، ويرجع عهده - في أغلب الظن - إلى القرن التاسع قبل المسيح ، وكان قد أوتي من المال والثروة أوفر نصيبٍ ، ولكنه بدل أن يتلهى بماله وثروته كان يشتغل بعبادة الله ويدعو الناس إلى الله .

بيد أن بعض الخبثاء لم يلبثوا أن راحوا يقولون : إن أيوب عابد متدين بسبب ما هو فيه من نعمة ومال وعافية، لكنه لو ابتلى بالفقر والحاجة والمرض لخرج عن طاعة الله ولما صار متديناً .

ولكي يقيم الله على الناس الحجة ، فقد ابتلى عبده أيوب بأشد أنواع الفقر والبؤس .. إلا أنه مازال عابداً لله كعادته ، وقال : "الرب أعطى ، والرب أخذ ، فليكن اسم الرب مباركاً" . وأصيب - عليه السلام - بمرض جلدي شديد ، فامتلأ جسده كله قروحاً ودمامل.. ولكنه ظل كما هو مثالاً حياً للصبر والشكر .. ولما قامت على الناس الحجة القاطعة ، فجّر الله تعالى لأيوب عيناً ، لم يكد يغتسل بمائها ويشرب منه حتى برئ جسمه من سقامه ، وعاد سليماً معافى .. كما أعاد الله إليه مرةً أخرى ما ذهب عنه من مالٍ وولد، وزاد عليه من فضله ونعمته .. وفي حالة مرضه كان أيوب قد حلف أن يضرب زوجته مائة ضربةٍ بعصا ، بعد إبلاله من المرض ، لموجدةٍ وجدها في نفسه منها، ولكي يبر بقسمه ذاك أرشده الله تعالى إلى تدبير لطيف، وهو أن يأخذ مكنسةً عدد عيدانها مائة عود ، فيضرب بها زوجته ضربةً واحدةً خفيفةً ، ومن هذا نعلم أن اللجوء إلى الحيل مشروع في حالات خاصة ؛ بشرط ألا يؤدي ذلك إلى إلغاء أي حكم شرعيٍ .

وإن الله سبحانه إذْ يستعمل شخصاً لدينه ، ويسلم ذلك الشخص نفسه إلى الله بدون أدنى تحفظٍ ، فإنه تعالى يعوضه عما يفقده خلال قيامه بالعمل المذكور بما يفوقه كماً ونوعاً إلى حدٍ كبيرٍ !!

﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴾

أُوْلِي الأَيْدِي : أصحاب القوة في الطاعة .

وَالأَبْصَارِ : والبصائر في الدين والعلم .

أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ : خصصناهم بخصلة لا شوب فيها .

ذُكر هنا عدد من الأنبياء وأطلق عليهم وصف ﴿ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ ، أي إنهم كانوا على مستوى أعلى في كلٍ من القوة الجسدية والبصيرة الذهنية، حيث كانوا - من ناحيةٍ - يتمتعون بالقدرات العملية ، كما أقاموا الدليل - من ناحيةٍ أخرى - على أنهم يمتلكون النظرة الصائبة نحو الأشياء ، وصلاحية تكوين الحكم الصحيح على الأمور، ومن هنا فقد اصطفاهم الله لتبليغ رسالته .

ما هو العمل الخاص الذي يختار الله لأجل القيام به أنبياءه من البشر ؟ إنه يتمثل في التذكير بدار الآخرة ، فقد ظل المحور الرئيسي لرسالة الأنبياء على اختلاف الأعصار والأمصار ، هو أن يلفتوا انتباه البشر إلى الحقيقة القائلة بأن الآخرة هي منزل الإنسان الحقيقي، وينبغي له أن يستعد لها وحدها ، فإن هذه هي القضية الكبرى بالنسبة إلى الإنسان، وأكبر عملٍ يقوم به إنسان في هذا العالم هو أن ينبه أخاه الإنسان إلى هذه القضية البالغة الخطورة!

﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ

ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾

هَذَا ذِكْرٌ : المذكور من محاسنهم شرف لهم .

قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ : حور لا ينظرن إلى غير أزواجهن .

أَتْرَابٌ : مستويات في الشباب .

نَفَادٍ : انقطاع وفناء .

إنما تفتح أبواب الجنة لأناسٍ فتحوا أبواب قلوبهم للذكر والنصيحة والذين عاشوا خائفين وجلين من الله قبل ظهوره عياناً. وهؤلاء السعداء هم الذين سيحظون بنعيم الآخرة الأبدي .

ونعم الآخرة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم هي ما يستمتع الإنسان بأمثالها في الحياة الراهنة ، ولكن بينهما فارق كبير جداً لابد أن يُلاحظ ، وهو أن هذه النعم وُجدت في العالم الراهن بصورةٍ وقتيةٍ وبدائيةٍ ، بينما ستوفر تلك النعم في الآخرة بشكلها النهائي والأبدي ، يضاف إلى ذلك أن هذه النعم العليا سيُحذف منها هناك كل أنواع الخوف أو عوامل التكدير التي لا يمكن حذفها عن مثيلاتها في عالمنا الراهن على أية حالٍ !!

﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾

لَشَرَّ مَآبٍ : لأسوأ منقلب ومصير .

جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا : يدخلونها أو يقاسون حرها .

فَبِئْسَ الْمِهَادُ : فبئس الفراش ، أي المستقر جهنم .

حَمِيمٌ : ماء بالغ نهاية الحرارة .

وَغَسَّاقٌ : صديد يسيل من أجسامهم .

وَآخَرُ : وعذاب آخر .

مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ : من مثله أصناف في الفظاعة .

هَذَا فَوْجٌ : جمع كثيف من أتباعكم الضالين .

مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ: دخل معكم النار قهراً عنه .

لاَ مَرْحَباً بِهِمْ : لا رحبت بهم النار ولا اتسعت .

صَالُواْ النَّارِ : داخلوها . أو مقاسو حرها .

فَبِئْسَ الْقَرَارُ : فبئس المقر للجميع جهنم .

أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِياً ؟: مهزوءا بهم في الدنيا فأخطأنا ؟

زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ :مالت عنهم فلم نعلم مكانهم .

إن جهنم هي الصورة النهائية والأبدية لأنواع الألم تلك التي يمكن تصورها في العالم الراهن، وحين يُساق الطغاة والمكذبون بالحق في الدنيا إلى جهنم فوجاً بعد فوجٍ ،

فسيحتدم تخاصم شديد بين الأتباع والمتبوعين، فالأتباع الذين كانوا يفتخرون بعظمة قادتهم ، يوجهون إليهم الشتائم واللعنات إذا رأوا سوء المصير الذي يلاقونه هناك، ولقد صورت هذه الآيات بعض جوانب ذلك المشهد الفظيع أدق تصوير .

وإذا رأى المنكرون للحق مصيرهم المشئوم في الآخرة ، فسوف ترجع بهم الذاكرة إلى رجالٍ كانوا قد انضووا تحت راية الحق ، وصاروا نتيجة ذلك يقابلون في مجتمعهم بغاية الاحتقار والازدراء ، وقد كان المنكرون يرمونهم بأنهم تناولوا الأكابر والأسلاف بالإهانة والتجريح ، وأنهم قد انحرفوا عن دين الآباء ، واتخذوا لأنفسهم طريقاً آخر غير طريق الأمة، ولقد كان هؤلاء المنكرون يظنون أنفسهم على حق والآخرين على غير الحق ، ولكن الأمر في الآخرة لن يلبث أن ينعكس تماماً ، حيث سينكشف أن الذين كانوا يسخرون منهم في الدنيا باعتبارهم حقراء تافهين ، هاهم أولاء قد نالوا أعلى درجات الفوز والسعادة في الآخرة!!

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ ﴾

بِالمَلَإِ الأَعْلَى : الملائكة .

إِذْ يَخْتَصِمُونَ : في شأن آدم وخلقه وخلافته .

الاختصام المشار إليه هنا ﴿ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ هو الجدل الذي أثاره إبليس عند خلق آدم وأمر الله الملائكة بالسجود له،وقد جاء في القرآن الكريم أن إبليس أصبح عدواً لدوداً لآدم منذ بدء الخليقة ، وهو لا يزال يعمل جاهداً على أن يضل بني آدم عن

الصراط المستقيم بحيله ووساوسه المغرية .. ، لذلك ينبغي على الإنسان أن يأخذ حذره، ويتجنب الوقوع في أحابيله ، وإن قصة آدم بما تتضمن من اختلاف الملائكة قبل خلقه، وجدال إبليس واستكباره عن السجود له بعد خلقه ، كما سردها القرآن بإسهابٍ تارةً وبصورةٍ مقتضبة تارةً أخرى ، إنما كانت من ألفها إلى يائها وحياً منزلاً؛ لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يكن حينذاك حاضراً في الملأ الأعلى حتى يتمكن من حكاية ما جرى هناك على أساسٍ من العلم الذاتي .

إن أهم نبأ بالنسبة إلى الإنسان وأجدر أن يحظى باهتمامه هو إعلامه بطبيعة الحياة هذه المتمثلة في أن الشيطان لا يفتأ يلاحقه كل الوقت ، ويسعى إلى إغوائه من خلال الاندماج في تفكيره والتغلغل في عواطفه ومشاعره ، فيجب على الإنسان أن ينقذ نفسه من هذا الخطر ، وبالإمكان القول :إن الأنبياء إنما جاؤوا - باعتبار ما - لكي ينذروا البشر من هذا الخطر الخطير !!

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾

سَوَّيْتُهُ : أتممت خلقه بالصورة الإنسانية .

سَاجِدِينَ : تحية له وتكريما .

العَالِينَ : المستحقين للعلو والرفعة – كلا .

رَجِيمٌ : مطرود من كل خير وكرامة .

لقد خلق الله الإنسان كمخلوقٍ أعلى وأشرف ما يكون. وللتدليل على ذلك أمر الملائكة والجن بأن يقعوا أمامه ساجدين ، ولما كان إبليس قد أبى عن السجود لآدم امتثالاً لأمر الله ، لم يلبث أن صار محكوماً عليه باللعنة إلى الأبد، بيد أن أهمية هذا الحادث لم تكن بالنسبة إلى إبليس وحده ، وإنما كانت له أهميته البالغة حتى بالنسبة لآدم نفسه..

فقد صار إبليس بامتناعه عن الخضوع لآدم خصماً أو منافساً عنيداً لذرية آدم على نحوٍ أبدي .. وهكذا سار التاريخ البشري من أول يومه في اتجاه جديدٍ ، إذْ قرر ذلك الحادث أن رحلة الحياة لن تكون بالنسبة إلى الإنسان رحلةً سهلةٍ ميسورةً ، وإنما ستكون رحلةً كلها معاناة ومزاحمات عنيفة مضنية ، حيث يتعين على الإنسان أن يظل ثابتاً على جادة الحق والصواب في مواجهة إغراءات إبليس وتدابيره الخادعة ، حتى يستطيع الوصول إلى منزله ومستقره بسلامٍ .. وإن الإنسان تحول بينه وبين الجنة مكائد الشيطان وتمويهاته، ولن يدخل حدائق الجنة الأبدية إلا من يجنب نفسه مكائد الشيطان، وأما الذين يفشلون في استكناه مكائد الشيطان وتجنبها ، فأولئك هم المحكوم عليهم بالحرمان المؤبد من الجنة!.

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

فَأَنظِرْنِي : أمهلني ولا تمتني .

يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ : وقت النفخة الأولى .

فَبِعِزَّتِكَ : فبسلطانك وقهرك .

لأُغْوِيَنَّهُمْ : لأضلنهم بتزيين المعاصي لهم .

لقد أتيح للشيطان في عالم الامتحان الراهن فرصة تامة ليغوي الإنسان . بيد أن الشيطان إنما يتمكن من الإغواء ما دامت الحقيقة مستترة وراء الغيب . أما حين تمزق القيامة حجاب الغيب ، فسوف يتجلى كل شيء عياناً ، بحيث لن يبقى بعدئذٍ مغوٍ ولا غاوٍ .

ومعنى "المخلص" الخلو من الغش أو الزيف ، والعبد المخلص هو الذي يكون سليماً مبرئاً من الأمراض النفسية، وحال الشيطان أنه لا يملك أي سلطةٍ فعليةٍ ، وإنما هو يغوي الناس دوماً عن طريق التزيين ؛ أي إلباس الباطل ثوب الحق ، وعرض الأوهام والخرافات الواهية في قالب الألفاظ الجميلة والعبارات المزخرفة ، وتشكيك الناس في أمرٍ مستقيمٍ لا عوج فيه بإثارة زوبعةٍ من الاعتراضات أو المطاعن المفتعلة حوله .

على أن تزيين الشيطان لا ينخدع به إلا أناس تنطوي صدورهم على الزيف النفسي. وأما الذين لا يزالون يحتفظون بنفسياتهم على حالتها الفطرية الصافية النقية ، ويستعملون عقولهم بنزاهة وانفتاح ، فسرعان ما يتعرفون على المكيدة الشيطانية ، وبالتالي لا ينحرفون عن الجادة أبداً متأثرين بطلائها الظاهري الخلاّب !!

﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾ ﴾

المُتَكَلِّفِينَ : المتصنعين المتقولين على الله .

نَبَأَهُ : صدق أخباره .

من ألزم صفات الداعية أنه لا يطلب من المدعو أجراً ، ولا هو يثير فيما بينه وبين المدعو أي نزاعٍ مادي ، إن دعوة القرآن الكريم هي دعوة الآخرة ، ومن ثم فالذي ينصب نفسه - من جهةٍ - حاملاً للواء دعوة الآخرة القرآنية ، ويشن - من جهةٍ أخرى - حملة المطالبات المادية ضد الشعب المدعو ، هو في نظر المدعو رجل هازل غير جادٍ ، والشخص الذي يبرهن بنفسه - بلسان المقال أو بلسان الحال - على عدم جديته، فمن ذا يلقي إلى كلامه بالاً ، أو يعيره اهتماماً يذكر؟! وهكذا فمن شأن الداعي أنه لا يقول شيئاً يختلقه من تلقاء نفسه ، وإنما هو يقول ما تلقاه من عند الله تعالى لا يزيد عليه أو ينقص منه شيئاً .

قال مسروق (التابعي) : أتينا عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - فقال : يا أيها الناس مَنْ علم شيئاً فليقل به ، ومَنْ لم يعلم فليقل : الله أعلم ، فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم : الله أعلم ، فإن الله - عز وجل - قال لنبيكم - صلى الله عليه وسلم- : "قل ما أسألكم عليه من أجرٍ ، وما أنا من المتكلفين" [1].

ومن صفات الداعية أيضاً أن يعرض الدعوة في قالب الموعظة الحسنة ، وينطبع كلامه بطابع النصح وحب الخير للآخرين ، وليس بطابع الجدل والمناظرة !!

(١) مختصر تفسير ابن كثير ٣/ ٢١٠.

سورة الزمر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾

مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ : ممحضا له الطاعة والعبادة .

زُلْفَى : تقريبا .

إن القرآن هو تبيين إلهي للحقيقة . وإن أسلوبه الحكيم ومضامينه القوية الناضجة على نحوٍ غير عاديٍ ؛ برهان داخلي على أنه في الواقع من عند الله ؛ إذْ لا أحد من البشر يقدر على أن يأتي بكلامٍ غير عادى من هذا الطراز ! ومعنى إخلاص الدين لله: إخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى إلهاً.. "أي فاعبد الله وحده ، مخلصاً له في عبادتك"[1].

وعاطفة العبادة كامنة في فطرة كل إنسان بطريقة غامضةٍ عجيبةٍ . وهي تعني : أن تتصور إلهاً من الكبرياء والجلال بحيث يتولد في نفسك إحساس بالروعة أو الرهبة تجاهه ، والإله الذي يشعر المرء نحوه بهذا الإحساس ، يعتبره بالتالي أقدس ما يكون ، فيخضع له كل كيانه ، ويبالغ أمامه في التمسك بمراسم التوقير والاحترام . وهو يخافه أشد الخوف ، كما يحبه أشد الحب، وبذكره يلتذ روحه ، وتقر عيناه ، وإنه يعود هو

(١) صفوة التفاسير ، ٣/ ٦٩.

السند الأكبر له في هذه الحياة.

وذلك ما يسمى العبادة. وهذه العبادة هي حق الله الواحد وحده فقط، ولكن الإنسان طالما يشرك غير الله في العبادة والتقديس مع إيمانه بالله،ويمارس ألوان الطقوس والأفعال العبادية لغير الله،وهذا هو ضلال الإنسان الأصلي ، والحقيقة أن العبادة شأنها شأن الألوهية لا تقبل التقسيم أو التجزئة على الإطلاق !

﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ ﴾

سُبْحَانَهُ : تنزيها له عن اتخاذ الولد .

يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ : يلفه على النهار لف اللباس على اللابس .

الإنسان مدفوع بفطرته إلى أن يهفو نحو الله ، ويتوجه إليه بالعبادة والتعظيم . والشيطان يحاول دوماً أن يصرف هذه العاطفة الفطرية عن الله نحو اتجاهٍ آخر ، وتحقيقاً لهذا الغرض فإنه يلقي في أذهان الناس أن جناب الله أرفع وأعلى من أن ترتقوا إليه مباشرةً ، ولذا فينبغي أن تحاولوا الوصول إليه عبر التوسل بالصالحين ، كما يغرس في أذهانهم العقيدة القائلة بأن لله أولاداً تماماً مثلما يكون للبشر ، وأن أيسر طريق لنيل رضا الله هو أن تعملوا على إرضاء أولاده، وإن عبادة المادة في العصر الحديث - التي صرفت عاطفة العبادة المودعة في الفطرة الإنسانية عن الخالق نحو المخلوق - لا تعود أن تكون صورة مشوهة لتلك العقيدة البالية ذاتها .

وكل المعتقدات والطقوس من هذا القبيل تصغير لله عز وجل ، فالله الذي يسيّر

النظام الشمسي الهائل ، والذي يدبر أمر هذا الكون الفسيح ، هو بالطبع أجل وأسمى من أن تروج عنده شفاعة شافعٍ أو يكون له ولد، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !!

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾

وَأَنزَلَ لَكُم : أنشأ وأحدث لأجلكم .

ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ : ظلمة البطن والرحم والمشيمة .

فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ؟: فكيف تصرفون عن عبادته .

ظهر إلى الوجود أول الأمر إنسان واحد ، ثم استخرج منه زوجه على هيئة مطابقة له تماماً، وهكذا تسلسل الجنس البشري عن طريق رجل وامرأة بدائيين ، ثم أنشأ الله أشياء لا تحصى لشتى مصالح الإنسان ومختلف حاجاته، وقد ظلت الإبل والبقر والضأن والمعز (وهي بذكورها وإناثها ثمانية أنواعٍ) ظلت في أولى مراحل الحضارة المورد الرئيسي لمعيشة الإنسان، فلما انتقلت الحضارة إلى طورٍ جديدٍ بدأ الإنسان باستعمال أشياء أخرى لا حصر لها ، صنعها الله منذ بدء الخليقة ليتمكن الإنسان من الانتفاع بها واستخدامها لصالحه ، فكما أن الحيوانات الداجنة مسخرة بطبعها لخدمة الإنسان . فكذلك سخرت له أنواع الغازات والمعادن هي الأخرى ، وإلا لما استطاع الإنسان أن يستعملها بأي وجهٍ من الوجوه ، والثمانية أصنافٍ من الأنعام المشار إليها آنفاً ، إنما ذُكرت على سبيل المثال دون الحصر ..

والظلمات الثلاثة التي ذكرتها الآية هنا فيما يتصل بخلق الإنسان هي : ظلمة جدار البطن ، ثم تليها ظلمة جدار الرحم ، ثم تليها ظلمة الأغشية الخارجية المحيطة بالجنين

من كل جانب .

وهذا النظام معقد وعظيم إلى حدٍ مذهل لا يقدر معه على إيجاده أحد سوى خالق الكون ، إذن ، فمن ذا الذي يستحق سواه أن يُرفع إلى درجة الإله المعبود!!

﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾

وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ :لا تحمل نفس آثمة .

إن الإيمان بالله والشكر له من مقتضيات العقل الإنساني نفسه ؛ لأن ذلك اعتراف بالحقيقة الواقعة ، وليس من شك في أن الاعتراف بالحقيقة الواقعة هو أكبر المطالب العقلية على الإطلاق.

والآخرة هي ظهور للعدل الكامل . ومستحيل أن يبقى هذا الوضع الناقص -الذي نراه يسود عالمنا الراهن - مستمراً في عالم العدل الكامل ذاك ، إذْ يقتضي العدل أن يظهر كل شخصٍ كما هو في واقع الأمر ، وأن ينال بالتالي جزاءً وفاقاً لما يستحقه في الحقيقة ، وهذا ما لا يحدث في العالم الراهن ، وستأتي الآخرة لتصلح هذا العيب ، وتجعل من هذه الدنيا الناقصة دنيا كاملة إلى أقصى حدود الكمال !!

﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا

يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾

مُنِيباً إِلَيْهِ : راجعًا إليه ، مستغيثا به.

خَوَّلَهُ نِعْمَةً : أعطاه نعمة عظيمة تفضلاً وإحساناً .

أَنْدَاداً : أمثالاً يعبدونها من دون الله .

هُوَ قَانِتٌ : مطيع خاضع عابد لله تعالى .

آنَاءَ اللَّيْلِ : ساعاته .

ما من امرئ إلا تمر عليه لمحات يجد فيها نفسه عاجزاً كل العجز ، والأشياء التي كانت موضع ثقته واعتماده تخذله هي الأخرى في تلك الساعة الحرجة ، وعندها ينسى المرء كل شيء ويأخذ يتضرع إلى الله في خشوعٍ واستسلامٍ، وهكذا فكل امرئ يدرك في لحظات الشدة أنه لا إله إلا الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، ولكن الشدة لا تكاد تزول حتى يعود هو سيرته الأولى ! ويزداد الإنسان كفراً وطغياناً ؛ إذْ هو يأخذ ينسب نجاته إلى أشياء أخرى غير الله ، فبعضهم يعدها نتيجة الأسباب ، وبعضهم الآخر يعتبرها معجزة الآلهة المفترضة ، ولو أن المرء لزم الصمت بعد اقترافه خطأً أو خطيئةً ما، لانحصر ضلاله في شخصه وحده ، ولكنه حين يأخذ في تبرير خطئه ويجعله عين الصواب بتأويله الكاذب ، يتعدى ضلاله إلى غيره ، فيعود ضالاً ومضلاً في الوقت نفسه!

من الناس مَنْ لا يقلقه سوى الهموم المادية وحدها ، وهناك إنسان آخر يهمه ويقلقه ذكر الله . وهذا الإنسان الأخير هو الإنسان الرباني حقاً. إن إقراره بالله لا يكون نتاج الظروف والأحوال ، وإنما يكون اكتشافه الشعوري الواعي ؛ حيث إنه يظفر بالله كموجود أعلى ترتبط كل آماله ومخاوفه بذاته وحدها . وهمومه الداخلية تجعله يبتعد

عن فراشه حتى في ساعات الليل ، وخلوته لا تكون خلوة لاهيةً غافلةً ، وإنما تصبح خلوةً عامرةً بذكر الله سبحانه وتعالى .

العالم هو الذي يمتلئ كيانه النفسي وجلاً واضطراباً بذكر الله ، أما غير العالم فهو الذي لا تهز نفسيته إلا الأحوال المادية ، والذي إنما يستيقظ لبرهةٍ من الزمان على أثر الصدمات المادية ، ثم يعود مرةً أخرى إلى سبات غفلته الطويل العميق!

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾

بِغَيْرِ حِسَابٍ : بلا نهاية لما يعطي أو بتوسعة .

حين يحصل المرء معرفة عميقةً بالله ، يترتب على ذلك بالضرورة أن يمتلئ كيانه كله خوفاً وخشيةً من الله ؛ فإن إدراك عظمة الله وجلاله يجعله خاشعاً ذليلاً بين يديه تعالى ، وتعود حياته العملية تسير وفق الأحكام الإلهية لا تحيد عنها قيد أنملةٍ ، و يصير جاداً مخلصاً في هذا الشأن لدرجة يرضى معها بالتخلي عن كل شيءٍ لأجل الله ولا يرضى بالعكس أبداً !

إن بناء الحياة على أساسٍ من الإيمان امتحان جد عسيرٍ بالنسبة إلى المرء ، وإنما ينجح في هذا الامتحان أولئك وحدهم الذين يعتبرون الإيمان كنزاً ثميناً غالياً بحيث يستعدون من أجله للصبر على الحرمان من أي شيءٍ آخر ، والحياة الإيمانية بمعناها العملي اسم آخر للحياة الصابرة ، و الذين يرضون بدفع ثمن الصبر حتى يكونوا مؤمنين ، هم الذين سيُعطون أوفر نصيب من الإنعامات الإلهية العليا !

﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ

دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾

ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ : أطباق منها ، كثيرة متراكمة .

إن دعوة النبي يدور محورها الرئيسي حول أن يصير الناس كلهم عابدين لله الواحد وحده ، ويتركوا عبادة كل شيءٍ سواه ، وإنها لا تكون بالنسبة إلى النبي مسألة قيادية بالمعنى المعروف ، وإنما تكون مسألته الذاتية ، ومن ثم فهو يكون أول القائمين بذلك . وبما أن النبي يكون على يقينٍ من أن مصير الإنسان إلى الفلاح أو الخسران سيتقرر نهائياً في الآخرة ، لذا فهو يكرس حياته في سبيل الآخرة ، ويدعو الآخرين أيضاً إلى تكريس حياتهم في سبيلها، ونوعية عمل النبي هذه تدلنا على نوعية عمل الداعي ، فالداعي إلى الحق إنما هو الشخص الذي يصير الحق عنده بمثابة مسألته الذاتية ، والذي تكون دعوته تعبيراً تلقائياً عن قلقه الداخلي ، وليس ترديداً خارجياً محضاً لبعض الهتافات الفارغة كترديد مكبرات الصوت!

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾

اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ : الأوثان والمعبودات الباطلة .

وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ : رجعوا إلى عبادته وحده .

المطلوب من المرء أن يثبت أنه يملك عقلاً يميز به الصحيح من الغلط ، ويتمكن

من رؤية الحقيقة بتمزيق حجاب الخداع والتمويه الشيطاني. والذين يقيمون الدليل على هذه البصيرة ، أولئك هم السعداء الذين سيوفقون إلى إدراك الصدق الإلهي. أما الذين يخفقون في إقامة الدليل على هذه البصيرة ، فليس لهم في هذا العالم من مصيرٍ سوى أن يظلوا متعلقين بغير أحسن الجوانب للقول ، ويُبعثوا بالتالي عند الله كعبدة الطاغوت!!

﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ ﴾

حَقَّ عَلَيْهِ : وجب وثبت عليه .

لَهُمْ غُرَفٌ : منازل رفيعة عالية في الجنة .

كل إنسانٍ محاط بعواقب أعماله ، حيث تحيط بصاحب الجنة أجواء الجنة العطرة ، وتحيط بصاحب النار أجواء النار اللافحة المحرقة. ولو امتلك الناس بصراً نفاذاً إلى الحقائق غير المرئية لرأوا صاحب الجنة يتمتع بنعيمها في هذه الدنيا، ولوجدوا صاحب الجحيم يصلى نارها في هذه الدنيا ذاتها .

والجنة هي الصورة المثالية الكاملة لدنيا الأحلام والأماني التي ينشدها المرء في الحياة الراهنة ، ولكنه لا يستطيع الحصول عليها ، وثمن هذه الجنة تقوى الله ، فالذين يبرهنون على خوف الله في الدنيا ، هم وحدهم الذين سينعمون بحياة الجنة الخالية من كل خوفٍ !

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ

لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾

فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ : أدخله في عيون ومجار .

يَهِيجُ : ييبس في أقصى غايته .

يَجْعَلُهُ حُطَاماً : يصيره فتاتا هشيما متكسرا .

فَوَيْلٌ : هلاك أو حسرة أو شدة عذاب .

إن الوقائع المادية التي نشهدها على الأرض كنظام المطر العجيب المدهش ، وخروج النبات الأخضر به ، وتهيئة أسباب أخرى لإنضاج الزرع بمختلف أنواعه وألوانه ، تنطوي هذه الوقائع على ما لا يُحصى من النصائح المعنوية القيمة ، ولكن هذه النصائح لا يدركها إلا ذوو نفوس طُلعةٍ تحب استكناه الأشياء وسبر أغوار الأمور .

لقد أنشأ الله العالم الخارجي بحيث صار كل شيءٍ فيه علامةً على الحقيقة العليا ، وأودع في الإنسان مواهب وقدرات تمكنه من قراءة تلك العلامات وفهم أسرارها . والذين يحافظون على مواهبهم الفطرية ، ويستخدمونها في تأمل أشياء الكون والوقوف على دقائق صنع الخالق جل وعلا ، فسوف تنفتح في صدورهم أبواب المعرفة ، وأما الذين لا يتمكنون من الاحتفاظ بمواهبهم الفطرية ، فإنهم سيظلون محرومين من الاعتبار والاتعاظ حتى في خضم العبر والعظات ، وإنهم سينظرون ولا يرون ، ويستمعون ولا يسمعون .

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ

مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾

أَحْسَنَ الحَدِيثِ : أبلغه وأصدقه وأوفاه (القرآن)

كِتَاباً مُّتَشَابِهاً : في إعجازه وهدايته وخصائصه .

مَّثَانِيَ : مكررا فيها الأحكام والمواعظ والقصص وغيرها .

تَقْشَعِرُّ مِنْهُ : تضطرب وترتعد من قوارعه .

تَلِينُ جُلُودُهُمْ : تسكن وتطمئن لينة غير منقبضة .

لقد أعطى الله الإنسان أحسن كتاب في صورة القرآن الكريم ، وهو يمتاز بصفتين خاصتين : إحداهما : كونه متشابهاً أي إنه كتاب خالٍ من التناقض كل الخلو ، حيث لا يتعارض بعض أجزائه مع بعضها الآخر. وميزة القرآن هذه تدل على أنه كتاب مبني على بيان الحقيقة ، ولو لم تكن بياناته هي الحقيقة بعينها ، لأدى ذلك حتماً إلى حدوث التضارب وانعدام التشابه بين مختلف أجزائه !

وأما الميزة الثانية للقرآن : فهي كونه "مثاني " ، أي إنه كتاب تُنُوولت مضامينه بالإعادة والتكرار مرةً وأخرى بأساليب شتى . وميزة القرآن هذه تدل على كونه كتاب نصيحةٍ ؛ إذْ الناصح يبتغي دوْماً أن يستقر كلامه في ذهن السامع . وهو يلجأ لهذا الغرض إلى تقديم كلامه بطرائق منوعة ، وقد جاءت هذه الحكمة في القرآن الكريم في أرفع مستوياتها وأبهى صورها !

ومن خصوصيات الإنسان أنه إذا سمع نبأ مروعاً ، اقشعر جلده وسرت رعدة في أوصاله ، وتولد في كيانه نوع من اللينة الخاشعة ، وهكذا يكون حال الإنسان الجاد عند تلاوته لآي القرآن الكريم ، فقد بين القرآن حقائق الحياة الخطيرة بأسلوبٍ قويٍ مؤثرٍ للغاية ، ومن هنا فلو أن مخلوقاً كالإنسان قرأه قراءة فهمٍ وتدبرٍ، لطرأت على جسمه

الكيفية الانفعالية التي ينبغي أن تعتريه عند استماعه إلى أي نبأٍ خطيرٍ بطبيعة الحال!

﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

الخِزْيَ : الذل والهوان.

إن المرء يحاول دوْماً أن يقي وجهه من المؤثرات أو الإصابات ، ولكن عذاب يوم القيامة سيكون محيطاً بالمرء من كل جانبٍ بحيث لن يسعه هناك أن يمنع أي جزءٍ من أجزاء جسده من التعرض له ؛ فإنه سيقف يومئذٍ أمام عذاب لا يُقاوم ، كما لو أنه قد جعل من وجهه جُنّة يتقي بها منه! وأكبر جريمة عند الله هي ألا يعترف المرء بالحق حين يتجلى أمامه، وأمثال هؤلاء لن يفلتوا من بطش الله وعقابه على أية حالٍ !!.

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

عِوَجٍ : اختلاف واختلال واضطراب .

شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ : متنازعون شَرِسُو الطباع.

سَلَماً لِّرَجُلٍ : خالصا له من الشركة والمنازعة .

جاءت مضامين القرآن الكريم في لغةٍ معلومةٍ لدى البشر ، وفي حدود ما يسعه

العلم البشري وتتسع له مداركهم ؛ وذلك لكي لا يصعب فهمها على أحدٍ . وقد بين القرآن هنا، بلسان التمثيل ، أن مبدأ التوحيد أقرب إلى العقل والمنطق وأكثر تطابقاً مع الفطرة بالقياس إلى عقيدة الشرك ، حيث يدلنا الكون الخارجي على أن شئونه إنما يقوم بتصريفها إرادة واحدة فحسب.

ولو كانت هناك إرادات متعددة تتصرف في هذا الكون لاستحال أن يسير نظامه بهذا القدر من الدقة والانسجام ، ثم إن تكوين الإنسان النفسي جُعل بحيث يميل بطبعه إلى وحدة الولاء ، وإنه لما ينافي التكوين الإنساني تمام المنافاة أن يلقى على عاتق امرئٍ ما مسئولية عددٍ من الولاءات المختلفة في آنٍ واحدٍ ، ويستطيع بالتالي أن يقوم حتى بحق أي واحدٍ منها على النحو المطلوب .

إذن ، فكل الدلائل والقرائن تشير إلى أنه ليس ثمة إله سوى إله واحدٍ هو وحده خالق الإنسان ومعبوده بحقٍ ، وهذه الحقيقة يتم إعلانها في العالم الراهن على لسان بشرٍ مثلنا، أما في يوم القيامة فسيعلنها خالق الكون نفسه على رؤوس الخلائق ، وعندها لن يستطيع أحد أن يقابل هذا الأمر بغير الإذعان والاعتراف والتسليم !!

﴿ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ : مأوى ومقام لهم .

كل نظرية لا تطابق الحقيقة فهي كذب وافتراء على الله . وقد كان الناس ولا يزالون

يعيشون في كل عصرٍ على أساسٍ من هذا الكذب والافتراء ، وإن داعي الله إنما ينهض لكي يقيم الدليل القاطع والحجة الدامغة على كونه كذباً وافتراءً والذين يظلون مع ذلك متشبثين بمفترياتهم ، فإنهم أناس معاندون ؛ سيُلقى بهم في نار جهنم . أما الذين رجعوا عما كانوا عليه من الكذب والافتراء واتبعوا الحق ، فأولئك هم المتقون الخائفون من الله ، وسيمحو الله سيئاتهم من صحائف أعمالهم ، ويتلقاهم بالحفاوة والتقدير بناء على صالح أعمالهم !

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

كان رسول الله - ﷺ - داعي التوحيد ، ولكن أسلوب دعوته لم يكن هو الاكتفاء بهذا الإعلان الإيجابي القائل : "الله واحد" ، بل كان يكشف - إلى جانب ذلك - عن بطلان تلك الذوات غير الإلهية التي كان الناس قد اتخذوها آلهةً تُعبد من تلقاء أنفسهم وهذا الجزء الثاني من دعوته - عليه الصلاة والسلام - هو الذي صار عند الناس أمراً لا يُستساغ ولا يُحتمل .

وهذه الذوات غير الإلهية كانت في الأصل أكابرهم القوميين ، وقد مضت قرون ، وهم لم ينفكوا يستمعون إلى قصص كراماتهم المبالغ فيها ، حتى استولت عظمتهم على نفوسهم لدرجة أن رسول الله - ﷺ - لما ردّ على قدسيتهم تعذر على أفهامهم كيف يمكن أن يكون أولئك غير متصفين بالقدسية ؟ ومن ثم هددوه قائلين : لتكفن عن شتم آلهتنا ، أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون!!

على أن داعي الحق مأمور بألا يكترث لمثل هذه المزاعم والأقاويل السخيفة ، وإنما عليه أن يواصل عمله معتمداً على الله وحده ؛ إذْ بدون ذلك لا يمكن أن يتجلى أمر الحق .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾

أَفَرَأَيْتُم : أخبروني .

حَسْبِيَ الله : كافي في جميع أموري .

مَكَانَتِكُمْ : حالتكم المتمكنين منها .

يُخْزِيهِ : يذله ويهينه .

وَيَحِلُّ عَلَيْهِ : يجب عليه .

مازال الإنسان يعبد غير الله على اختلاف الزمان والمكان ، ولكن أحداً من الناس لا يجترئ - مع ذلك - على القول بأن آلهته المفضلة هي التي قامت بخلق السموات والأرض ، أو أنها تمتلك أزمة الأسباب الحقيقية لإيجاد أحوال الراحة والألم والسعادة والشقاء ،وعجيب اقتناع الناس هذا الذي يجعلهم لا يرضون بالتخلي عن معبوداتهم الباطلة .

وإن الداعي لا يسعه ، إذا لم تعد أدلته وبراهينه تؤثر في المدعو وتحرك منه ساكناً ، لا يسعه حينئذ إلا أن يقول: افعلوا ما شئتم فإذا جاء يوم القضاء الأخير ، فسيعلم الجميع مَنْ كان على حقٍ ممن كان على غير الحق . وهذا إظهار لليقين بعد إقامة الدليل

والبرهان، وتلك هي الكلمة الأخيرة تنطلق من لسان الداعي دوماً ؛ إذْ يكون قد استنفد كل طاقاته ، وعاد لا يملك إلا نفسه !!

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

يَتَوَفَّى الأَنفُسَ : يقبضها عن الأبدان .

يطرأ على المرء في أثناء النوم حالة الذهول واللا وعي ، فالنوم بهذا الاعتبار أشبه ما يكون بالموت ، وعندما يستيقظ المرء من نومه يعود إلى حالة الوعي والشعور مرةً أخرى ، وكأنما هذا يمثل البعث بعد الموت .

وفي ضوء هذه الظاهرة الطبيعية يتم تبصير كل امرئٍ ، على مستوى بدائي محدودٍ ، كيف أنه سيموت يوماً ، وكيف سيُعاد حياً من جديدٍ . ولو تأمل المرء بجديةٍ لوجد في هذه الواقعة الدنيوية درساً لآخرته !!

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ

سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾

لله **الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً** : لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه .

اشْمَأَزَّتْ : نفرت وانقبضت عن التوحيد .

فَاطِرَ : يا مبدع ومخترع .

يَحْتَسِبُونَ : يظنونه ويوقعونه .

وَحَاقَ بِهِم : نزل أو أحاط بهم .

الذين كان مشركو الجزيرة العربية يعتقدون أنهم سيكونون لهم عند الله شفعاء ، لم يكونوا في الحقيقة أصناماً من الحجر ، وإنما كانوا أسلافهم الكبار الذين اتخذوا لهم أصناماً وتماثيل من الحجر بمثابة رموزٍ أو علاماتٍ، إن شفعاءهم كانوا أصلاً أكابرهم القوميين ، أحاطوهم بهالةٍ من القدسية جعلتهم يظنون أن التمسك بأهدابهم سيكون كافياً لهم عند الله عز وجل !!

والذين يعتقدون في غير الله اعتقاداً كهذا ، يصل بهم الأمر شيئاً فشيئاً إلى حدٍ ترتبط معه كل عواطفهم السامية من الحب والخضوع والاحترام والإجلال بتلك الشخصيات غير الإلهية ، وبالتالي فإنهم يفرحون أشد الفرح إذا ذُكرت محاسن تلك الشخصيات ، ولكن أرواحهم لا تجد لذةً ولا متعةً فيما إذا ذُكرت كبرياء الله الواحد الأحد !

وأمثال هؤلاء لن يؤمنوا بالتوحيد الخاص ، مهما أقيم عليه من الدلائل القوية والبراهين الساطعة ، ولن تنفتح عيونهم إلا إذا انكشفت القيامة عن جلال الله وجبروته ..، وحال المرء اليوم أنه لا يكاد يستعد حتى بكلمة اعترافٍ واحدةٍ ، أما يومئذٍ فإنه سيقدم كل ما عنده فداءً لنفسه من عقاب ذلك اليوم العصيب ، ولكن لن

يغني عن المرء هناك شيء سوى أعماله الصالحة!

﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً : أعطيناه إياه تفضلا وإحسانا .

هِيَ فِتْنَةٌ :تلك النعمة امتحان وابتلاء .

بِمُعْجِزِينَ : بفائتين من العذاب .

وَيَقْدِرُ : يضيقه على من يشاء بحكمته .

عندما يحصل المرء على شيءٍ في هذه الدنيا يفرح باعتباره نتيجة مؤهلاته هو ، على حين أن أشياء الدنيا هي متاع اختبارٍ وليست جزاء مؤهلاتٍ ، وإدراك هذه الحقيقة هو العلم الأكبر .

إن سعة رزق الدنيا أو ضيقه كلاهما خارج عن حدود الاختيار الإنساني ، حيث يبدو أن هناك قوةً فوق الإنسان هي التي تقرر من يوسع عليه في الرزق ومَنْ لا يُرزق إلا بقدر يسيرٍ.

﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾

أَسْرَفُوا : تجاوزوا الحد في المعاصي .

لاَ تَقْنَطُوا : لا تيأسوا .

الذُّنُوبَ جَمِيعاً : إلا الشرك .

وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ : ارجعوا إليه بالتوبة والطاعة .

وَأَسْلِمُوا لَهُ : أخلصوا له عبادتكم.

إن ذوي القلوب المرهفة الحس حين يوفقون إلى معرفة الله - سبحانه وتعالى - يظل يؤرقهم ويقض عليهم مضاجعهم سؤال مؤداه : ما بال تلك الذنوب التي سبق وأن اقترفناها في ماضي حياتنا؟ فحسهم المرهف قد يجعلهم نهباً للقلق والاضطراب وعدم الاستقرار النفسي ، حتى إن هذا الإحساس يصل ببعضهم أحياناً إلى حد اليأس والقنوط!

ولأمثال هؤلاء أعلن الله في كتابه أنه يجب عليهم أن يتأكدوا من أن أمرهم مع إلهٍ هو الغفور الرحيم ، والذي لا ينظر إلى ماضي المرء وإنما ينظر إلى حاضره ، ولا ينظر إلى ظاهره بل إلى باطنه ، وأنه يعامل المرء معاملةً سمحةً ، وليس معاملةً شحيحةً نكدةً . وللسبب ذاته فإن المرء إذا ما رجع إليه تعالى وأناب ، أخذه في كنف رحمته من جديدٍ ، مهما عظمت وكثرت ذنوبه التي صدرت منه فيما سلف !

﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفۡسٌ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾

بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾

بَغْتَةً : فجأة .

يَا حَسْرَتَى : يا ندامتي ويا حزني .

فَرَّطتُ : قصرت .

فِي جَنبِ اللهِ : في طاعته وأمره وحقه تعالى .

السَّاخِرِينَ : المستهزئين بدينه وكتابه وأهله .

كَرَّةً : رجعة إلى الدنيا .

مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ : مأوى ومقام لهم .

بِمَفَازَتِهِمْ: بفوزهم وظفرهم بالجنة .

إن كلام الله لا ينقسم إلى أحسن وغير الأحسن ، ولم يأت القرآن بدوره مشتملاً على آيات بعضها أحسن وبعضها غير الأحسن ، وليس هناك فرق بين القرآن وبين الكتب السماوية الأخرى من حيث إن بعضها أحسن جوهراً وحقيقةً وبعضها ليس كذلك .

والأصل أن المرء في عالم الامتحان الراهن قد مُنحت له حرية الاختيار والعمل، فبإمكانه هنا أن يأخذ أحد الأقوال مأخذاً مستقيماً أو مأخذا ملتوياً معكوساً ، وأن يوجه اهتمامه - إن شاء - نحو المراد الحقيقي من الكلام أو يفتعل فيه المطاعن ويحمّله من المعاني المغلوطة ما لا يحتمل ، وإن الاستهزاء بالكلام الإلهي هو من أمثلة هذا الباب ،

حيث يلوي المرء أعناق بعض الآيات ويستخرج منها مفهوماً عكسياً ، ثم يأخذ يسخر منها بناءً على فهمه المزعوم ذاك !

وإن المرء ليخفي حقيقته في هذه الدنيا ؛ إذْ هو ينكر الحق بدافع التكبر وحده ، ولكنه يتشدق بألفاظٍ كما لو أنه ينكره على أساسٍ مبدئي ، وفي يوم القيامة سيعود وجه المرء ناطقاً بحالته الداخلية ، فسوف يشهد وجهه يومئذٍ بأن الجوانب " غير الأحسن" التي جعل منها مبرراً لإنكاره الحق ، إنما كانت ألفاظه الكاذبة الملفقة ، وإلا فقد كان الحق في ذاته صافياً نقياً من كل شائبةٍ ، واضحاً تمام الوضوح ، وعندها سيذوب المرء أسفاً وحسرةً على تفريطه في جنب الله، إلا أن أسفه حينئذٍ لن يغني عنه فتيلاً !

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

لَهُ مَقَالِيدُ : مفاتيح وخزائن .

لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ : ليبطلن عملك ويفسد .

إن وجود الكون دليل على وجود خالقه ، وهكذا فإن سير الكون على هذا النحو الدقيق المنظم، وبهذا الأسلوب الهادف الحكيم مما يثبت أن هناك مراقباً لا يزال يراقبه ويرصد حركته كل حينٍ وآنٍ ، ولو تأمل المرء بجدية لوجد في الكون آية خالقه وآية منظّمه ومدبر شئونه كذلك .

وفي مثل هذه الحالة فإن الذين يتوجهون إلى ذوات أخرى دون الله بالعبادة والتعظيم، إنما يعملون عملاً لا قيمة له في كوننا الحالي ، لأنه إذا كان الخالق والوكيل

واحداً ليس غير ، فإن عبادته وحدها ستنفع المرء ، أما عبادة أحدٍ سواه فهي بمثابة توجيه النداء إلى آلهةٍ لا وجود لها إطلاقاً !!.

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

وَمَا قَدَرُوا الله : ما عرفوه ، أو ماعظموه .

قَبْضَتُهُ : ملكه وفي مقدوره وتصرفه .

مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ : بقدرته كطي السجل للكتب .

الصُّورِ : القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل .

فَصَعِقَ : مات ، وهي النفخة الأولى .

وَوُضِعَ الكِتَابُ : أعطيت صحف الأعمال لأربابها .

إن إساءة تقدير الله أو بخْس قدْره هو المصدر الرئيسي لمعظم الضلالات والانحرافات ؛ فالمرء إنما تستبد بعقله مظاهر العظمة الأخرى لكونه لا يدري عظمة الله اللانهائية ، وهو إذْ يظن الارتباط بأكابره وسيلةً للنجاة ، فإنما يبعثه على هذا الظن جهله بأن الله أكبر بكثير من أن يجترئ أحد عنده على تحريك لسانه بدون إذنٍ منه ، والقيامة حين تزيل عن أبصار الناس الغشاوة ، فسيدركون أن الله سبحانه كان عظيماً

وجليل الشأن ، وأن الأرض في قبضته كعملةٍ صغيرةٍ ، والسماء مطوية بيمينه كالورق العادي!

وكما يدق الجرس في قاعة الامتحان إيذاناً بانتهاء فترة الامتحان المحددة ، فكذلك سوف يُنفخ في الصور عند انقضاء أجل عالمنا الراهن ، وبعدئذٍ سيتغير النظام الكوني بأكمله، ويظهر إلى الوجود عالم جديد ، وإن عالمنا الراهن يستنير بضوء الشمس الذي لا يمكّننا إلا من رؤية الأشياء المادية وحدها . أما عالم الآخرة فإن سيستضيء بنور الله تعالى مباشرةً ، ومن ثم فسيمكن هناك أن نرى الحقائق المعنوية المجردة هي الأخرى رأي العين .. وسيُحضر الجميع يومئذٍ أمام محكمة الله . ولقد كان الأنبياء والدعاة السائرون على هداهم قوبلوا من جهة غالبية البشر في هذه الدنيا بالاحتقار وعدم الاكتراث ، ولكن الناس في الآخرة سوف لا يلبثون أن يتملكهم دهشة ووجوم إذْ يرون أن مصائر العباد إنما يتم تقريرها هناك على أساس مَنْ وقف إلى جانبهم مؤمناً بما جاءوا به ، ومَنْ تلقاهم بالإنكار والتكذيب!

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾

زُمَراً : جماعات متفرقة متتابعة .

حَقَّتْ : وجبت وثبتت .

للإعراض عن الحق وإنكاره درجات ، وبحسبها تتفاوت درجات أصحاب جهنم كذلك ، وسوف يقسم هؤلاء في الآخرة إلى جماعاتٍ شتى على حسب درجاتهم ، ثم

يُقذف بكل جماعةٍ إلى الدرك الذي تستحقه من دركات الجحيم ، وكم سيكون المشهد فظيعاً ومخزياً يوم يُوجه إلى جهنم أصحابها ، ويمكننا أن نتخيل ذلك بوضوحٍ من خلال الحوار الذي يجري ساعتئذٍ بينهم وبين الملائكة الموكلين بحراسة جهنم .

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

طِبْتُمْ : طهرتم من دنس المعاصي .

صَدَقَنَا وَعْدَهُ : أنجزنا ما وعدنا من النعيم .

نَتَبَوَّأُ : ننزل .

حَافِّينَ : محدقين محيطين .

وأهل الجنة هم الذين تتوافر فيهم صفة التقوى ، وإذ يدرك المرء كبرياء الله على نحوٍ يقضي على شعوره بكبرياء ذاته ، يترتب على ذلك - بطبيعة الحال - أن يمتلئ فؤاده بالخشية الإلهية ، وإحساسه بمدى عجزه - من ناحيةٍ - وبعظيم قدرة الله - من ناحيةٍ أخرى - يجعله شديد الحذر والاحتياط في أمر الله ، وهو لا يزال كل الوقت في حالة قلق وتخوفٍ دائم مما عسى أن يعامله به ربه في الآخرة ، والذين خافوا من الله في الحياة الدنيا هذا الخوف ، هم الذين سيعتبرون من ورثة الحياة الخالية من كل المخاوف والهموم في الآخرة !

وسيُعامل أهل الجنة في الآخرة معاملة الضيوف الوافدة على الملوك ، حيث سيذهب بهم إلى دور إقامتهم بغاية التوقير والإكرام ، وسوف لا يلبثون أن تفيض على ألسنتهم كلمات الشكر والحمد والثناء تلقائياً إذا رأوا الجنة بعيونهم ، ولن تُعدّ لهم في الجنة مساكن عالية مريحة فحسب ، بل ولن يكون هناك حظر ما على التجول والاجتماع وتبادل الزيارات فيما بينهم ، كما ستوفر لهم كل وسائل السفر والمواصلات من أرفع طرازٍ وبكميةٍ هائلة لا تُقدر.

إن المستحق للحمد والثناء هو ذات الله الواحد الأحد ليس غير ، ولكن هذه الحقيقة لا تتجلى في عالم الامتحان الراهن ، وستكون الآخرة يوم ظهور الحمد الإلهي في أكمل صوره ، فيومئذٍ ستصدح جميع الألسنة ، متجاوبةً معها سائر الموجودات بنغمات الحمد الإلهي ، وستنهار كل الأمجاد الزائفة ومظاهر العظمة الكاذبة ، ولن تكون هناك سوى ذاتٍ واحدةٍ يتوجه إليها المرء بالدعاء والتمجيد ، وسوى كبرياء ذي الجلال الواحد يسبح بحمده ويثني عليه غارقاً في خضم كبريائه وجبروته اللامتناهي!!

سورة غافر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾

غَافِرِ الذَّنبِ : ساتر الذنب للمؤمنين .

وَقَابِلِ التَّوْبِ : التوبة من الذنب من كل مذنب .

ذِي الطَّوْلِ: الغنى أو الإنعام والتفضل أو المن .

استُعملت كلمتا ﴿ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ هنا استدلالاً على حقيقة القرآن الكريم ، ولئن كان ذلك إبان نزول القرآن ضرباً من التنبؤ ، فإنه قد أصبح الآن واقعةً ثابتةً لا جدال فيها .

فقد نزل القرآن قبل عصر العلم في ظروف غير مواتية للغاية ، ولكنه لم يلبث أن أحرز الانتصار والغلبة على جميع معارضيه حسب دعواه ، ففي فترةٍ وجيزةٍ من الزمان جداً استطاع أن يقهر كل مَنْ تصدى له وناصبه العداء من المشركين العرب ، إلى يهود الجزيرة ، إلى الإمبراطوريتين العظيمتين: الفارسية والرومانية ... إلخ ، وهذا واقع لا يوجد له مثيل في التاريخ البشري بأكمله ، وهو برهان ناطق بأن هذا القرآن منزل من عند الله العزيز الغالب الذي يَقْهَر ولا يُقهر .

والميزة الثانية للقرآن هي أنه كتاب صحيح من ألفه إلى يائه ، فحتى بعد مرور ما يقرب من خمسة عشر قرناً لم يكن العثور على شيءٍ من محتوياته ينافي أو يتعارض مع

الحقيقة الواقعة ؛ مما يبرهن بما لا يدع مجالاً للشك على أن منزّله إله عليم وخبير ، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، وأنه يحيط علماً بالماضي والحاضر والمستقبل على حدٍ سواء ، وأن هذا الإله هو المعبود الحقيقي للإنسان ، ومن مقتضى قدرته وعلمه أن يجمع يوماً جميع البشر على صعيدٍ واحدٍ ، ويحاسبهم على أعمالهم ، ثم يحكم على الكل حكمه العادل ، بأن يعفو عن الذين رجعوا إليه تعالى وأنابوا ، ويعاقب الطغاة والمتجبرين على عصيانهم وسوء أعمالهم!!

﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ﴾

يَغْرُرْكَ : فلا يخدعنك .

تَقَلُّبُهُمْ : تنقلهم سالمين غانمين فإنه استدراج .

لِيُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ : ليبطلوا ويزيلوا بالباطل الحق .

حَقَّتْ : وجبت وثبتت بالإهلاك .

المراد بـ ﴿ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ هنا تلك الأدلة التي تقدّم إثباتاً لدعوة الحق ، والذين ليسوا بجادين في أمر الله ، طالما يثيرون مناقشاتٍ فارغةً إيهاماً للجماهير وتمويهاً عليها بأن هذه الدعوة ليست بدعوة الحق ، إنما هي فكرة مبتكرة نبتت في مخيلة أحد الناس الداعي!!

إن مجادلة باطلة كهذه جريمة جد عظيمة ، بيد أن المهلة لا تزال متاحة لأصحابها إلى مدة معينةٍ في عالم الامتحان الراهن ، وينتظرهم ، عقب انقضائها ، المصير المشئوم نفسه

الذي لقيه من قبل قوم نوح ، وعاد وثمود، وغيرهم ، حيث إن الذين ظنوا أنفسهم كباراً لم يلبثوا أن صاروا صغاراً ، وأما الذين كانوا قد اعتبروا صغاراً ، فقد أدخلوا عند الله في عداد الكبار!

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾

سَبِيلَكَ : طريق الهدى (دين الإسلام) .

وَقِهِمْ عَذَابَ الجَحِيمِ : احفظهم منه .

وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ : المعاصي أو عقوبتها .

إن عباد الله الذين يقومون بدعوة الحق ، يتعرضون دوْماً لألوان الأذى والعنت والاضطهاد ، ويُتخذ منهم موضوع السخرية والتحقير والامتهان في مجتمعهم ، ولكن في الوقت الذي يسوء حالهم بين عبدة الظواهر من الناس إلى هذا الحد ، في الوقت نفسه تكون السموات والأرض ناطقة بكونهم على الحق ، ويكون الملائكة الموكلون بتدبير شئون الكون منتظرين لحسن مآلهم وجميل عاقبتهم التي يصيرون إليها في نهاية المطاف ، فالذين قُوبلوا بمنتهى الإهانة ولم يعتبروا أهلاً حتى للذكر في هذا العالم الفاني، ويتبوءون في ذلك العالم الأبدي مقام العز والكرامة بحيث لا تفتأ ألسنة أقرب المقربين من ملائكة الله تلهج بالدعاء والاستغفار في حقهم!!

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾

لَمَقْتُ الله : لبغضه الشديد وغضبه عليكم .

تُؤْمِنُوا : تذعنوا وتقروا بالشرك .

لقد بعث الله - سبحانه وتعالى - ورحمته إلى عالمنا الراهن في ثوب الهداية ، ولكن الناس لم يتلقوها بالقبول ، وستكون عاقبة هذا الرفض في الآخرة أن يحرم أصحابه من الرحمة الإلهية حرماناً مؤبداً ؛ فإنهم لما كانوا قد أعرضوا عن رحمة الله المهداة في الدنيا ، فسوف تعرض عنهم رحمة الله في الآخرة جزاءً وفاقاً .

وعندها سيقول هؤلاء المنكرون الجاحدون : يا ربنا ! لقد خلقتنا من ترابٍ ، فكأننا كنا أمواتاً ، فنفخت فينا الحياة ، ثم تعرضنا للموت مرةً أخرى عندما انقضت أعمارنا المحددة، وها نحن قد بُعثنا من جديدٍ في عالم الآخرة ، وهكذا فقد أمتّنا - يارب - مرتين وأحييتنا مرتين . ولئن أتحت لنا الآن فرصةً ثالثةً ، فتردنا إلى الدنيا ، كي نعيش فيها عمراً آخر ، ثم نحضر إليك بعد الموت ، فإننا سنعترف هناك بصدقك ، ونمارس حياةً صالحةً تقيةً !

غير أن طلبهم هذا لن يلقى الإجابة أو القبول ، ذلك لكونهم قد أثبتوا عن أنفسهم أنهم لا يستطيعون إدراك الصدق ؛ مادام الصدق مستتراً وراء الغيب ، وإنما هم يستطيعون أن يتعرفوا على الآلهة "الظاهرة المنظورة" ، ولا يقدرون على معرفة الإله الغيبي ، وإنه لا قيمة لعبدة الظواهر كهؤلاء عند الله سبحانه وتعالى .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَـٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ ﴾

يُنِيبُ : يرجع إلى التفكير في الآيات .

رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ : رافع السماوات بعضها فوق بعض .

يُلْقِي الرُّوحَ : ينزل الوحي أو القرآن أو جبريل .

يَوْمَ التَّلاقِ : يوم الاجتماع في المحشر .

هُم بَارِزُونَ: خارجون من القبور ظاهرون لا يسترهم شيء .

يزخر الكون بآياتٍ لا تُحصى ؛ تعلمنا درس الحقيقة بلغة التمثيل ، ومن هذه الآيات نظام المطر ، فهذا الحدث المادي يمثل أمر الوحي المعنوي ، فكما أن المطر نافع للأراضي الخصبة ، وغير نافع للأراضي البور ، فكذلك الوحي - وهو مطر الله المعنوي - إذْ يدخل في أعماق الذين جعلوا صدورهم مفتوحةً ، يملأ وجودهم خصوبةً ونضارةً ، وعلى نقيض من ذلك فإن الذين مُلئت صدورهم بالأمجاد غير الإلهية ، شأنهم شأن الأراضي البور ، لن يزالوا محرومين من فوائد الوحي الإلهي .

إن الله سبحانه خبير بعباده على أتم وجهٍ وأكمله ، وإنه تعالى يختار من بينهم مَنْ يجده

أهلاً لتبليغ رسالته ، وهذه الرسالة تهدف - أساساً - إلى إنذار الناس باليوم الذي يُحضرون فيه بين يدي مالك الكون ذي العزة والجلال الذي لا يخفى عليه شيء من أحوال الناس ، وليس ثمة أحد من شأنه أن يؤثر أو يتدخل في قضائه يومئذ!!

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ﴾

يَوْمَ الآزِفَةِ : يوم القيامة لقربها .

الحَنَاجِرِ : التراقي والحلاقيم .

كَاظِمِينَ : ممسكين على الغم الممتلئين منه .

حَمِيمٍ : قريب مشفق يهتم بهم .

خَائِنَةَ الأَعْيُنِ : النظرة الخائنة إلى ما لا يحل .

يتمتع الإنسان بكل أنواع الفرص والإمكانات في العالم الراهن ، فهو حر ليفعل ما يشاء ؛ مما يوقع المرء في سوء الفهم والتقدير ، حيث إنه ينظر إلى حالته المؤقتة الراهنة هذه على أنها حالته الدائمة ، في حين أن هذه الفرص والإمكانات التي أتيحت للإنسان إنما هي على وجه الامتحان وليس على وجه الاستحقاق ،فحين تنقضي مدة الامتحان تُنتزع منه كل الفرص والإمكانات المتاحة حالياً ، وعندها سيدرك الإنسان أنه لا يتوافر لديه غير العجز شيء يستند عليه !

ويميل المرء إلى أن يعيش حياة حرةً طليقةً من كل القيود ، وبسبب هذا المزاج ذاته يتخذ المرء لله أنداداً وشركاء في ألوهيته ، لكي يستغل أسماءهم لإضفاء صبغة الشرعية

على ضلاله وانحرافه ، ولكن عندما تتجلى الحقيقة سافرةً عاريةً في يوم القيامة ، فسيعلم المرء حينئذٍ أنه لم يكن هناك غير الله أحد يتمتع بأي نوعٍ من القدرة أو الاجتهاد في الأرض ولا في السماء !!

﴿ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ ﴾

وَاقٍ : دافع يدفع عنهم العذاب .

إن تاريخ العالم غني بأمثلة كثيرة تدلنا على أن أمةً ازدهرت ثم اندثرت ، وأخرى شيدت صرح مدنية رائعة على وجه الأرض ، وإذا بآثار مدنيتها لا توجد اليوم إلا في صورة أطلال مدفونة تحت الأرض ، وأمة ثالثة كانت في يومٍ من الأيام واقعةً حيةً ملموسةً في دنيا الناس ، ولكنها لم تعد تُذكر الآن إلا كواقعة تاريخية مضت!

ومثل هذه الوقائع ، وإن كانت وقائع معلومة عند الناس ، إلا أنهم أدرجوها تحت عنوان الحوادث الأرضية أو الانقلابات السياسية ، أما حقيقة الأمر فهي أنها كانت أحكاماً إلهية نفذت على تلك الأمم نتيجة إنكارها للحق ، ولو أتيح لنا بصر نتمكن به من رؤية الحقائق المعنوية لوجدنا أن كل واقعةٍ من تلك الوقائع كان يتم إحداثها بواسطة ملائكة الله ، وإن بدت للناظرين ، كأنها تحدث تحت العوامل والأسباب الدنيوية !

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾

وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ : استبقوا بناتهم للخدمة .

ضَلالٍ : ضياع وبطلان ووبال .

يُؤيِّد الأنبياء - إلى جانب الحجج والبراهين العامة - بمعجزات وخوارق تدل بما لا يدع مجالاً للشك على كونهم مرسلين من عند الله ، ولكن الإيمان بالحق يتم دوْماً في مقابل نفي الذات وعلى حساب كبريائها ، وهو أصعب تضحيةٍ على نفس إنسانٍ بلا ريب. وهذا هو السبب في أن فرعون وملأه لم يقروا بنبوة موسى - عليه السلام - رغم إتيانه بدلائل واضحةٍ غاية الوضوح!

وبدلاً من ذلك راحوا يوهمون الناس بأن ادعاء موسى النبوة لا حقيقة له ، وأن معجزاته لا تخرج عن كونها سحراً ، وصمّموا على تنفيذ سياستهم القمعية السابقة لتقليل تعداد بني إسرائيل بمزيدٍ من الشدة والاهتمام ، حتى لا يتمكن موسى من إقامة أرضية صلبةٍ يقف عليها بين أبناء قومه ، ولكنهم لم يكونوا يدرون أن تدابيرهم تلك لا يتخذونها إزاء موسى ، وإنما بإزاء الله عز وجل ، وأن أي مكيدة تُحاك إزاء الله تبوء دوماً بالفشل الذريع!

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ ﴾

عُذْتُ بِرَبِّي : اعتصمت وتحصنت به تعالى .

وقوله : ﴿ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ﴾ يعني أن يقضي على ما أنتم عليه من طريقتكم

الدينية، والتي ما زلتم تتوارثونها خلفاً عن سلفٍ ، وبالتالي يروج بينكم دين جديد لم تألفوه، ولذلك نسمع من حينٍ إلى حينٍ أن المتطرفين الهنادك في الهند يطالبون بفرض الحظر على حرية الدعاية الدينية قانونياً ، بحجة أنه إذا لم يتم ذلك فسوف لا يلبث أن يغير أهل الأديان الأخرى بدعايتهم دين البلاد الرسمي!!

والمراد بالفساد هو البلبلة والاضطراب ، أي إن موسى سوف لا يلبث أن يجد من بني شعبه أنصاراً وأعواناً ، فيسعى معهم إلى إثارة الفوضى والقلاقل في طول البلاد وعرضها ، ولذا يجب أن نقتله قبل أن يستفحل أمره !

وإن أكبر عائق يحول دون إيمان المرء بالحق هو نفسيته المفعمة بالتكبر والصلف والغرور ، فإنه لكيما يحتفظ برأسه عالياً مرفوعاً يحاول أن ينكس راية الحق ، ولكن الحق نصيره هو الله ب العالمين ، ولئن تمكن معارضوه - بادئ ذي بدءٍ - من كسب جولةٍ أو جولات في صراعهم مع الحق ، فإن نصر الله كفيل؛ لأن النجاح الأخير سيكتب للحق على أية حالٍ!!

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾

ظَاهِرِينَ : غالبين عالين .

بَأْسِ اللهِ : عذابه ونقمته .

مَا أُرِيكُمْ : ما أشير عليكم .

إن الرجل المؤمن الذي ورد ذكره هنا كان ينتمي إلى أسرة فرعون الملكية ، ولعله كان من ذوي المناصب العليا في البلاط الفرعوني،وقد تأثر بما جاء به موسى – عليه السلام – من دعوة التوحيد،فآمن بها سراً ، وما زال يكتم إيمانه،ولكنه لم يكد يرى فرعون وملأه يأتمرون بموسى لقتله،حتى انبرى لحماية موسى مما يُكاد له علناً وجهاراً ، وقد دافع عن موسى – عليه السلام – بأسلوب قوي مؤثر وحكيم للغاية .

ومن العبر التي ينطوي عليها هذا الحادث : أن التبليغ قوة تخلق لنفسها أنصاراً ومؤيدين ، حتى في صفوف الأعداء ، ولو كان العدو أسرة ظالمة متكبرة كآل فرعون!!

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾

الأَحْزَابِ : الأمم الماضية المتحزبة على الأنبياء .

دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ : عادتهم في الإقامة على التكذيب .

يَوْمَ التَّنَادِ : يوم القيامة (للنداء فيه للمحشر) .

عَاصِمٍ : مانع ودافع .

كان فرعون قد حذر موسى من عقاب الدنيا ، ورداً على ذلك فقد حذر الرجل المؤمن فرعون من عقاب الآخرة ، وذلك هو منهج الداعي إلى الحق دائماً ، ففيما يهتم الناس بشئون الدنيا ، يهتم الداعي بشئون الآخرة ، وفيما يتحدث الناس بمصطلحات الدنيا ، يصوغ الداعي كلامه في مصطلحات الآخرة ، وفيما يعتبر الناس قضايا الدنيا

أحق بالذكر ، تكون أولى القضايا بالذكر وأجدرها بالعناية في نظر الداعي هي التي تتصل بالآخرة !!

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾

مُرْتَابٌ : في دين الله شاك في وحدانيته .

بِغَيْرِ سُلْطَانٍ : بغير برهان وحجة .

كَبُرَ مَقْتاً : عظم جدالهم بغير حجة بغضا .

رفض أغلب المصريين التسليم بنبوة يوسف ما دام حياً بين أظهرهم ، ولكن لما بدأ الفساد يتسرب على أثر وفاته إلى أجهزة الحكم في البلاد ، أحس المصريون عندئذ بمدى عظمته – عليه السلام – فإذا بهم يقولون : إن وجود يوسف كان مصدر اليمن والبركة لمصر، وأنى سيأتي الآن رسول مثله ، وإن يوسف – رغم كونه نبياً مرسلاً من عند الله – كان بشراً ، وعليه فقد كان المجال مفتوحاً أمام أعين الناس ليتساءلوا قائلين : هل من الضروري أن يكون يوسف نبياً حتى يصدر عنه ما صدر من العجائب والكمالات ، إذْ من المحتمل أيضاً أن يكون هو إنساناً ذكياً ، أتى بهذه العجائب والكمالات بناءً على ذكائه الخارق ! ولقد كانت مثل هذه الأقاويل والمزاعم السخيفة هي التي جعلت المصريين يقعون ضحايا الشك والارتياب في نبوته – عليه السلام –

ومهما يكن الحق واضحاً ، فإنه لا يزال بإمكان المرء دوْماً في عالم الامتحان الراهن أن ينكره بإثارة أية شبهة مفتعلة حوله ، والذين تنطوي نفوسهم على مزاج التمرد

والاستكبار ، والذين يحسبون أنهم سيفقدون كبرياءهم فيما لو آمنوا بالحق ، يظلون ، بحكم طبيعتهم ومزاجهم متورطين في هذه الشبهات ، وهم يتناولون هذه الشبهات بالتفخيم لدرجة أنها تستولي على قلوبهم وعقولهم ، وتكون النتيجة أنهم لا يكادون يستطيعون التفكير في أمر الحق على نحوٍ مستقيمٍ ، وبالتالي فإنهم لا يزالون مصرين على إنكاره حتى تنتهي آجالهم !

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

صَرْحاً : قصراً أو بناء عالياً ظاهراً .

أَبْلُغُ الأَسْبَابَ : الأبواب أو الطرق .

تَبَابٍ : خسران وهلاك .

إن القول الذي وجهه فرعون إلى وزيره هامان لم يكن قولاً صادراً عن جد ، وإنما كان كيداً ، أي تدبيراً وقتياً محضاً ، حيث إنه لما رأى الملأ من حوله يتأثرون بخطاب الرجل المؤمن البليغ المدعم بأدلةٍ منطقيةٍ لا تقاوم ، أراد أن يلقي " فتيشةً " – على حد تعبير أهل الشام – تصرف اهتمام الحاضرين ، وبالتالي تتحول دعوة موسى إلى موضوع التهكم والسخرية بدل أن تصير موضوع التأمل والدراسة الجادة .

و" صيرورة سوء العمل مزيناً " هي أن يرفض المرء أمر الحق بترديد بعض الألفاظ البراقة ، وذلك هو منشأ ضلال المرء الحقيقي ، أي إعطاء الأهمية للمطاعن والاعتراضات المفتعلة بدلاً من الأدلة الجوهرية ، ومحاولة الستر على انحراف سافرٍ صريحٍ بغلاف من التبريرات الكاذبة ... إلخ ، وأمثال هؤلاء يغيب عن بالهم أن الحق

يكون قائماً على أساس دليلٍ محكمٍ لا يمكن التغلب عليه بافتعال المطاعن الباطلة !

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾

بِغَيْرِ حِسَابٍ : بلا نهاية من الرازق لما يعطي .

لاَ جَرَمَ : حق وثبت أو لا محالة أو حقاً

لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ : مستجابة . أو استجابة دعوة .

مَرَدَّنَا إِلَى اللهِ : رجوعنا بعد الموت إليه تعالى للجزاء.

إن خطاب الرجل المؤمن من آل فرعون هذا واضح غاية الوضوح ، وهو- إلى جانب ذلك – خطاب نموذجي يدلنا كيف ينبغي أن يكون خطاب الدعاة إلى الحق ، وما المحور الرئيسي لدعوة الحق ؟

﴿ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ

دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ ... الآيات . هذه الجملة تمثل خلاصة خطاب الرجل المؤمن ، فمن خلالها يتضح لنا بجلاء ما هو الشيء الذي كان محل الجدل والنقاش في البلاط الفرعوني آنذاك ، وقد كان ذلك يتمثل في السؤال الآتى : إلى من نتوجه بالدعاء ؟ إلى الله الواحد الأحد ، أم إلى هذه الأصنام التي صنعها الإنسان بيده؟

فقال الرجل المؤمن لمن حوله : إن الله حقيقة حية قاهرة غلابة . ودعاؤنا إياه دعاء لإله حقيقي ، وأما أصنامكم هذه فإنما هي من اختراع أوهامكم ، وإنها لن تنفعكم شيئا في الدنيا ولا في الآخرة ، فإذا لم يكن لها وجود في حقيقة الأمر ، فكيف يمكن أن يرجى منها أية فوائد حقيقية ؟! وقد نقل ابن كثير في تفسير هذه الآية عن قتادة قوله : " يعني الوثن لا ينفع ولا يضر "[1].

﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾

وَحَاقَ : أحاط وأنزل .

غُدُواً وَعَشِياً : صباحاً ومساءً أو دائماً في البرزخ .

إن الرجل المؤمن من رجال البلاط الفرعوني لم يكن نبياً ، ولكن بالرغم من كونه وحيداً ، أنقذه الله من مكر فرعون ونواياه العدوانية الجائرة ، ومن هذا نعلم أن غير الأنبياء ينالون حماية الحق – من النصر والتأييد الخصوصي – مثل ما وعُد به الأنبياء والمرسلون.

---

(١) انظر مختصر تفسير ابن كثير ٣ / ٢٤٥.

وإن مصائر العباد الأخروية ، وإن كان سيتم تحديدها بصورة حتمية يوم القيامة ، إلا أن المرء لا يكاد يدخل بعد الموت أبواب العالم الآخر حتى يدرك من فوره ماذا جناه في حياته السابقة ، وأي مصير ينتظره هنا الآن، وهكذا فإنه يتعرض على مستوى الشعور ، عقب الموت مباشر لمصيره المحتوم الذي سيواجهه على المستوى الجسدي يوم القيامة، بعد أن تقام المحكمة الإلهية الأخيرة !

﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ ﴾

مُّغْنُونَ عَنَّا : دافعون، أو حاملون عنا .

تعرض هذه الآيات مشهداً من مشاهد جهنم ، وهو مشهد تتقابل فيه صورتان : صورة الرؤساء الذين عاشوا في الدنيا مستكبرين ومتعالين ، وها هم أولاء ينسون يومئذ علوهم واستكبارهم بالمرة ، تقابلها صورة العوام الذين كانوا يعتزون هنا بكبريائهم هؤلاء ، فإذا بهم يبدون هناك مشاعر التبرم والاستياء نحوهم .

إن الذي لم يكونوا يستعدون للخضوع أمام الحق في الدنيا سوف لا يلبثون أن يخضعوا للحق هناك في تواضع وخضوع ، غير أن خضوع الآخرة لن يغني عن أحد فتيلاً!

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾

يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾

يَقُومُ الأَشْهَادُ : الملائكة والرسل والمؤمنون .

مَعْذِرَتُهُمْ : عذرهم أو اعتذارهم حين يعتذرون .

بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ : طرفي النهار أو دائماً .

إن للأنبياء وأتباعهم وعداً حتمياً أكيداً بنصر من الله لا يتخلف ، ولكن الاستحقاق لهذا النصر يتأتى دوماً بعد الصبر ، وما كان الصبر من الأهمية بهذا المكان إلا لكي يتميز أهل الحق من الظالمين بتمام الوضوح والجلاء ، ولأجل الإتيان بهذه المرحلة المميزة (الفاصلة) يضطر أهل الحق إلى أن يصبروا من طرف واحد ، وصبر أهل الحق هذا يؤهلهم في الدنيا لنصر الله ، كما يثبت بهذا الصبر جدارتهم بأن يقاموا شهداء لله على الظالمين يوم القيامة.

وإن الكتاب الذي يبعث من عند الله إنما يبعث للهداية والتذكير ليس غير، بيد أن هذا التذكير لا ينفع إلا ذوي الألباب والعقول،أي الذين ليسوا مكبلين بقيود المصالح،ويستطيعون التأمل في مضامينه متحررين من كل العقد النفسية،والذين يختبرون ما يُقال لهم بقياس الدليل وحده،وليس بأي مقياس آخر عداه ، وهذا هو الموقف العاقل من الهداية الإلهية،والذين يتخذون إزاء الهداية موقفاً غير عاقل هم الظالمون حقاً ، أما الذين يقفون منها موقفاً يتسم بالتعقل والتصبر فأولئك هم الفائزون بالنجاح والسعادة!

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴾

سُلْطَانٍ :حجة وبرهان .

مَا هُم بِبَالِغِيهِ : ببالغي مقتضى الكبر والتعاظم .

إن الحق واضح ومبرهن عليه ؛ لدرجة لا يصعب معها أن يفهمه الإنسان كائناً من كان ، ولكن الحق إذْ يظهر فإنما يظهر عن طريق " إنسان " ، ومن ثم يغدو الاعتراف بالحق عملياً مرادفاً بحامل الحق ، وهذا هو السر في أنه لا يكاد يستعد للاعتراف بالحق أناس تنطوي صدورهم على نفسية الاستكبار ، حيث إنهم يخافون أنهم سوف لا يلبثون أن يفقدوا كبرياءهم وتفوقهم على حامل الحق حين يعترفون بالحق ، وبسبب نفسيتهم تلك ينبري هؤلاء لمعارضته ، بيد أن الله – جل وعلا – قدّر لدنياه ألا ينجح في جنباتها أمثال هؤلاء أبداً !

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

إن عظمة هذا الكون تنطق بعظمة خالقه ، وهذه العظمة هائلة لدرجة أن إعادة خلق الإنسان مرة أخرى أمر هين ويسير جداً بالقياس إليها،وهكذا فإن خلق الكون يبرهن على إمكان خلق الإنسان الثاني .

وإذا أَجَلْنا أبصارنا في المجتمع الإنساني،فإن قيام عالم الآخرة يبدو لنا ضرورة

أخلاقية لابد منها ، ففي المجتمع أناس يقيمون الدليل على تمتعهم ببصيرة نفاذة إلى الحقيقة ، وآخرون يقفون من الحقيقة موقف الصم العمي، ونجد في المجتمع أيضاً أفراداً لا يزالون متمسكين بالعدل على كل حالٍ من الأحوال ، كما نجد فيه آخرين يحيدون عن جادة العدل، ويعاملون الناس معاملةً جائرة ظالمةً ، وإن حس الإنسان الخلقي ليقرر بأنه لا ينبغي أن ينتهي هذان الصنفان من البشر إلى مصير واحد مماثل ! ولو أننا أمعنا النظر في هذه الأمور لاتضح لنا أن ظهور الآخرة ضروري من وجهة النظر الأخلاقية !

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

دَاخِرِينَ : صاغرين أذلاء .

فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ : فكيف تصرفون عن توحيده ؟

يُؤْفَكُ : يصرف عن التوحيد الحق .

إن تعاقب الليل والنهار على وجه الأرض بانتظام ، وما إلى ذلك من الظواهر الحيوية الأخرى من هذا القبيل ، لأكبر من أن يقدر على إيجادها إنسان أو كل الخلائق مجتمعة . وهذه قرينة واضحة تدلنا على أن الله الذي قام بالخلق والإيجاد ، هو وحده يستحق أن يُتخذ إلهاً يُعبد ، فينبغي للمرء ألا يخضع إلا له ، ولا يعلق آماله إلا عليه ، على أن المرء لا يتمكن من إقامة صلة الدعاء والعبادة الحقيقية بخالق الكون ، والسبب

في ذلك أنه قد لا يكون متعلقاً بشيء دون الخالق ، حيث يتعلق بعضهم بأصنام حية أو ميتة ، وهذا ما يقال له الشرك ، بينما يكون بعضهم الآخر متعلقاً بذاته هو ، وذلك ما يسمى " الكبر " ومن حين لآخر يبرز الله – سبحانه وتعالى – أدلة وبراهين تنقض هذا الخداع والتزييف من الأساس ، ولكن الإنسان لا يلبث أن يعرض عنها استناداً على بعض التبريرات الكاذبة .

وكل سلوك من هذا النوع استهانة بخالق الكون وعدم تقدير له ، والذين يستهينون بخالق الكون ، ولا يقدرونه حق تقديره ، لن يجدوا لأنفسهم مكاناً أو ملجأ إلا في نار جهنم !

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾

الأَرْضَ قَرَاراً: مستقرا تعيشون فيه .

وَالسَّمَاءَ بِنَاءً : سقفاً مرفوعاً كالقبة فوقكم .

فَتَبَارَكَ الله : تعالى أو تمجد أو كثر خيره .

إنه لم يكن ممكناً بالنسبة إلى مخلوق كالإنسان أن يقوم ببناء التمدن والحضارة على وجه الأرض لولا ما أودع فيها من أسباب وإمكانيات تفوق الحصر ، وهكذا فإن هناك تدابير محكمة لا تحصى قد اتخذت في الفضاء العلوي فوق الأرض إن حدث فيها أدنى خللٍ لفسد نظام الحياة الإنسانية بالمرة ، ثم إن الإنسان قد تم تكوينه وتشكيله على طراز رفيعٍ جعله - من الناحيتين : العقلية والجسمانية – المخلوق الأسمى في هذا الكون ...، إذن فهل من أحدٍ – غير الخالق – يستحق أن يتوجه إليه الإنسان بالعبادة

والتعظيم ! كلا ... كلا !! ودعاء الله مع إخلاص الدين له وحده معناه أن تكون عواطفنا الدينية كلها موجهة نحو الله سبحانه وتعالى !

﴿ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ ﴾

أَنْ أُسْلِمَ : أن أنقاد أو أخلص ديني .

لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ : كمال عقلكم وقوتكم .

قَضَى أَمْراً : أراد إيجاد أمر .

تناولت هذه الآيات بعض وقائع الطبيعة ، ثم عقب عليها بقوله ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ مما يعني أن هناك دروساً معنويةً تكمن في هذه الوقائع المادية من عالم الطبيعة، والمطلوب من الإنسان أن يصل إلى تلك الدروس الكامنة عن طريق التأمل والتفكير .

ووقائع الطبيعة التي ذُكرت هنا تتلخص في : تحوّل المادة الهامدة التي لا حياة فيها إلى وجود ذي حياة ، وتخلّق ونسوئه التدريجي ، وبلوغ الإنسان سن الشباب ثم الرشد ثم تعرضه للهرم والشيخوخة .. وأخيراً استحالة الإنسان الحي مرة أخرى إلى وجود ميت عن عمر يقصر حيناً، ويطول حيناً آخر ، وهذه الوقائع تعرفنا بمختلف صفات الخالق جلَّ وعلا، فمنها نعلم أن موجد هذه الكون هو إله قادر وحكيم وهو عزيز وغالب لا يقهر ... إلخ ، وإنه لو اعتبر المرء بهذه الوقائع حق الاعتبار لصرخ عقله

قائلاً بأن الله الواحد الأحد هو وحده حقيق بأن نعبده ونعدّه مطلبنا الأسمى والأخير . وإن خريطة العالم هذه تبطل بلسان الحال ، جميع المعبودات التي تكون قد اتخذت من دون الله الواحد الأحد !

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾

أَنَّى يُصْرَفُونَ : كيف يصرفون عن الآيات مع صدقها ووضوحها؟

الأَغْلالُ : القيود تجمع الأيدي إلى الأعناق .

الحَمِيمِ : الماء البالغ نهاية الحرارة.

يُسْجَرُونَ : توقد أو تملأ بهم .

تَفْرَحُونَ : تبطرون وتأشرون .

تَمْرَحُونَ : تتوسعون في الفرح والبطر.

مَثْوَى المُتَكَبِّرِينَ : مأواهم ومقامهم .

من هم الذين كانوا يفرحون ويمرحون في الأرض بغير الحق ؟ إنهم كانوا كبار عصرهم فبسبب النصيب أتيح لهم من متاع الدنيا ومظاهر كبريائها ، لم يلبثوا أن أصيبوا

بالغرور والاعتزاز والخيلاء ، وقد جعلهم ما أحرزوه من النجاح المادي يزعمون أنهم أناس محظوظون ، على حين أنهم لم يكونوا في حقيقة الأمر إلا أناساً محرومين تماماً .

وكبار العصر هؤلاء يكونون أول من ينكر الحق ، ثم لا تلبث الجماهير بدورها أن تقف من الحق ، اقتداءً بهم، موقف الجحود والإنكار ، وقد عرضت هذه الآيات مشهد العالم الآتي ، حيث سيكون هؤلاء قد ألقي بهم في نار جهنم جزاء علوهم واستكبارهم، فإن كبرياءهم الكاذبة لن تنتهي بهم آخر الأمر إلى شيء سوى الهوان الأبدي الذي لن يجدوا إلى الخلاص منه سبيلاً !

﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

إن هذا وعد من الله بأنه سينصر الدعاة إلى الحق ويقهر القوى المعادية له ، غير أن هذا الوعد إنما يتحقق بعد الصبر ، فالداعي يتعين عليه أن يصبر على كل أذى وعنت يلقاه من جانب المدعو ، إلى أن يحين وقت ظهور وعد الله بمقتضى سنته الأزلية ، ومع أن معارضي الحق يلقون عقابهم الحقيقي في الآخرة ، إلا أنهم ربما يعرضون لبوادره في العالم الراهن كذلك، وإن لم يكن من الضروري اللازم أن يفعل بهم ذلك دائما !

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

إن قصص الأنبياء وأحوال المرسلين لم تُذكر في القرآن الكريم على وجه التاريخ ، وإنما على وجه التذكير ، ولذلك فإن القرآن لا يتناول من أحوال الرسل إلا القدر الذي كان يلزم عند الله – سبحانه وتعالى – لأجل الذكر والنصيحة .

وإن مهمة الرسول الأساسية إنما تكمن في قيامه بإبلاغ رسالة الله إلى الناس مراعياً كل آدابها ومقتضياتها الضرورية ، وأما ما يتعلق بإظهار المعجزات والخوارق ، فإن ذلك بيد الله ، يظهرها تارة ، ولا يظهرها تارة أخرى بحسب حكمته ومشيئته التي لا يعلمها إلا هو .

وقد تم إظهار المعجزات (الحسية) في الأغلب لأمم كان الله قد قرر إهلاكها نظراً لتماديها في الطغيان ، ومن ثم أجريت على يد أنبيائها صنوف المعجزات وخوارق العادات إعذاراً لها ولإقامة الحجة عليها .

وأما أمة رسول آخر الزمان – صلى الله عليه وسلم – فقد كان المفروض أن كثرتها الكاثرة ستدخل في حظيرة الإيمان عاجلاً أو آجلاً ، حيث إنهم كانوا أناساً يمتلكون هذه الكفاية الكامنة التي أهّلتهم ليكونوا أول جماعة في تاريخ البشرية اعترفت بالحق على أساس الدليل وحده ، وبالتالي سلمت نفسها إليه وتفانت في سبيل خدمته عن طواعية وإرادة حرة .

ومن هنا لم تُعرض عليهم الخوارق والمعجزات (الحسية) رغم اقتراحهم إياها بين الحين والحين ، باعتباره اقتراحاً صادراً عن جهل وحماقة وتعصبٍ !

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ : أمراً ذا بالٍ تهتمون به .

إن الإنسان محتاج إلى أشياء كثيرة للإبقاء على حياته وتمدنه ، كالغذاء والمراكب ، ومختلف أنواع الحرف والصناعات ، وأدوات نقل الأمتعة من مكان إلى آخر ، وكل

هذه الأشياء تتوافر في عالمنا الراهن بكميات هائلة ، وقد جعل الله أشياء الدنيا على نحو تبقى معه دوُماً مسخرة خاضعةً لإرادة الإنسان ، بحيث يستخدمها في تحقيق شتى أغراضه ومآربه كيف يشاء .

وكل هذه الأشياء بمثابة آيات الله ، تعلن عن الحقائق الغيبية بلسان مادي وهذا الإعلان، إن كان بأسلوب غير مباشر ، إلا أن الخير للإنسان أن يتفهم الكلام الموجه إليه بالأسلوب غير المباشر ، لأن الله – سبحانه وتعالى – إذا تكلم بالأسلوب المباشر فسيكون ذلك إعلاناً عن انتهاء مهلة العمل وليس بدء فرص العمل !

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

فَمَا أَغْنَى عَنْهُم : فما دفع عنهم وما نفعهم .

مِّنَ العِلْمِ : بأمور الدنيا مستهزئين بالدين.

وَحَاقَ بِهِم : أحاط . أو نزل بهم .

رَأَوْا بَأْسَنَا : عاينوا شدة عذابنا في الدنيا .

خَلَتْ : مضت .

العلم نوعان : علم يمكن صاحبه من إحرازه الرقي والتقدم الدنيوي ، وعلم

يهدي صاحبه إلى طريق النجاح الأخروي ، والذين يتمتعون بعلم الدنيا ، تظهر نتائجه الباهرة على الفور في صورة التطورات والإنجازات المادية الملموسة ، وعلى النقيض من ذلك وبشكل محسوس أصحاب العلم الأخروى !!

وهذا الفارق ربما يولد في نفوس المتضلعين في علوم الدنيا مركب الاستعلاء ، ومن هنا لما بعث أنبياء الله في أمم كهذه قابلتهم بالاحتقار والازدراء ، ناظرةً إلى نفسها على أنها أعلى وأعظم منهم شأناً ، حتى إنها أخذت تسخر منهم وتستهزئ بما جاءوا به ، بيد أن الله – عز وجل – أهلك تلك الأمم ، الواحدة تلو الأخرى ، رغم كل قواها الجبارة ومظاهر تقدمها العلمي والحضاري المدهش ، وإنما توجد آثارها التاريخية ومعالم حضارتها البائدة اليوم إما بشكل أطلال وخرائب متهدمة ، أو مطمورة تحت الرغام ... وهكذا فقد أقام الله للناس كافة مثالاً تاريخياً معبراً يقرر أن سر النجاح الدائم الباقي يكمن في علم الآخرة وليس في علم الدنيا!

وقد كذبت هذه الأمم برسالة أنبيائها ....، ومع كون أولئك الأنبياء تتوافر لديهم قوة الدليل والبرهان ، إلا أنها لم تكد ترضى بالخضوع أمام قوة الدليل ، إلى أن نبّأهم الله تعالى بأمر الحق في نهاية المطاف بلغة العذاب ....، وعندها لم يلبث هؤلاء أن بادروا بالإقرار والتسليم في ضراعة وخضوع غير أن هذا الإقرار لم يغن عنهم شيئا لك، لأن الإقرار المطلوب هو الذي يتم على أساس الدليل ، ولا قيمة لإقرار يلجأ إليه بعد رؤية العذاب الإلهي رأي العين !

سورة فصلت

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾

فُصِّلَتْ آيَاتُهُ : ميزت ونوعت أو بينت .

أَكِنَّةٍ : أغطية خلقية تمنع الفهم .

وَقْرٌ : صمم وثقل يمنع السمع .

حِجَابٌ : ستر غليظ يمنع التواصل .

إن دعوة النبي تكون دعوة إلى الدين الخالص النقي ، وأما حال الناس فهو على نقيضٍ من ذلك ، إذْ يكون أكثرهم على دين أكابرهم ، ويسيطر على عقولهم ما توارثوه من تقاليد وعادات قومية عبر الأجيال ، وما يسود عصرهم من الأفكار والاتجاهات ، ومن ثم فإن ما يدعو إليه الرسول من الدين الخالص النقي لا يكاد يتوافق مع شاكلتهم الفكرية ، فسيبدو لهم شيئاً غريباً لم تألفه النفوس ، ويقف هذا الفرق بمثابة حاجز ذهني بين الرسول ومخاطبيه، وبما أنهم لا يستطيعون أن ينظروا إلى دعوة الرسول في صورتها الأصلية ، لا يرضون بالتالي أن يتلقوها بالإيمان والقبول .

وإن دعوة النبي تكون في حد ذاتها مدعمةً بأقوى الأدلة وأوضح البراهين لدرجة

أنها تكون في نفسها دليلاً على كونها أمراً جاء من عند الله ، غير أن الحاجز الذهني الآنف الذكر يكون من القوة والضخامة بحيث لا يتمكن الإنسان من أن يخترقه حتى يرى دعوة الرسول كما هي . إن الله - سبحانه وتعالى - يفتح للإنسان أبواب رحمته ، ولكن الإنسان يأبى أن يدخل فيها ! فيا له من شقاء وحرمان!!

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨ ﴾

فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ : توجهوا له بطاعته وعبادته .

وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ : هلاك أو حسرة أو شدة عذاب لهم .

غَيْرُ مَمْنُونٍ : غير مقطوع عنهم .

إن دعوة الحق تقوم على مستوى "البشر" ، وقد يتعذر على أفهام الناس كيف يمكن أن يتكلم بشر بلسان الله؟ ومن ثم يقابلونه بالرفض والإنكار ، بيد أن الله تعالى قد جرت سنته منذ قديم الأزل بأن يعلن أمره على لسان بشرٍ ، فمن لم يتمكن من التعرف على الكلام الإلهي الجاري على لسان الداعي متجاوزاً عن بشريته ، سوف لا يزال محروماً من الهداية في عالم الامتحان الراهن .

ولا عبرة بالإيمان بالآخرة إلا إذا صاحبه الإقرار بالتوحيد الكامل وبالإنفاق في سبيل الله ، و الذي يدرك الله حق الإدراك ، لن يعود قلبه عالقاً بأية عظمة أخرى سواه .. وكذلك فإن من يظفر بالله حقاً ، لن يبخل بماله عن الله أبداً !

وقوله ﴿ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾ يعني أخلصوا له العبادة ، أي يجب أن تكون اهتماماتكم

كلها موجهةً نحو الله وحده ، وأن يكون الله الواحد الأحد هو المرجع الوحيد لعبادتكم ودعواتكم ، وأن ينطبع تفكيركم بالطابع الإلهي الخالص . والمتحلون بهذه الصفات هم الذين سيُعطون إنعامات الله الأبدية !!

﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾

أَندَاداً : أمثالاً من مخلوقاته .

رَوَاسِيَ : جبالاً ثوابت تمنعها الميدان .

وَبَارَكَ فِيهَا : كثر خيرها ومنافعها .

أَقْوَاتَهَا : أرزاق أهلها وما يصلح لمعايشهم .

فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ : في تتمة أربعة أيام .

سَوَاءً : استوت الأربعة استواء (تمت) .

اسْتَوَى : عمد وقصد قصداً سوياً .

وَهِيَ دُخَانٌ : مكونة مما يشبه الدخان .

ائْتِيَا : افعلا ما أمرتكما به وجيئا به .

فَقَضَاهُنَّ : أحكم وأبدع خلقهن .

وَأَوْحَى : كون ، أو دبر في اليومين .

وَحِفْظاً : حفظناها حفظا من الآفات .

إن دراسة الكون تدلنا على أن خلقه تم في عدة مراحل على نحوٍ تدريجي ، والخلق التدريجي هو خلق مخطط ، وإذا كان الكون قد خلق بأسلوبٍ مخططٍ ، فلابد أن يكون هناك مخطط قام بصنعه عن قصد وإرادة حسب خطته المرسومة !، وهكذا تتواجد على سطح الأرض جبال شامخات هنا وهناك تحفظ توازنها ، وفي جنبات هذا العالم توجد الآلاف من الأنواع الحية ؛ كل نوعٍ منها يحتاج إلى رزق معينٍ ، ولكن الجميع يجد رزقه المطلوب متوافراً فيما حوله بتمام اليسر والسهولة .

ومما تدلنا عليه دراسة الكون أيضاً أن كل الأشياء كانت بدايةً في حالة مادةٍ غازية منتشرةٍ ، ثم بدأت هذه المادة بالتكثف والانكماش ، وتشكلت بالتالي بأشكالٍ مختلفةٍ ، كما يتضح لنا من دراسة الكون أن هذا الكون على اتساعه الهائل مربوط بقانون طبيعي واحدٍ ربطاً محكماً للغاية ، إن هذه المشاهدات تثبت - بما لا مرية فيه - أن خالق الكون عليم خبير، وأنه صاحب القوة والقهر والغلبة، إذن ، فهل أحد سواه ؛ يليق بالإنسان أن يتخذه إلهه ويعبده ؟ كلا .. كلا !!

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً : خوفتكم عذاباً شديداً مهلكاً .

إن مقابلة دعوة الحق بالإنكار أشنع جريمة عند الله سبحانه وتعالى ، ولئن كان هذا

الإنكار إزاء دعوة النبي ، فإن عقاب صاحبه يبدأ في هذه الدنيا ، كما حدث مع عاد وثمود وغيرهما من الأمم الغابرة ، أما لو كان الأمر يتصل بالدعاة العاديين ، فإن المنكرين سيلقون عاقبة إنكارهم الوخيمة في الآخرة .

وقد ظل المحور الرئيسي لدعوة الحق يدور دوْماً حول أن يصير الإنسان عابداً لله وحده ، وأن يربط عواطف حبه وخوفه كلها بالله الواحد الأحد متخلياً عما سواه ، إلا أن الأنبياء مازالت شخصياتهم تبدو لمعاصريهم ، على اختلاف الزمان والمكان ، أقل وأهون من أن يختارهم الله - عز وجل - لإبلاغ رسالته ، ومن ثم لم يلبثوا أن قابلوا أنبياءهم بالإنكار والتكذيب !

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

رِيحاً صَرْصَراً : شديدة السموم ، أو البرد ، أو الصوت .

أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ : مشؤومات ، أو ذوات غبار وتراب .

أَخْزَى : أشد إذلالا وإهانة .

فَهَدَيْنَاهُمْ : بينا لهم طريقي الضلالة والهداية .

العَذَابِ الهُونِ : المهين .

يجد المرء نفسه في عالم ، حيث تنفي عظمة السماء والأرض كبرياءه ، وحيث تقيم حادثة الموت كل يومٍ دليلاً على ضعف الإنسان وعجزه ، ولكن المرء لا يزال يتعاظم ويزعم أنه صاحب الحول والقوة والسلطان!

وإن الله سبحانه لا يفتأ يقيِّض من حينٍ لآخر مَنْ يقوم بإعلان الحقيقة ، وهو بذلك ينقض دعاوى الكبرياء والاستعلاء من الأساس كلما رفع الإنسان عقيرته بها ، ولكن لا أحد يعتبر ما لم يتم سحقه وإبادته ، وما أطلال قوم عاد وثمود وغيرهما من الأمم الهالكة إلا أمثلة ناطقة بذلك ؛ فالأيام التي كانوا قد اعتبروها سعيدةً ومباركةً لأنفسهم، إذا بها تعود بأمرٍ من الله أياماً كلها نحس وشؤم!

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

فَهُمْ يُوزَعُونَ : يحبس سوابقهم ليلحقهم تواليهم .

تَسْتَتِرُونَ :تستخفون عند ارتكابكم الفواحش .

أَن يَشْهَدَ : مخافة أن يشهد ...

ظَنَنتُمْ : اعتقدتم عند استتاركم من الناس .

كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ : وهو ما عملتم خِفْيَةً .

أَرْدَاكُمْ : أهلككم .

مَثْوًى لَّهُمْ : محل ثواء وإقامة أبدية لهم .

وَإِن يَسْتَعْتِبُوا : يطلبوا رضا ربهم يومئذ .

مِنَ الْمُعْتَبِينَ : من المجابين إلى ما طلبوا .

لقد أخبر القرآن الكريم بأن جلد الإنسان وجوارحه مما سيشهد عليه يوم القيامة بأعماله التي مارسها في الحياة الدنيا ، وقد جاءت نظرية النطق الجلدي (skin speech) في العصر الحديث تثبت إمكان ذلك بالفعل ، حيث اكتشف الآن أن كل كلمةٍ يلفظها الإنسان ترتسم على جلده ، وبالإمكان أن يعاد استماعها من جديدٍ تماماً كما تُعاد الأصوات المسجلة بطريقة آلية .

وإن الله سبحانه لكونه لا يُرى ، يظن الإنسان أن الله تعالى هو الآخر لا يراه ، وسوء الفهم هذا هو الذي يولد الطغيان في نفس المرء ، ولو أدرك المرء أن الله يراه كل حينٍ وآن ، لتغير سلوكه تغيراً جذرياً شاملاً ...، وسيُظهر المرء الطاعة الكاملة بعد أن يتجلى الرب ذو الجلال عياناً في عالم الآخرة ، غير أنها لن تجدي عنه فتيلاً .

﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

وَقَيَّضْنَا لَهُمْ : سببنا وهيأنا لهم .

وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ : وجب وثبت عليهم وعيد العذاب .

يتردد الإنسان في العالم الراهن بين دعاة الله من ناحيةٍ ؛ ينصحون له بالحق ، وبين

القادة المستغلين من ناحيةٍ أخرى ؛ يريدون استمالته إلى أنفسهم بمعسول كلامهم ، وإن مَنْ يقابل نصيحة دعاة الله بعدم الاكتراث واللامبالاة ، لا يلبث أن يندفع في السبل غير الحقيقة متأثراً بطنطنة أولئك القادة وأقاويلهم المزخرفة ....، وهؤلاء القادة المستغلون يلهون الناس بأحلام ماضيهم الجميلة تارةً ، وبعرض صورة خيالية براقة لغدهم المرتقب تارةً أخرى ، والذين يندفعون وراء أمثال هؤلاء القادة ، مخدوعين بألفاظهم الكاذبة ، لا ولن ينتهي بهم الأمر في نهاية المطاف إلا إلى الضياع والخسران الأبدي !

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

وَالْغَوْا فِيهِ : ائتوا باللغو والباطل عند قراءته .

فسر عبد الله بن عباس قوله ﴿ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ ﴾ بلفظ "عيبوه" [1]. أي اطعنوا في القرآن وصاحبه ، وهكذا نفِّروا الناس منه!. إن للحكم على شيءٍ أو شخصٍ ما طريقتين اثنتين : إحداهما النقد ، وثانيتهما التعييب ، أما النقد فمعناه : أن تتناول الموضوع محل النظر بالتحليل على أساسٍ من الحقائق، وأما التعييب فهو ألا يناقش المرء القضية موضوع البحث استناداً على دليل أو برهان ، وإنما يلجأ إلى افتعال المطاعن وإثارة الاعتراضات الفارغة .

وإذا كانت طريقة النقد طريقة مشروعة لا غبار عليها ، فإن طريقة التعييب هي طريقة أهل الكفر . يضاف إلى ذلك أنها إنكار لآيات الله ؛ إذْ كل دليل صادق آية من آيات الله ، والذين لا يستسلمون للدليل بل يحاولون تشويهه ولي عنقه عن طريق

(١) انظر مختصر تفسير ابن كثير ٣ / ٢٦١ .

التعييب والاتهام ، كأنما يجحدون بآية الله ، وسيعتبر أمثال هؤلاء أهلاً لأشد ألوان العذاب وأسوأها في الآخرة !

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

الأَسْفَلِينَ : في الدرك الأسفل من النار .

اسْتَقَامُوا : على الحق اعتقاداً وعملاً وإخلاصاً

مَا تَدَّعُونَ : ما تتمنونه وتطلبونه .

نُزُلاً : رزقا أو ضيافة وتكرمة ، أو مناً .

الناس صنفان : أحدهما : هو الذي يسلم قياد نفسه إلى القادة الكاذبين من الإنس والجن ، وهؤلاء - الأتباع والمتبوعون - مع كونهم يتحابون بعضهم مع بعض في الحياة الدنيا حباً جماً ، إلا أن الوضع سينقلب في الآخرة رأساً على عقبٍ ؛ حيث ستمتلئ نفوس الأتباع بالبغض والكراهية نحو قادتهم الكاذبين أولئك ، حين يرون أنهم لم يقودوهم إلا إلى الجحيم، ويودّون بالتالي أن يطأوهم تحت أقدامهم انتقاماً وتشفّياً لصدورهم المحترقة حنقاً وغيظاً !!

وأما الصنف الآخر من الناس: فهم الذين يجعلون من الملائكة قرناءهم،وأمثال هؤلاء يجدون الملائكة جلساء لهم، يوالونهم ويؤنسون وحشتهم على طول الطريق من

الدنيا إلى تلك الدار الآخرة، والملائكة يفيضون على قلوبهم مشاعر ربانية، ويزودونهم بالأمن والسكينة والطمأنينة الداخلية عند اشتداد وطأة الظروف والأزمات،ويسوقون إليهم بشريات الله من خلال التجارب الروحانية اللطيفة السامية، ثم إن هؤلاء الملائكة هم الذين سيرحبون بهم في الآخرة أجمل ترحيبٍ ويدخلونهم في نهاية المطاف إلى الجنان الأبدية !!

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾

وَلِيٌّ حَمِيمٌ : صديق قريب يهتم لأمرك .

وَمَا يُلَقَّاهَا : ما يؤتى هذه الخصلة الشريفة .

يَنزَغَنَّكَ : يصيبنَّك . أو يصرفنَّك .

نَزْغٌ : وسوسة . أو صارف .

إن دعوة القرآن الكريم هي دعوة إلى الله ، إن ربط صلة الإنسان بربه ، وتربية الإنسان على أن يعيش في ذكر الله ومراقبته الدائمة ، وإيقاظ هذا الوعي في نفس الإنسان بأن يتخذ من الله الواحد الأحد مركزاً لاهتمامه وتوجهاته ، ذلك هو الهدف الرئيسي الذي تنشده الدعوة القرآنية ، وليس هناك بالطبع دعوة أحسن من هذه.

غير أنه لن يوفق ليكون داعي الله حقاً إلا الذي تبلغ به الجدية في دعوته حداً يكون معه قد سبق إلى الإيمان بما ينبغي من الآخرين أن يؤمنوا به، والذي يكون قد صار أول

عامل بما يدعو الآخرين إلى العمل به . وأكبر سلاحٍ يملكه الداعي هو أن يُحسن دائماً سلوكه ومعاملته مع الناس ، حتى ولو عامله الآخرون بالسوء ، وأن يقف تجاه حملات الإثارة والاستفزاز موقف الإعراض ، ويقابل أذى المعارضين بالصبر، ولقد أودع الله تعالى في السلوك الحسن قوةً تسخيرية جبارة ، والداعي إلى الله يكون خبيراً بفطرة الله هذه ، وهو بالتالي يستعملها إلى أقصى حدٍ مستطاعٍ ، مهما اضطره ذلك إلى أن يكظم غيظه ، ويدوس عواطفه المشتعلة ، وأن يئد الانفعالات وردود الفعل السلبية ساعة تولد في داخله !

وطالما خطر ببال الداعي أنه لابد من الرد على الأمر الفلاني ، أو أنه لابد من اتخاذ الخطوة الرادعة ضد الاعتداء الفلاني وإلا ازداد الطرف المعادي جراءةً على العدوان والاضطهاد ، فينبغي له أن يتفطن إلى أن هذا من وساوس الشيطان ونزغاته ، ويجب على المؤمن والداعي أن يستعيذ بالله من أمثال هذه الخواطر والنزغات الشيطانية دون أن يندفع وراءها بدون رويةٍ ولا تبصرٍ !!

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

لا يَسْأَمُونَ : لا يملون التسبيح .

أكبر ضلال يقع فيه الإنسان يتمثل في عبوديته للظواهر ، فمنذ أن بدت الشمس والقمر والنجوم اللامعة أبرز شيءٍ في الوجود لإنسان العصر القديم ، لم يلبث أن اعتبرها آلهةً وأخذ في عبادتها و تقديسها ، أما في عصرنا الحديث فإن بريق الحضارة المادية هو الذي يبهر الأبصار ويبدو للناس أبرز من كل شيءٍ ، ومن هنا فقد أحلّوا

الحضارة المادية اليوم المكان نفسه الذي كانت تحتله الشمس والقمر قديم الزمان ، على حين أن كل المظاهر ، لا تخرج عن كونها مخلوقات الله ، إذن ، فينبغي على الإنسان أن يتوجه بالعبادة والتعظيم إلى الخالق وليس إلى مخلوقاته!! ، وإن استكبار المستكبرين لا يكون بإزاء الدعوة ، وإنما يكون دوْماً بالقياس إلى الداعي ، حيث يبدو الداعي لكبار عصره أصغر منهم في ظاهر الأمر ، مما يجعلهم يستصغرونه هو ورسالته معاً !!

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

الأَرْضَ خَاشِعَةً : يابسة متطامنة جدبة .

اهْتَزَّتْ : تحركت بالنبات .

وَرَبَتْ : انتفخت وعلت .

يُلْحِدُونَ : يميلون عن الحق والاستقامة.

إن نزول المطر على الأرض اليابسة الجرداء وما يتبعه من خروج النبات الأخضر والثمار والأزهار ، من الظواهر التي تتكرر أمام أبصار كل إنسان بين الحين والحين. إنها تمثيل مادي لحقيقة معنويةٍ ، فمن خلالها يتم إشعار الإنسان بأن الله قد هيّأ هنا أسباباً واسعة النطاق لإخصاب وجوده اليابس وتجديد حيويته ، وإنه إذْ يسمح تراب الأرض للماء بالنفوذ إلى أعماقها ، يمكن حينئذٍ فقط أن يتسبب المطر في اكتساء جنباتها بالخضرة والنضارة والجمال.. وهكذا فلو أن الإنسان سمح لهداية الله بالنفوذ إلى أعماقه، لازدهر وجوده بفضل الهداية، والسبب الأكبر في عدم الانتفاع بهداية الله يرجع إلى

كون الإنسان يلحد في أحاديث الله ، فحين يُعرض عليه بعض التوجيهات الإلهية لا يأخذه بمعناه الواضح المستقيم ، وإنما يلوي عنقه ويبغيه عوجاً ، ومن هنا لا يكاد التوجيه الإلهي يكون جزءاً من صميم فكره ، ولا يعود يغذي قلبه وروحه أي غذاءٍ .. وإن للذين يتلقون التوجيه الإلهي بالقبول من غير لفٍ ولا دورانٍ ، نعيمَ الجنة الأبدي. أما الذين يبغون عوجاً ويحيدون عن مدلوله القريب المستقيم، فإن لهم عذاب جهنم الأبدي !!

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ۝٤٣ ﴾

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا : خبر "إن" تقديره " لا يخفون علينا" أو "هالكون" .

إن القرآن كتاب عزيز منيع الجانب ، ودليل كونه عزيزاً أن الباطل لا يمكنه أن يتطرق إليه، وليس هناك من سبيل إلى التدخل فيه من أية جهةٍ ، ولا يُستطاع إدخال أي نوعٍ من الفساد عليه بطريقٍ مباشرٍ أو غير مباشرٍ !

إنها نبوءة غير عادية للغاية ، ولكي تتحقق هذه النبوءة لابد من استمرار وجود أمة قوية تحمل القرآن ما دامت السماوات والأرض ، وألا يظهر تناقض ما أو عدم تطابق بوجهٍ من الوجوه بين مضامينه وبين ما صح من تعاليم الأنبياء السابقين أبداً ، وألا يتمكن أحد من الرد على تحدي القرآن بإصدار كلامٍ من طرازه أبداً ، وألا يكشف تقدم العلوم عن أية أخطاء علمية فيه ، وألا يؤثر عليه ما يمر به التاريخ من أحداث المد والجزر أيما تأثيرٍ ، وأن تبقى لغة القرآن (العربية) دوماً لغة حية خالدة !

إن تاريخ ما بعد نزول القرآن الممتد على قرون طويلةٍ ، ليشهد بأن كل هذه الأسباب

لم تزل مجتمعةً في صالحه على نحوٍ مدهشٍ ، وإن تضافر هذه الوقائع مجتمعةً أمر نادر فذ لدرجة أنه لم يحدث قط أن ظلت متضافرة في صالح أي كتاب آخر غير القرآن لمدة خمسة عشر قرناً من الزمان ، ويكفي ذلك دليلاً على أن القرآن كتاب الله .

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾

قُرْآناً أَعْجَمِياً : بلغة العجم كما اقترحوا .

لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ : هلا بينت آياته بلسان نعرفه .

أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ : أقرآن أعجمي ورسول عربي .

آذَانِهِمْ وَقْرٌ : صمم مانع من سماعه .

وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى : ظلمة وشبهة مستولية عليهم .

لما نزل القرآن باللغة العربية اندفع المعارضون قائلين : ليس من العسير على محمد أن يعرض كتاباً باللغة العربية، حيث إنها هي لغته الأم ، ولو كان نبياً حقاً ، لفوجئنا به وهو يتكلم بتأييدٍ من الله بإحدى اللغات الأجنبية !!

إن أقاويل كهذه إنما يرددها دائماً أناس غير جادين، والإنسان غير الجاد ليس إلى إقناعه أو إسكات لسانه من سبيل ، فمثلاً لو جاء النبي إلى العرب وأخذ يحدثهم باليونانية أو السريانية أو الفارسية ... إلخ ، لاعترضوا عندها قائلين : ما بال هذا النبي، جاء فيما يزعم لهداية الناس إلى الحق وها هو ذا يخاطبهم بلغةٍ لا يقدرون على فهمها!؟

الحقيقة هي أن الحق إنما يوفق لتلقيه بالقبول أولئك وحدهم الذين يأخذون أمر

الحق بمأخذ الجد ، أما الذين ليسوا بجادين في أمر الحق ، فإنهم لا يتمكنون حتى من استيعاب أبسط الأقوال وأوضحها لفظاً ومعنىً ، ومثلهم كمثل شخصٍ يُنادى من مكانٍ بعيدٍ جداً ، فإنه ربما يسمع شيئاً من الصوت ، غير أنه سيبقى محروماً من فهم المراد الحقيقي من النداء الموجه إليه!

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾

مُرِيبٍ : مُوقِع في الريبة والقلق .

لما انكشف الصدق الإلهي على يد الأنبياء السابقين صار الناس بين مؤمن به ومنكرٍ له ، وقد حدث الشيء نفسه عندما بُعث نبي آخر الزمان - ﷺ.

لماذا يقف البشر تجاه الصدق الإلهي هذا الموقف الخلافي؟ إن السبب في ذلك يرجع إلى حالة الامتحان الراهنة .. فكلما يظهر الصدق في عالم الامتحان الراهن ، يصحبه نوعٍ من الحجاب بالضرورة ، وبالتالي لا يلبث الناس أن تتعلق أبصارهم بهذا الحجاب، وأن الحجاب الذي كان عليهم أن يمزقوه لكى يروا الصدق المستتر وراءه في أجلي صوره ، إذا بهم يتخذون منه مبعث الشك والارتياب !.

غير أن هذا الشك والارتياب لن يكون عذراً لأحد الناس يوم تقوم الساعة ، فإنه إنما يقوم دليلاً على أن الإنسان لم يكن جاداً بشأن الحق، وإن الإنسان إذْ يكون جاداً تمام الجدية بشأن مصالحه الدنيوية ، فسرعان ما يتوصل إلى حقيقتها باختراق كل الحجب والأقنعة .. وهكذا فلو أنه صار جاداً فيما يتصل بمصالح أخراه ، لرأى الحقيقة عاريةً سافرةً ، مخترقاً كل حجب الشك والريب المسدولة على وجهها!!

﴿ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ ﴾

أَكْمَامِهَا : أوعيتها .

آذَنَّاكَ : أخبرناك وأعلمناك .

مَّحِيصٍ : مهرب ومفر من العذاب .

إن انبثاق عالم الآخرة من خلال العالم الراهن واقع أشبه ما يكون في طبيعته بخروج ثمرةٍ من شجرها ، أو تولد كائن حي من بطن الأم .. فما هو الثمر ؟ إنه تحول اللاثمر إلى الثمر ! وما هو الإنسان ؟ إنه اتخاذ اللاإنسان شكل الإنسان!. وهكذا شأن الآخرة تماماً ، فالآخرة بدورها ليست سوى اسمٍ آخر لاستحالة اللاآخرة إلى الآخرة ، والنوع الأول من التحول يقع تحت سمعنا وبصرنا كل اليوم ، إذاً فأي شيءٍ يدعو إلى استبعاد حدوث واقعةٍ مماثلةٍ من النوع نفسه ، وهي تحول العالم الراهن إلى الآخرة !؟

إن يوم الآخرة سيكون يوم ظهور الحقائق في أجلى صورها ، وإذا جاء ذلك اليوم الرهيب فسوف تنهار كل الدعائم والأسس الكاذبة ، تلك التي كان الناس قد أقاموا بنيان حياتهم عليها في العالم الراهن!!

﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ ﴾

لاَيَسْأَمُ الإِنسَانُ :لا يمل ولا يفتر .

دُعَاءِ الخَيْرِ : طلبه العافية والسعة في النعمة .

فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ : من فضل الله ورحمته .

هَذَا لِي : هذا حقي أستحقه بعملي .

عَذَابٍ غَلِيظٍ : شديد لا يفتر عنهم .

إن لحظة المصيبة تكون بالنسبة إلى الإنسان لحظة اكتشافه نفسه ، ومن ثم فإنه لا يكاد يتعرض للمصيبة حتى يذهل عن العناد والتعنت ، ويأخذ في ذكر الله والتضرع إليه ، وعندها يدرك أنه عبد وأن الله هو معبوده .

ولكنه سرعان ما ينسى حالته السابقة فيما إذا أذهب الله عنه المصيبة ، وأنعم عليه بالعافية والرخاء ، حيث إنه يرد النعمة المتاحة له إلى الأسباب الظاهرة ، وينظر إليها على أنها ثمرة تدبيره ومؤهلاته هو ، وتعود نفسيته كما لو أن الحياة إنما هي هذه الحياة الدنيا ، وليس وراءها بعث ولا نشور ولا مثول أمام المحكمة الإلهية . ويضاف إلى ذلك أن رخاءه يوقعه في سوء فهم وغرور قائل : إنني لما كنت هنا حسن الحال ، فلابد أن يكون حالي حسناً في العالم الآتي كذلك !!

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ﴾

وَنَأَى بِجَانِبِهِ : تباعد عن الشكر بكليته وتكبر .

دُعَاءٍ عَرِيضٍ : كثير مستمر .

أَرَأَيْتُمْ : أخبروني .

إنما يُعطى الإنسان النعمة لكي يشكر الله باعتبارها هبةً منه تعالى وفضلاً ، ولكن الإنسان حين يظفر بالنعمة يتمرد ويطغى . أما إذا تعرض لألمٍ أو شدةٍ ، فلا يلبث حينئذٍ أن يدعو الله في ضراعةٍ وابتهالٍ ، غير أن الدعاء القسري كهذا لا قيمة له عند الله تعالى ، وإنما يجمل بالإنسان أن يخضع لربه ويدعوه عند الرخاء والنعمة تماماً كما يدعوه ويخضع له في أوان الشدة والألم !

وإن نفسية الإنسان هذه هي التي تبعثه على إنكار الحق ، فالحق لا يُرغم أحداً على القبول ، و إنما هو ينشد التسليم أو الإذعان الاختياري ، ومن ثم فإن الذين لا تنطوي قلوبهم على عنصر الإذعان الاختياري ، يُهملون الحق الذي لا يؤدي إهماله في ظاهر الأمر إلى تعرضهم لأية كارثةٍ أو خسارة فادحة عاجلة!!

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾ ﴾

الآفَاقِ : أقطار السموات والأرض .

مِرْيَةٍ : شك عظيم .

إن قصة كل من برز من عظماء الناس ومن العباقرة في أنحاء العالم قديماً وحديثاً ، إنما هي قصة الحال - أي منحصرة في حدود شخصه وزمانه لم تتعداها - وليست قصة أحدٍ منهم قصة المستقبل ، فإن مستقبل أي واحدٍ منهم لم يكد أن يكون مصدقاً بما كان عليه حاله ، بل جاء بالأحرى مكذباً في الأعم الأغلب . وفي عالمٍ كهذا ، فوجئ الناس منذ خمسة عشر قرناً مضت ، بنبوءةٍ تقرر أن أحداث المستقبل ، وكل الحقائق والأسرار

التي ستنكشف للإنسان عبر القرون التالية لنزول القرآن ، ستأتي كلها مصدقةً بالقرآن الكريم ...، وأن القرآن سوف لا يبقى محتفظاً بصدقة وحقيقته في كل عصر لاحق فحسب ، وإنما سيزيده وضوحاً وبرهنةً وتوثيقاً على مر الأيام ، وإنه بذلك سيظل دوْماً كتاب الساعة ، لا تنقضي عجائبه ولا تبلى جدته أبد الدهر !!

وقد تحققت هذه النبوءة حرفاً حرفاً وبصورةٍ تدعو إلى الدهشة والإكبار ، فما برحت الكشوف العلمية ، والأحداث التاريخية ، والانقلابات الزمانية تتضافر في صالحه، بحيث تجد اليوم حتى الباحثين من غير المسلمين يشهدون صراحةً بأن القرآن ، بما يمتاز به من خصوصيات فريدةٍ ، دليل في نفسه على أنه كتاب منزل من عند الله، إذْ لا يمكن أن تتوافر مثل هذه الخصوصيات الأبدية الفذة في أي تأليفٍ بشريٍ !

وإن الذين لا يسلمون بصدق القرآن على الرغم من هذه الحقيقة الصارخة ، فإنما هم يثبتون أن نفسيتهم الخالية من الخوف قد جعلتهم غير جادين ، فإن موقفاً غير معقولٍ كهذا لن يصدر إلا من الإنسان غير الجاد الذي يرى الشواهد الواضحة الجلية رأي العين ، ولا يتناولها بالإقرار والتسليم !!

سورة الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ ﴾

يَتَفَطَّرْنَ : يتشققن من عظمته تعالى وجلاله .

أَوْلِيَاءَ : معبودات يزعمون نصرتها لهم .

الله حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ : رقيب على أعمالهم ومجازيهم .

بِوَكِيلٍ : بموكول إليك أمرهم .

لو أن المرء أتيح له بصر غير محدود ، فسوف يلاحظ أن هناك إلهاً هو مالك السماوات والأرض بما فيهن ، وقوته هائلة لدرجة أن الكون يكاد ينفطر ويتصدع من استشعار هيبته وجلاله ، والملائكة ، الذين هم على علمٍ مباشرٍ بألوهية الله - جل جلاله- لا تفتأ ألسنتهم تلهج بحمده وتسبيحه كل لحظة ، غارقين في الخشية الإلهية ، ثم إنه سيلاحظ أن الله - عز وجل - يختار بمشيئته وقدرته الخاصة بعض البشر ويوصل إليهم كلامه على نحوٍ غير مباشرٍ، لكي يقوموا بإخبار الناس أجمعين بالحقيقة الواقعة .

وإن الإنسان ، وإن كان لا يرى هذه الحقائق بصورة مباشرةٍ ، إلا أنه يستطيع أن يدركها عن طريق العقل بصورةٍ غير مباشرةٍ ، وهذا هو امتحان المرء الحقيقي ، فالمسئولية الملقاة على عاتق الإنسان أن يرى بعين بصيرته الأشياء التي لا يراها ببصره ، ويسمع صوت الله في كلام الأنبياء ، فيأخذ نفسه بالخضوع والإذعان إليه ، وأن يؤمن بالغيب إيماناً كما لو أنه يرى كل شيءٍ رأي العين !!

وإن أحداً لن يُعذر يوم القيامة بالنظر إلى أنه لم يكن قد رأى الحقيقة مباشرةً ، إذْ أن رؤية الحقيقة مباشرةً غير مطلوبة أصلاً في عالمنا الراهن ، فلئن وصلت الرسالة الجوهرية إلى شخصٍ ما على أتم الوجوه وأكملها ، فإن حجة الله تقوم عليه بعدئذٍ ، وإن انكشاف الحقيقية عليه بلغة الدليل وحده كافٍ لكي يُدان ذلك الشخص بجريمة إنكار الحق ، ويعاقب بالتالي بالعقوبة المقدرة لمنكري الحق أمثاله !

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾

أُمَّ القُرَى : مكة : أي أهلها .

يَوْمَ الجَمْعِ: يوم القيامة لاجتماع الخلائق فيه .

الهدف الرئيسي الذي تنشده دعوة الرسول هو أن يتم إعلام البشر كافةً بأنهم سيحضرون آخر الأمر بين يدي الله ، حيث يُجزى الكل ، حسب عمله في الحياة الدنيا ؛ إما بالجنة الأبدية أو الجحيم الأبدي !.

ولقد بعث رسول الله – ﷺ– لأجل إعلام البشرية جمعاء بهذه الحقيقة نفسها. وقد كانت بعثته – عليه الصلاة والسلام – ذات مرحلتين : مباشرة وغير مباشرة .

أما بعثته المباشرة فقد كانت إلى مكة وما حولها من القرى والبلاد ، وقد قام – عليه

الصلاة والسلام - بإكمال هذه المرحلة في حياته قبل رحيله إلى الرفيق الأعلى ..

وأما بعثته غير المباشرة فهي للعالم أجمع بواسطة أمته ، وبعثته الثانية هذه مازالت مستمرةً - ولا تزال - إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وقد عرض رسول الله ﷺ رسالته على العرب باللغة العربية ، وإن الأمة المحمدية بدورها مطالبة بأن تسير على هذا المبدأ ذاته ، وهي تؤدي وظيفتها الدعوية بالنيابة عنه - عليه الصلاة والسلام - بحيث تقوم بإبلاغ رسالة الحق إلى كل أمةٍ بلغتها ، فإنه لا يتسنى الوفاء بحق التبليغ بالنسبة إلى أمةٍ ما ، ما لم يتم إيصال رسالة الحق إليها بلغتها هي !!

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾

وَإِلَيْهِ أُنِيبُ : إليه أرجع في كل الأمور .

لقد فتح الله للإنسان باباً إلى رحمةٍ غير عادية لم يفتحه لأحدٍ سواه ، وهو أن يختار هداية الله بمحض إرادته هو ، فيعود بالتالي أهلاً لإنعام الله غير العادي ، وما اختيار الناس طرقاً مختلفة الاتجاهات في الحياة إلا نتيجة هذه الحرية نفسها ، وهذا الاختلاف وإن كان أمراً غير مستحسنٍ ، إلا أنه ليس ثمة إلى انتخاب ذلك الإنسان الغالي الثمين من سبيل آخر غير هذا .

وإن الله سبحانه مع كونه خلق الإنسان حراً مختاراً ، إلا أنه أودع لهداية الإنسان في نفسه وفيما حوله من الدوافع والأسباب الكثيرة ما يجعل المرء لا يتجه نحو الطريق الخاطئ أبداً، فيما لو كان جاداً حق الجدية ، والذين يتجهون نحو الطريق الخاطئ هم

ظالمون ، وإنهم لن يعتبروا عند الله أهلاً للعفو والمغفرة البتةً !

﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾

فَاطِرُ : مبدع ومخترع .

مِنْ أَنفُسِكُمْ : حلائل .

وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً : أصنافا ذكوراً وإناثاً .

يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ : يكثركم بسبب هذا التزويج .

لَهُ مَقَالِيدُ : مفاتيح وخزائن .

وَيَقْدِرُ : يضيقه على من يشاء بحكمته .

إنها لواقعة عظيمة ، هذه التي نشهدها أمامنا بشكل السماء والأرض ؛ لدرجة لا يتصور معها أن يكون قد أوجدها إله من تلك الآلهة التي يُعظّمها الناس ويقدسونها من دون الله ، وهكذا نظام التوالد والتناسل لدى البشر والحيوانات يبلغ من الدقة والتعقيد حداً لا يمكن معه أن يُنسب بحقٍ إلى أحد الناس ولا أحد الآلهة التي يعبدها الناس من دون الله سبحانه وتعالى .

وصفات الخالق تلك التي ندركها عن طريق مشاهدة مخلوقاته ، كافية في حد ذاتها لإثبات مدى عظمة هذا الخالق ، فهو سميع وبصير ، وهو مالك لكل أنواع القوة والقدرة والاختيار الأعلى ، وأن كل ما يناله شخص ما فإنما يناله بعطاءٍ منه تعالى ، وما ينتزع منه فإنما ينتزع بانتزاعه تعالى . وهو تعالى لا ندّ له ولا نظير في ذاته ولا في صفاته ،

وليس كمثله شيءٍ !!

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾

شَرَعَ لَكُم : بين وسن لكم طريقاً واضحاً .

مَا وَصَّى : ما أمر به وألزم .

أَقِيمُوا الدِّينَ : دين التوحيد ، وهو دين الإسلام.

كَبُرَ : عظم وشق .

يَجْتَبِي : يختار ويصطفي لدينه .

يُنِيبُ : يرجع إليه ويقبل على طاعته .

لقد جاء كل الأنبياء - على اختلاف الزمان والمكان - بدين واحدٍ ليس غير ، ألا وهو دين التوحيد ، ولكن أتباع أولئكم الأنبياء والمرسلين لم يلبثوا أن انقسموا إلى فرقٍ دينيةٍ شتى فيما بعد . وكان السبب في ذلك يرجع إلى تغير مركز الاهتمام ، فقد كان الله هو مركز الاهتمام الرئيسي في الدين الذين جاء به الأنبياء الكرام ، إذْ كانت دعوة الجميع أن اعبدوا الله الواحد الأحد ، ولا تشركوا في عبادته شيئاً ، غير أن أممهم ما لبثت أن غيرت مركز اهتمامها فيما بعد حيث صارت عابدةً لغير الله بدلاً من عبادة الله وحده!.

إن الدين الذي يطلبه الله سبحانه من عباده إنما يتلخص في أن يتمسكوا بالتوحيد الخالص ، وأن يصير الله الواحد هو مركز اهتمام الجميع ، وهذا هو إقامة الدين . وأما الشرك فهو الاسم الآخر لتغيير مركز الاهتمام هذا ، وحين يتسرب الشرك إلى الناس

فسرعان ما ينشب بينهم الاختلاف والفرقة ؛ ذلك لأن مركز اهتمام الجميع يبقى واحداً ما دام التوحيد هو السائد ، بينما تتعدد مراكز الاهتمام عندما يحل الشرك محل التوحيد .

ودين النبي العربي - ﷺ- وإن كان ديناً محفوظاً من حيث متنه السماوي ، إلا أن أمته ليست أمة محفوظة (معصومة) ، فلا تزال الفرصة مفتوحة أمام أفرادها لكي يجعلوا من الأشياء الجديدة مركز اهتمامهم ، ويُدخلوا على الدين الأصيل ألوان التغييرات أو التعديلات عن طريق تفسيره وتأويله المزعوم ، ويحيلوا بالتالي الدين الواحد عملياً إلى أديان ومذاهب عديدةٍ !!

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾ ﴾

بَغْياً بَيْنَهُمْ : عداوة أو طلبًا للدنيا .

مُرِيبٍ : موقع في الريبة والقلق .

التفرق بعد مجيء العلم معناه أن ترتفع دعوة الدين الحق ، ويبقى المرء ، مع ذلك ، بمعزلٍ عنها ، أو يقف في وجهها معارضاً . لقد أبرز الله - سبحانه وتعالى - حقيقة الدين بواسطة رسوله الأخير في صورتها الخالصة النقية .. ومن هنا فقد كان ينبغي لجميع طلاب رضا الله أن ينضووا تحت رايته - عليه الصلاة والسلام - غير أنهم لم يستعدوا للانضواء تحت الراية المحمدية ؛ ذلك بأنهم كانوا بعزْو أنفسهم إلى الأنبياء السابقين يحتلون مركز التدين بين الناس ، فظنوا أن في هذا كفاية ، وأنهم في غنى عن أي رسولٍ أو رسالةٍ جديدةٍ بينما يتحتم على الناس كافة ، إذا ما ارتفعت دعوة الدين الصحيح الخالص ، أن يحطموا قوقعاتهم ، ويربطوا أنفسهم بالدين الصحيح

الخالص ...، وأما الذين لا يفعلون ذلك فإنهم مجرمون عند الله ، سواء كانوا غير متدينين أصلاً أو متدينين في ظاهر الأمر .

ومن الناس من ينكر دعوة الدين الحق إذا ارتفعت ، بدافع "البغي" بينما يبتعد بعضهم عنها بناءً على الشك والارتياب . والمراد بالبغي هو الحسد والتكبر ، وهو شأن أولئك الذين يتمتعون بمقام الكبرياء والسيادة في المجتمع ، والاعتراف بالحق يضطر هؤلاء إلى النزول عن مقام الكبرياء ، وحيث إنهم لا يرضون بتصغير أنفسهم ، ينصرف اهتمامهم نحو تصغير دعوة الحق تبريراً لموقفهم .

وأما الشك والتردد فحالة تعتري غالباً العوام من الناس ، فهؤلاء وإن كانوا يريدون كلام الداعي الخطير والمؤثر على مستوى الدليل ، إلا أنه يصعب عليهم أن يتخلوا عن أكابرهم أولئك الذين تكون عظمتهم قد استولت على أذهانهم بصورةٍ مسبقةٍ ، ويقف هذا المطلب المزدوج عائقاً دون توصلهم إلى قرارٍ حاسم ، فإذا كان الفريق الأول قد أهمل الحق تحت عوامل الحقد والتكبر ، فإن الفريق الأخير لا يتمكن من اختياره تحت عوامل الحيرة، وبالتالي يظل هذا وهذا محروماً من قبول الحق واعتناقه .

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ﴾

بَغْياً بَيْنَهُمْ : عداوة : أو طلبًا للدنيا .

مُرِيبٍ : موقع في الريبة والقلق .

المراد بالكتاب هنا هو الدين الأصلي الذي جاء به الأنبياء والمرسلون ، وأما "الأهواء" فالمراد بها تلك الإضافات المزعومة التي أدخلها الناس من عند أنفسهم على الدين الحق ، وقد أمر الله رسوله بأن اثبت واستقم على الدين الأصلي وحده ، ولا يجوز بحالٍ من الأحوال أن تلين قناتك بالنسبة إلى دين الناس المزعوم أو تميل إلى التواؤم معه حتى ولو بالنظر إلى أية مصالح دعوية، فإن الواجب المنوط بك أساساً هو إقامة العدل، أي الفصل في الخلافات الدينية، والإبانة عن حقيقة الحق وحقيقة الباطل ، وتمييز الجزء الذي جاء من عند الله من الجزء الذي تم إقحامه في الدين نتيجة التحريفات البشرية .

وقوله : ﴿ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ﴾ يعني أننا لن نخوض معكم في خصامٍ حتى ولو تخاصمتم معنا ، وإننا سنظل متمسكين بمسلكنا الإيجابي من طرفٍ واحدٍ ، وإن اتخذتم إزاءنا موقفاً سلبياً ، إن مسئولية الداعي إنما تتمثل في إبلاغ رسالة الحق وحده ، أما ما عدا ذلك من أمورٍ ، فإنه يفوضها كلها إلى الله عز وجل . وإن اللجاج بالباطل وإثارة الجدل المغرض بغية إحراج أولئك الذين استجابت قلوبهم للحق ، عملية منكرة جائرة للغاية ، وإن أصحابها يعرضون أنفسهم لخطر أن يحل عليهم غضب الله ، والعذاب الشديد في الآخرة !!

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ﴾

وَالْمِيزَانَ : العدل والتسوية في الحقوق .

مُشْفِقُونَ مِنْهَا : خائفون منها مع اعتنائهم بها .

يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ : يجادلون أو يشكون فيه .

كما يكون هناك ميزان توزن به الأشياء المادية ، كذلك أنزل الله - سبحانه وتعالى- كتابه ميزاناً توزن به الحقائق المعنوية ، إن كتاب الله هو محك التمييز بين الحق والباطل ، فكل شيءٍ آخر ، كائناً ما كان ، يجب أن يتم فحصه واختباره بمعيار الكتاب الإلهي وليس بالعكس .

وإن الذين وقفوا من الرسول في عصره موقف المعارضة ، إنما كان خطؤهم يكمن في أنهم كانوا ينظرون إلى كتاب الله في ضوء الدين الذي تكوّن لديهم من تقاليدهم القومية الرائجة ، وما أثر عن أكابرهم من أقوالٍ وأفعالٍ ، بينما كان ينبغي لهم أن ينظروا إلى التقاليد القومية وأقوال الصالحين وأفعالهم المأثورة في ضوء كتاب الله ، وأن يأخذوا منها ما يتفق كتاب الله ، ويدعوا ما لا يتفق مع كتاب الله .

وإن المرء هو المسئول عن القيام بعملية النظر والفحص والاختبار هذه في العالم الراهن، وسيتم إنجاز هذه العملية في الآخرة من جانب الله - سبحانه وتعالى - على وجهٍ أكمل وأشمل، والعاقل هو الذي يزن نفسه قبل أن يوزن في يوم القيامة ؛ لأن الوزن يومئذٍ سيكون للقضاء الأخير ، وليس لإعطاء فرصة العمل !

﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾

الله لَطِيفٌ : برٌّ رفيق بهم .

حَرْثَ الآخِرَةِ : ثوابها الموعود. أو العمل لها .

إن الحياة الدنيا لأجل الامتحان ، حيث يتاح لكل امرئٍ هنا من الأسباب والوسائل بقدر ما هو ضروري ولازم للامتحان، والآن فإن من يكون محباً للآخرة ، سيستعمل

أسباب الدنيا الراهنة لبناء الآخرة ، وسيلقى بالتالي جزاءه في الآخرة بشكل مضاعف.

وعلى نقيضٍ من ذلك فإن من يكون محباً للدنيا فسيعمل آخذاً في اعتباره مطالب الحياة الراهنة وحدها، ومثل هذا الشخص يمكنه بالطبع أن يجني ثمار جهده في العالم الحالي ، غير أنه سيظل محروماً في الآخرة كل الحرمان فإنه إذا لم يكن قد عمل شيئاً يذكر لأجل الآخرة ، فيكف يمكن أن يُعطى شيئاً من نعيم الآخرة ؟!

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّٰتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

كَلِمَةُ الفَصْلِ : الحكم بتأخير العذاب للآخرة .

رَوْضَاتِ الجَنَّاتِ : محاسنها وملاذها أو أطيب بقاعها وأنزهها .

يَقْتَرِفْ حَسَنَةً : يكتسب طاعة .

إن شيئاً ما إذا لم يثبت من كتاب الله ، ولكن المرء يصر مع ذلك على كونه صواباً ، فمعنى ذلك أنه يتخذ من الآخرين أنداداً لله ، وأنه يعطي الآخرين دون الله الحق في أن يضعوا للناس دينهم!!

وهذا أمر بالغ الخطورة ، إذ الحقيقة أن تقرير أمر ما من أمور "الدين" ليس إلا من حق الله وحده ، وإن إعطاء هذا الحق لأحدٍ سواه هو الشرك الصريح . والشرك جريمة

لا تُغتفر عند الله على أية حال .

﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ لقد تم تلقين الرسول - ﷺ- هذا القول عندما كانت قبيلته قريش تزرع شتى العقبات والعراقيل في طريق دعوته، وفي ظل ظروف قاسيةٍ إذا أبيتم قبول الدين الذي جئتكم به ، فلتكفوا أذاكم مراعاةً للقرابة ، ولو كان ثمة بيني وبينكم خلاف ديني،فلا يجرنكم هذا الخلاف إلى الانحطاط حتى عن مستوى الشرف والمروءة والأخلاق .. وهكذا فكأنما تم إشعار المعارضين لرسول الله بأسلوبٍ غير مباشرٍ ، بأنهم ليسوا معارضين فقط ، وإنما هم مجرمون أيضاً ، حيث إنهم يثبتون كون أنفسهم على خطأ وضلالٍ على المستوى الأخلاقي الذي له أهمية لا تنكر حتى في أنظارهم كذلك!

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَـٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَـٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ﴾

إن من سنة الله في هذا العالم أن يتجلى الحق هنا بصورة الحق ، ويظهر الباطل في مظهر الباطل ، فإن كانت هناك روح كاذبة ، فلن يصدر منها كلام صادق أبداً ، وهذا هو السر في أنه لا يمكن هنا لغير النبي أن يتكلم بلسان النبي ، فلو أن شخصاً جاء يزعم أنه نبي وما هو بنبيٍ ، لاصطبغ كلامه بالضرورة بطابع النبي الكاذب ، إذْ ليس في مقدور أحدٍ ، كائناً من كان ، أن يتكلم بأسلوبٍ النبي الصادق على نحوٍ مصطنع أبداً .

وقوله : ﴿ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ معناه : لو أنك افتريت على الله كذباً لختم على قلبك ، ولعاد لسانك عندئذٍ عاجزاً عن إصدار ذلك الكلام الرباني المقدس الذي

يمثل كلامك نموذجاً حياً له. والحقيقة هي أن كلام الرسول الأسمى دليل في نفسه على كونه رسول الله ، ولو أنه لم يكن رسول الله حقاً ، لما صدر مثل هذا الكلام الرفيع الأسمى من لسانه أبداً !

والذين يعارضون الحق ، لا يفعلون ذلك استجابةً لنداء قلوبهم ، وإنما يتصدون لمعارضته تلبيةً لدواعي العناد والتمرد ليس غير، ويصح القول أن أمثال هؤلاء يصيرون بذلك مجرمين أمام محكمة ضمائرهم نفسها ، ومن ثم فقد قامت عليهم حجة الله بالفعل ، ولم يعد لهم عذر ، اللهم إلا أن يبادروا بالتوبة والرجوع عما هم فيه من ضلالةٍ ، ويتضرعوا إلى الله تعالى سائلين إياه العفو والمغفرة لذنوبهم !!

﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾

لَبَغَوْا : لطغوا وتجبروا ، أو لتظالموا.

يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ : بتقدير حكيم محكم .

قَنَطُوا : يأسوا من نزوله

بَثَّ فِيهِمَا : فرق ونشر فيهما .

إن حياة البشر فوق الأرض تتوقف على الماء، ولكن الماء بكليته في قبضة الله – سبحانه وتعالى – فلو أن الله لم يتفضل بتوفير الماء ، لما استطاع الإنسان أن يحصل الماء أو يوجده من عند نفسه ، وهكذا فإن الرزق هو الآخر يتم تقسيمه من عند الله ، وفي هذا

التقسيم ينظر الله سبحانه إلى استعداد الإنسان وكفايته ، فيعطي كلاً بقدر كفايته واستعداده، ولو صار الناس يُعطون أكثر من أقدارهم واستعداداتهم ، لعادوا كلهم طغاةً بغاةً ، ولملئت الأرض بالتالي جوراً وفساداً وظلماً وعدواناً .

وإننا نشاهد أن فلاحاً حين يبذر الحبوب في مزرعته ، فهو يقدر أيضاً على جمع تلك الحبوب متى يشاء، وهذه المشاهدة الإنسانية قرينة تدلنا على أن الله سبحانه قادر كذلك على جمع مخلوقاته المبثوثة في أرجاء الوجود واستحضارها أمام محكمته ، ليتم تحديد مصائر العباد النهائية هناك على صعيدٍ واحدٍ ، فإن الخالق الذي كان بإمكانه أن يبث الخلائق بعد إيجادها ، كيف سيعود مستحيلاً عليه أن يجمعها ويستحضرها من جديدٍ بعد الموت ؟!

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ ﴾

بِمُعْجِزِينَ : بفائتين من العذاب بالهرب .

لقد أنشئ العالم الراهن تبعاً لقانون السببية ، فحين يتعرض المرء هنا لمصيبةٍ ما ، فإنها تكون من غير شكٍ نتيجة لبعض تقصيراته هو ، وقد يحدث أحياناً أن أحد الناس يرتكب خطأً أو تقصيراً ، ولكنه ينجو من سوء عاقبته .

وإنما تحدث هذه الوقائع في الدنيا لكي يعتبر بها الإنسان ، فإذا ما رأى أن الناس إنما ينالون ما ينالون بقدر عملهم ، فليتعظ بذلك لأن كل شخصٍ سيلقى جزاءه في الآخرة كذلك بحسب عمله كماً ونوعاً ...، وهكذا إذا وقع بصره على امرئ صدر منه تقصير ، ولكنه خلص من سوء مغبته ، فليأخذ من ذلك درساً مفاده أن الله غاية فى الرأفة والرحمة بعباده، فلو أن المرء رجع إليه تعالى ، لأنقذه برحمته الخاصة من عاقبة

تقصيراته .. وهكذا يصبح حال المرء إذا رسخ الإيمان في قلبه ، حيث إنه يأخذ يرى في أحداث الدنيا صور الآخرة !

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ ﴾

الجَوَارِ : السفن الجارية .

كَالأَعْلامِ : كالجبال ، أو القصور العالية .

فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ : فيصرن ثوابت سواكن .

يُوبِقْهُنَّ : يهلكهن بالغرق أي أهلهن .

مَّحِيصٍ : مهرب ومخلص من العذاب .

إن الإنسان يجري سفنه في البحر ، ويطيّر طائراته في الجو ، وإنما يمكنه أن يفعل ذلك لكون الله سبحانه قد جعل نواميس الطبيعة ملائمة لنا نحن البشر ، ولو أن نواميس الطبيعة لم تتواءم معنا ، لما جرت لنا سفينة في البحر ، ولا طارت لنا طائرة عبر الفضاء .

وكل واقعة من وقائع الحياة تنطوي على عبرةٍ ، ولكن الاعتبار بالوقائع يتطلب الصبر والشكر ، فالحياة لا تسير دوْماً على وتيرةٍ واحدةٍ ، بل لابد فيها من الشدة والألم حيناً ، ومن الراحة والعافية حيناً آخر . وفي آوان الشدة والألم يتعين على المرء أن يسمو فوق الأحداث والأحوال الظاهرية ، حتى يتمكن من رؤية الواقع من زاوية أخرى ، وهذا شيء لا يتأتى بدون الصبر .. وهكذا يقتضي الأمر عند الراحة والعافية أن ننظر

إلى الشيء الناتج - على ما يبدو ظاهراً - عن جهودنا ، على أنه شيء موهوب من عند الله تعالى ، وإنه لن يوفق لهذا إلا شخص تولد في داخله ذلك الشعور الأسمى الذي يقال له "الشكر" .

والجدال في الآيات هو أن المرء إذا نُبِّه إلى مكان العظة الإلهية في واقعةٍ ما ، فلا يلقي لذلك بالاً ، وإنما يحاول تفسير الواقعة بوجوهٍ أخرى مفتعلةٍ .

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

إن مَنْ يتوكل على الله من شأنه وحده أن يكون مريداً للآخرة ، فكلما يتقدم المرء نحو الآخرة ، تبدو له فوائد الدنيا مهددةً بالخطر ، وتتراءى له مصالحه العاجلة كأنما ينفلت زمامها من يديه ... إذن ، فليس هنالك من شيءٍ يثبت المرء على طريق الآخرة ، إلا أن يكون واثقاً بوعد الله ، ومتأكداً من أنه بقدر ما يفقد لأجل الله في هذه الدنيا ، يجد عوضه مضاعفاً عند ربه في تلك الدار الآخرة .

وكل نعمة من نعم الدنيا موقوتة سريعة الزوال ، أما نعم الآخرة فهي أبدية لا يعتريها زوال ولا فناء، وإنه لا حقيقة للنعمة الوقتية الفانية ، بالقياس إلى النعيم الأبدي الباقي !!

﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ

ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾

وَالْفَوَاحِشَ : ما عظم قبحه من الذنوب .

وَأَمْرُهُمْ شُورَى : يتشاورون ويتراجعون فيه .

أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ : نالهم الظلم والعدوان .

يَنتَصِرُونَ : ينتقمون ممن ظلمهم ولا يعتدون .

وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ : يفسدون ، أو يتجبرون فيها .

إن الإيمان ، حين يفوز به أحد بمعناه الحقيقي ، لا يلبث أن يحدث في داخله ثورة ، ويجعل منه بالتالي رجلاً غير الرجل ، وإن الصفات المذكورة هنا ، المميزة لعباد الله المؤمنين ، كلها مما يتجلى في شخصية المؤمن على عقب الثورة الإيمانية .

فمثل هذا الشخص ينشأ في داخله مزاج الاعتراف بالحقيقة الواقعة ، حيث إنه يخضع لله معترفاً له تعالى بالألوهية ، ولنفسه هو بالعبودية ، ويعود مستحيلاً عليه إذا سمع منادياً يدعو إلى الله ألا يستجيب له ، وشعوره الإيماني يجعله مرهف الحس إزاء الصواب والغلط ، فهو يفعل ما ينبغي له أن يفعل ، ويجتنب ما لا ينبغي له أن يفعل .

واعترافه بوضعه الحقيقي - العبودية - يملأ نفسه تواضعاً ينتزع منه مزاج الغضب والظلم والبغي والعناد ، وهذا التواضع هو الذي يرغمه على أن يستفيد في الشئون الاجتماعية من مشورة الآخرين ، ويتحرز من الإقدام بناءً على رأيه الشخصي وحده . والصلة التي تربطه بغيره يكون قوامها النصح والمودة دون الاستبداد والاستغلال .

وإن شخصاً كهذا لا يعتدي على الآخرين على أية حالٍ ، أما إذا اتخذ ضد الآخرين خطوةً ما ، فإنما يتخذها كإجراءٍ دفاعي ، وبالقدر الذي يلزم لصد عدوانهم ، هذا إلى جانب كونه دائماً مستعداً ، حتى في أشد الظروف إثارةً واستفزازاً ، لكي يعفو عن الناس ، وينسى كل إساءاتهم السابقة .. وإن العبد المؤمن إذْ يفعل كل هذا ، فإنما يفعله مدفوعاً بعواطفه الإيمانية ، بيد أن الله تعالى يقدره ويعلي من شأنه بحيث يخلع عليه لقب صاحب العزم والهمة العالية ، ويدخله في جنانه الأبدية !

﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ﴾

خَاشِعِينَ : خاضعين متضائلين .

يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ : يسارقون النظر من شدة الخوف .

إن الهداية يتم إيضاحها في هذا العالم بواسطة الدليل ، وتلك هي سنة الله بالنسبة لهذا العالم . ومعنى ذلك أن الهداية لا يوفق لها في هذا العالم إلا من يثبت مقدرته على فهم الحديث بلغة الدليل ، وأن يكفيه كون أمر ما قد ثبت صدقه بواسطة الدليل ، لكي يخضع له ويذعن إليه . أما الذين لا يكفيهم الدليل مقنعاً وباعثاً على التسليم، فإنهم لن يهتدوا في هذا العالم أبداً . والذي لا يخضع للدليل في العالم الراهن ، يعرض نفسه لخطر أن يُقهر يوم القيامة على الخضوع أمام القوة والجبروت الإلهي ، غير أن الخضوع يومئذٍ لن يغني عن أحدٍ فتيلاً...، حيث إنه سيكون لتسجيل الذل والهوان على المرء وليس

لتأهيله للإنعام والتكريم!

﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾

نَكِيرٍ : إنكار لذنوبكم أو منكر لعذابكم .

فَرِحَ بِهَا : بطر لأجلها .

إن امتحان المرء الحقيقي في العالم الراهن هو أن يواجه كل وضعٍ من أوضاع الحياة برد فعل صحيحٍ ، ولكن الإنسان لا يفعل هذا ، حيث إنه حين يحصل على نجاحٍ يصاب بنفسية الفخر والزهو والاعتزاز ، أما حين يتعرض لمصيبةٍ ما ، يأخذ في إظهار المشاعر السلبية .

وهؤلاء هم الذين لا يوفقون إلى رد الفعل أو الاستجابة الصحيحة إزاء دعوة الحق، فإن مزاجهم غير الواقعي يجعلهم غير واقعيين بشأنها كذلك . والاستجابة الصحيحة لدعوة الحق تتمثل في أن يعترف المرء بصدقها من فوره ، غير أن المرء يتخذ منها قضية تتصل بكرامته ، وبالتالي تأخذه العزة بالإثم ، فيقول: إنني سأعود "صغيراً " أمام الداعي فيما لو آمنت بدعوته ، وهذا الإحساس يقف عائقاً دون قبوله الحق ، فيقابله بالإهمال واللامبالاة حرصاً على مصالحه الذاتية رغم تيقنه من صدقه!.

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾

إن أساس الدين يقوم على التصور القائل بأن كل أنواع القدرة والاختيار في هذا الكون إنما هي بيد الله الواحد وحده ، وأنه لا يملك أحد سواه أي قدرةٍ ولاخيارٍ ، سواء أكان الأمر يتعلق بتدبير نظام السماء والأرض ، أم بإعطاء الإنسان الذرية ، فكل ما يناله المرء إنما يناله بعطاء الله ، وهو الذي ينتزع عطاءه منه متى يشاء .

وهذا الاعتقاد عن الله هو الذي يولد في نفس المرء ذلك الشعور الصحيح الذي يسمى " العبودية " ، كما أن هذا الاعتقاد عن الله هو الذي يرغم المرء على أن يتبع في حياته العملية المنهج الذي تضمنته الشريعة الإلهية!!

﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾

رُوحاً : قرآنا أو نبوة ، أو جبريل .

الإِيمَانُ : الشرائع التفصيلية التي لا تعلم إلا بالوحي .

إنه ليس من شأن إنسانٍ أن يكلم الله مواجهةً في العالم الراهن ؛ إذْ يحول عجز الإنسان وقصوره دون اتصالٍ مباشر كهذا ، ومن ثم فقد نزل على الأنبياء ما نزل من الكلام الإلهي بأسلوب غير مباشرٍ ، وللكلام غير المباشر هذا طرق متعددة ، نجد أمثلتها في حياة الأنبياء والرسل في صور شتى .

إن أحد العلماء أو المفكرين حين يؤلف كتاباً أو يعرض كلاماً ، فإننا نجد في ماضيه من صنوف الأسباب والعوامل ما يمكننا من تعليل بطولته العلمية والفكرية ، ولكن

أمر النبي مختلف عن هذا تماماً . فحياة النبي بعد النبوة تختلف عن حياته قبل النبوة كل الاختلاف ، وإذا كان كلام غير النبي في حاضره يبدو امتداداً لماضي حياته ، فإن الكلام الذي يجري على لسان النبي بعد النبوة يكون فريداً متميزاً بلفظه ومعناه عن كلامه قبل النبوة لدرجة أنه لا يمكن تفسير هذا التميز والاختلاف بماضي النبي ، وإن هذه لقرينة واضحة تدل على أن كلام النبي كلام إلهي ، وليس كلاماً بشرياً عادياً .

ومن مزايا النبي العربي - ﷺ- أن القرآن الذي نزل عليه ، والكلام الذي صدر من لسانه ، لا يزال كلاهما محفوظاً في صورته الأصلية حتى هذا اليوم ، وأي شخصٍ يعرف اللغة العربية ، لو تناولهما بدراسة مقارنة ، لوجد بينهما فرقاً واضحاً جلياً حيث تبدو لغة الحديث النبوي لغة محمد بن عبد الله ﷺ بالبداهة ، ولغة القرآن المجيد لغة كلام الله - عز وجل - بالبداهة كذلك!!

سورة الزخرف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤ ﴾

أُمِّ الكِتَابِ : اللوح المحفوظ أو العلم الأزلي .

المراد بـ ﴿ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ هو اللوح المحفوظ عند الله . وقد أثبت الله في اللوح المحفوظ ذلك الدين الأصيل الذي يطلبه من البشر ، وهذا الدين الأصيل هو الذي نزل على الأنبياء والمرسلين بلغات شتى على اختلاف العصور ، وقد نزل على نبي آخر الزمان - ﷺ- باللغة العربية ، وهذا القرآن العربي هو وحده ممثل للدين الإلهي الحق في عالمنا الراهن ، وإنما المسئولية الآن ملقاة على عواتق حاملي القرآن الكريم أن يوصلوا رسالته إلى شعوب الأرض كافةً بنقله إلى سائر لغات العالم ، حتى يتمكن الآخرون بدورهم من أن يفهموه تماماً كما فهمه العرب . وكون القرآن متصفاً بالعلو ومليئاً بالحكمة دليل على كونه كتاباً إلهياً ، فلغة القرآن الكريم ومضامينه على مستوى العظمة الإلهية تماماً ، وهذا في حد ذاته برهان صارخ بأنه كتاب الله ، ولو أن القرآن كان كلاماً إنسانياً ، لم يكن ليبلغ ما هو عليه الآن من هذا المستوى غير العادي من العظمة والروعة والجلال!!

﴿ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ۝٥ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٧ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٨ ﴾

أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ: أفنترك تذكيركم وإلزامكم الحجة بإنزال القرآن .

صَفْحاً : إعراضاً أو معرضين عنكم .

أَن كُنتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَ ؟: لكونكم مفرطين في الجهالة والضلالة لا نتركه .

وَكَمْ أَرْسَلْنَا : كثيراً أرسلنا.

فِي الأَوَّلِينَ : في الأمم السابقة .

بَطْشاً : قوة .

هناك عدد لا يحصى من الناس في العالم اليوم يردد أسماء الأنبياء السابقين بمنتهى التوقير والاحترام ، وهذا الوضع يبدو مثيراً للدهشة والاستغراب ، إذْ قارنّاه بما قوبل به أولئك الأنبياء - بما فيهم رسول الإسلام - من التحقير والاستهزاء من قبل معاصريهم !.

وليس مرجع ذلك إلى كون الناس في سالف الدهور همجيّين ، وكونهم اليوم في أعلى مراتب التحضر والمدنية ، وإنما يرجع السبب في ذلك إلى فارق الزمن ، فاليوم ، بعد أن بَعُد العهد ، ومضت قرون متطاولة ، قد صار اسم كل نبي من الأنبياء مقروناً بالأمجاد التاريخية ، مما يجعل عبدة الظواهر اليوم سرعان ما يتعرفون عليه بدون عوائق ، أما بالنسبة إلى معاصريه، فقد كان النبي يبدو في صورة إنسانٍ عاديٍ ليس غير ، وللتعرف عليه حينذاك - بوصفه نبياً- كان لابد من توفر بصرٍ ثاقب نفاذ إلى الحقيقة ، وليس من شكٍ في أن هذا البصر النفاذ - كان ولا يزال - أقل شيءٍ وُجد في هذا العالم!

ومهما كان سلوك المخاطبين لدعوة الحق خاطئاً أو حتى سيئاً ، فإن الداعي لا يبرح يواصل عمله الدعوي بدأبٍ ونشاطٍ ، إلى أن يحين الوقت الذي يقضي الله فيه من عنده بما يحسم الصراع الدائر بين دعاة الحق ومعارضيه .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

مَثَلُ الأَوَّلِينَ : صفتهم أو قصتهم العجيبة .

الأَرْضَ مَهْداً : فراشاً ممهداً للاستقرار عليها .

سُبُلاً : طرقا تسلكونها ، أو معايش .

مَاءً بِقَدَرٍ : بتقدير محكم أو بمقدار الحاجة .

فَأَنشَرْنَا بِهِ : فأحيينا بالماء .

خَلَقَ الأَزْوَاجَ : أوجد أصناف المخلوقات وأنواعها .

وَالأَنْعَامِ : ومن الأنعام وهو الإبل .

لِتَسْتَوُوا : لتستقروا ، وتستعلوا .

سَخَّرَ : ذلل .

إن أكثر الناس كانوا - ولا يزالون - في كل زمانٍ يؤمنون بأن خالق هذا الكون

ومالكه هو الله ، وهو الذي منحنا كل ما نحتاج إليه في الحياة الدنيا .

إن إيجاد الكون وتوفير الأسباب الضرورية للحياة فوق الأرض ، لعمل عظيم هائل لدرجة أنه لا يمكن لشخصٍ ما إن يعزوه إلى أحدٍ غير الله الواحد الأحد .

وهذا الإقرار يقضي بأن يكون الله هو موضع اهتمام الإنسان الأكبر ، وأن تصطبغ حياته بالصبغة الإلهية ، ولكن الإنسان يتخذ من أشياء أخرى مقصوده ، ويجعل من غير الله مركز اهتمامه وتوجهاته .

لقد كشف الله الحقيقة بواسطة أنبيائه ، ثم إنه تعالى أنشأ هذا الكون بحيث صار بكل موجوداته وظواهره تمثيلاً عملياً حياً للحقائق المعنوية .

ومن هذه الحقائق مثلاً أن الإنسان سيبعث بعد موته من جديدٍ ، ويتم تمثيل هذه الحقيقة مرةً بعد أخرى على مستوى النبات ، حيث يشاهد الإنسان كل عامٍ أن الأرض قد يبست ، ثم ينزل عليها المطر ، فإذا بها تعود مرةً أخرى ناضرة خضراء .

وفي هذا إشارة بليغة إلى أن الإنسان بدوره سوف يُبعث بعد موته من جديدٍ كذلك .

والميزة الثانية للعالم الراهن تكمن في كونه ملائماً للإنسان على نحوٍ مدهشٍ ، فقد صُنع كل شيءٍ هنا بحيث يتمكن الإنسان من استخدامه لتحقيق شتى أغراضه كما يشاء، ممّا يقتضي أن تستيقظ في نفس الإنسان عواطف الشكر والعرفان .

فينبغي له إذا استعمل شيئاً من مصنوعات الله أن يخضع قلبه لله ، وتفيض من لسانه كلمات الاعتراف والحمد والابتهال.

﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

مُقْرِنِينَ : مطيقين وغالبين أو ضابطين .

وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ : أخلصكم وآثركم بهم .

مَثَلاً : شبها ومماثلاً .

وَهُوَ كَظِيمٌ : مملوء في قلبه غيظا وغماً .

يُنَشَّأُ فِي الحِلْيَةِ : يربى في الزينة والنعمة (البنات) .

فِي الخِصَامِ : المخاصمة والجدال.

من صور الإشراك بالله أن يتخذ المرء من أحدٍ شريكاً في الذات الإلهية ، كالاعتقاد أن الملائكة بنات الله ، أو القول بأن المسيح ابن الله ، أو كنظرية وحدة الوجود التي تفسر الكون باعتبار كل موجوداته أجزاء من ذات الله .

إن كل العقائد من هذا النوع باطلة محضة لا تستند إلى أي دليل حقيقي مطلقاً .

والآية رقم (١٨) قد تضمنت وصفين جامعين يتميز بهما صنف الإناث عن صنف الرجال : أما أحدهما : فهو أن المرأة ميالة بطبعها إلى الزينة والتحلي . وأما الآخر: فيكمن في كونها لا تقدر عند الجدال والخصومة على التعبير عن موقفها بأسلوبٍ قويٍ مؤثرٍ . وهذا النقص الطبيعي في صنف الإناث حقيقة تفرض نفسها . ونظراً إلى هذه الحقيقة ذاتها أخذ الإسلام بمبدأ تقسيم الواجبات الاجتماعية بين الجنسين : إذْ ألقى على عاتق الرجل تبعة العمل خارج البيت ، بينما جعل المرأة مسئولةً عن تدبير شئون البيت الداخلية!.

﴿ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

يَخْرُصُونَ : يكذبون فيما قالوه .

عَلَى أُمَّةٍ : على دين وطريقة تؤم وتقصد .

قَالَ مُتْرَفُوهَا : متنعموها المنغمسون في شهواتهم .

إن المرء لا يعدم الفرص لأي عملٍ يريد ممارسته في العالم الراهن ؛ مما يوقع كثيراً من الناس في سوء فهمٍ ، مؤداه أن كل ما يفعلونه هو الصواب عينه ، وأنهم لو كانوا على

خطأ، لم يحالفهم النجاح في ترويج طريقتهم، ومثل هذه الأقاويل يرددها غالباً أولئك الذين ينتمون إلى طبقة "المترفين".

غير أن هذا سوء فهمٍ خطير جداً، فإن رواج طريقةٍ ما في رحاب هذا العالم إنما يرجع إلى حرية الامتحان المتاحة هنا للجميع، للصالحين والطالحين على سواء، وحيث إن فترة الامتحان ستكون قد انتهت في عالم الآخرة، فلن يجد أحد هناك هذه الفرصة بطبيعة الحال، وأشد مواجهةٍ أو مقاومةٍ ظل يتعرض لها دين الأنبياء والرسل على اختلاف العصور هي التي كانت بينه وبين دين الآباء الموروث، إذْ إن "الآباء" يكونون قد تحولوا عند الأمم إلى "أكابر"، ويبدو لهم نبي العصر - بالقياس إليهم - من أصاغر الناس؛ ولهذا السبب يعود مستحيلاً على القوم أن يختاروا دين أحد الصغار متخلين عن دين الكبار، غير أن تكذيب أولئك "الصغار" هو الذي جرّ على الشعوب الهالكة ذلك العذاب الذي كان في حسبانها أنها لن تتعرض له إلا بتكذيب "الكبار" !!

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لأبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

إِنَّنِي بَرَاءٌ : بريء .

فَطَرَنِي : خلقني وأبدعني .

كَلِمَةً بَاقِيَةً : كلمة التوحيد، أو البراءة .

فِي عَقِبِهِ : ذريته إلى يوم القيامة .

إن كلمة إبراهيم المذكورة هنا ، والتي تضمنت إعلان التوحيد الخالص والتبرؤ المطلق من عبادة غير الله ، كانت قد صدرت من لسانه عليه السلام في المرحلة الأخيرة من حياته الدعوية ، ولم تكن هذه الكلمة مجموعة من بعض الحروف والألفاظ ، وإنما كانت هي خلاصة تاريخ حافل عظيم ، فحين بلغ سيدنا إبراهيم سن التمييز اكتشف أن إله الإنسان إله واحد ليس غير ، وأن كل الآلهة سواه باطلة محضة لا أصل لها ولا حقيقة. ولقد بنى عليه السلام حياته على أساسٍ من هذه العقيدة ، كما نهض يدعو إليها أفراد أسرته وقومه، وما برح عليه السلام قائماً بذلك ، باذلاً جهد طاقته بدأبٍ ونشاطٍ في سبيل دعوته ، حتى غدا كونه موحّداً هو الطابع المميز له وهوّيته التي راح يعرف بها في بيئته، وبعد ممارسة حياةٍ طويلةٍ كهذه ، عندما قال عليه السلام الكلمة المذكورة ، وهو يغادر وطنه مهاجراً ، فكان من الطبيعي أن تعود كلمته تلك "كلمةً باقيةً " ، فإنها كانت مرتبطةً بحادثةٍ تتجدد ذكراها في النفوس كلما ذُكر إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - .

وقد كان المفروض أن تكون سنة إبراهيم العظيمة هذه معلماً أو نبراساً مضيئاً يهتدي به ذريته من بعده إلى طريق الحق ، غير أن العكوف على متاع الدنيا ، جعل من جاء في عقبه غافلين عن هذا ، لدرجة أنه لما أتاهم عبد من عباد الله في العهد الأخير يذكرهم بما نسوه من درس ماضيهم ، لم يلبثوا أن تلقوه بالإنكار والتكذيب !

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ

وَٱلْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾

مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ : من إحدى القريتين مكة والطائف .

سُخْرِياً : مسخراً في العمل ، مستخدماً فيه .

أُمَّةً وَاحِدَةً : مطبقة على الكفر حبا للدنيا .

وَمَعَارِجَ : مصاعد ومراقي ودرجا من فضة

يَظْهَرُونَ : يصعدون ويرتقون .

وَزُخْرُفاً : ذهبا ، أو زينة مزوقة .

لَّمَّا مَتَاعُ : إلا متاع .

لما ظهر رسول الإسلام في مكة ، كان يبدو لمن حوله أنه إنسان عادي ، فتساءل الناس قائلين : إذا كان الله يريد أن يبعث مندوباً له لأجل هدايتنا ، فهلاّ وقع اختياره لهذا الغرض على عظيمٍ من عظماء هاتين المدينتين المركزيتين (مكة والطائف) من جزيرة العرب ؟! غير أن هذا الاعتراض إنما كان نابعاً من قصور نظرهم ، فالإنسان لا يكاد يرى إلا الحاضر الماثل أمامه وحده ، بينما كان التعرف على عظمة رسول الإسلام يتطلب عيناً تبصر المستقبل ، وبما أن القوم لم يكونوا يمتلكون هذا البصر البعيد المدى ، عجزوا بالتالي عن تفهم عظمة رسول الإسلام ﷺ .

وكان السبب في استصغار الناس لرسول الإسلام يرجع إلى أن حياته - عليه الصلاة والسلام - كانت خاليةً من بريق الأشياء المادية وبهرجها ، ولكن الأشياء المادية لا أهمية لها عند الله عز وجل . والواقع أن هذه الأشياء لمن زهادة القيمة والهوان على الله بحيث لو شاء تعالى لأعطى الناس كلهم أكواماً هائلةً من الذهب والفضة ، إلا أنه تعالى لم يفعل ذلك ، لأن الناس كانوا سيعودون بعدئذٍ مشغولين بهذه الأشياء وحدها ،

ولا يستطيعون الانطلاق من أسرها حتى يدركوا الحقيقة في صورتها المجردة الخالصة !

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

وَمَن يَعْشُ : من يتعام ويعرض ويتغافل .

نُقَيِّضْ لَهُ : نسبب ، أو نتح له .

لَهُ قَرِينٌ : مصاحب له لا يفارقه .

الإعراض عن النصيحة (الذِّكر) هو أن تتجلى أمامه الحقيقة الإلهية مصحوبةً بأدلةٍ لا يستطيع دحضها أو إنكارها ، إلا أنه يقابلها بالإهمال واللامبالاة حفاظاً على مصالحه الذاتية! ومثل هذا الشخص ربما يلجأ إلى إثارة صنوف الأباطيل ضدها تبريراً لموقفه ، وهذا هو الوقت الذي يجد فيه الشيطان فرصته لكي يتسلّط عليه ، ويسوق عقله في اتجاهٍ خاطئٍ ، فلا يزال الشيطان يلهيه بالتأويلات المفترضة في محاولة إقناعه بأنه على الحق والصواب ، وإنما ينكشف هذا الخداع حين يُفجأ المرء بالموت ، فيُقام بين يدي ربه للحساب الأخير !

وفي الحياة الدنيا طالما يتخذ المرء قرينه وصديقه ممن يمالئه على كذبه وانحرافه ، ولكنه سوف يلعن كل القرناء والأصدقاء من هذا النوع في الآخرة ، ويود لو كانت بينه وبينهم مسافة شاسعة لدرجة أنه لم ير وجه أحدٍ منهم ولا سمع صوته أبداً !!

﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا

نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَـٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

لو أن ذا بصرٍ أغمض عينيه ، لما أمكنه أن يرى شيئاً ، ولو أن ذا سَمْعٍ سدّ أذنيه ، لما استطاع أن يسمع شيئاً...، وهكذا مَنْ لا يستعمل عقله ، ويأخذ في السير على هواه معطلاً عقله ، فإن إفهام شخصٍ كهذا وتذكيره لن يجدي فتيلاً ، حيث إن عملية الفهم والتذكر إنما تتم بواسطة العقل ، وهذا قد عطّل عقله وغطّاه تحت ستارٍ - من شهواته ورغباته - كثيفٍ، على أن المدعو ، مهما يكن سلوكه وموقفه ، فإن الداعي مطالب على كل حالٍ ، بمواصلة نشاطه الدعوي بجدّ ، وإخلاص إلى أن يبلغ حد الإعذار ، وإلزام الحجة .

ومع أن الداعي إلى الحق يكون إنساناً ، إلا أن أمر الحق هو أمر الله ، وقد يحسب المرء، وهو ينكر داعية الحق ، أنه قد نجا من ضربة الحق ، بينما هو لا يلبث أن يقع في الوقت نفسه تحت ضربة الله وسخطه .. وسيرتجف فؤاد المرء بشدةٍ ويشعر بقشعريرةٍ تدب في أوصاله ، وهو يقابل داعي الحق بالإعراض والإهمال ، فيما إذا هو أدرك هذا السر حق الإدراك ، لأنه سيعلم عندئذٍ أن إهمال داعية الحق إهمال للحق نفسه ، وأن إهمال الحق هو إهمال لله - عز وجل!!

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ

ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾

عرض موسى دعوة التوحيد على فرعون، مبرهناً على صدقه بمعجزة العصا واليد، وحين رأى فرعون وملؤه ذلك راحوا يضحكون منه ساخرين، وكان السبب في ذلك أنهم لم يروا موسى عليه السلام في دعوته، وإنما رأوه في شخصه، حيث بدا لهم ظاهراً أن شخصية موسى أضأل شأناً من شخصياتهم هم، كما ظنوا بالنسبة إلى معجزته أنها سحرٍ، وأن بإمكان سحرة الدولة أن يأتوا بسحرٍ مثله!! وهذا ما حدث - ولا يزال - مع دعوة الحق دائماً، فالناس يرفضون الدعوة بالنظر إلى شخصية الداعي، ويُعرضون عن الآيات بقياسها على الوقائع العادية المألوفة.

ولما أبى فرعون وأصحابه التسليم بما جاء به موسى، أصابهم الله بشتى ألوان العقوبات تحذيراً لهم وتنبيهاً، حتى يرجعوا إلى الله تعالى، وقد جاء ذكر هذه العقوبات التحذيرية بالتفصيل في سورة الأعراف (١٣٣-١٣٥)، وكانت كل عقوبةٍ تنزل بدعاء موسى ثم تنتهي بدعائه كذلك، وقد كان ذلك سبباً إضافياً من شأنه أن يبعثهم على الرجوع والإنابة، ولكنهم ما رجعوا ولا أنابوا ...، والحقيقة هي أن الذين لا يؤمنون بالدليل والبرهان، فإنهم لا يؤمنون بالتحذير والبلاء كذلك، اللهم إلا أن يحاصرهم نهائياً عذاب الآخرة الذي لا يُرد !!

﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ

﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

هُوَ مَهِينٌ : ضعيف حقير .

يُبِينُ : يفصح الكلام للثغة في لسانه .

مُقْتَرِنِينَ : مقرونين به يصدقونه .

فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ : وجدهم خفاف العقول .

آسَفُونَا : أغضبونا أشد الغضب بأعمالهم .

سَلَفاً : قدوة للكفار في استحقاق العقاب .

وَمَثَلاً لِّلآخِرِينَ : عظة وعبرة للكفار بعدهم .

إن منكري الحق إنما قابلوا الحق بالإنكار دوماً ناظرين إلى ضآلة شأن الداعي إليه ومكانته العادية ، ففي مصر كان فرعون حاكم البلاد الأوحد ، وكانت الأنهار المتفرعة من النيل تجري بحسب أمره ومشيئته ، هذا إلى جانب كون كل أسباب العزة والسلطان والأبّهة متوفرةً لديه ، بينما كان موسى يبدو إنساناً عادياً لا يملك جاهاً ولا أبهة سلطانٍ، وبالإشارة إلى هذا الفارق المظهري ذاته استغفل فرعون قومه وأغواهم ، فما لبثوا أن مالؤوه على إنكار موسى وتكذيبه .

ويظهر أن قوم فرعون إنما وقفوا إلى جانبه وأطاعوه بناءً على مثل هذه الأدلة (السطحية) ، ولكن الحقيقة هي أن السبب في ذلك كان يرجع إلى ضعف القوم أنفسهم، وليس إلى قوة أدلة فرعون ، فاتباع موسى في ذلك الوقت كان معناه تحطيم خريطة الحياة الجاهزة ، وقليل جداً هم الذين يتجرؤون على مناصرة الحق بتحطيم خريطة حياتهم الجاهزة...، ومن ثم فحين تعرض فرعون لعذاب الله جزاء إنكار الحق، لم يلبث قومه بدورهم أن صاروا معه ضحايا العذاب الإلهي.

﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ ﴾

مِنْهُ يَصِدُّونَ : من أجله يضجون ويصيحون فرحًا وجذلاً .

قَوْمٌ خَصِمُونَ : لد شداد الخصومة بالباطل .

مَثَلاً : آية وعبرة عجيبة كالمثل السائر.

لَجَعَلْنَا مِنكُم : بدلكم . أو لولدنا منكم .

وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ :يعلم قربها بنزوله ﷺ .

فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا :فلا تشكن في قيامها .

بإمكان المرء في عالمنا الراهن أن يلوي مقصود أي كلامٍ عن استقامته ، ويستخرج منه عكس مراده الحقيقي . ومن أمثلة ذلك أن رسول الله - ﷺ- قال ذات يومٍ ما معناه: "ليس أحد يُعبد من دون الله فيه خير" ، فاعترض المعارضون عليه قائلين : إن هؤلاء النصارى يعبدون المسيح ، إذن ، أفليس في المسيح هو الآخر خير" ؟!

ومن الواضح أن هذا لم يكن إلا اعتراضاً فارغاً وشبهةً مفتعلةً ؛ فإن قول الرسول ﷺ كان موجهاً أساساً إلى العابد دون المعبود ، وحتى لو اعتبرناه موجهاً إلى المعبود ، فإنما كان المراد به صراحةً هو الذي يرضى بتأليه نفسه ، ولكن المرء إذا لم يأخذ حديثاً ما بمأخذه المستقيم ، فإنه يستطيع أن يعكس مفهومه ، مهما كان الحديث في حد ذاته

صحيحاً مستقيم المعنى .

لقد كانت شخصية عيسى عليه السلام من بعض النواحي مشابهةً للملائكة ، ومن هنا أله الكثيرون من أتباعه وعبدوه ، غير أن خلق عيسى الملكوتي كان مثالاً على قدرة الله وليس مثالاً على قدرة عيسى الذاتية. والحقيقة أن عملية خلقٍ كهذه ليست بصعبةٍ على الله إطلاقاً ، إذْ لو شاء تعالى لجعل من سكان الأرض كافة ملائكةً ، ولكن هؤلاء الملائكة سيظلون ؛ على أية حالٍ ملائكةً ، ولن يعودوا أبداً آلهةً يُعبدون!!

وقد أيد الله عيسى بمعجزات وخوارق عديدة ، منها أنه كان يُحيى الموتى ، وكان ينفخ في الطين هيئة طير ، فتدب فيه الروح والحياة والحركة ... إلخ ، وهذا كله كان في الأصل آيةً إلهيةً أظهرت لتدل على إمكان الحياة بعد الموت ، ولكن الناس بدل أن يستلهموا منها الدرس الحقيقي المطلوب ، راحوا يعبدون المسيح عليه السلام باعتباره فوق البشر.. وهكذا تتجلى الآيات الإلهية دوْماً في صور شتى ، وإنها لتفيدنا عبراً هامة جداً فيما لو اعتبرناها آية ، أما لو تم اعتبارها شيئاً آخر غير الآية ، فإنها تصبح سببا لوقوع البشر في الضلالة والانحراف . والشيطان يحاول دائماً أن يحول بين المرء وبين اعتباره واتعاظه بالآيات الإلهية .

﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ ﴾

فَوَيْلٌ : هلاك أو حسرة أو شدة عذاب .

المراد بـ "الحكمة" هنا روح الدين .. وأما "الصراط المستقيم" فالمقصود منه الشيء نفسه الذي أطلق عليه ضمن هذه الآيات "تقوى الله، وعبادته وطاعة رسوله" . وهذا هو لُبّ الدين وجوهره، وقد انتهى الأمر باليهود في القرون المتأخرة إلى أنهم فقدوا روح الدين، واستخرجوا عن طريق التفريع والتنقير في أصول الدين مسائل جديدة لا تحصى، ومازالت هذه المسائل المستحدثة موجودة في كتب اليهود حتى يوم الناس هذا . وبسبب هذه الإضافات المزعومة ذاتها، انقسم القوم إلى طوائف شتى، حيث أكد البعض على مسألة خلافيةٍ معينةٍ، بينما ركز بعضهم على مسألة خلافية أخرى، وهكذا تحول الدين الواحد عندهم إلى أديان متعددة. ولقد جاء سيدنا المسيح عليه السلام لكي يلفت انتباه اليهود إلى أن الأهمية في الدين إنما هي للروح وحده دون الشكليات والمظاهر، وأن الشيء الذي يتوقف عليه خلاص المرء يتمثل في اتباع الدين المنزل من عند الله، وليس في اتباع الدين الذي وضعتموه من تلقاء أنفسكم !!

وقد قرر سيدنا المسيح أن جوهر الدين هو أن تخافوا الله ، وألا تعبدوا إلا إياه، ولا تشركوا بعبادته أحداً ، وأن تتخذوا من الرسول قدوةً في شئون الحياة كلها. أما ما استحدثتم من مسائل لا تحصى بتنطّعكم وتفريعاتكم ، فإنما هي إضافاتكم أنتم ، لا تمت إلى صميم الدين الإلهي بصلةٍ ، وإنما عليكم أن تستمسكوا بروح الدين الأصيل وتتخلوا عن هذه الإضافات. وأحاديث سيدنا المسيح عليه السلام هذه مازالت موجودةً في الأناجيل حتى اليوم!.

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا

تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾

هَلْ يَنظُرُونَ : هل ينتظرون .

بَغْتَةً : فجأة .

الأَخِلاَّءُ : الأحباء في غير ذات الله .

تُحْبَرُونَ : تسرون سروراً ظاهر الأثر .

وَأَكْوَابٍ : أقداح لا عري لها ولا خراطيم .

حين يتبنى المرء في الدنيا موقفاً معادياً للحق ، فإنه يجد من حوله أصدقاء كثيرين يوالونه ويشدون من أزره،واعتماداً على أولئك الأصدقاء لا يفتأ المرء يزداد تعنتاً وعناداً وطغياناً،ولكن كل هؤلاء الأصدقاء لن يلبثوا أن يتخلوا عنه ويخذلوه يوم القيامة،وستبقى يومئذٍ صداقة واحدة فقط،وهي التي قامت على أساسٍ من خوف الله وتقواه .

إن حياة العبودية للحق في الدنيا محفوفة بألوان شتى من الأخطار والمحاذير ، بيد أن جزاءها في الآخرة رائع بحيث سيفوز المرء هناك بالنجاة والأمان المطلق الدائم من كل أنواع الحزن والخوف والألم . والذين يثقون بهذا الوعد الإلهي أتم الثقة ، هم وحدهم يستطيعون الثبات على جادة الحق في العالم الراهن، وسيعطيهم الله في الآخرة كل ما كانوا قد فقدوه في الحياة الدنيا لأجل الله - سبحانه وتعالى!

﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ

قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾

لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ : لا يخفف عنهم .

مُبْلِسُونَ : ساكنون أو حزينون من شدة اليأس .

لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ : ليمتنا حتى نخلص من هذا العذاب .

أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً : بل أحكموا كيداً له ﷺ .

وَنَجْوَاهُم : تناجيهم فيما بينهم .

الأمل يخفف الإحساس بالألم دائماً ، فإذا أصيب المرء بألمٍ ما ، وهو يأمل أن هذا الألم سينتهي يوماً ، تولدت في داخله مقدرة التحمل لذلك ، غير أن آلام جهنم هي آلام لن يكون للإنسان بارقة أملٍ في الخروج منها ، أما استغاثة أهل جهنم بالملائكة ، فإنما يكون ذلك بمثابة صرخةٍ اضطراريةٍ تعبر عن غاية عجزهم وضعفهم ، وإلا فالمستغيثون بأنفسهم سيكونون على علمٍ بأن الله قد قضى بين العباد قضاء مبرماً ، وأنه لم يعد الآن إلى تغييره أو تحويله عنهم من سبيل !!

ودخول أحد الناس إلى جهنم إنما يكون جزاءً وفاقاً لتقصيره هو، لقد زوّد الله الإنسان بقوة فهمٍ وتمييزٍ على أرفع مستوىً ، وفتح أمامه سبل الحق والرشاد ، ولكن الإنسان أعرض عن الحق رغم علمه ومعرفته به ، ووصل به التمرد والعناد إلى حد أن تصدى لإنهاء حياة الداعي إلى الحق وتدميره ، فما عساه أن يكون مصيره ، سوى أن يُلقى به في عذابٍ دائمٍ لا يزول !؟!

﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

يَخُوضُوا : يدخلوا مداخل الباطل .

﴿ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ هذه الجملة تدل على أن العقيدة التي يجهر بها الرسول ، يعتبرها هي عين الحقيقة ، وأنه ليس واقفاً على أرضية التقليد القومي، والعصبية الطائفية ، وإنما هو مرتكز على أرضية الدليل والبرهان ، ولقد جاء يدعو إلى هذه العقيدة لأن كل الحقائق تؤيدها وتشهد بصدقها . ومن هذا يتضح أن أمر الداعي يكون أمر الشعور بالحقيقة ، وليس أمر التقليد القومي . ومصنع الله الإبداعي ، هذا الذي يمتد أمامنا في صورة الأرض والسماء ، يدلنا على أن إلهه ليس إلا إلهاً واحداً ، إن الكون بنظامه المحكم وتناسقه البديع ينفي أن يكون إلهه أكثر من إلهٍ واحدٍ .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ : هو معبود في السماء.

وَتَبَارَكَ الَّذِي : تعالى أو تكاثر خيره وإحسانه .

إن الأرض والسماء تؤديان وظائفهما في غاية الانسجام والتوافق ، حيث يوجد في كلا العالمين - العلوي والسفلي - حكمة واحدة وعلم واحدة على أتم درجةٍ وأكملها . وهذا دليل ناطق بأن ليس هناك إلا إله واحد هو الذي يدبر وحده شئون كلٍ من

الأرض والسماء ، ويقوم وحده بإدارة نظامها العجيب المدهش . والكون يعرفنا بقدرة الله الهائلة ورحمته الواسعة في آنٍ معاً ، وهذا يقتضي أن يكون المرء خائفاً من الله أشد الخوف ، وراجياً فضله تعالى أقوى الرجاء ، والذين يقيمون الدليل على هذا الشعور وهذا السلوك هم وحدهم أولئك الذين إذا لقوا ربهم أغدق عليهم شآبيب رحمته إغداقاً !.

﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ : فكيف يصرفون عن عبادته تعالى .

وَقِيلِهِ : وعنده علم قول الرسول ﷺ .

فَاصْفَحْ عَنْهُمْ : فأعرض عنهم .

سَلامٌ : أمري تسلم ومتاركه لكم .

إن الشفاعة التي يتقدم بها الأنبياء ودعاة الحق يوم القيامة ليست في الحقيقة شفاعةً ، وإنما هي شهادة ، وهي تعني أن يشهد المرء بشيء هو يعلمه شخصياً ، فحين تُعرض قضايا الناس في محكمة الآخرة ، فإن الله سبحانه رغم إحاطة علمه بكل شيءٍ ، سيقيم من بين أهل المحشر - لمزيد التوكيد والتوثيق - عباده الذين عاصروا الأمم والشعوب، واضطلعوا بإبلاغ رسالة الحق إليها ، فآمن بعضهم وكفر بعضهم ، ووقف قوم إلى جانب الحق ، بينما تصدى آخرون لمحاربة الحق . هذه التجربة التي عاشها أولئك الصالحون الأبرار سيحكونها أمام الله ، وسيكون ذلك تماماً كما يدلي أحد الشهود ببيانٍ صادقٍ أمام المحكمة في ضوء مشاهدته الذاتية .

هذا ، ولن يكون في مقدورٍ أحد يوم القيامة أن يقوم شفيعاً لأحدٍ من المجرمين ، بحيث يتوخى بشفاعته تغيير ذلك الحكم الإلهي الذي كان من المقرر صدوره في حقه بموجب العدل والواقع .. كلا .. فالله سبحانه أرفع بكثيرٍ من أن يحاول شخص في حضرته محاولة كهذه ، وعمل الدعوة إلى الحق عمل كله نصيحة ، حتى في المرحلة النهائية ، إذْ يكون الداعي قد انكشف عليه بوضوحٍ أن الناس لن يؤمنوا بدعوته على أية حالٍ ، فإنه لا يلبث - مع ذلك - أن يتوجه إلى ربه يدعو للناس ، ولا يزال يتمنى لهم الخير صابراً على أذاهم وإساءتهم!!

سورة الدخان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٨ ﴾

لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ : ليلة القدر من شهر رمضان .

فِيهَا يُفْرَقُ : يفصل ويبين .

أَمْرٍ حَكِيمٍ : محكم لا مبرم أو متلبس بالحكمة .

إن كون القرآن " كتاباً مبيناً " دليل في نفسه على أنه كتاب الله ، ومنذ أن كان القرآن كتاب الله، فإن أخباره ونبوءاته كلها قطعية، لا ولن يتطرق إليها شك أوْ ريب، وقد بدأ نزول القرآن الكريم في ليلةٍ خاصةٍ، وهي ليلة لإصدار القضايا أوْ القرارات الإلهية الهامة . إن تنزيل القرآن الكريم لم يكن حادثاً يسيراً، وإنما كان ذلك قراراً بظهور تاريخٍ جديدٍ، وللسبب ذاته تم إنزاله في ليلة الفصل والقضاء، وقد كان القرآن في المقام الأول إعلاناً عن الحق، حيث إنه قد جاء لإبطال الشرك وإحقاق التوحيد، ثم إنه كان يرمي - على أساسٍ من ذلك - إلى التفريق بين الشعوب والأمم، ولقد تم هذا التفريق على صعيد الواقع العملي المعاش، حتى انتهى - ولأول مرةٍ في تاريخ البشرية - عصر الشرك وبدأ عصر التوحيد !

﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

فَارْتَقِبْ :انتظر بهؤلاء الشاكين .

بِدُخَانٍ : كناية عن إصابتهم بالجدب والمجاعة .

يَغْشَى النَّاسَ : يشملهم ويحيط بهم .

أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى: كيف يتذكرون .

مُعَلَّمٌ :يعلمه بشر .

يَوْمَ نَبْطِشُ : يوم نأخذ بشدة وعنف (يوم بدر أو يوم القيامة) .

لم تكن قضية وجود الله- تلك التي كان هؤلاء المخاطبون للقرآن في شكٍ منها يلعبون - إنما كانت قضية توحيد الله ، إذْ إنهم كانوا متمسكين عملياً بدين أكابرهم، مع التسليم - على وجه التقليد الأعمى - بوجود الله خالق الكون . ومع أن القرآن أقام الدليل ساطعاً على بطلان أكابرهم أولئك، إلا أنهم لم يرضوا بالإذعان إلى ذلك، فقد كانوا يجدون أنفسهم عاجزين عن مقاومة دليل القرآن، وكان محو عظمة الأكابر من أذهانهم يبدو لهم هو الآخر أمراً خارجاً عن مقدورهم، ولم يلبث هذا المطلب المزدوج أن أوقعهم في دوامة الشك والارتياب، وقد بدا لهم الداعي إلى الله أهون وأقل شأناً من أن يتركوا أكابرهم المزعومين لأجل قوله !

والذين لا يؤمنون بالحق عن طريق النصح والتذكير، يعرضون أنفسهم لخطر أن يتم

إجبارهم على التسليم به عن طريق العذاب ...، وعندئذ سيبادرون بالاعتراف والتسليم، غير أن الاعتراف وقتئذٍ لن يجدي عنهم شيئاً !!

﴿ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ ﴾

فَتَنَّا :ابتلينا وامتحنا .

أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ : سلموا إلى عباد الله .

لاَّ تعلوا: لاتتكبروا ، أو لا تفتروا .

بِسُلْطَانٍ : حجة وبرهان على صدقي .

وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي : استجرت به والتجأت إليه .

تَرْجُمُونِ : تؤذوني ، أو تقتلوني بالحجارة .

إن قيام دعوة الحق معناه ظهور القوة الإلهية في ثوب الدليل والبرهان ، وهكذا يعلن الله سبحانه، وهو لا يزال في الغيب، عن أمره على مستوى البشر ، ومن هنا تعود دعوة الحق بالنسبة إلى المخاطبين فتنةً وابتلاءً . وإن العارفين بالحقيقة سرعان ما يتعرفون عليها ويأخذون أنفسهم بالخضوع والإذعان لها ، أما الذين أبصارهم متعلقة بالظواهر، فلا يلبثون أن يعرضوا عنها باعتبارها غير هامة .

غير أن المرء بعد رفضه لدعوة الحق لن ينجو من وخيم عاقبته . وفي عصر الرسول تبدأ هذه العاقبة الوخيمة في الحياة الراهنة ، كما حدث - مثلاً - مع فرعون مصر في زمن موسى عليه السلام أما في عصر ما بعد النبوة فسيلقى الطغاة كهؤلاء مصيرهم المحتوم

في أعقاب الموت ، ويُلاحظ - إلى جانب ذلك - أن الرسول يكون مؤيداً بنصرةٍ من الله خاصةٍ؛ لا يمكن معها لأحدٍ أن ينجح في إهلاكه وتدميره .

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً : سر ليلاً بعبادي .

إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ : يتبعكم فرعون وجنوده .

البَحْرَ رَهْواً : ساكناً ، أو منفرجا مفتوحا .

جُندٌ : جماعة .

وَنَعْمَةٍ : تنعم أو نضارة عيش ولذاذته .

فَاكِهِينَ : ناعمين متفكهين .

مُنظَرِينَ : ممهلين بالعذاب إلى وقت آخر .

لقد قامت الحجة على فرعون وقومه بعد جهود موسى التبليغية التي استمرت سنين طوال ، وقد ثبت الآن أنهم مجرمون ، وعندئذ أُمر سيدنا موسى بالخروج مع قومه (بني إسرائيل) من مصر ليلاً ، فسار موسى حتى وصل إلى شاطئ البحر، فانحسرت مياهه من الجانبين عن طريقٍ يابسٍ مكّنه من الاجتياز نحو الشاطئ الآخر .

وكان فرعون قد انطلق بجنوده يتعقب موسى وبني إسرائيل ، فلما رأى الطريق اليابس وسط البحر، خُيّل إليه أن بإمكانه أن يجتاز عبره تماماً كما اجتاز موسى، ولكن

طريق البحر لم يكن طريقاً للمرور بالمعنى الظاهر لغوياً، وإنما كان ذلك أمر الله، وقد كان أمر الله إذ ذاك يحتّم النجاة لموسى ومن معه والهلاك لفرعون ومن معه ، ومن ثم فلما يكد يدخل فرعون وجنوده إلى البحر، حتى التقى الماء من كلا الجانبين، وبالتالي هلكوا عن آخرهم غرقاً، إن من يُرزق نصيباً من نعم الدنيا طالما يعتبرها ملكه الذاتي، على حين أنها ليست ملكاً ذاتياً لأحد، وإنما هو الله الذي يعطيها لمن يشاء، ثم ينزعها من يده متى يشاء لكي يخولها إلى الآخرين! .

﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْأَيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ ﴾

كَانَ عَالِياً : متكبرا جبارا .

العَالَمِينَ : عالمي زمانهم .

فِيهِ بَلاءٌ مُّبِينٌ : اختبار ظاهر أو نعمة ظاهرة .

إن سقوط أمةٍ وصعود أخرى في هذا العالم لا يحدث على وجه المصادفة ، وليس معنى ذلك أن أمةً ظالمةً ما غلبت أمةً أخرى بإجراءاتها العدوانية الغاشمة ، وإنما يتم هذا كله تبعاً لحكم الله وحده ، فالله تعالى هو الذي يقضي بالغلبة لبعض الخلق وبالهزيمة لبعضهم الآخر، وكل قضاء يصدره تعالى فإنما يصدره بناء على علمه الكلي الشامل، وليس على نحوٍ جزافي .

وصدور القضاء حسب العلم الإلهي معناه: أن كل ما يحدث إنما يحدث بموجب الأهلية أوْ الاستحقاق ، حيث ينظر الله إلى الشعوب في ضوء علمه الكلي، فيقضي بالغلبة لمن يجده مستحقاً لها، ويكتب الذل والهوان على من يراه لم يعدْ أهلاً للغلبة

والقيادة.

وفي حياة الشعوب والأمم تتجلى آيات تدل على أن ما حدث معها هو حكم صادر من عند الله - جل وعلا - ولو كانت بصيرة المرء حيةً نابضةً لرأى في هذه الآيات انعكاساً لتلك الأسباب التي بموجبها أصدر الله أحكامه على الشعوب !

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

بِمُنشَرِينَ : بمبعوثين بعد موتتنا .

قَوْمُ تُبَّعٍ : أبو كرب الحميري ملك اليمن .

إن مصدر ضلال الإنسان وانحرافه في كل العصور يتمثل في أنه فقد ثقته ويقينه في الحياة بعد الموت ، وانعدام اليقين هذا ربما يُبديه بعضهم بلسانه صراحةً، بينما لايتبدى ذلك من أفواه بعضهم على نحوٍ صريحٍ، إلا أن قلوب هؤلاء بدورها تكون خاويةً من اليقين بأنهم مبعوثون مرةً أخرى بعد موتهم، ومحاسبون بالتالي على أعمالهم بين يدي الله رب العالمين !

والسبب في سوء الفهم هذا من الناحية النفسية، يرجع غالباً إلى أن المرء يغتر بمركزه العتيد الذي يحتله في هذه الدنيا، بحيث يخيل إليه كأنه لن يفقد مركزه أبداً .. على حين أن نظرةً واحدةً في مصائر الشعوب الغابرة تكفي لإبطال هذا الغرور والخداع النفسي .

كان " تبع " لقب الملوك الحميريّين في اليمن القديم ، وقد ازدهرت بلادهم واتسعت ثروتهم وامتد سلطانهم خلال الفترة بين سنة ١٠١٥ق.م. وحتى سنة ٣٠٠ب.م. وقد كان قدماء العرب كثيراً ما يتحدثون عن مجدهم وشوكتهم بمنتهى

الإعجاب والإكبار ، ومن هنا كان ازدهار قوم تبع وأفولهم أمراً معروفاً ومشهوراً بالنسبة إلى قريش - المخاطبين الأولين للقرآن الكريم - وقد كان لهم في ذلك دليلاً على أن قانون المكافأة والمجازاة هو الذي يسري في هذا العالم ، وهكذا لسائر الناس هناك "قوم تبع " يلقنونهم بالمصير الذي آل إليه وأمرهم درساً بليغاً ، ولكن الإنسان ينظر إلى مثل هذه الحوادث دوماً على أنها حوادث جرت وفق العادة، وتكون النتيجة أنه لا يكاد يتعلم منها الدرس الذي كان الله - عز وجل - قد أودعه فيها !!

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ ﴾

يَوْمَ الفَصْلِ : يوم القيامة والحساب .

لاَ يُغْنِي مَوْلًى : لا يدفع قريب ، ولا صديق .

إن المتأمل في نظام السماوات والأرض ليجد أنه قد تم إيجاده على نحوٍ هادفٍ للغاية، حيث يعمل الكون بكل ما فيه لأجل هدفٍ معينٍ ، ولولا ذلك لبات مستحيلاً على الإنسان أن يبني هذه المدينة الرائعة في رحاب العالم الراهن .

وعقيدة الآخرة هي امتداد وتوسيع لهذه الروح أوْ المعنوية الكونية ذاتها، فلا يمكن أن ينتهي هذا الكون، وقد صُنع على هذا النحو الهادف، بلا غايةٍ أوْ معنىً ما، إن وجود القصد والمعنى في كوننا الحالي قرينة تدل على أنه صائر إلى غايةٍ هادفةٍ ذات معنىً، وما الآخرة إلا اسم آخر لهذه الغاية الهادفة .

وإن مرحلة الحياة الراهنة هي مرحلة الامتحان والابتلاء ، ومن ثم يجد كل شخصٍ

هنا نصيبه مما يكمن في هذا العالم من هدفٍ ومعنىً، وأما حين تأتي الآخرة فلن يتمتع هناك من هدفها ومعنوياتها بنصيبٍ إلا أولئك الذين يُعتبرون عند الله أهلاً لذلك في واقع الأمر !!

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

شَجَرَتَ الزَّقُّومِ : من أخبث الشجر تنبت في النار .

كَالْمُهْلِ : دردى الزيت ، أو المعدن المذاب .

الحَمِيمِ : الماء البالغ غاية الحرارة .

فَاعْتِلُوهُ : فجروه بعنف وقهر .

سَوَاءِ الجَحِيمِ : وسط النار .

بِهِ تَمْتَرُونَ : فيه تجادلون وتمارون .

إن مشاهد جهنم التي عرضها القرآن الكريم في هذا المقام وفي مواضع أخرى، كافية لتملأ قلب كل إنسان ينبض بالحياة قلقاً واضطراباً ، فأي شخصٍ يكون جاداً بشأن مستقبله ومصيره حق الجدية، لابد أن تهزّه هذه الكلمات المروعة هزاً، وتجعله بالتالي يدع طريق الجحيم ويندفع نحو الطريق المؤدي إلى الجنة .

أما الذين ليسوا بجادين بشأن الحقائق، والذين لا يعلمون إلا شهواتهم وحدها، ولا يشعرون بحاجةٍ ما إلى التأمل فيما وراء شهواتهم من عالم الحقائق، فإنهم سيسمعون

هذا النبأ ولا يلقون إليه بالاً، كأنهم لم يسمعوا شيئاً، فمثل هذه الألفاظ العنيفة المفزعة بالنسبة إلى أمثال هؤلاء كمثل الماء يُراق على حجرٍ صلدٍ، فيسيل من فرقه دون أن ينفذ إلى أعماقه ليرطّبه من الداخل !

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ ﴾

سُندُسٍ : رقيق الديباج .

وَإِسْتَبْرَقٍ : غليظه .

وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ:قرناهم بنساء بيض مخلوقات في الجنة واسعات الأعين حسانها .

يَدْعُونَ فِيهَا : يطلبون فيها .

تتضمن هذه الآيات صورةً لدنيا الإنسان المفضلة، تلك التي هي مستقرة في أحلامه، فما من امرئٍ إلا هو يحترق شوقاً إلى دنياه المفضلة هذه، إلا إنه لا يتمكن من الظفر بها في الحياة الراهنة، وإنما سيفوز بدنيا أحلامه هذه في الجنة وبشكل أرقى .

وتلك الدنيا الخالية من جملة أنواع الهم والخوف إنما سيظفر بها أولئك الذين كانوا قد خافوا من الله في الحياة الدنيا ، وسيتمتع بالحياة المليئة بصنوف النعم الأبدية هناك أولئك الذين كانوا قد ضحوا من أجلها بنعم الدنيا المؤقتة ، وسيسعد بذلك الفوز الأخروي العظيم أولئك الذين كانوا قد اجترؤوا على تعريض نجاحهم الدنيوى

للخطر فى سبيل الحصول عليه !!

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

فَارْتَقِبْ : فانتظر ما يحل بهم .

إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ : منتظرون ما يحل بك .

إن القرآن كتاب عظيم ولا ريب ، كما أنه كتاب سهل وميسر للغاية ، غير أن كونه سهلاً وميسراً إنما هو من ناحية التذكر والاعتبار ، يعني أن الشخص الذي يدرسه بحثاً عن الحق، سيجده بالطبع ما يكون، وأما الشخص الذي لا يكون جاداً بشأن البحث عن الحق، فليس له من يسرٍ أوْ سهولةٍ ما في القرآن الكريم، ومن شروط كون المرء جاداً في العالم الراهن ألا يكون مصاباً بنفسية الانتظار، أي: إن ظهور الحقيقة على مستوى الدليل وحده يكفيه ليؤمن بها !!

سورة الجاثية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾

يَبُثُّ : ينشر ويفرق .

وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ : تقليبها في مهابها وأحوالها .

إن القرآن إذْ يقول بأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم ، فكأنما هو يضع بذلك أمام المخاطبين معياراً قطعياً يمكن على ضوئه أن يختبروا صدقه ، فمعنى كونه نزل من الله "العزيز " إنه كتاب لن يتمكن أحد من التغلب عليه أبداً، وأنه سيفوز بالغلبة والانتصار على معارضيه وأعدائه على أية حالٍ، لا يقف في وجهه أية عقبات أوْ صعوبات مهما كثرت، وقد تم هذا الإعلان في العهد المكي، عندما كانت الظروف غير مواتيةٍ للقرآن تماماً، ولكن الأحداث والتطورات التي وقعت فيما بعد لم تلبث أن صدقت بهذه الحقيقة على نحوٍ مدهشٍ، حيث نالت دعوة القرآن أكبر نجاحٍ في التاريخ البشري على الإطلاق .

وهكذا يقتضي نزوله من عند الله " الحكيم" أن تكون محتوياته كلها مبنية على العقل

والحكمة ، وهذا الأمر هو الآخر ما زالت تتأكد صحته منذ خمسة عشر قرناً من الزمان، لقد نزل القرآن الكريم قبل عصر العلم .. ولكن لم يمكن لأحد بعد - حتى في عصرنا العلمي هذا - أن يعثر على نصٍ من نصوص القرآن يتنافى مع العقل .

وبالإضافة إلى ذلك فإن الكون هذا الذي يحيط بنا من كل جانبٍ، ويمتد إلى مالا نهاية، قد صار بكل ما فيه مصدقاً برسالة القرآن ، بيد أن هذا التصديق لن يكون تصديقاً إلا للذين يتمتعون بعقلية التيقّن والاقتناع، والذين يملكون الاستعداد لإدراك الأمر وهو يُعرض عبر الآيات والإشارات !!

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠ هَـٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝١١ ﴾

وَيْلٌ : هلاك أو حسرة أو شدة عذاب .

أَفَّاكٍ أَثِيمٍ : كذاب كثير الإثم .

اتَّخَذَهَا هُزُواً : سخرية أو مهزوءا بها .

وَلاَ يُغْنِي : لا يدفع عنهم .

رِجْزٍ : أشد العذاب .

الاعتراف بالحق يكون، في معظم الأحوال، مرادفاً للتخلي عن كبرياء الذات، وبما أن المرء لا يرضى بالتخلي عن كبريائه، لذا فهو لا يوفق إلى الاعتراف بالحق ، ولكن

الإباء عن الخضوع للحق إباء عن الخضوع لله، ولأمثال هؤلاء عذاب شديد عند الله عز وجل ! والمرء وإن كان يعرض عن الحق بدافع الاستكبار، إلا أنه طالما يتقدم بالدليل النظري تبريراً لمواقفه، غير أن هذا الدليل لا يخرج عن كونه ترديد ألفاظ كاذبةٍ ، فإن شخصاً كهذا يعمد إلى شيءٍ ما ويتخذ منه موضع الطعن والعيب بتأويله على غير وجهه، ثم يأخذ في الاستهزاء والتهكم من الحق، ومن الداعي إليه بناء على ذلك المطعن أوْ العيب المفتعل ، وأمثال هؤلاء يستحقون أشد العذاب وأقساه، لأنهم يزيدون التمرد والطغيان إلى جانب المعصية وسوء العمل ، والأمر الذي يدفع هؤلاء إلى الطغيان هو مركزهم الدنيوي، غير أن المركز الدنيوي لن يغني عن صاحبه في الآخرة فتيلاً !

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

إن الماء – على ما يبدو – شيء مغرق ، ولكن الله تعالى قد جعله خاضعاً لنواميس تمكن السفن والباخرات العملاقة أن تسير على سطح البحار والمحيطات الهائلة من جهةٍ إلى أخرى وتصل إلى مقاصدها بسلامٍ ، وهذا هو شأن الكون بأسره ، فقد جُعل الكون بما فيه مسخراً لخدمة الإنسان، بحيث يستطيع الإنسان أن يستخدمه في تحقيق شتى مآربه كما يشاء، وميزة العالم الراهن هذه هي التي مكنت الإنسان من أن يشيّد هنا صرح المدنية والحضارة الرائع ، وإن هيكل الكون الحالي ليس هو هيكله الوحيد والنهائي، إذْ كان من الممكن أيضاً أن يتم تشكيله بطرق أخرى مختلفة لا تقع تحت الحصر ، ولكن من بين احتمالات كثيرة شتى، إنما تحقق على صعيد الواقع الفعلي احتمال واحد ، وهو الذي كان مفيداً وملائماً لنا نحن البشر !! إن هذه آية، لو وقف عندها

أرباب البصر و البصيرة متأملين لوجدوا فيها درساً عظيماً !

﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ الله : لا يتوقعون وقائعه بأعدائه .

إن الذين لا يوقنون بأن يوم الدينونة أوْ القضاء الإلهي آتٍ عليهم لا محالة، تبلغ منهم الجراءة على ممارسة الظلم والعدوان مبلغاً عظيماً ، حيث إنهم لا يدعون أي طريق ممكن لإلحاق الأذى والضرر بداعي الحق إلا سلكوه ، وعندها تستيقظ في نفس الداعي بواعث الانتقام، ولكن ينبغي للداعي أن يقابل المدعو على أذاه بالعفو والصفح عنه حتى اللحظة الأخيرة ، وأن يركز اهتمامه كله على الدعوة وحدها ، مفوضاً أمر مؤاخذة الناس على سوء أعمالهم إلى الله جل جلاله ، وإن كفاح الداعي لا يتم تقييمه وتقديره باعتبار النسبة العددية لأولئك الأفراد الذين استطاع جذبهم إلى دائرة الحق، وإنما يتم تقييم كفاحه وتقديره عند الله سبحانه بالنظر إلى شدة تمسكه بالحق، وإلى مدى وفائه بمقتضيات كونه داعياً إلى الحق !

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ

وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾

بَغْياً بَيْنَهُمْ : حسدا وعداوة بينهم .

شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ : طريقة ومنهاج من أمر الدين .

لَن يُغْنُوا عَنكَ : لن يدفعوا عنك .

بَصَائِرُ لِلنَّاسِ : بينات تبصرهم سبيل الفلاح .

إن قوله: ﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ - أي بني إسرائيل - هو نفس ما جاء في شأن الأمة المحمدية ، حيث قال : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ... ﴾ [آل عمران ١١٠] إن تحميل شعب ما أمانة الكتاب الإلهي بمثابة تعيين له مسئولاً عن هداية الشعوب الأخرى ، وهذا هو معنى كونه أفضل الأمم أوْ خير الأمم ، وقد كان لبني إسرائيل - من الناحية المبدئية - اعتبار عالمي تماماً كما هو شأن الأمة المسلمة ، غير أن بني إسرائيل لم يلبثوا أن فقدوا استحقاقهم لذلك بإدخال التحريفات على كتابهم .

إن تعاليم الدين الجوهرية تتسم دائماً بالوحدة ، ولكن إضافات العلماء تحدث فيها الاختلاف والتعددية ، حيث يأتي كل عالمٍ بإضافةٍ جديدةٍ بحسب ذوقه وميوله ، ثم ينشغل هذا العالم وأتباعه بعد ذلك في إثبات صحة إضافاتهم وتخطئة إضافات الآخرين، ومن هنا تبدأ الفرق الدينية بالتشكل ، ويصل الأمر في نهاية المطاف إلى انقسام الدين الواحد إلى أديانٍ شتى .

ولما أحال بنو إسرائيل الدين المنزّل إلى دينٍ محرّفٍ، أنزل الله سبحانه على محمد ﷺ هذا القرآن ، وإذْ لم يكن سيُبعث بعده - عليه الصلاة والسلام - نبي ولا رسول، فقد عني الله - سبحانه وتعالى - عناية خاصةً بحفظ القرآن الكريم وصيانته من التحريف، حتى لا تتكرر تلك المأساة من جديدٍ بأن يضيع دين الله في خضم الإضافات البشرية !

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ : اكتسبوا المعاصي والكفر .

إن مَن يزعم أنه سواء عليه أكان يعيش هنا صالحاً أمْ طالحاً، إذْ ينتهي أمره في كلا الحالين إلى الموت والفناء، فإنما يبني في دماغه فكرةً خاطئةً للغاية ، إن زعماً كهذا يتعارض مع الشعور بالعدل، الذي يكمن في فطرة كل إنسانٍ بصورة جبليةٍ . وزد على ذلك أنه إنكار لروح الكون التي تسري في نظامه وتشمل موجوداته . والحقيقة هي أن فطرة الإنسان الداخلية والكون الفسيح المحيط به من الخارج، كلاهما، يدمغ الفكرة القائلة بأن الحياة عبث محض، ليس وراءها غاية معينة أوْ مصير هادف معلوم !!

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

أَفَرَأَيْتَ : أخبرني .

غِشَاوَةً : غطاء حتى لا يبصر الرشد .

اتخاذ الهوى إلهاً معناه : أن تعطي لهواك المقام الأول والأسمى في حياتك. إن من يفكر تبعاً لهواه، ويعمل بمقتضاه، فكأنما قد اتخذ من هواه إلهه . إن عقل الإنسان مزود بالقدرة التامة على تمييز الحق من الباطل ، بيْد أن الشخص الذي يجعل عقله تابعاً لهواه، يصل به الأمر إلى حيث إنه يرى دلائل الحق ساطعةً متجليةً أمامه، ولكنه لا يكاد يستشعر بثقلها ، فيرفض كل دليلٍ مستنداً على بعض التأويلات الكاذبة الواهية ، وسلوك الإنسان هذا لا يلبث أن يطمس قواه العقلية كلها، إذْ تعود أذناه تسمعان

الألفاظ ولكن من غير إدراكٍ لمعانيها ، وعيناه تبصران الحقيقة، إلا أنهما تعجزان عن استلهام الدرس أوْ العبرة منها ، وقد يصل كلام بليغ مؤثر إلى قلبه، ولكنه لا يكاد يهز مشاعره أوْ يحرك منه ساكناً !!. لقد جعل الله من القوى العقلية مدخل الهداية ، ولكن الشخص الذي يغلق هذه الأبواب لانغماسه في عبادة هواه، فمن أي طريقٍ يستدخل الهداية الإلهية إلى قلبه ؟!

﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ ليس هذا بقول عامة الناس ، وإنما يردد أقاويل كهذه دوْماً أفراد من صفوة الناس ، وهم الذين غالباً ما يحتلون مركز القيادة الفكرية في المجتمع بسبب ذكائهم ، غير إنهم إنما يقولون ذلك بناءً على الظن والقياس ، وليس بناء على أي علمٍ حقيقي ، وفي مقابل ذلك فإن ما يأتي به الرسول يكون مبنياً على أساسٍ من الحقيقة الصلبة .

إننا نشاهد كل يومٍ أن شخصاً يولد فيدخل في حيز الوجود بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً ، ثم يعتريه الموت بعد ذلك مرةً أخرى فيعود غير موجودٍ،وعليه فكأن كل امرئ هنا ينال الحياة بعد "موتٍ" ، ويموت مرة أخرى بعد الحياة ، وهذه قرينة تشير إلى أنه كما كانت الحياة بعد الموت أول مرةٍ ، كذلك ستكون حياة بعد الموت مرةً أخرى . ومن هذا يثبت إمكان الحياة بعد الموت بوضوحٍ تامٍ .

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ

﴿ ٢٧ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٢٨ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٢٩ ﴾

جَاثِيَةً : باركة على الركب لشدة الهول .

كِتَابِهَا : صحائف أعمالها .

نَسْتَنسِخُ : نأمر الملائكة بنسخ .

القائمون على أساسِ الله في الدنيا إنما يقومون على أساسٍ من الحق . أما الذين قاموا هنا على أساسٍ آخر سواه، فإنهم قائمون على أساسٍ من الباطل ، وأمثال هؤلاء سيعودون في الآخرة بلا موطئ قدمٍ يستقرون عليه؛ ذلك لأن الشيء الذي ظنوه في الدنيا "أساساً"، لم يكن من الأساس في شيءٍ ، وإنما كان خداعاً محضاً ، فحين تجلى وجه الحقيقة اختفى وتلاشى. والمراد بـ "استنساخ الأعمال" ليس هو الاستكتاب بالقلم بمعناه المعروف، وإنما هو تسجيل للأعمال ، حيث يتم تسجيل نيات الإنسان وأقواله وأفعاله ، أولاً بأول ، وفق تدبير إلهي بمنتهى الدقة ، وعلى حسب هذا التسجيل ذاته ستكون معاملة الإنسان في الآخرة سلباً أو إيجاباً ، وسيكون هذا التسجيل دقيقاً وحقيقياً لدرجةٍ لن يستطيع معها أحد أن ينكره هناك!!

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ٣٠ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ٣١ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ٣٢ ﴾

ليس المراد بالاستكبار هنا هو الاستكبار بإزاء الله ، وإنما بإزاء الداعي إلى الله ،

حيث إن الإيمان بأمر الله في العالم الراهن يكون عملياً مرادفاً للإيمان بأمر الداعي ، وعليه فالمصابون بداء الاستكبار ربما يستشعرون بالدون أو يعتبرون عاراً عليهم أن يؤمنوا بقول إنسانٍ مثلهم ، ومن ثم يقابلوه بالإهمال والإعراض ، وعلى نقيضٍ من ذلك فإن الذين تخلو صدورهم من نفسية التكبر والاستعلاء ، سرعان ما يخضعون له ، إن الطائفة الأولى تستحق غضب الله ، بينما تستحق الطائفة الأخيرة رحمة الله .

وإن شخصاً عندما ينكر الحق ، فيلجأ إلى ترديد ألوانٍ شتى من الأقاويل تبريراً لإنكاره، إذْ يحاول تارةً إثبات أن الداعي ممن لا يوثق به ، ويثير طوراً بعض الشكوك أو الشبهات المفتعلة حول رسالته، إلا أنه سينكشف يوم القيامة بجلاءٍ أن كل هذه كانت أقاويل خرجت من العقلية الإجرامية العنيدة ، وليس من العقلية الجادة المحبة للحق!!

﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

وَحَاقَ بِهِم : نزل أو أحاط بهم .

نَنسَاكُمْ : نترككم في العذاب .

وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ : منزلكم ومقركم النار .

وَغَرَّتْكُمُ : خدعتكم ببهرجها .

يُسْتَعْتَبُونَ : يطلب منهم الرجوع إلى ما يرضي الله .

إن المرء حين يمارس عملاً سيئاً ما في العالم الراهن ، فلا يواجه عاقبته الوخيمة من

فوره؛ مما يجعله يزداد جراءة على ارتكاب المعصية وفعل السوء ، وإذا تم تخويفه من نتائج سوء العمل ، فلا يكاد يصغي إلى هذا التخويف بجديةٍ، غير أن نتائج سيئاته ستكون حاضرةً أمامه في الآخرة ، وسيجد نفسه وقد حُوصر بسوء أعماله من كل جانبٍ، وعندها سوف لا يلبث أن يبادر بإقرار الحق الذي كان قد اعتبره من الهوان والخسّة بحيث لم يزل يستهزئ به طول حياته .

وسيقر الإنسان في الآخرة بالحق الذي ظل ينكره ويكذبه في الحياة الدنيا، غير أن ذلك لن يحظى بالقبول هناك، ذلك بأن الإقرار بالحق لا قيمة له إلا إذا تم على مستوى الغيب وليس على مستوى الشهود .

﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾

وَلَهُ الكِبْرِيَاءُ : العظمة والملك والجلال .

لما كان خالق الكون ، ومالكه واحداً ليس غير ، وجب أن يكون الحمد كله له وحده ، وأن يوجه الإنسان اهتمامه بكليته إليه وحده ، وأن يتخذه هو كل شيءٍ في حياته .

سورة الأحقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾

وَأَجَلٍ مُّسَمًّى : بتقدير أجل مسمى وهو يوم القيامة.

إن دراسة الكون تدلنا على أن هناك حكمةً ومعنىً يسودان كل ناحيةٍ من نواحيه ، إذن فإن مصنعاً كهذا ، الذي ينطوي منذ بدايته على قصدٍ ومعنىً ، تُرى هل يمكن أن يعود في نهايته عبثاً محضاً بلا معنىً ؟! كلا .. كلا .. الحق في ذاته شيء محكم للغاية. إنه أعظم قوةٍ في هذا الوجود ، ومع ذلك فما السر في أن الحق إذا ما تم عرضه على الناس ، تلقاه أكثرهم بالرفض والإنكار؟

السر في ذلك أن الناس إنما يساق إليهم الحق في عالمنا الراهن في صيغة الخبر ، وأما في الآخرة فسوف يستحيل الحق واقعاً يفرض نفسه على الناس فرضاً ، وعندئذ سيخر أمام الحق هناك في خضوعٍ واستسلام حتى أولئك الذين كانوا قبلئذٍ يقابلون الحق بالإهمال والإعراض باعتباره غير ذي أهميةٍ أو قيمةٍ تذكر !!

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟

بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾

أَرَأَيْتُم : أخبروني .

لَهُمْ شِرْكٌ : شركة ونصيب مع الله تعالى .

أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ : بقية من علم عندكم .

في تفسير قوله : ﴿ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ ، قال ابن كثير: "أي لا دليل لكم لا نقلياً ولا عقلياً على ذلك" (١).

العلم في الحقيقة نوعان : أحدهما : العلم الموحى أو الملهَم (Revealed knowledge)، وهو الذي وصل إلى الناس بواسطة الأنبياء والمرسلين . وثانيهما : العلم الثابت أو المبرهن عليه (Established knowledge) ، وهو الذي يكون قد ثبت كونه علماً عن طريق الأبحاث والتجارب الإنسانية ، وأي واحدٍ من هذين العلمين لا يدل على أن هناك موجوداً آخر في هذا الكون ، غير الله الواحد الأحد .

وإذا لم يكن أي مصدرٍ من مصدري العلم النقلي والعقلي شاهداً على الشرك ، فكيف إذن ، يجوز للإنسان أن يشرك بالله شيئاً اعتقاداً أو عملاً ؟!، والحق أن كل شيءٍ يتخذه المرء سنداً له وموضع ثقته من دون الله سيتبرأ منه يوم القيامة ، ولن يمده بنصرٍ أومعونةٍ ما ، وهو أحوج ما يكون إلى النصر والمعونة يومئذٍ!

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ ﴾

(١) انظر : مختصر تفسير ابن كثير ٣/ ٣١٥ .

تُفِيضُونَ فِيهِ : تندفعون فيه طعنا وتكذيبا .

لقد كان المخاطبون الأولون للقرآن الكريم من العرب يرفضون دعوة القرآن زاعمين أنها لا تتفق مع دين أكابرهم ، ولم تكد الجماهير تسمع ذلك ، وقد رسخت في عقولها الساذجة عظمة الأكابر وقداستهم ، حتى تنفر من رسالة القرآن،غير أن القرآن كان ينطوي على جانبٍ آخر،وهو إعجازه الأدبي، حيث كان كل عارفٍ بلسان العرب يشعر في قرارة نفسه بأن هذا كلام غير عاديٍ،وللتهوين من شأن القرآن وتقليل أهميته من هذه الناحية الثانية،لم يلبث قادة الكفر والضلال أن قالوا: إن هذا سحرٌ مبين .

صحيح أن كلام بعض الناس يتميز بروعةٍ بيانية فائقة وبلاغة غير عادية لا تدانى ، ولكن بلاغة الكلام الإنساني تقف عند حدٍ لا تتجاوزه، أما بلاغة القرآن وإعجازه الأدبي فهما أبعد من هذا الحد بكثيرٍ ، بل ليس هنالك من حدٍ يقفان عنده، إن عظمة القرآن الأدبية أجل من أن تُعد من نتاج العقل الإنساني القاصر المحدود .

وعندما يأبى الطرف المقابل إلا الإصرار على العناد والمكابرة ، فإن الإنسان الجاد لا يسعه عندئذٍ سوى أن يلوذ بالصمت قائلاً بأن أمري وأمرك إلى الله ، وكفى به شهيداً بيني وبينك ، بيد أن هذا ليس بالتراجع أو الانسحاب ، وإنما هو تدبير إقدامي أو هجوم خلقي إن صح هذا التعبير ، فحين يلزم المرء الصمت أمام رجلٍ عنيدٍ مكابرٍ ، فإنه يوقفه بين يدي ضميره هو بإبعاد نفسه عن مواجهته ، حتى يستيقظ شعوره إن لم يكن قد فتر وخمد خموداً نهائياً !

﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى

ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾

بِدْعاً : بديعا منفردا فيما جئت به .

أَرَأَيْتُمْ : أخبروني ماذا حالكم .

كان اليهود عند مشركي مكة حاملين لعلوم الدين ، وقد كان هؤلاء يعتبرونهم شعب الأنبياء والرسل ، كما كان المشركون واليهود يلتقي بعضهم ببعض أثناء الرحلات التجارية . وفي خلال العهد المكي سأل بعض المشركين بعض اليهود عن النبي ، فأجاب أحد الأحبار قائلاً : إن هناك نبياً كان سيُبعث في هذه المنطقة حسب النصوص الواردة في كتبنا. وغير بعيد أن يكون هذا هو ذلك النبي المرتقب. وقد أقر هذا الحبر اليهودي بنبوته - عليه الصلاة والسلام - على نحوٍ غير مباشرٍ .

وكان التاريخ يشهد - من ناحية - بأن أنبياء الله يأتون بكتابٍ من عند الله ، ومن ناحيةٍ أخرى كان مكتوباً في الصحفٍ السماوية السابقة أن نبياً سوف يُبعث من بني إسماعيل، هذا إلى جانب كون كلام الرسول - ﷺ- وحياته منطويتين على كل العلامات بوضوحٍ ، تلك التي لا توجد إلا في أشخاص الأنبياء والمرسلين وحدهم ، وبالرغم من توافر هذه العلامات والقرائن الصارخة ، فإن الذين كانوا ينكرون رسالة النبي العربي- ﷺ - لم يكونوا يفعلون ذلك لأي سببٍ معقولٍ ، وإنما فعلوا ذلك حفاظاً على كبريائهم وسيادتهم التي بدا لهم أنها ستنهار فيما لو آمنوا بشخصٍ مازالوا يعدونه رجلاً عادياً ، على أنه نبيٍ مرسل من عند الله!. والشأن أن الذين يصل بهم الأمر إلى حيث يستبد بهم الغرور وتتملكهم نفسية الاستكبار إذا ما ظهر الحق أمامهم ، فإن عقولهم تقودهم دائماً نحو الاتجاه الخاطئ المعوج ، ولا تتجه بهم الوجهة الصحيحة القويمة أبداً .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾

إِفْكٌ قَدِيمٌ : كذب متقادم .

إن الذين سبقوا إلى الإيمان برسول الله - ﷺ- وبادروا بالانضواء تحت رايته ، كان من بينهم أناس ينتمون إلى طبقة الضعفاء والعبيد ، مثل: بلال، وعمار، وصهيب ، وخباب وغيرهم ، كما كان فيهم - إلى جانب هؤلاء - أفراد ينتمون إلى الأسر الشريفة ، مثل : أبي بكر بن أبي قحافة ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب .. إلخ .. غير أن خصومه - عليه الصلاة والسلام - إنما كانوا يذكرون الصنف الأول من أتباعه وحده، ولم يكونوا يتناولون بالذكر الصنف الأخير . ومرجع ذلك إلى أن المرء إذا امتلأ بمشاعر الحقد والعناد والمكابرة نحو أحدٍ ، فإنه يصير بالنسبة إليه أحادي الجانب ، بحيث يصرف نظره عما فيه من جوانب الخير ، ولا يتناول بالذكر سوى الجوانب التي يمكن أن يتخذها ذريعةً إلى تحقيره والتهوين من شأنه .

هكذا فقد كان واقعاً لا مرية فيه أن رسول الله - ﷺ - إنما جاء بما جاء به سائر الأنبياء والرسل السابقين من ذي قبل ، فقد جاء - عليه الصلاة والسلام - بصدقٍ أزلي أبدي ، وقد كان في إمكان خصومه أن يصفوا هذا الواقع بأن : "هذا صدق قديم" ، ولكنهم وصفوه ، بدلاً من ذلك ، بقولهم : ﴿ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ ، وهذا النوع من الجور وعدم الإنصاف كان لدى البشر في قديم الزمان ، وهو لم يزل يوجد في الناس اليوم كذلك!!

﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟

فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٢﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

من دلائل صدق القرآن الكريم أن الكتب السماوية السابقة قد ظلت تتنبأ به قرناً بعد قرنٍ ، ولا زالت هذه النبوءات موجودةً في التوراة والإنجيل حتى هذا اليوم، وهكذا جاء القرآن مصداقاً ومصدقاً لكل ما سبق بشأنه من البشائر والنبوءات السماوية، وهذا قرينة واضحة تبرهن على أن القرآن كتاب إلهي في واقع الأمر ، ولولا ذلك لما أمكن التنبؤ به على هذا النحو الدقيق قبل نزوله بمئات بل آلاف السنين، وفي شرح قوله : ﴿ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ روي عن عبد الله بن عباس ما معناه : ثم استقاموا على أداء فرائضه.

إن الإيمان عهد مقدس ، وفي أثناء حياته يمر المرء من حينٍ لآخر بمواقف يجد نفسه فيها بين خيارين : أحدهما يتفق مع عهد إيمانه ، والآخر يتعارض معه ، فمن أخذ نفسه في مواقف كهذه بالعمل وفق عهد إيمانه ، فقد أثبت الاستقامة ، وأما من عجز عن أن يعمل في تلك اللحظات الحاسمة بمقتضى عهد إيمانه ، فقد فشل في إثبات الاستقامة، إن الذين لا يقيمون الدليل على الاستقامة ، هم الظالمون ، ولن يغني دعواهم الإيمانَ عنهم شيئاً ، وأما الذين أقاموا الدليل على الاستقامة فأولئك هم الذين سيتم إسكانهم في الجنان الأبدية !!

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي

أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾

وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ : أمرناه وألزمناه .

كُرْهاً : ذات كره ومشقة .

وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ :مدة حمله وفطامه من الرضاع .

بَلَغَ أَشُدَّهُ : بلغ كمال قوته وعقله .

رَبِّ أَوْزِعْنِي : ألهمني ووفقني ورغبني .

أسلوب التناسل البشري باختصارٍ هو أن الإنسان يستمد وجوده عن طريق أمٍ وأبٍ، ثم إنهما يقومان بعد ذلك بتنشئته ورعايته حتى يكبر ويقوم على رجليه،وكأن هذا نظام فطري لتربية الإنسان، والحكمة منه أن يتولد في نفس الإنسان هكذا شعوره بما له من حقوقٍ وما عليه من واجباتٍ، وأن تستيقظ في داخله العاطفة القائلة بأن عليه أن يشكر لوليّ نعمته ويؤدي حقه عليه ، وهذه العاطفة كما تُعلِّم الإنسان القيام بتأدية حقوق الآخرين من بني نوعه ، تعلمه كذلك الوفاء بحقوق الله خالقه ومالكه العظيم ، والذين يتلقون الدرس من معلم الفطرة ، ويوقظون بالتالي شعورهم ووعيهم لدرجة تجعلهم يتعرفون على حقوق الكل ، فيقومون بأدائها خير قيامٍ ، أولئك هم الذين يُعتبرون في الآخرة أهلاً لرحمات الله الأبدية !

﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

أُفٍّ لَّكُمَا : كلمة تضجر وتبرم وكراهية .

أَنْ أُخْرَجَ : أبعث من القبر بعد الموت .

خَلَتِ القُرُونُ : مضت الأمم ولم تبعث .

وَيْلَكَ : هلكت والمراد حثه على الإيمان .

آمِنْ : صدق بالله وبالبعث .

أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ : أباطيلهم المسطرة في كتبهم .

حَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ : وجب عليهم وعيد العذاب .

قَدْ خَلَتْ : مضت وتقدمت .

الولد البار المطيع لوالديه يكون بالطبع مطيعاً لله سبحانه وتعالى كذلك ، وأما الولد العاق فلا يكاد يبلغ أشده حتى ينسى أو يتناسى أن والديه قد تحملا ما لا يُحصى من المتاعب والآلام والمشقات حتى أوصلاه إلى ما هو عليه اليوم.

وإنه ليس هنالك أحد أنصح للمرء من أبويه ، وإن مشورة الأبوين التي يقدمانها إلى أولادهما تكون نابعةً من النصح الخالص ، بكل ما تدل عليه هذه الكلمة من معنى ، ولذا فينبغي للإنسان أن يُعنى بمشورة أبويه الصالحين أشد العناية وأوفاها، وأما الشخص الذي ينهر أبويه الصالحين استخفافاً بمشورتهما ، فإنه يُبدي بسلوكه هذا أنه إنسان قاسي القلب إلى أقصى حدود القسوة ، وهؤلاء هم الذين سيلقون في نهاية المطاف خسراناً ما بعده خسران!

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ

ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

عَذَابَ الْهُونِ : الهوان والذل .

إن الحق إذْ يتجلى أمام شخصٍ ما ، وهو لا يختاره لأجل المصلحة الدنيوية والمنفعة المادية ، فيكون معنى ذلك أنه أعطى الأهمية للدنيا بالقياس إلى الآخرة ، وأنه فضل لنفسه طيبات الدنيا على طيبات الآخرة، وهكذا الشعور بكبرياء ذاته هو الآخر شيء ألذ ما يكون عند المرء ، وحين يقتضي الحق أن يتقبله المرء على حساب كبريائه ، وهو لا يتلقاه بالقبول حفاظاً على كبريائه ، فكأنما هو يؤثر طيبات الدنيا متخلياً عن طيبات الآخرة باعتبارها تافهةً لا تستحق أن يعيرها جانب اهتمامٍ .

وفي الآخرة سيتعرض لعذاب الذلة والهوان كل أولئك الذين أهملوا طيبات الآخرة لأجل طيبات الدنيا على هذا النحو ، وإنما سينال الكل جزاءه هناك بحسب عمله في هذه الدنيا قل أو كثر ، خيراً كان أو شراً !

﴿ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

أَخَا عَادٍ : هوداً عليه السلام .

بِالأَحْقَافِ : واد بين عمان وأرض مهرة .

لِتَأْفِكَنَا : لتصرفنا ، أو لتزيلنا بالإفك .

كانت مساكن عاد بجنوب الجزيرة العربية في تلك المنطقة التي تعرف اليوم بالربع

الخالي ، لقد قطع هذا الشعب أشواطاً شاسعةً في ميدان الرقي والتقدم ، غير أن رقيه لم يلبث أن أصابه بالغفلة والبطر والطغيان ، فبعث الله من بين أبنائه هوداً لكي يبلغه رسالة ربه ، وقام هود يدعو قومه إلى الله ويحذرهم بأسه ونقمته ، إلا أنهم لم يرضوا بقبول الإصلاح ، وقد استقبلوا نبيهم بجهالةٍ وسوء أدبٍ ، إلى أن تعرضوا لبطش الله ، حيث أخذهم عذاب شديد لدرجة أن مناطقهم الخصبة العامرة لم تلبث أن تحولت إلى صحراء قاحلة مجدبة!!

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

عَارِضاً : سحابا يعرض فى الأفق .

تُدَمِّرُ : تهلك .

عندما رأى قوم عاد سحاب العذاب يزحف نحو أوديتهم ظنوه سحاب المطر العادي، ولم يتمكنوا من إدراك حقيقته إلا بعد أن فوجئوا بعاصفة العذاب وقد دخلت مسكانهم تدمر كل شيءٍ تدميراً .. آه ! ما أظلم هذا الإنسان وأعتاه !! حيث إنه لا يعترف بالحق حتى قبل تعرضه للهلاك بلحظةٍ واحدةٍ ، وإنه لا يكاد يتقدم للاعتراف إلا حين يكون أوان الاعتراف قد فات!.

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ

وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

مَكَّنَّاهُمْ : أقدرناهم وبسطنا لهم .

فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ : في الذي ما مكناكم فيه .

فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ : فما دفع عنهم .

وَحَاقَ بِهِم : أحاط أو نزل بهم .

وَصَرَّفْنَا الآيَاتِ : كررنا بأساليب مختلفة .

قُرْبَاناً آلِهَةً : متقربا بهم إلى الله .

إِفْكُهُمْ : أثر كذبهم في اتخاذها آلهة .

يَفْتَرُونَ : يختلقونه في قولهم إنها آلهة .

إن المكانة الدنيوية التي كان يتمتع بها سادة قريش جعلت منهم طغاةً متمردين ، فجاء القرآن يصرف أنظارهم إلى قوم عاد المجاورين لهم ، والذين كانوا من الناحية التمدنية، على درجةٍ أعلى وأكبر منهم بكثيرٍ ، ولكن عندما جاء القضاء الإلهي لم تلبث مظاهر عظمتهم وأمجادهم كلها أن صارت هباءً ، ولم يعد ينجدهم من بأس الله أي شيءٍ من تلك الأشياء التي كانوا قد وضعوا ثقتهم فيها معتبرين إياها سنداً لهم .

وإن الإنسان وإن كان سيصير آخر الأمر صغيراً بإزاء الله ، إلا أن نظام دنيانا قد أنشئ على نحو يضطر المرء بين الحين والحين إلى أن يصغر أمام الآخرين في عالمنا الراهن، وإن وقائع كهذه آيات الله ، ولو تأمل المرء هذه الآيات واعتبر بها لتناول نفسه بالتصغير هنا قبل أن يصغّر في اليوم الآخر ، وعاد واقعياً في هذه الدنيا ذاتها قبل

الآخرة . إن هناك أنواعاً شتى من الحوادث والواقعات تتجلى أمام الإنسان بوصفها آيات إلهية، غير أنه يقف تجاهها موقف الأصم والأعمى ، ولا يكاد يستعد لكي يستلهم منها درساً أو عبرة !!

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

صَرَفْنَا إِلَيْكَ : أملنا ووجهنا نحوك .

أَنصِتُوا : اسكتوا واصغوا لنسمعه .

قُضِيَ : أتم وفرغ من قراءة القرآن .

فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ : لله فائت منه بالهرب .

في العام العاشر من البعثة النبوية كانت الظروف المحيطة برسول الله - ﷺ- في مكة قد اشتدت وطأتها إلى أقصى الحدود فخرج - عليه الصلاة والسلام - إلى الطائف رجاء أن يجد بين أهلها من ينصرونه ويقفون إلى جانبه ، ولكنهم استقبلوه شر استقبالٍ ، وفي طريق عودته إلى مكة نزل بوادي النخلة، حيث قام من نومه في جوف الليل يصلي، فاستمع إليه - وهو يتلو في صلاته آيات القرآن الكريم - طائفة من الجن ، فلم يلبثوا أن آمنوا به في الحال .

إن هناك طائفة كانت ترفض القرآن أشنع الرفض ، بينما كانت طائفة أخرى في الوقت نفسه تتلقى القرآن بالقبول ، وكان قبولها للقرآن مصحوباً بحماسٍ بالغٍ واندفاعٍ شديدٍ لدرجة أنها عادت مبلغةً له منذرةً به لبني جنسها!!

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ : لم يتعب به أو لم يعجز عنه .

بَلَى : هو قادر على إحياء الموتى .

إن ظهور هذا الكون الهائل - الممتد أمامنا بشكل السموات والأرض - إلى حيز الوجود ، ثم سيره الدائب المتأصل بمنتهى الدقة والتوافق والانسجام منذ بلايين السنين ، مما يثبت أن خالقه يملك قوى عظيمة وطاقات جبارة . كما يدل أيضاً على أن إيجاد الكون لم يسبب له التعب أو الإعياء ، ولو كانت عملية الخلق والإيجاد قد أرهقته، لما رأينا الكون يسير بهذه الدقة المتناهية ، وإن قدرة الله وطاقاته الجبارة التي تتجلى آثارها الباهرة على مستوى الكون المنظور ، كافية في حد ذاتها للتأكد من أن إحياء النوع الإنساني بعد موته من جديدٍ ، ومحاسبته على أعماله أيسر وأهون ما يكون عليه ، فإنه على كل شيءٍ قدير.

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

أُولُو العَزْمِ : ذوو الجد والثبات والصبر .

بَلاغٌ : هذا تبليغ من رسولنا .

الداعي إلى الحق لابد له من الارتكاز الدائم على دعامة الصبر ، والصبر في جوهره هو إعراض الداعي عن أذى المدعو وإساءاته واستمراره في إيصال الدعوة إلى المدعو رغم عناده وتعنته وإنكاره ، وكون الداعي ناصحا للمدعو على كل حالٍ ، مهما كان يعاني من جانب المدعو من ألوان المتاعب ، وهذا الصبر ضروري لأنه بدون ذلك لا تقوم حجة الله على المدعو ، وقد سار أنبياء الله ورسله العظام قاطبةً على هذا الدرب ، درب الصبر والاستقامة ، في صدد القيام بواجب الدعوة إلى الحق على اختلاف الأزمان والأماكن ....، إذن فلا بد للذين يريدون النهوض بأعباء الدعوة إلى الحق بالنيابة عن حضرات الأنبياء والمرسلين أن يتأسوا بأسوتهم هذه ، إن مقام الدعاة محجوز عند الله لأولئك الذين يستطيعون إظهار الشجاعة للصبر والتحمل .

سورة محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ۝٣ ﴾

أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ : أحبطها وأبطلها فلا نفع لها .

كَفَّرَ عَنْهُمْ : أزال ومحا عنهم .

وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ : حالهم وشأنهم في الدين والدنيا .

أضل - أي أبطل وأحبط- أعمال الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله؛ لأنهم إذْ لم يقيموا الدليل على تديّنهم على المستوى الشعوري؛ فقد اعتُبرت كل حسناتهم وصالح أعمالهم التي كانوا يمارسونها باطلةً لا قيمة لها .

لقد كان قدماء العرب يعدون أنفسهم من أمة إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - حيث كانوا يتمتعون بشرف إدارة شئون الكعبة - بيت الله الحرام- كما كانت تُقام عندهم أيضاً عبادات الصلاة والصيام والحج بشكلٍ ما، هذا إلى جانب تمسكهم ببعض عادات النبل والكرم والمروءة كخدمة الحجاج، والإحسان إلى ذوي القربى، ونجدة المظلوم وقري الضيف وما إلى ذلك ، غير أن هذه الأعمال كلها لم تكن جزءاً أصيلاً من تدينهم الشعوري، وإنما كانت جزءاً من حياتهم على وجه التقليد المحض، فلم يكونوا

يمارسونها إلا لكونها مازالت رائجةً بينهم منذ مئات السنين .

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ۝٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ۝٦ ﴾

فَضَرْبَ الرِّقَابِ : فاضربوا الرقاب ضربا .

أَثْخَنتُمُوهُمْ : أوسعتموهم قتلا وجراحا وأسرا .

فَشُدُّوا الوَثَاقَ : فأحكموا قيد الأسارى منهم .

مَناً : بإطلاق الأسرى بغير عوض .

فِدَاءً : بالمال أو بأسارى المسلمين .

حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا : آلاتها وأثقالها ، والمراد حتى تنقضي الحرب .

لِّيَبْلُوَ : ليختبر ، فيمحص المؤمنين ويمحق الكافرين .

فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ : فلن يبطلها بل يوفيهم ثوابها .

المراد بالكافرين هنا: الذين رفضوا الإيمان رغم قيام الحجة عليهم، وأشعلوا ضد رسول الله - ﷺ- نيران الحرب بغير الحق، وهكذا اضطروه - عليه الصلاة والسلام - إلى اتخاذ خطوة دفاعيةٍ ، وبالنسبة إلى مثل هؤلاء الكافرين المعتدين أمر الله سبحانه المؤمنين بأنكم إذا ما التقيتم به في ميدان الحرب، فاستميتوا في قتالهم حتى تحطموا قوتهم وتكسروا شوكتهم، لكي لا يعودوا قادرين مستقبلاً على الوقوف في وجه دعوة الحق!!

وقد جرت سنة الله تعالى بإهلاك الأمم والشعوب التي أنكرت أنبياءها بعد قيام الحجة، وأما بالنسبة إلى نبي آخر الزمان، فقد كان مطلوب الله هو أن يتم القضاء بواسطته هو وأصحابه على عصر الشرك، وبناءُ تاريخٍ جديدٍ على أساسٍ من التوحيد، وانتخاب الأفراد صانعي التاريخ كهؤلاء لم يكن ممكناً إلا في ظل ظروفٍ صعبة وشديدة، ومن ثم فقد تم الوصول إلى هذا الغرض نفسه بدفع الرسول وصحابته إلى الخوض في غمار الحرب التي أوقدها أعداء الإسلام.

﴿ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦ ﴾ بمعنى: هداهم إليها، وقال محمد بن كعب: يعرفون بيوتهم إذا دخلوا الجنة كما تعرفون بيوتكم إذا انصرفتم من الجمعة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٩ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ۝١٠ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۝١١ ﴾

فَتَعْساً لَّهُمْ: فهلاكا، أو عثارا أو شقاء لهم.

فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ: فأبطلها لكراهتهم القرآن.

دَمَّرَ الله عَلَيْهِمْ: أطبق الهلاك عليهم.

مَوْلَى: ولي وناصر.

إن الله هو مُظهر الأحداث والوقائع كلها، إلا أنه يُظهر الوقائع في ستار الأسباب والعلل، وهذا هو الشأن فيما يتعلق بالدين كذلك، فالله - سبحانه وتعالى - وإن كان

يريد أن تتحطم قوة الباطل وتندحر، ويتمتع الحق بالغلبة والاستقرار في الأرض، غير أن إظهار هذه الواقعة يتطلب أفراداً يكونون بمثابة ستارٍ بشريٍ لتصرف اليد الإلهية وراءها ، وذلك ما عُبّر عنه في هذا المقام بـ " نصرة الله " وحينما تهب طائفة لنصرة الله، فإنها تعمل على إثبات كون المنكرين منكرين، حيث إن القائمين بنصرة الله من شأنهم أن يدعوا الناس إلى الله بمنتهى الجدية والنصح والإخلاص، ويتجنبوا كل سلوكٍ ينافي الحق، وهم يشهدون لدين الله، ويجعلوا أمر الحق بالتالي واضحاً ثابتاً إلى أقصى الحدود، حتى تقوم على المنكرين تلك الحجة التي يريدها الله تعالى للقضاء بين العباد في محكمة الآخرة !

إن المبطلين مقضي عليهم أن يُغلبوا على أمرهم حتماً، وإن أتباع الحق مكتوب لهم أن ينتصروا ويتغلبوا عليهم حتماً كذلك، ولكن بشرط أن يقوم أتباع الحق بذلك العمل الذي لابد من القيام به لاستحقاق نصر الله وحمايته وفق السنة الإلهية !

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ١٣ ﴾

مَثْوًى : موضع ثواء وإقامة لهم .

وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ : كثير من القرى .

هذا وعيد تنبأ به رسول الله - ﷺ- بأمرٍ من الله، مخاطباً كفار مكة الذين اضطروه إلى الخروج منها، بأن أكلكم وشربكم وتقلبكم في أعطاف العيش الناعم، لا يجعلكم تظنون أنفسكم أحراراً، وإنما أنتم في قبضة الله محاصرون بقدرته التي لا تحد، ودليل ذلك أنكم إن ظللتم مصرين على كفركم وعنادكم، فسوف يحل بكم الهلاك والدمار

المستأصل وفق الناموس الإلهي،وقد تحقق هذا الواقع على حسب النبوءة تماماً،حيث تمكن حَملة لواء التوحيد من إحراز الغلبة والانتصار في نهاية المطاف!

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾

مَثَلُ الجَنَّةِ : وصفها – ما تسمعون .

غَيْرِ آسِنٍ : غير متغير ولا منتن .

عَسَلٍ مُّصَفًّى : منقى من جميع الشوائب .

القيام على بينةٍ – أي على دليلٍ – يعني بناء حياتنا على أساسٍ من الحقيقة الواقعة . أما الذي يقوم على أهوائه فهو ينحرف عن الحقيقة الواقعة. إنه يريد أن يبني لنفسه في دنيا الله هذه دنيا مستقلةً على غير مرضاة الله !

وفي عالم الامتحان الراهن ، وإن كانت الفرص والمواقع متاحةً لكلا الفريقين على حدٍ سواء، إلا أن الفريق الأول وحده هو الذي سينال نصيباً من نعيم الله الأبدي في عالم الآخرة الحقيقي ، أما الفريق الآخر فسيظل هناك يتجرع مرارة الذل والخيبة والخسران أبد الآبدين !!

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ

ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾

مَاءً حَمِيماً : بالغا الغاية في الحرارة.

مَاذَا قَالَ آنِفاً : ماذا قال الآن أو الساعة القريبة ؟

من علامات المنافق أنه إذا حضر مجلساً جاداً، تظاهر بسمت الأدب والجد والوقار، غير أنه يجلس هناك شارد الذهن مصروف الاهتمام إلى أشياء أخرى، بحيث لا يكاد يعي شيئاً مما يدور فيما حوله من حديث، ومن ثم فإذا خرج من المجلس، توجه إلى أهل العلم الآخرين سائلاً ! " ماذا كان يقول الشيخ الساعة في مجلسه"؟!

وهذا ثمن يُضطرون إلى دفعه بسبب عبوديتهم للشهوات، فهم يجعلون هواهم هو الغالب المسيطر على نفوسهم، ويأخذون في الانسياق وراءه بدلاً من الانسياق وراء الدليل والبرهان، وتكون النتيجة أن تنطمس حواسهم وتصاب شيئاً فشيئاً بالبلادة والخمول، ولا تعود عقولهم قادرة على إدراك الحقائق السامية اللطيفة .

وعلى نقيضٍ من ذلك فالذين يعطون الأهمية للحقائق ويأخذون أنفسهم بالخضوع والاستسلام للدليل الصادق، فإنهم ينعشون بذلك استعدادهم الفكري، ولا تزال معرفة أناسٍ كهؤلاء تتزايد يوماً بعد يومٍ، إذْ أنهم يظفرون بإيمان دائم التجدد والنماء وغير قابلٍ للجمود أوْ النقصان أبداً !

﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾

جَاءَ أَشْراطُهَا : علاماتها ومنها مبعثه ﷺ .

فَأَنَّى لَهُمْ ؟: فكيف . أو من أين لهم ؟

ذِكْرَاهُمْ : تذكرهم ما ضيعوا من طاعة الله .

يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ : متصرفكم حيث تستقرون .

الشخص الذي لا يتنبه على سابق إنذار بوقوع الزلزال، فكأنما هو ينتظر أن يقع الزلزال فعلاً، لأن كل ثانيةٍ تمضي تُقَرِّبه من الزلزال ، وكذلك لا يكاد يتنبه المرء ولا يأخذ حذره من نذير القيامة ، ولكنه إذا فوجئ بقيام الساعة، فسيأخذ في الاعتراف والتسليم !!

الاستغفار في جوهره تعبير عن الشعور بالعجز ، إن الاضطراب أوْ التهيّج النفسي الذي يتمخض عن استحضار أهوال القيامة، وعن الإحساس بقدرة الله وبرقابته وعلمه الشامل المحيط بكل شيء، لا يزال ينسبك في صورة كلماتٍ لطيفةٍ، وهذه الكلمات هي التي يقال لها الذكر والدعاء والاستغفار !

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾

وَمَثْوَاكُمْ : مقامكم حيث تستقرون .

المَغْشِيِّ عَلَيْهِ : من أصابته الغشية والسكرة .

فَأَوْلَى لَهُمْ : قاربهم ما يهلكهم واللام مزيدة ، أو العقاب أحق وأولى بهم .

طَاعَةٌ : خير لهم أو أمر طاعة .

عَزَمَ الأَمْرُ : جد ولزمهم الجهاد .

فَهَلْ عَسَيْتُمْ : فهل يتوقع منكم ؟ (أي يتوقع) .

تَوَلَّيْتُمْ : الحكم وكنتم ولاة أمر الأمة .

المنافق يكون أسبق الناس في مجال القول، وآخِرهم في ميدان العمل، حيث لا يفتأ يتحدث عن الجهاد قبل وقوع الجهاد بالفعل، وأما إذا جد الجد، وتحتم الجهاد، فلا يلبث أن يفر هاربا!!، وأما المؤمن الصادق فإنه يكون دوماً على أتم الاستعداد للسمع والطاعة والانقياد ، فإذا عزم الأمر، وقرّ رأي القيادة على تبني خطوةٍ جادة، أثبت بعمله أنه وفي كل الوفاء بعهده الذي عاهد عليه ربَّه !

وقد يتظاهر المنافقون بالحرص على الأمن والسلام تهرباً من متاعب الجهاد ، ولكن واقعهم العملي يشهد بالنقيض؛ فحيثما وجدوا الفرصة، راحوا ينشرون الفساد والفوضى، ولا يتحرجون حتى من التمالؤ والتعاون مع أعداء المسلمين غير مبالين بما بين هؤلاء وإياهم من وشائج القربى فضلاً عن أخوة الدين !! ومثل هؤلاء ملعونون عند الله، وكون المرء ملعوناً يؤدي إلى أن يسلب منه قوى التفكير والإدراك، فيعود لا يرى مع كونه يملك البصر، ولا يسمع وعنده أذنان !!

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾

أَقْفَالُها : مغاليقها التي لا تفتح .

سَوَّلَ لَهُمْ : زين وسهل لهم خطاياهم ومناهم .

وَأَمْلَى لَهُمْ : مد لهم في الأماني الباطلة .

يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ : إخفاءهم كل قبيح .

القرآن كتاب موعظةٍ ، ولكن لكي يتغط المرء بشيءٍ ما، لابد أن يكون جاداً بشأن الموعظة ، ولو أن عاطفةً خاطئةً استمكنت من نفس المرء وجعلته غير جادٍ بشأن الموعظة، فإنه لن يستطيع الانتفاع بها أبداً، مهما تم عرضها بأسلوبٍ رائعٍ جميلٍ .

وإن المرء إذْ يُعرض عليه حكم من أحكام الدين يتطلب التضحية بشهواته ومصالحه، فإذا بالشيطان يلقن المرء بعض الأعذار الكاذبة، وبسبب مهلة الامتحان المتاحة في عالمنا الراهن فقد لا يعدم المرء الفرصة لكي يختار ذلك العذر الشيطاني الكاذب عملياً ، غير أن ذلك لا يدوم سوى أيامٍ معدوداتٍ، فحين يوافيه الأجل المحتوم، تنقلب الأوضاع والموازين والقيم كلها رأساً على عقبٍ !

لقد وُصف النفاق هنا بعبارة الارتداد على الأدبار من بعد ما تبين لأصحابه الهدى، ولكن من المعلوم أن منافقي المدينة هؤلاء لم يعاقبوا بعقوبة الردة المقررة في التشريع الإسلامي، ومن هذا نعلم أن عقوبة الارتداد الشرعية إنما تنفذ على الذين يرتدون جهراً وعلانيةً ، إذن، فليس من الجائز لنا أن نحكم على شخصٍ ما، من تلقاء أنفسنا، بأنه مرتد في الباطن، ثم نأخذ في تنفيذ عقوبة الردة الشرعية عليه، لا، بل يجب التعامل معه بحسب ظاهره، وتوكل سرائره إلى الله علام الغيوب، كما هو منهج الإسلام في معاملة الناس !

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ

لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾

أَضْغَانَهُمْ : أحقادهم الشديدة الكامنة .

بِسِيمَاهُمْ : بعلامات نسمهم بها .

فِي لَحْنِ الْقَوْلِ : بفحوى وأسلوب كلامهم الملتوي .

إنما كان مرض المنافقين هو كون صدورهم منطويةً على الحقد والضغينة والكراهية للمؤمنين الصادقين ؟! وهؤلاء المنافقون وإن كانوا يحاولون إخفاء حالتهم الداخلية تلك بإظهار المودة والولاء في سلوكهم الظاهري، إلا إنها لم تكن خافية على ذوي العقول والبصائر ، حيث إن لهجتهم المصطنعة، ونبرات صوتهم الباردة الخالية من الهم والإخلاص للدعوة المحمدية كانت تشي بأن علاقتهم بالإسلام إنما هي علاقة شكلية بحتة وليست علاقة قلبيةً بالمعنى الحقيقي !

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ : لنختبرنكم بالتكاليف الشاقة .

وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ : نظهرها ونكشفها .

عندما ينهض المرء بالإيمان، فتمر عليه ظروف وأحوال شتى ، وهذه الأحوال تكون محكاً يكشف عن صدق إيمانه ، فهي تقتضي أن يقيم المرء الدليل على كونه مؤمناً في مقابل التضحية؛ بأن يهضم نفسه ويقمع شهواتها، ويصرف نظره عن مصالحه المادية العاجلة، ويتحمل أذى الناس، ويظل ثابتاً على جادة الإيمان ولو كلفه ذلك حياته وما

ملكت يمينه !!

ولإلقاء المؤمن في أحوالٍ كهذه لابد وأن تُتاح لغير المؤمنين الحرية التامة، حتى يتمكنوا من اتخاذ أي إجراءٍ شاؤوا ضد أهل الإيمان ، وبينما تسفر هذه الإجراءات المعادية – من ناحيةٍ – عن قيام البرهان على جريمة المخالفين، يثبت أهل الإيمان – من ناحيةٍ أخرى – بصمودهم واستقامتهم في تلك الأحوال القاسية، أنهم مؤمنون حقاً، وجديرون بأن يختارهم الله لإسكانهم في عالمه الأبدي الكامل !

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾

فَلاَ تَهِنُوا : فلا تضعفوا عن مقاتلة الكفار .

السَّلْمِ : الصلح والمواعدة .

يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ :ينقصكم أجورها .

جاء في رواية عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع – لا إله إلا الله – ذنب؛ فنزلت هذه الآية ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ وعلى ضوء هذه الرواية يكون معنى الآية أنه ينبغي للمرء أن يجمع بين الإيمان والطاعة، وألا يقوم بالتكاليف السهلة اليسيرة فحسب، بل عليه أن يقوم كذلك بالتكاليف العسيرة التي تستلزم هضم النفس، وكبت الشهوات، وتعريض المصالح الذاتية للخطر ، وإن هو لم يفعل ذلك فإن إتيانه بالنوع الأول من التكاليف وحده ، لن يعود عليه بأي فائدةٍ !

وشأن ضعاف المسلمين أنهم إنما يؤيدون الحق ما دام لا يجرّ عليهم ذلك غضب كبار العصر ، وإذا رأوا أن تأييد الحق يتسبب في إثارة غضب كبار العصر، مالوا إلى مهادنتهم، حتى ولو كان هؤلاء الكبار منكرين للحق صادين الناس عن سبيله .

والذين ينكرون الحق ويتصدون لمعارضته ووضع العقبات في طريقه، لن ينالوا نصيباً من رحمة الله أبداً، إذن فما بال أناسٍ يقفون إلى جانب المنكرين كهؤلاء، هل سيكون مصيرهم مختلفاً عنهم في شيء؟ كلا!

إن الإسلام يسمح بالحرب والقتال تماماً كما يدعو إلى الصلح والمسالمة ، إلا أنها ليست من الحرب الإسلامية في شيءٍ، تلك التي يدخل فيها المقاتلون متأثرين بعوامل الإثارة والاستفزاز، كما أنه ليس من الصلح الإسلامي في شيءٍ، وذلك الذي يكون الباعث عليه الجبن والخور وسقوط الهمة، ولإحراز النجاح والانتصار لابد من أن يتم كلا الأمرين تحت قرار مدبر مدروس بدل من أن يكون صادراً عن رد فعلٍ عاطفيٍ !!

﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكْكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾

فَيُحْفِكُمْ : يجهدكم بطلب المال .

أَضْغَانَكُمْ : أحقادكم الشديدة على الإسلام .

إن الشيء الذي يحول دون اختيار حياة الإيمان والتقوى هو فوائد الدنيا ومباهجها ، فالمرء يعلم جيداً ما الطريق الذي سيؤدي به إلى النجاح والفلاح في الآخرة ، ولكن همّ

المصالح الوقتية يملك عليه مشاعره كلها ويجعله بالتالي يتجه نحو طريق الضلال والانحراف ، على حين أن الله - جل شأنه - غاية اللطف والرحمة بعباده، حيث إنه لا يطالب المرء أبداً بما يخرج عن طوقه أوْ يفوق مقدرته على التحمل، مما قد يؤدي إلى انكشاف سرائره واطلاع الناس على مكامن ضعفه الفطري .

الإسلام دين الله ، غير أن واجب القيام بنشره وحفظه منوط، في عالم الأسباب هذا بطائفةٍ من البشر، وإن المسلمين هم هذه المجموعة البشرية ، وستكون لهم قيمة ويقام لهم عند الله وزن ماداموا يؤدون واجبهم ذاك على أفضل وجهٍ ممكنٍ، أما لو أنهم تقاعسوا عن القيام بهذا الواجب أوْ قصروا في أدائه، فسيوفق الله الشعوب الأخرى غيرهم إلى الإيمان، ويدعم بها دينه ليتمكن من البقاء والتوسع والاستمرار إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها !

سورة الفتح

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ ﴾

فَتْحاً مُّبِيناً: هو صلح الحديبية عام ستة هجرية .

في سنة ٦ هجرية خرج رسول الله - ﷺ- من المدينة برفقة أصحابه إلى مكة لأداء العمرة . ولما اقترب - عليه الصلاة والسلام - من موضع الحديبية، تصدى له المشركون يمنعونه من دخول مكة، ثم بدأت بينه وبين قريش مفاوضات انتهت بتوقيع الفريقين هدنةً تعرف بـ " صلح الحديبية " .

وكانت هذه المعاهدة قد تمت، على ما يبدو، نزولاً على شروط المشركين من جانب واحدٍ، مما ملأ قلوب أصحاب الرسول كآبةً وتذمراً ، وكانوا يعتبرون ذلك صلح الذل والهوان ، ولكن الرسول - ﷺ- لم يكد ينصرف من الحديبية عائداً إلى المدينة حتى نزل عليه الوحي في بعض الطريق بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ ﴾ .

والسر في ذلك أن: معاهدة الصلح هذه قضت بوضع السلاح وعدم لجوء الفريقين إلى الحرب لمدة عشر سنوات ، وقد كان وقف الحرب يعني انفتاحاً لباب الدعوة على مصراعيه، ففي أعقاب الهجرة النبوية كانت عملية الدعوة والتبليغ قد توقفت تماماً أو كادت بسبب استمرار حالة الحرب بين أهل الإسلام وأهل الشرك ، أما الآن فقد أسفرت الهدنة عن مناخ هادئ معتدل يسمح بالحوار وتبادل وجهات النظر بين كلا الفريقين دون عوائق، مما غيّر ميدان المواجهة ، ففيما كان الصراع بين الجانبين قبلئذٍ يدور

في ساحة الحرب والقتال، حيث كان الفريق الثاني يتمتع بالغلبة والتفوق، فإذا بالصراع ينتقل مركز ثقله الآن إلى ميدان النظرية الأيديولوجية ، حيث كان التوحيد طبعاً في موقع الغالب المتفوق إزاء الشرك بصورة صريحة وحاسمةٍ ، وذلك هو " الصراط المستقيم " في هذا السياق، الذي قد امتن الله على الرسول بإرشاده إليه، أي الطريق الذي كان فيه الضمان الحتمي الأكيد لانتصار حاملي لواء التوحيد !

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ ﴾

السَّكِينَةَ: السكون والطمأنينة والثبات.

ظَنَّ السَّوْءِ: ظن الأمر الفاسد المذموم.

عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ: دعاء عليهم بنصره.

المراد بـ " السكينة " هنا : التزام الهدوء وعدم الثورة رغم كل محاولات الإثارة والاستفزاز ، فقد لجأ معارضو الإسلام أثناء سفر الحديبية إلى استفزاز المسلمين بشتى الطرق، حتى يندفعوا إلى تبني خطوة يتخذ منها المعارضون ذريعة للاعتداء عليهم ، غير أن المسلمين تحملوا كل استفزازٍ برحابة صدر، وظلوا متمسكين بخطة الإعراض

من جانبٍ واحدٍ حتى آخر لحظةٍ، وإنه لو شاء الله - وهو القوى العزيز - لأخضع الباطل وأظهر عليه الحق بتدخلٍ منه مباشر ، إذن، فما السر في أنه تعالى يعرّض أهل الإيمان لأحوال كأحوال " صلح الحديبية " عبر مسيرتهم الإيمانية ؟

الحكمة من هذا الابتلاء هي زيادة إيمان المؤمنين ، فحين يكبت المرء دوافع الانتقام في داخله، ويصالح قوماً طاغين لأن هذا هو مقتضى دعوة الحق، فإنه يفعل حينذاك بموجب قراره الشعوري شيئاً لم يكن قلبه راضياً بفعله ، وهكذا فهو يعمل على تنمية شعوره الإيماني، ويجعل من وجوده مهبطاً لكيفيات ربانية لا يمكن التمتع بها بأي طريقة أوْ تدبير آخر . كما تنطوي سنة الابتلاء الإلهية هذه على فائدةٍ أخرى، وهي أنها تمحص الناس وتميز من يستحق منهم الجنة ممن هو من أصحاب النار .

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٠ ﴾

وَتُعَزِّرُوهُ: تنصروه تعالى بنصرة دينه.

وَتُوَقِّرُوهُ: تعظموه تعالى وتبجلوه.

وَتُسَبِّحُوهُ: تنزهوه عما لا يليق بجلاله.

بُكْرَةً وَأَصِيلاً: غدوة وعشيا أو جميع النهار.

نَكَثَ: نقض البيعة والعهد.

في ترجمته الفارسية لمعاني القرآن الكريم قد فسر شاه ولي الله الدهلوي وصفه

"شاهداً" بعبارة : (إظهار حق كننده) يعني مبيناً للحق ومظهراً له وهذا هو المدلول الأقرب إلى الصحة والصواب لهذا اللفظ، فالمسئولية الأساسية الملقاة على عاتق الرسول تتلخص في أن يتناول الحقيقة بالتبيين والإظهار، ويوضح للناس من الذين ينعمون في الحياة الأبدية بعد الموت بثواب الله ، ومن الذين يتعرضون لعذاب الله ، وقيام شاهد للحق كهذا يضع مخاطبيه على محك اختبار أقسى ما يكون، إذْ يُضطر هؤلاء إلى أن يستمعوا صوت الله من خلال صوت أحد البشر، وأن يروا في شخص " إنسانٍ " مندوبَ الله مع كونه لا يختلف عنهم من حيث مظهره في شيءٍ ، وأن يحسبوا - وهم يضعون أيديهم في يده للمبايعة - أنهم يضعون أيديهم في يد الله ! والذين يقيمون الدليل على هذه الدرجة العالية من المعرفة لهم عند الله أجر عظيم، وأما الذين يفشلون في هذا الامتحان فلهم عذاب غليظ !!

﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ ﴾

المُخَلَّفُونَ: عن صحبتك في عمرة الحديبية.

لَّن يَنقَلِبَ: لن يعود إلى المدينة.

قَوْماً بُوراً: هالكين أو فاسدين.

رأى رسول الله - ﷺ- في منامه - وهو بالمدينة - أنه يزور مكة معتمراً ، وبمقتضى هذه الرؤيا خرج - عليه الصلاة والسلام - مع أصحابه إلى مكة لأداء العمرة ، غير أن الظروف يومئذٍ كانت سيئةً للغاية، حيث كان من المحذور جداً أن يقع صدام عنيف مع قريش يُسفر - بطبيعة الحال - عن سفك دماء المسلمين بغزارةٍ ، وقد حدث بالفعل أن المسلمين لما اقتربوا من مكة حاولت قريش استفزازهم بشتى الأساليب ، حتى رمى بعض فتيانهم المعسكر الإسلامي بالحجارة والنبل، ليثور غضب المسلمين فيندفعوا إلى قتالهم ، ولكن تمسك الرسول وأصحابه بالصبر والإعراض خيب آمال قريش وأحبط محاولاتهم العدوانية الشريرة .

وتحسباً لهذه المخاوف ذاتها لم يَخرج معه - عليه الصلاة والسلام - أعراب المدينة وكثير من ضعاف المسلمين ، ولما رجع عليه الصلاة والسلام إلى المدينة سالماً على خلاف توقعاتهم السيئة، جاءوا إليه يعتذرون ويُظهرون له صدق الولاء والوفاء ، ولكن اعتذارهم قوبل بالرفض ، لأنه كان اعتذاراً كاذباً ولم يكن صادقاً، وبينما يحظى الاعتذار الصادق عند الله دوماً بالقبول الحسن، لا يقابل الاعتذار الكاذب إلا بالرفض المطلق !!

ولم يكن تقاعس هؤلاء عن الخروج مع رسول الله بناء على عذرٍ حقيقي ، وإنما كان نتيجة ضعف الإيمان وانعدام اليقين ، وقد ظنوا أنهم بابتعادهم عن رحلة محفوفة بالأخطار كهذه يحفظون مصالحهم، وما درَوْا أن مالك النفع والضرر هو الله، وأن التدابير الوقائية، مهما بلغت من الدقة والإتقان، لن تنقذ صاحبها لو لم يرد الله إنقاذه ، بل ربما تكون هي السبب في هلاكه، وليس لأمثال هؤلاء إلا الضياع والدمار في الدنيا والآخرة !!

﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ

يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ: اتركونا نخرج معكم لخيبر.

كَلامَ الله : حكمه باختصاص أهل الحديبية بالمغنم.

لقد كان اليهود ، قبل صلح الحديبية جريئين جداً في معاداة المسلمين، ويرجع ذلك إلى أنهم كانوا يتمتعون بتعاون قريش الكامل معهم في هذا الصدد ، ولكن هدنة الحديبية لم تلبث أن قطعت أواصرهم مع قريش، كما جعلتهم في شبه عزلةٍ تامةٍ عن حلفائهم من القبائل العربية الأخرى كذلك ، فانهارت على إثر ذلك، معنويات اليهود القاطنين في خيبر وتيماء وفدك .. إلخ، ومن ثم حين زحف رسول الله - ﷺ - بجيوش المسلمين، بعد عقد الصلح بثلاثة أشهر فقط، نحو يهود خيبر، لم يتحمسوا للنضال طويلاً، وإنما اضطروا، بعد مقاومةٍ محدودةٍ ، إلى الاستسلام، والتنازل عن قدر هائلٍ من أموالهم للمسلمين مقابل الصلح ، وضعاف الإيمان الذين لم يخرجوا مع الرسول في سفر الحديبية باعتباره سفراً خطيراً غير مضمون النتائج، هاهم أولاء يرغبون هذه المرة في الانضمام إلى الجيش الإسلامي الزاحف نحو خيبر، ليكون لهم من مغانمها المرجوة نصيب ، ولكنهم منعوا من الخروج صراحةً ، فقد جرت سنة الله بأن من يتحدى الأخطار هو الذي يحصل على الربح والمنفعة، وأما إذا أراد المرء الحصول على المنفعة بدون مخاطرة ولا مجازفة؛ فكأنما يرغب في تبديل السنة الإلهية، ولكن ليس في مقدور أحدٍ أن يتناول سنة الله هنا بالتغيير أوْ التعديل !!

﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ

يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾

أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ: أصحاب شدة وقوة في الحرب.

حَرَجٌ: إثم في التخلف عن الجهاد.

إن الذين تقاعسوا عن الخروج في عمرة الحديبية (سنة ٦هـ) لضعف إيمانهم، وإن كانوا قد حُرموا نتيجة ذلك، مما ساق الله إلى المسلمين من فتح قريب وغنائم عاجلة كثيرة، إلا أن الباب لم يُغلق في وجوههم بعدُ، إذْ كانت ثمة معارك أخرى كبيرة لا تزال تنتظر مسيرة التوحيد الطويلة، فكأنما قيل لهؤلاء : لئن أقمتم الدليل على التضحية والفداء في تلك المعارك المرتقبة مستقبلاً، إنكم ستعودون من جديدٍ أهلاً لفيض الرحمة الإلهية !!

ومثل هذا الامتحان يقرر ما إذا كان المرء مؤمناً أوْ منافقاً ، ولا يُستثنى من هذا سوى أولئك الذين يعانون من بعض الأعذار ، والله – سبحانه وتعالى – يعفو عن التقصير الاضطراري، ولكنه لا يعفو عن التقصير الصادر عمداً !!

﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

يُبَايِعُونَكَ: بيعة الرضوان بالحديبية.

فَتْحاً قَرِيباً: فتح خيبر عام سبعة .

أَحَاطَ اللهُ بِهَا: أعدها لكم أو حفظها لكم.

في أثناء سفر الحديبية تأزم الموقف إلى أبعد الحدود عندما انتشرت بين المسلمين شائعة مؤداها أن قريشاً قتلوا عثمان بن عفان الذي كان قد ذهب إليهم بوصفه سفيراً لرسول الله - ﷺ- وقد كان ذلك اعتداءً سافراً ، مما جعل رسول الله - ﷺ - يأخذ البيعة من أصحابه، وعددهم يومذاك ألفاً وأربعمائة رجلٍ، تحت شجرة "سمرة " بالحديبية، على أنهم سيظلون صامدين أمام العدو حتى الموت، ولن يولّوه الأدبار بأي حالٍ من الأحوال - وهذه البيعة تعرف بـ " بيعة الرضوان " في التاريخ الإسلامي . والمكان الذي تمت فيه هذه البيعة كان يبعد عن المدينة بمائتين وخمسين ميلاً، وعن مكة باثني عشر ميلاً فقط ، مما يعني أن المسلمين كانوا على مسافة شاسعةٍ من مركزهم، بينما كانت قريش في عقر دارها .

هذا إلى جانب كون المسلمين لا يتوافر لديهم سوى زاد المسافر وما يلزم في الطريق، لأنهم خرجوا بقصد العمرة، وأما قريش فقد كانوا متسلحين بكل أنواع المعدات الحربية . وفي موقف حرج بالغ الخطورة كهذا لم يحمل المؤمنين على مناصرة الرسول وتأييده شيء سوى عواطف الصدق والإخلاص والتفاني وحدها؛ إذْ لم يكن يوجد هناك أي ضغطٍ خارجي على الإطلاق ، والمراد بقوله : ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ هو الحزن والاضطراب الذي كان قد ملأ قلوب الصحابة عقب صلح الحديبية، حيث كانت بنوده - في الظاهر - مجحفة بحقوقهم ، بيد أنهم أذعنوا لهذا الأمر الإلهي في صبر وسكونٍ، ونتيجة لذلك، لم يكد يمضي على عقد الصلح إلا بضعة أشهرٍ حتى بدأت فوائده الإيجابية بالظهور ، فقد

أدت هذه الهدنة إلى عزل قريش عن جبهة اليهود، وهكذا صار إخضاع اليهود أمراً ميسوراً، وبانتهاء حالة الحرب حظيت الدعوة الإسلامية بالتوسع والانتشار المتزايد يوماً بعد يومٍ، إلى أن تم عن طريق الدعوة تسخير قريش أنفسهم الذين لم يمكن تسخيرهم عن طريق الحرب على امتداد السنين !

﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾

لقد جرت سنة الله تعالى بالنسبة إلى المخاطبين الأوائل للنبي بأن يبيدهم عن آخرهم، إذا هم وقفوا من رسالته موقف الرفض والإنكار ، وعند الحديبية كان إنكار قريش قد تجلى بشكل نهائي واضحٍ، ولو نشب يومئذٍ بين الفريقين قتال، والحالة هذه، لتنزلت جنود الملائكة لتقوية المسلمين وقطع دابر أعدائهم الكافرين . ولكن شاءت حكمة الله فيما يتعلق بأولئك المشركين ألا تتم إبادتهم شأن الشعوب الماضية، وإنما سيتم استخدام طاقاتهم وكفاياتهم البشرية غير العادية في خاتمة المطاف لصالح الدين الإلهي ، ولأجل ذلك أرشد الله تعالى رسوله إلى عقد الهدنة السلمية معهم .

﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَـٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾

إن رؤساء قريش كانوا بمواقفهم المتعنتة وتصرفاتهم المعادية ضد رسول الله قد

جعلوا أنفسهم أهلاً للعذاب وأجدر بأن يُقاتلوا أعنف قتالٍ ، ولكن لأجل مصلحةٍ عليا عقد معهم الصلح بدلاً من الحرب ، وتلك المصلحة هي أن جماعة قريش كانت تشتمل إذ ذاك على أفراد آمنوا بدعوة التوحيد سراً تائبينٍ عن الشرك، وآخرين لم يؤمنوا بعد، ولكن من المؤكد أن صلاحهم الداخلي سيجعلهم يبادرون باعتناق الإسلام إذا ما انتهي التوتر القائم واعتدل الجو ، ولذلك لم يسمح الله سبحانه بنشوب الحرب بين الفريقين، حتى تدخل تلك العناصر الصالحة في الإيمان، وتؤدي دورها الإسلامي المطلوب في هذه الدنيا؛ لتنعم بجزاء الله الأبدي في الآخرة . إن مصلحة الدعوة أكثر أهميةً عند الله من أية مصلحة أخرى سواها .

﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾

إن خشية الله إذا تمكنت من نفس امرئٍ ما، أخرجت من داخله أهمية كل شيءٍ آخر سوى الله الواحد الأحد ، فهو يأخذ الآن يعطي الأهمية كلها لله وحده ، وقد كان موقف الحديبية امتحاناً قاسياً شديداً من هذا النوع بالنسبة إلى صحابة الرسول، وقد وُفقوا إلى اجتيازه بنجاحٍ ، ففي ذلك الموقف تجاوز الفريق الثاني كل الحدود في إظهار الحمية الجاهلية والعنجهية والعصبية القبلية ، ولكن الصحابة درجوا على تفويض كل شيءٍ إلى الله. إن تقوى الله المتغلغلة في أحشائهم قد حالت بينهم وبين أن يسلكوا طريق العناد الجاهلي المعاكس أوْ العصبية المضادة، فلزموا الهدوء وملكوا أعصابهم ولم يثوروا حتى اللحظة الأخيرة رغم كل محاولات الإثارة والاستفزاز من الجانب الآخر .

﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ

ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾

كان سفر الحديبية بناءً على رؤيا رآها رسول الله - ﷺ- حيث رأى - عليه الصلاة والسلام - في منامه بالمدينة أنه زار مكة معتمرا ففرح المسلمون بهذه الرؤيا باعتبارها بشارةً من الله، فانطلقوا من المدينة نحو مكة ، ولكن قريشاً حاصروهم بالحديبية ولم يسمحوا لهم بدخول مكة، حتى انصرف المسلمون آخر الأمر عائدين من حيث جاؤوا بدون أداء العمرة ، مما جعل بعضهم يتساءل : أين هي رؤيا النبي، ألم تكن صادقةً ؟ غير أن هذا كان شبهة فارغة ، إذْ لم يكن في الرؤيا تصريح ما بأن العمرة ستتم سنة ست هجرية !! ولقد تحقق ذلك بالفعل، وفق شروط المعاهدة نفسها، في ذي القعدة سنة سبع من الهجرة في غاية الأمن والوئام، وتسمى هذه العمرة في التاريخ الإسلامي بـ"عمرة القضاء".

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾

كان لرسول الله - ﷺ- حيثيتان : أما أولهما: فهي كونه نبي الله، وأما ثانيتهما : فهي كونه خاتم النبيين؛ إذْ لن يبعث بعده نبي إلى قيام الساعة ، وفيما يتعلق بالحيثية الأولى فقد كان واجبه - عليه الصلاة والسلام - يتمثل في القيام بما قام به كل من سبقه من الأنبياء والمرسلين، يعني إعلان التوحيد وإنذار الناس وتبشيرهم بما سيلقونه في الآخرة من نعيم أبدي أوْ عذاب مقيم .

غير أن الأمر كان مختلفاً بالنسبة إلى الحيثية الثانية ، فمن هذه الحيثية كان المطلوب أن يتم بواسطته - عليه الصلاة والسلام - إيجاد أحوالٍ وظروفٍ تاريخية ستكون كفيلةً

بالحفاظ على الكتاب الإلهي والسنة النبوية من الضياع أوْ التحريف؛ حتى لا ينشأ مرةً أخرى ذلك الفراغ الذي يتحتم معه بعث النبي الجديد، وقد كان من مقتضيات ذلك ألا تنتهي دعوته - عليه الصلاة والسلام - عقب " الإعلان " وكفى، بل تدخل مرحلة " الثورة " . والمراد بالثورة هو إحداث تغيرٍ في التاريخ العالمي بحيث تنتهي إلى الأبد تلك الأحوال والملابسات التي كانت وراء تعرض هداية الله بين الحين والآخر للتلاشي أوْ التشويه عبر القرون السالفة ، مما كان يقتضي أن يأتي نبي جديدٍ ليقوم بإحياء الهداية الإلهية في صورتها الأصلية النقية الخالصة ..!!

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾

كان رسول الله - ﷺ- قد انتدبته العناية الإلهية لأداء دورٍ تاريخي عظيم ، أطلق عليه القرآن الكريم " إظهارا الدين " . ولكي يقوم - عليه الصلاة والسلام- بهذا الدور التاريخي خير قيام كان بحاجةٍ إلى جماعةٍ من البشر الممتازين ، وقد تم إعداد هذه المجموعة البشرية بإسكان سيدنا إسماعيل في قلب الصحراء العربية، ولقد كانت مجموعة بني إسماعيل هذه تتميز بسمات حيويةٍ جعلتها بحقٍ مجموعةً فذةً لا نظير لها في التاريخ، ومن هنا فحين استنارت كفاياتها الكامنة بنور القرآن الكريم، تحولت، على حد تعبير البروفيسور "مرغوليوث " إلى شعب من الأبطال ، وقد كانت هذه الجماعة بالغة الأهمية عند الله لدرجة أنه عرّف أنبياءه بها سلفاً ، ففيما كانت التوراة تتضمن السمات الشخصية لأفراد هذه الجماعة، جاء الإنجيل يحتوي على خصائصهم الجماعية ،

وقد وُصف أفراد تلك الجماعة بأنهم غلاظ شداد بالنسبة إلى الكافرين ورحماء لينو العريكة بالنسبة إلى إخوانهم المؤمنين ، أي إن سلوكهم يتحدد بحكم المبدأ وليس بحكم الأهواء والرغبات ، وقد شرح ذلك الشاه عبد القادر الدهلوى بقوله : " إن الشدة واللين من شأنهما - ماداما في حالتهما الغريزية الأولى- أن يظهرا تلقائياً وبدون أي ضابطٍ أوْ تمييزٍ حيثما وُجد التهييج الخارجي لهما ، وأما إذا تم صقلهما وتهذيبهما بالإيمان، فإن كليهما لا يظهر إلا في مكانه المناسب ولا يتعداه بحالٍ من الأحوال !!

كما أن من السمات المزاجية المميزة لأفراد هذه الجماعة : إكثارهم من الخضوع والسجود أمام الله، وانشغالهم الدائم في عبادته وذكره عز وجل . وقد بلغ منهم التوجه نحو الله حداً يُرى معه أثر ذلك متجلياً في وجوههم ، إن صفة أصحاب الرسول هذه لا توجد بهذا التفصيل في التوراة المحرفة لدى اليهود ، غير أن لفظة " القديسين " مازالت موجودة في سفر " التثنية " حتى أيامنا هذه . (راجع : التثنية، الإصحاح الثالث والثلاثون).

أما نبوءة الإنجيل فلم تزل موجودةً حتى الآن في الإصحاح الرابع من إنجيل مرقس وفي الإصحاح الثالث عشر من إنجيل متىّ ، وهي تمثيل بليغ ، فحواه أن دعوة الإسلام ستبدأ في مكة شأنها شأن نبتةٍ صغيرةٍ ناعمةٍ ، ثم تأخذ في النمو والازدهار شيئاً فشيئاً حتى تستحيل شجرةً وارفةً عملاقةً ، وإنها لتبلغ في نهاية المطاف من القوة والرسوخ والتماسك درجةً يفرح بها أهل الحق ويسرون ، بينما يأكل الغيظ والحقد قلوب أهل الباطل لكونهم يرونها تمتد وتزدهر رغم أنوفهم ، وهم لا يقدرون على النيل منها أو اقتلاع جذورها بأية حيلة أو وسيلةٍ !!

سورة الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ ﴾

لَا تُقَدِّمُوا: لا تقطعوا أمرا وتجزموا به.

إن وضع رأينا الشخصي فوق رأي الرسول حرام بصريح هذا النص القرآني . وقد كانت صورة ذلك الرسول - ﷺ- على قيد الحياة ، أن يسبقه أحد بالجواب في مسألة تعرض في مجلسه ، وبالتالي يحاول تقديم قوله على قول الرسول . وأما بعد وفاته - عليه الصلاة والسلام - فيعني ذلك أن يأخذ المرء في تكوين آرائه ومواقفه تجاه شتى القضايا والشئون الحياتية متحرراً من هداية الله غير متقيدٍ بتوجيهات رسوله الكريم ، وإنما يقع المرء في غفلةٍ كهذه لأنه يغيب عن باله أن الله رقيب عليه يرصد كل حركاته وسكناته ، ولو أدرك المرء أن صوته يصل إلى الله قبل وصوله إلى مسامع الناس لاحتبس لسانه في فمه ، ولصار أكثر ميلاً إلى أن يلزم الصمت منه إلى أن يتكلم !!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ: كراهة أن تبطل أعمالكم.

يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ: يخفضونها ويخافتون بها.

امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ: أخلصها وصفاها.

الْحُجُرَاتِ: حجرات زوجاته ﷺ.

إن أعراب البوادي لم يكونوا على جانبٍ كبيرٍ من النضج الفكري والشعوري، حتى إن بعض رؤسائهم كانوا إذا جاءوا إلى مجلس رسول الله - ﷺ - يخاطبونه باسمه قائلين " "يا محمد" بدلاً من : "يا رسول الله"، أو "يا نبي الله" . كما كان أسلوب حديثهم معه يتسم بالكبر والتعالي بدلاً من التواضع والانكسار، فنزل الوحي ينهاهم عن هذا الأسلوب وتلك الطريقة في المحادثة والخطاب . وحيث إن الرسول يكون مندوب الله في الأرض ؛ فإن سوء الأدب في حضرته على هذا النحو سوء تأدبٍ مع الله - عز وجل، مما من شأنه أن يحبط علم المرء ويجرده من كل قيمةٍ !!

والهدي الذي جاء به الرسول الكريم - ﷺ- يقوم مقامه في هذه الدنيا بعد وفاته، فنحن الآن مطالبون بالتبعية لهذا الهدي النبوي المقدس تماماً كما كان المعاصرون للرسول مطالبين بالتبعية لذات الرسول في كل شئونهم .

إن مخافة الله تجعل الإنسان غايةً في الجدية، فلو استقرت مخافة الله في قلب أحد الناس حقاً ، لاهتدى بمقتضى طبيعته إلى الأمور التي لا يكاد يدركها الآخرون حتى بالرغم من إرشادهم إليها مرةً وأخرى !

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ

فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾

لَعَنِتُّمْ: لأثمتم وهلكتم.

إذا أخبر شخص ما عن غيره بما يسيء إلى سمعة الأخير ؛ فإن تصديق مثل هذا الخبر فور سماعه يتنافى مع مزاج التحفظ والاحتياط الإيماني تمام المنافاة ، إذْ يجب على السامع في هذه الحالة أن يتخذ كل ما يلزم للتأكد من صحة الخبر أو كذبه ، وألا يبني رأياً أو حكماً إلا بعد التحقق النزيه المحايد وليس قبله ، وكثيراً ما يحدث أن المرء إذا بلغه خبر من هذا النوع ، يأخذ أصحابه من فورهم في الحديث عن القيام ببعض الإجراءات ضد الشخص المخبر عنه ، وهذا موقف يتسم بمنتهى عدم المسؤولية فلا يجوز لامرئٍ ما أن يحكم على أخيه بناء على خبرٍ قبل التثبت منه ، كما لا ينبغي لأصحابه بدورهم أن يشيروا عليه بالإقدام قبل الوقوف على حقيقة الأمر .

والذين يوفقون إلى طريق الرشد والهداية ينشأ في داخلهم مزاج يختلف عما كانوا عليه قبلئذٍ ، حيث تعود نفوسهم الآن تتقزز من توجيه التهم نحو الآخرين ، وهم يفضلون الصمت على الكلام في أمر لا يعرفون كنهه ، ومزاجهم هذا علامة تدل على أنهم قد ظفروا من رحمات الله بنصيبٍ ، وأن حياتهم وأعمالهم يتحكم فيها في الواقع ذلك الإيمان الذي هم يقرونه بألسنتهم !!

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا

بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾

بَغَتْ: اعتدت واستطالت وأبت الصلح .

تَفِيءَ: ترجع.

وَأَقْسِطُوا: اعدلوا في كل أموركم.

الْمُقْسِطِينَ: العادلين فيحسن جزاءهم.

لاَ يَسْخَرْ: لا يهزأ ولاينتقص.

كيف ينبغي أن يعايش المسلمون بعضهم بعضاً ؟ جواب ذلك باختصارٍ هو أن يتعايشوا كإخوةٍ متحابين، فرابطة الدين ليست بأقل من رابطة الدم والقرابة بأي وجه من الوجوه، وإذا وقع بين رجلين من المسلمين خصام أدى إلى قتال ، فلا يجوز للباقين أن يلوذوا بالصمت أو يوسعوا شقة الخلاف بين الاثنين بوسائل التحريش والوشاية ، وإنما يجب عليهم أن يهبّوا بدافع الأخوة والمحبة لتسوية النزاع بمقتضى الحق والعدل وإيجاد الصلح والتفاهم بينهما .

وقد يحتمل إذا تخاصم رجلان أو طائفتان من المسلمين أن يقف الباقون من المتقاتلين على الحياد ، أو ينحاز بعضهم إلى طائفة وبعضهم الآخر إلى طائفة أخرى ، استجابة لدواعي التعصب العائلي أو التحزب المذهبي ، فيتقاتلون جميعاً بينهم ، وكل هذه الطرق بعيدة عن روح الإسلام تماماً ، والمنهج الإسلامي الصحيح هو البحث عن وجه الحق في الأمر المتنازع عليه ، والوقوف إلى جانب المحق ، وإرغام مَنْ ليس على الحق على قبول الحكم العادل في القضية محل النزاع ، والذي يخاف الله ويخشاه ليس من شأنه أبداً أن يتلذذ برؤية أخويه في الدين يتقاتلان ، وإنما هو يحزن أشد الحزن ويتململ

تململ السليم إذا ما وقع بصره على منظرٍ كهذا ، ولن يشعر بالهدوء أو الراحة ما لم يبذل جهده في الإصلاح وتطبيع العلاقات بين الاثنين ، وهؤلاء الذين يصير الإيمان بالله وتقواه عندهم مدخلاً إلى عالم الرحمات الإلهية!!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾

وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ: ولا يعب ، ولا يطعن بعضكم بعضًا.

وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ: لا تداعوا بالألفاظ المستكرهة.

إن عاطفة التعاظم والاستكبار - بمعنى التطلع نحو العظمة والكبرياء وحب البروز - كامنة داخل بعض البشر ، وهذا هو السر في أن شخصاً لا يكاد يعثر في غيره على نقيصةٍ ما ، حتى يتناولها بالتضخيم ويبالغ في إبرازها للناس ؛ وذلك لكي يثبت لهم أنه " كبير " وغيره " صغير " ... وهكذا يهزأ الإنسان بأخيه الإنسان ، وهو يلمزه ويذكره بلقب السوء سعياً منه وراء إشباع عاطفة التعاظم والكبرياء الكامنة فيه .

غير أن أساس التفاضل ومعيار الصلاح ليس ما يقرره المرء من تلقاء نفسه ، وإنما الصالح هو الذي يعتبر صالحاً عند الله ، والعكس صحيح . ولو استقر الشعور بهذه الحقيقة في نفس الإنسان لقضي على عاطفة كبريائه ، ولصار الاشتغال بلمز الغير والنيل من عرضه، وتناول الآخرين بالتعييب وذكرهم بما يكرهونه من الأسماء والألقاب لصار يبدو له كل ذلك لغواً فارغاً ، وعبثاً محضاً ؛ لأنه سيدرك أن مراتب الناس ودرجاتهم سيتم تحديدها عند الله عز وجل .. إذن فكم سأكون سخيف الرأي لو أنني احتقرت اليوم أحد الناس وكان هو في عالم الآخرة من بين عباد الله المكرمين ؟!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾

كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ: هو ظن السوء بأهل الخير.

وَلاَ تَجَسَّسُوا: لا تتبعوا عورات المسلمين.

فَكَرِهْتُمُوهُ: فقد كرهتموه فلا تفعلوه.

إذا ساء ظن الواحد منا بشخصٍ ما ، صار كل أمره عنده موضع الريبة والاشتباه ، حيث يسير ذهنه بالنسبة إلى ذلك الشخص بعدئذٍ في الاتجاه السلبي ، مما يجعله يفتش عن عيوبه أكثر من محاسنه ، ويعود النيل من عرضه وتشويه سمعته بنشر مساوئه بين الناس هوايته المفضلة..! وسوء الظن هو مصدر معظم الشرور والمفاسد الاجتماعية ، ومن هنا لابد للمرء أن يكون على حذر دائم بهذا الخصوص ، فلا يسمح للظن السيئ باقتحام قلبه أو ذهنه أبداً .

ولئن بلغك عن أحد الناس شيء يبعث على سوء الظن به ، فبإمكانك أن تلتقي به مباشرة لكي تتحدث إليه في هذا الشأن ، وأما ذكرك إياه بالسوء في غيابه ، حيث لا يمكنه أن يتولى الدفاع عن نفسه ، فذلك عمل دنيء جداً وبعيد عن الأخلاق والمروءة كل البعد ، ومن المحتمل أن يقع المرء في أخطاء كهذه بصورة وقتيةٍ ، إلا أنه لن يصر على خطئه أبدا لو كان قلبه مليئاً بخوف الله ، فإن خوف الله سرعان ما ينبهه على خطئه ويجعله بالتالي يتخلى عن فعله ويرجع إلى الله راجياً عفوه وغفرانه !!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾

توجد بين الناس فوارق شتى ؛ كفارق اللون والجنس والشعب والوطن .. إلخ ، والغاية من جميع هذه الفوارق إنما هي التعارف وليس التمايز أو التفاضل ، والسبب في معظم الشرور والآفات أن الناس يأخذون في تفضيل بعضهم على بعض بناء على مثل هذه الفوارق؛ مما يؤدي إلى الفرقة والخصومة والعصبية التي لا تعرف حداً تقف عنده !!

والبشر كلهم وحدة واحدة من حيث مبدؤهم ، وإن كان هناك أساس للتمييز أو التفاضل بينهم فإنما يتمثل ذلك في شيءٍ واحد هو تقوى الله . والتقوى شيءٍ لا يعلمه علماً حقيقياً إلا الله ... ولذا فالله وحده دون أحدٍ سواه يستطيع أن يحدد قيم الناس وأقدارهم تحديد العليم الخبير !!

﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

آمَنَّا: صدقنا بألسنتنا وقلوبنا.

أَسْلَمْنَا: استسلمنا خوفا وطمعا .

كانت هناك عدة قبائل صغيرة في ضواحي المدينة، وهؤلاء ، وإن كانوا قد اعتنقوا الإسلام في أعقاب الهجرة النبوية ، إلا أن إسلامهم لم يكن وليد ثورة فكرية عميقة ، والمؤمن عند الله حقاً هو الذي يدرك الإسلام كحقيقة تسري في أعماق قلبه وتشربها روحه، والذين يدخلون في دين الله على هذا النحو ، يظفرون بيقين راسخٍ لا يزول ولا يتزلزل ، وهم يكونون مستعدين للثبات عليه حتى ولو اقتضى الأمر التضحية بالمال

والنفس، والمرء إذا صدر منه عمل صالح فقلما يطيق الصبر على إخفائه ، وإنما هو يميل في الغالب الأعم إلى إظهاره ، في حين أن هذا الإظهار يحبط عمله ، والعمل الصالح في الواقع هو الذي يُمارس لأجل الله ، وإذا كان الله خبيراً بكل شيءٍ ، لا تخفى عليه خافية، فما الذي يدعو المرء إلى إظهار عمله والإعلان عنه ؟!

﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

لا يَلِتْكُم: لا ينقصكم.

أَتُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُمْ: أتخبرونه بقولكم آمنا.

لو اهتدى شخص ما إلى الإسلام أو تحقق على يديه عمل إسلامي ما ، فيجدر به أن يعتبر ذلك نتيجة النصر الإلهي ، إذ الإيمان والعمل الصالح كلاهما يتوقف على توفيق الله وفضله ؛ ولذا يجب على المرء إذا وفق إلى خيرٍ ما أن يتوجه إلى الله بالشكر والامتنان ..

وبدلاً من هذا إذا أخذ الرجل يمن بذلك على إخوانه في الدين ، فكأنما هو يقول بلسان حاله: إن لم أكن قد فعلت ما فعلت ابتغاء وجه الله ، وإنما فعلت ذلك رياءً ونيلاً للحظوة لدى الناس!!. إن الله سبحانه يحيط علماً بكل شيءٍ على نحوٍ مباشرٍ فمن يعمل شيئاً لأجل الله ، فليكن واثقاً من أن ربه مطلع على عمله بدون اطلاعه إياه عليه !!

سورة ق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥ ﴾

وَالْقُرْآنِ: قسم جوابه لتبعثن.

رَجْعٌ بَعِيدٌ: رجوع إلى الحياة غير ممكن.

أَمْرٍ مَّرِيجٍ: مختلط مضطرب.

إن تاريخ الأنبياء والمرسلين يشهد بأن الأمم المعاصرة لهم قلما تستعد للإيمان بهم وتلقي دعوتهم بالقبول، ولكن الناس في العصور اللاحقة لا يلبثون أن يعترفوا لهم بالنبوة والرسالة دون إباءٍ أو عناد كثيرٍ . وسر ذلك أن النبي يبدو لمعاصريه "شخصاً مساوياً" لهم، ومن هنا قد يكون من دواعي العجب والدهشة لدى القوم أن يتحول هذا الشخص الذي كانوا يعدونه مساوياً لأنفسهم - فجأةً إلى كبير يعظهم وينصح لهم!!. وأما في الأزمان التالية، فإن النبي يكون قد اقترن باسمه تاريخ الأمجاد والبطولات، مما يجعله يتراءى لمن يأتون بعده "شخصاً متفوقاً" عليهم ؛ ولهذا السبب لا يصعب على الناس أن يعترفوا برسالة النبي في القرون المتأخرة ...، إن النبي يكون بالنسبة إلى أفراد الجيل المعاصر له شخصية خلافية (متنازعاً فيها) وبالنسبة إلى الأجيال التالية شخصية مسلماً بها ، وإذ يتعين على الجيل الأول أن يقطع رحلة شعورية لكي

يملأ الفراغ الحائل بينه وبين النبي، فإن هذا الفراغ يكون قد ملأه التاريخ نفسه في القرون المتأخرة.

والذين يشكّون في نبوّة النبي، يصير كل ما يدعو إليه في أعينهم موضع الشك والارتياب، حتى العقيدة التي تكون معروفة لديهم على وجه التقليد، غير أن هذا الشيء لن يصلح عذراً للناس في تكذيبهم لدعوة النبي، وسيجد المنكرون للنبي أنفسهم مضطرين إلى الإيمان به رسولاً من الله، لو أنهم تدبروا ما يتميز به كتابه من عظمة لا تدانى !.

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١ ﴾

فُرُوجٍ: فتوق وشقوق.

وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا: بسطناها للاستقرار عليها.

رَوَاسِيَ: جبالاً ثوابت تمنعها الميدان.

زَوْجٍ بَهِيجٍ: صنف حسن نضر.

عَبْدٍ مُّنِيبٍ: راجعٍ إلينا مذعن بقدرتنا.

وَحَبَّ الحَصِيدِ: حب الزرع الذي يحصد.

وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ: طوالا. أو حوامل.

لَّهَا طَلْعٌ: هو ثمرها ما دام في وعائه.

نَضِيدٌ: متراكم بعضه فوق بعض.

كَذَلِكَ الخروج: من القبور أحياء عند البعث.

إن هذا الكون، بما ينطوي عليه من روح وحكمة، وما يوجد فيه من روائع الخلق والإبداع، وكونه خالياً من كل نقصٍ أو خللٍ، وتلاؤمه مع الحاجات الإنسانية تمام التلاؤم.. إلخ، ليرغم كل ذي لبٍ على التأمل والتفكير، والذي يتأمل في النظام الكوني بجدية وإمعانٍ، سيدرك الخالق عبر مخلوقاته، وسيرى انعكاس الآخرة في مشاهد الدنيا، فإن عالم الآخرة ليس سوى صورة أخرى لازمة لعالمنا الراهن!!.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾

وَأَصْحَابُ الرَّسِّ: البئر ، رسوا نبيهم فيها فأهلكوا.

وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ: سكان الغيضة الكثيفة الملتفة الشجر (قوم شعيب) .

وَقَوْمُ تُبَّعٍ: أبو كرب الحميري (ملك اليمن) .

أَفَعَيِينَا بِالخَلْقِ: أفعجزنا عنه – كلا.

فِي لَبْسٍ: خلط وشبهة وشك.

لقد حدث مرةً بعد أخرى، حسب التصوير القرآني للتاريخ، أن تعرضت الأمم والشعوب للهلاك والدمار لقاء إنكارها للأنبياء والمرسلين، وقد أشير هنا إلى بعض تلك الشعوب المهلكة على سبيل المثال دون الحصر، وإن إهلاك الأمم إنما هو في الأصل

جزء من الآخرة، حيث يتم من خلاله إظهار حظ يسير من العذاب الذي سوف يلقاه منكرو الحق هناك في حياتهم الراهنة ذاتها ليكون عبرة لمن يعتبر! إن عملية الخلق الأولى لهذا العالم تبرهن على إمكان الخلق الثاني ، ولو كان المرء جاداً حق الجدية لم يعد بحاجة ما إلى دليلٍ آخر بعد ذلك حتى يؤمن بالآخرة !!

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾

حَبْلِ الوَرِيدِ: عرق كبير في العنق.

يَتَلَقَّى المُتَلَقِّيَانِ: يحفظ ويكتب الملكان.

قَعِيدٌ: ملك قاعد.

رَقِيبٌ عَتِيدٌ: ملك حافظ لأقواله معد حاضر.

لقد أثبتت الدراسات العلمية أن هناك نظام "تسجيل" متناهياً في الدقة والإحكام، يوجد في هذا الكون، فتفكير الإنسان يرتسم على شاشته الذهنية بصفةٍ دائمة، وكل ما ينطق به الإنسان من الكلمات يبقى بشكل موجات هوائية في "الأثير" إلى الأبد ، وجميع أعمال الإنسان، القلبية منها واللسانية والعضوية، كلها تسجل عبر الموجات الحرارية بحيث يمكن إعادتها في أي وقتٍ ، وكل ذلك من الحقائق المعروفة لدى إنسان اليوم ، وهذه الحقائق المعروفة تقرب إلى أفهامنا خبر القرآن هذا بأن نية الإنسان وكلامه وعمله يحيط بها الخالق علماً، لا يخفى عليه شيء من ذلك صغيراً كان أو كبيراً ، وأن كل ما يقترفه الإنسان يتم تسجيله على الفور في سجل الملائكة بدقة فائقةٍ !

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾

سَكْرَةُ الْمَوْتِ: شدته وغمرته الذاهبة بالعقل.

تَحِيدُ: تميل عنه وتفر منه وتهرب.

غِطَاءَكَ: حجاب غفلتك عن الآخرة.

حَدِيدٌ: نافذ قوي.

عَتِيدٌ: معد حاضر مهيأ للعرض.

عَنِيدٍ: شديد العناد والمجافاة للحق.

مُرِيبٍ: شاك في الله وفي دينه.

مَا أَطْغَيْتُهُ: ما قهرته على الطغيان والغواية.

في هذه الآيات تصوير لغمرة الموت، يتبعه عرض لبعض مشاهد القيامة وأهوالها ، ومن خلال ذلك يتضح لنا ماذا سيجري هناك على أولئك الذين كانوا قد طغوا وبغوا في عالم الامتحان الراهن لكونهم يتمتعون فيه بالاختيار وحرية التصرف ، وإن هذا التصوير فظيع رهيب لدرجة أنه يكفي ليقض مضجع الإنسان الحي ويملأ قلبه بالقلق

والتوجس والاضطراب !!

﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ: قربت وأدنيت.

أَوَّابٍ: رجاع إلى الله بالتوبة.

حَفِيظٍ: لما استودعه الله من خلقه.

بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ: مخلص مقبل على طاعة الله.

مَنْ الذين يستحقون جنان الله الأبدية ؟، إنهم أناس ظلوا طيلة حياتهم الدنيا خائفين وجلين من عذاب الله ، والذين قد استشعروا الخوف قبل رؤية العذاب، أولئك وحدهم سيكونون آمنين من كل أنواع الخوف والحزن يوم يصبح الخوف ماثلاً أمام الناس يرونه رأي العين . إن خشية الله تولد في نفس المرء صفات أهل الجنة، بينما يولد انعدام الخشية الإلهية صفات أهل النار!!

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾

وَكَمْ أَهْلَكْنَا: كثيراً أهلكنا.

قَرْنٍ: أمة.

بَطْشاً: قوة أو أخذاً شديداً في كل شيء .

فَنَقَّبُوا فِي البِلادِ: طوفوا في الأرض.

مَحِيصٍ: مهرب ومفر من الله.

إن الشعوب تنهض وتأخذ بأسباب الرقي والتقدم حتى تبلغ قمة المجد والازدهار، ولكنها حين تتعرض للبطش الإلهي، نتيجة سوء أعمالها، لا تكاد تجد في جنبات الأرض من مهرب أو ملجأٍ تأوي إليه !.

ووقائع التاريخ هذه تنطوي على عبر ودروس عظيمةٍ ، غير أن الاعتبار لن يوفق إليه إلا شخص يتوافر لديه استعداد للتفكير ، يمكّنه من أن يتلقى بنفسه ما تحمله الأحداث والوقائع من إيحاءات ورسائل صامتة ، أو تكون عنده حاسة للسمع واعية بحيث إذا ذُكر له شيء من ذلك وصل إلى أعماق نفسه بدون عائقٍ !

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾

إن خلق السماوات والأرض في ستة أيامٍ، أو بلفظ آخر في ستة أدوارٍ، يوحي بأن منهج الله هو منهج العمل التدريجي ، وإذا كان الله رغم تمتعه بكل القوى والطاقات، يُظهر الأحداث والوقائع على التدريج خلال حقبة الزمن، فينبغي لنا نحن البشر - كذلك - أن نتجنب التسرع والاستعجال، ونحاول تحصيل النتائج المطلوبة عن طرق الجهد الصبور الدائب.

وعملية الدعوة عملية صبرٍ من بدايتها حتى النهاية ، حيث إنها تفرض أن يتحمل الداعي كل ما يواجهه من قبل الآخرين من الأذى والتجارب المريرة برحابة صدر،

وأن يواصل نشاطه على طول الطريق، وهذا العمل بما فيه من جهدٍ ومشقةٍ، وما يتطلب من تصبير دائم للنفس، لن يقوى على القيام به والاستمرار فيه إلا الذي يقضي ليله ونهاره مشغولاً بالذكر والعبادة، والذي يتلقى من ربه ما لا يجده من البشر، والذي لا يتمكن منه الشعور بالخيبة والحرمان أبداً حتى لو فقد كل شيءٍ !!

وقوله : ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ تعبير ضمني يتناول بالتصحيح ما ورد في التوراة الحالية المحرفة من أن الله قد أكمل خلق السماوات والأرض في ستة أيامٍ ، ثم استراح بعد ذلك في اليوم السابع ! (انظر سفر التكوين : الإصحاحين الأول والثاني)، إنما يستريح مَنْ يشعر بالتعب، وبما أن الله - سبحانه وتعالى - لا يمسه شيء من التعب أو اللغوب أو الإرهاق، لا يحتاج إلى الاستراحة أو الاستجمام البتة !

﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ ﴾

يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ: نفخة البعث.

تَشَقَّقُ الأَرْضُ: تنفلق وتتصدع.

سِرَاعاً: مسرعين إلى الداعي.

ليس لقيام الساعة موعد معين ، وإنما يصدر الله - عز وجل - أمره في أي وقتٍ شاء إلى "إسرافيل" الذي ينفخ في الصور إيذاناً بقيامها فجأةً !

والغافلون عن الله يرون القيامة أمراً بعيداً وربما يستبعدون وقوعها ، وأما المؤمن الصادق الإيمان فلا يزال في كل لحظةٍ في توجس وحذر وارتقاب : متى يُنفخ في الصور

فيفاجأ بمجيء الساعة الرهيبة ؟! وبعد أن ينفخ في الصور سوف تبدل الأرض غير الأرض والسماوات، ويُحشر الناس كلهم في عالمٍ جديدٍ، حيث ينال الكل جزاءه الأبدي بحسب عمله!.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾

بِجَبَّارٍ: بمسلط تجبرهم على الإيمان.

لقد ورد في القرآن الكريم عن رسول الله - ﷺ- مراراً وتكراراً ما معناه أن عملك الأساسي - أيها الرسول - إنما ينحصر في البلاغ وحده ، وليس المطلوب منك أن تقوم بتغيير الناس بالفعل ، ومن جانبٍ آخر أكد القرآن كذلك - في أكثر من موضعٍ - على أن الله - عز وجل - قد بعث رسوله بدين الحق لكي يظهره على كل الأديان سواه!!

سورة الذاريات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ۝٦ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ۝٨ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ۝٩ ﴾

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً: (قسم) بالرياح تذرو الرياح وتفرق التراب وغيره ذروا.

فَالْحَامِلاتِ وَقْراً: السحب تحمل الأمطار حملاً

فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً: السفن تجري على الماء جريا سهلاً.

فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً: الملائكة تقسم المقدرات الربانية.

إِنَّمَا تُوعَدُونَ: من البعث (جواب القسم) .

وَإِنَّ الدِّينَ: الجزاء بعد البعث.

ذَاتِ الْحُبُكِ: الطرق التي تسير فيها الكواكب.

قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ: متناقض فيما كلفتم الإيمان به.

يُؤْفَكُ عَنْهُ: يصرف عن الحق الآتي به الرسول.

تصور هذه الآيات عملية المطر أبدع تصوير ، فأولاً تهب الرياح عاصفةً فتحمل ، بعد مرورها بمراحل شتى ، السحب المثقلة بالماء ، ثم تسوقها سوقاً لتمطر رحمةً ونعمةً على قومٍ ، وتجلب نقمة وعذاباً على آخرين في شكل الكوارث والفيضانات .

وهذه الواقعة تدلنا على أن عالم الله هذا يسوده قانون "تقسيم الأمر" ، فالناس هنا يتفاوتون في حظوظهم من متاع الحياة والرزق ، حيث ينال بعضهم قليلاً وبعضهم الآخر كثيراً ، ومنهم مَنْ يُعطي بلا حساب ومنهم مَنْ يُسلب بعد العطاء وفي هذا إشارة لنا إلى مآل الإنسان الذي ينتظره في العالم الآتي بعد الموت ، فمبدأ "تقسيم الأمر" هذا سيُنفذ هناك في أتم الوجوه وأكملها ، فإنما ينال الكل هناك ما ينبغي أن يناله بمقتضى العدل دون زيادة أو نقصان ، ولن يناله ما لم يكن يستحق أن يناله بموجب العدل كذلك.

وفي السماء نجوم وكواكب لا يحصيها العد ؛ كلها تتحرك في مداراتها المقررة وفق نظام محكم للغاية ، ولئن استطعنا إلقاء نظرة شاملة عليها ، وبالتالي رسمنا لها صورةً في مجموعها ، إنها ستبدو لنا كالشبكة أو كزرد منسق متشابك ذي حلقات متداخلة بعضها في بعضٍ ، ومثل هذا النظام المدهش يوحي بانطوائه على قصد ومعنى عميقٍ ، والذين يستعملون عقولهم سيجدون فيه مادة الدرس والعبرة ، وأما الذين لا يستعملون عقولهم فهو عندهم رقصة عابثة فارغة عن أي درس أو عظة ذات بالٍ !!

﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾

قُتِلَ الخَرَّاصُونَ: لعن وقبح الكذابون.

غَمْرَةٍ: جهالة غامرة بأمور الآخرة.

سَاهُونَ: غافلون عما أمروا به.

أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ؟: متى يوم الجزاء ؟ (إنكار له)

يُفْتَنُونَ: يحرقون ويعذبون.

يَهْجَعُونَ: ينامون.

وَبِالأَسْحَارِ: أواخر الليل.

وَالْمَحْرُومِ: الذي حرم الصدقة لتعففه عن السؤال مع حاجته.

إن ألزم ما يلزم المرء لتفهم أمرٍ من الأمور هو الجدية ، فالذين لا يأخذون أمراً ما بمأخذ الجد ، لا يعيرون القرائن والأدلة المصاحبة له أي اهتمامٍ ، ومن ثم لا يستطيعون أن يفهموه بطبيعة الحال ، وهم يلجؤون بالتالي إلى الاستهزاء به إيهاماً للآخرين بأن هذا أمر بالغ السخافة، لدرجة لا يستحق معها أن يعتبر موضوع التأمل والتفكير الجدي!.

وأما أصحاب الجدية فحالهم على نقيضٍ من هذا تماماً ، فإن جديتهم تجعلهم يعيشون على حذر واحتياط دائم، وتنتزع من نفوسهم مزاج التعنت والطغيان وحساسيتهم المرهفة تجبرهم على القيام حتى في آناء الليل ، وهم يقضون أوقاتهم في ذكر الله وعبادته والتوجه إليه صباح مساء بطلب الرحمة والغفران ، وهم لا يعدون أموالهم نتاج كدهم وجهدهم الذاتي ، وإنما عطية من عطايا الله ، ولهذا السبب فإنهم يرون فيها حقاً لغيرهم أيضاً مثلما يرون فيها حقاً لأنفسهم !

﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

لقد جعل الله عالمنا الراهن بحيث أصبح هذا العالم المعلوم بما فيه آية على العالم الآتي

المجهول ، فالوقائع المادية المبثوثة في جنبات الأرض والأحاسيس والمشاعر الكامنة في نفس الإنسان كلها تنبئنا سلفاً بالحدث الذي سوف يواجهه الإنسان مباشرةً بعد الموت .. ومن هذه الآيات ظاهرة النطق المشار إليها هنا.

وقد جاء في حديث عن شئون الآخرة أن النبي - ﷺ - قال : "إنما هي أعمالكم ترد عليكم" مما يعني أن عالم الآخرة لا يعدو أن يكون صنواً (Double) للعالم الحالي، ويتجلى لنا هذا الإمكان ، بصفة جزئية ، من خلال ظاهرة النطق البشري ، وذلك حين نسجل صوت شخصٍ ما في الشريط ، ثم نشغله في آلة التسجيل ، فإذا بنا نسمع صوت الشخص ذاته كما هو مرةً أخرى ، بينما الحقيقة أن صوت الشريط إنما هو صنو للصوت الأصلي، وهكذا يمكننا النطق على المستوى الجزئي المحدود من تجربة الواقع الذي سيظهر في الآخرة على المستوى الكلي اللامحدود .

وقوله : ﴿ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ معناه أنه إذا كان تكرار نطقكم ممكناً فلم لا يمكن إذن تكرار وجودكم؟! وإذا كنا نشاهد تكرار جزءٍ واحدٍ من الكيان البشري في حياتنا الراهنة ذاتها ، فمن اليسير ، قياساً على ذلك ، أن نفهم إمكان وقوع التكرار والإعادة للكيان البشري بأكمله!!

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾

ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ: أضيافه من الملائكة.

قَوْمٌ مُّنكَرُونَ: قاله في نفسه لغرابتهم.

فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ: ذهب إليهم في خفية من ضيفه.

فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ: فأحس في نفسه لغرابتهم.

بِغُلامٍ عَلِيمٍ: هو هنا إسحاق عند الجمهور.

صَرَّةٍ: صيحة وضجة.

فَصَكَّتْ وَجْهَهَا: لطمته بيدها تعجبا.

تتحدث الآيات هنا عن قصة إبراهيم عليه السلام إذْ جاءته الملائكة تبشره بالولد وهو يومئذٍ قد تجاوز المائة سنة من عمره . لقد وُلد سيدنا إبراهيم في العراق القديم ، حيث ظل يدعو قومه إلى التوحيد والآخرة زمناً طويلاً ، ولكن لم يكد يستجب لدعوته من قومه سوى زوجته وابن أخيه ، إلى أن بلغ عليه السلام سن الشيخوخة.

والآن ، لم يعد للإبقاء على تسلسل رسالته واستمراريتها غير شكل واحدٍ ، هو أن يولد له ولد ، فيقوم على تربيته وإعداده لهذا الغرض ، والعلاقة بين الأب وولده تقوم على أساس الدم ، مما يكسبها قوة إضافية من شأنها أن تربط الولد بأبيه برباط متين لا ينفصم على اختلاف الأحوال والظروف ، كما تجعله بالأحرى مناصراً متحمساً لأفكاره وآرائه ، يسره أن تنتشر بين الناس وتنتقل إلى الأجيال القادمة . ولقد وهب الله لإبراهيم في آخر حياته ولدين اثنين : أولهما: إسماعيل الذي تم استخدامه كالنواة لجيل فريد من البشر يتربى في أحضان الصحراء ، وثانيهما : إسحاق الذي بواسطته قام تسلسل دعوة التوحيد في بني إسرائيل .. ثم يقف في النهاية إلى جانب نبي آخر الزمان ويتعاون معه على تكميل رسالته التاريخية !!.

﴿ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ

﴿ ۝٣٣ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝٣٣ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ۝٣٤ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٣٦ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝٣٧ ﴾

فَمَا خَطْبُكُمْ ؟: فما شأنكم الخطير ؟

مُسَوَّمَةً: معلمة بأنها حجارة عذاب.

كان إبراهيم عليه السلام حينذاك في فلسطين ، وعلى مقربةٍ منها كانت قريتا سدوم وعامورة - مساكن قوم لوط - بجنوبي البحر الميت ، ورغم بقاء لوط عليه السلام بين أولئك القوم مدة طويلة من الزمان يدعوهم إلى الحق وينذرهم - إن لم يؤمنوا به - ببأس الله ، إلا أنهم لم يرضوا بنبذ حياتهم المنحرفة الغافلة عن الله ، فخرج لوط وأصحابه من بينهم إلى حيث أمرهم الله ، فلم يلبث الملائكة الذين سبق ذكرهم آنفاً أن أهلكوا القوم عن بكرة أبيهم بالرجفة والعواصف وبوابل من الحجارة المعلَّمة لا يعلم حقيقتها إلا الله سبحانه وتعالى . لقد اندثر قوم لوط منذ ألفي سنة مضت ، غير أن مساكنهم الخربة - بالمنطقة الواقعة جنوبي البحر الميت - ما زالت إلى يومنا هذا تلقن الدرس والعبرة لمن يتوافر لديهم مزاج التذكر والاعتبار بالأحداث والوقائع !!

﴿ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝٣٨ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٣٩ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝٤٠ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ۝٤١ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ۝٤٢ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ۝٤٣ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٤٤ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ۝٤٥ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن

قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾

وَفِي مُوسَى: وجعلنا في قصة موسى آية.

فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ: فأعرض فرعون بقوته وسلطانه عن الإيمان.

وَهُوَ مُلِيمٌ: آت بما يلام عليه.

الرِّيحَ العَقِيمَ: المهلكة لهم القاطعة لنسلهم.

كَالرَّمِيمِ: كالشيء البالي المفتت الهالك.

فَعَتَوْا: فاستكبروا.

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ: فأهلكتهم صيحة أو نار من السماء.

اعتبر فرعون ما جاء به نبي الله موسى من الخوارق والمعجزات سحراً، كما عبر عن يقينه الذي كان يشهد بكونه على الحق بأنه جنون! وهذا هو التلبيس عينه. والتلبيس هو الملجأ الدائم للذين لا يستعدون للإيمان بالحق رغم تضافر الأدلة والبراهين على إحقاقه.

ولا ينفلت الطغاة والمتعنتون إزاء الحق كهؤلاء من بطش الله أبداً، فقد أغرق فرعون وجنوده بناء على هذا، كما حل بقوم عاد وقوم ثمود وقوم نوح ما حل من العذاب والدمار للسبب نفسه، وليس لأمثال هؤلاء في دنيا الله هذه من متاع سوى هذا المتاع القليل المقدور لهم لحكمة الامتحان إلى أجل محدودٍ!

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾

بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ: بقوة وقدرة.

وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ: لقادرون.

وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا: مهدناها وبسطناها كالفراش للاستقرار عليها.

فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ: المسوون المصلحون.

خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ: صنفين ونوعين مختلفين.

فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ: فاهربوا من عقابه إلى ثوابه.

﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ هذه الفقرة الواردة هنا في سياق الحديث عن خلق السماء ربما تتضمن الإشارة إلى طبيعة الكون تلك التي لم يتم اكتشافها إلا في مطالع القرن العشرين ، وأعني بذلك تمدّد الكون واتساعه بالتسلسل الدائم في كل الاتجاهات، وتمدّد الكون على هذا النحو دليل على أنه لم يُخلق من تلقاء نفسه وإنما خلقه خالق ، إذْ أن هذا التمدّد يعني أنه كان في بدايته " منكمشاً " ، فبموجب القوانين المادية المعروفة كانت كل الأجزاء التركيبية لكتلة الكون البدائية هذه مركزةً ومجتمعةً بعضها مع بعضٍ بشدة ، وفي هذه الحالة فإن أخذها في الاتساع نحو الفضاء الخارجي وتباعد الأجرام بعضها عن بعض بسرعات هائلةٍ لا يتصور بدون تدخل من "الخارج" .. وإيماناً بهذا التدخل الخارجي يستلزم الإيمان بالله بالضرورة .

إن نظام كوننا هذا نظام ينطوي على حكمة بالغةٍ ومعنى عميق ، مما يثبت أن العالم الراهن أُنشئ لغاية سامية ، ولكنا نرى الإنسان قد ملأ الأرض شراً وفساداً ، وشأن هذا الواقع العبثي اللامعقول بالنسبة إلى هذا الكون الهادف المعقول كشأن النغمة النشاز في اللحن المتناسق ! وهذا الوضع يقضي بظهور عالم يخلو من كل ألوان الشر والفساد.

ومرة أخرى نلتقي هنا بظاهرة من ظواهر الكون الحالي تتولى الإجابة عن هذا السؤال، وهي كون الأشياء هنا زوجين زوجين ، فالذرة - وإليها يرجع بناء الكون كله - مؤلفة من زوج من الكهرباء : موجب وسالب ، وينقسم النبات بدوره إلى ذكر وأنثى تماماً كما هو حالنا نحن البشر ؛ مما يدلنا على قاعدة تسري في هذه الوجود ، وهذا أن كل شيء يتلاقى في نقصه ويستكمل ذاته عبر الانضمام إلى زوجه، وتلك قرينة تبرهن على إمكان وقوع الآخرة . فكأن عالم الآخرة هو زوج عالمنا الراهن بحيث لا يكتمل هذا الأخير إلا بالانضمام إلى الأول !!

﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

طَاغُونَ: متجاوزون الحد في الكفر.

من شأن الرجل الجاد إذا طالب بإقامة الدليل على أمرٍ ما ، أن يؤمن به فور ظهور الدليل المطلوب، وأما الذين مزاجهم التعنت والعناد فلا يمكن إقناعهم أو إسكات ألسنتهم بأي دليلٍ ، حيث إنهم سيجدون لرفض كل دليل تأتي به بعض الألفاظ الجديدة ، حتى إنك لو أتيت بدليلٍ لا سبيل إلى دحضه منطقياً لأعرضوا عنه قائلين : إن هذا سحر!!. وينبغي للداعي ألا يقع فريسة اليأس إذا أنكر هؤلاء دعوة الحق، فإنه سوف يجد أنصاره بين آخرين عداهم ليسوا مصابين بعقدة الشعور بالكبرياء الكاذبة!.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى

يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

لِيَعْبُدُونِ: ليعرفوني أو ليخضعوا لي ويتذللوا.

ذَنُوباً: نصيبا من العذاب.

إن الهدف الوحيد وراء خلق الإنس والجن هو عبادة الله ، ومعنى العبادة أن نخضع أنفسنا بين يدي الله، ونعود عابدين له تعالى بأتم معاني الكلمة ، وجوهر العبادة هو المعرفة ، ومن ثم شرح ابن جريج قوله : ﴿ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ بعبارة : "إلا ليعرفون"، كما حكي عنه ابن كثير في تفسيره . يعني أن المطلوب من الإنسان أن يدرك الله على وجه الاكتشاف ، ويتعرف على الله من غير أن يراه رأي العين ، وهذا ما يسمى المعرفة ، والحياة التي تظهر باعتبارها نتيجة تلقائية لهذه المعرفة هي التي يقال لها العبادة والعبودية .

إن الدلو حين يمتلئ فلا يلبث أن ينغمر في الماء ، وهكذا لا يكاد المرء يستكمل فرصة العمل المتاحة له على هذه الأرض حتى يبتلعه الموت ، فمن أصلح نفسه قبل "امتلاء الدلو" نجا وأفلح ، وأما من ظل غافلاً حتى اللحظة الأخيرة الحاسمة فقد خاب وهلك . ولا يظن الظالمون إذا كانوا لا يتعرضون للمؤاخذة أنهم قد أهملوا ولن يؤاخذوا .. ! وإنما تُركوا أحراراً يتصرفون كما شاؤوا؛ لأن سنة الله قد جرت بعدم التعجيل بالمؤاخذة ، لا لأن الله غير مؤاخذهم .

سورة الطور

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٦ ﴾

وَالطُّورِ: (قسم) بجبل طور سيناء الذي كلم الله عنده موسى.

وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ: مكتوب على وجه الانتظام.

فِي رَقٍّ: ما يكتب فيه جلدا أو غيره.

مَّنْشُورٍ: مبسوط غير مختوم عليه.

وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ: هو الضراح في السماء أو الكعبة.

وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ: السماء.

وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ: الموقد ناراً يوم القيامة.

إِنَّ عَذَابَ : (جواب القسم) بما سبق.

تَمُورُ السَّمَاءُ: تضطرب وتدور كالرحى.

فَوَيْلٌ: هلاك أو حسرة أو شدة عذاب.

خَوْضٍ: اندفاع في الأباطيل والأكاذيب.

يُدَعُّونَ: يدفعون بعنف وشدة.

اصْلَوْهَا: ادخلوها. أو قاسوا حرها.

الطور هو اسم الجبل الذي منح عنده موسى عليه السلام النبوة في برية سيناء، والمراد بالكتاب المسطور التوراة، أما البيت المعمور والسقف المرفوع فالمقصود منهما الأرض والسماء على التوالي، وأما البحر المسجور فهو البحر الهائج المتلاطم الأمواج، كل هذه الأشياء شاهدة على أن يوم المؤاخذة الإلهية قادم ولا ريب، وبهذا النبأ ذاته بعث الله رسله تترى عبر القرون الخالية ، وهو مسجل في كل الكتب السماوية منذ أقدم العصور، كما تعلن عنه السماء والأرض بلغة الصمت والسكون، ويحكي البحر بأمواجه المتلاطمة قصة ذلك لكل سامع !!

إن الإنسان مجزي بعمله لا محالةً ، وهو ينبأ بذلك في الحياة الراهنة كإنذارٍ مسبقٍ، والذين لا يتنبّهون على هذا الإنذار المسبق، فإنما سيفاجئون غداً باستحالة غفلتهم وطغيانهم عذاباً أليماً يحيط بهم من كل جانبٍ بحيث لا يستطيعون دفعه عن أنفسهم ولا يجدون إلى الهرب منه سبيلاً!

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾

فَاكِهِينَ: متلذذين ناعمين مسرورين.

سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ: موصول بعضها ببعض باستواء.

وَزَوَّجْنَاهُم: قرناهم.

بِحُورٍ عِينٍ: بنساء بيض نجل العيون حسانها.

إن أكبر جريمة يرتكبها الإنسان على هذه الأرض تتمثل في تكذيبه للحق ، حيث إنها هي مصدر سائر جرائمه الأخرى ، كما أن الاعتراف بالحق هو حسنة الإنسان الكبرى، إذْ تأتي كل الحسنات الأخرى كثمرة طبيعية لها ، وبالاعتراف بالحق يتحطّم كبرياء الإنسان وتنهار عظمته ، ومن ثم كان ذلك أصعب عملٍ وأشد وطأةً على نفس الإنسان ، ولا ينجح في القيام بحقه إلا من جعلته مخافة الله وتقواه جاداً إلى أقصى حدود الجدية ، والذين يقيمون الدليل على هذه الحسنة الكبرى يستحقون بالأحرى أن تفتح لهم أبواب جنان الخلد والنعيم المقيم !!

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾

وَمَا أَلَتْنَاهُم: ما نقصنا الآباء بهذا الإلحاق.

رَهِينٌ: مرهون عند الله تعالى.

يَتَنَازَعُونَ: يتجاذبون ويتعاورون.

كَأْساً: خمراً. أو إناء فيه خمر.

لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلاَ تَأْثِيمٌ: لا كلام ساقط في أثناء شربها ولا فعل يوجب الإثم.

لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ: مستور مصون في أصدافه.

مُشْفِقِينَ: خائفين من العاقبة.

عَذَابَ السَّمُومِ: نار جهنم النافذة في المسام.

هُوَ البَرُّ الرَّحِيمُ: المحسن العطوف، العظيم الرحمة.

إن كل إنسان سيكون في الآخرة مرهوناً بعمله وحده، فلا يحدث أن يُحمّل شخص شيئاً من ذنوب شخصٍ آخر، ولا أحد يُسمح له بالدخول إلى الجنة بدون الإيمان والعمل الصالح، بيد أن الله سبحانه يمتنّ على أهل الجنة بفضلٍ خاصٍ، هو أن الآباء المؤمنين لو كانوا في درجات عالية، وذريتهم في درجات أخرى دونها، فسوف يُلحق هؤلاء بأولئك، لتقر أعينهم برؤية بعضهم بعضاً، فيزدادوا سروراً إلى سرورٍ.

﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

رَيْبَ المَنُونِ: صروف الدهر المهلكة.

قَوْمٌ طَاغُونَ: متجاوزون الحد في العناد.

تَقَوَّلَهُ: اختلق القرآن من تلقاء نفسه.

إذا كان المرء لا يرغب في قبول دعوةٍ ما، رغم كونه لا يملك في مواجهتها دليلاً أوْ

برهاناً يبرر إنكاره إياها؛ فطالما يلجأ إلى توجيه التهم والعيوب المفتعلة نحو شخص الداعي، ويتخذ بذلك هدفه من ذات المتكلم بدلاً من كلامه، تلك هي النفسية التي دفعت المخاطبين إلى وصف الرسول بأنه شاعر ومجنون وكاهن .. إلخ . لقد كانوا عاجزين عن مقاومة دعوته - عليه الصلاة والسلام - ودحضها بالدليل، ومن ثم راحوا يقولون عنه ما يجعله في ذاته مثار الشك والريبة ! ولكن النبي لا ينطق من عند نفسه ، وإنما يتلقى كلامه من عند الله، والذي يتكلم متلقياً كلامه عن الله، يأتي كلامه فذاً ممتازاً عن كلام الآخرين، لدرجة لا يقدر معها أحد على الإتيان بمثله ، وهذه الواقعة هي الدليل الأكبر على أن كلامه كلام الله، وليس كلاماً إنسانياً مجرداً بالمعنى العادي .

﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

خَزَائِنُ رَبِّكَ: خزائن رزقه ورحمته أو مقدوراته.

هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ: الأرباب الغالبون أو المسلطون.

لَهُمْ سُلَّمٌ: مرقى إلى السماء يصعدون به.

إن الحقائق التي تم إعلانها من جانب الله تتسم كلها بغاية الوضوح والمعقولية ، حيث يستطيع المرء لو تأمل في أن يفهمها فيها يسر وسهولةٍ ، فما السبب إذن في مقابلة الناس إياها بالجحود والإنكار ؟ السبب يرجع إلى عدم تيقن الناس من الآخرة ، فبما أن الناس ليسوا على يقينٍ حيٍ من أنهم سيحاسبون في الآخرة، لا يأخذون هذه الأمور بمأخذ جدي، وبالتالي لا يتمكنون من تفهمها كذلك ، ولو استقر اليقين بحتمية الجزاء

والحساب عن الأعمال يوم القيامة في أعماق المرء، لأدرك من فوره تلك الأشياء التي تستعصي على فهمه وإدراكه الآن !!

﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ: من التزام غرم متعبون.

هُمُ الْمَكِيدُونَ: المجزيون بكيدهم ومكرهم.

إن الشعب المدعو يكون دوْماً على مستوى المادية ، فلو أحسّ المدعو، والحالة هذه، أن الداعي يريد أن يأخذ شيئاً من أشيائه المادية، لابتعد عنه من فوره مرتاباً ومستوحشاً .. ولهذا السبب ذاته يلتزم النبي بالحذر الشديد من أن يثور بينه وبين المخاطبين صراع أوْ نقاش ما حول المطالب المادية أبداً ، وهو يحاول جهده الاحتفاظ بجو النزاهة والسمو على الأغراض بينه وبين من يبلغهم رسالته؛ وإن اضطره ذلك إلى تحمّل خسائر مادية فادحة !!

وإذا برهن الداعي على هذا المقدار من الجدية والإخلاص تجاه دعوته، صار أهلاً لنصرة الله المتمثلة في إحباط كيد المنكرين، ورد مكرهم في نحورهم، وعدم تمكنهم من النجاح في التغلب على الداعي بأي تدبير أوْ وسيلة .

﴿ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

كِسْفاً: قطعة عظيمة.

سَحَابٌ مَّرْكُومٌ: مجموع بعضه على بعض يمطرنا.

فِيهِ يُصْعَقُونَ: يهلكون (يوم بدر).

لاَ يُغْنِي عَنْهُمْ: لا يدفع عنهم.

عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ: عذابا قبل ذلك هو القحط.

ما الذي جعل أهل مكة في قديم الزمان إذا رأوا العذاب في صورة قطعة من السماء تسقط عليهم قالوا : ﴿ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ ؟ ليس السبب في ذلك أنهم لم يكونوا مؤمنين أصلاً بوجود الله أوْ بالقوى الإلهية.. وإنما كان السبب الحقيقي وراء ذلك يرجع إلى كونهم شاكين في نبوة النبي محمد؛ الذي كان يتراءى لهم رجلاً مثلهم تماماً، وبالتالي لم يكونوا على يقين من أن إنكارهم إياه قد يكون جريمة تعرّضهم للهلاك والدمار المحقق !

﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾

بِأَعْيُنِنَا: في حفظنا وحراستنا.

وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ: نزهه تعالى حامداً له.

وَإِدْبَارَ النُّجُومِ: وقت غيبتها بضوء الصباح.

قوله ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ معناه : داوم على تذكير المخاطب واسْتمرّ في العمل على دعوته إلى الحق، رغم كل ما تلقاه من جانبه من ألوان الأذى وسوء المعاملة، وذلك حتى يبلغ عملك حده النهائي في علم الله ، وعندما يأتي هذا الحد يتجلى القضاء الإلهي

تلقائياً لكي يظهر بصورةٍ عمليةٍ الفارق المميز بين الحق والباطل، ذلك الذي كانت المحاولات تجرى لإظهاره من الناحية النظرية وحدها .

ويكون الداعي طوال هذه المدة في حفظ الله وتحت رعايته التامة ، وإنما يجب على الداعي أن يظل متوجهاً دائماً نحو ربه ، واثقاً من أن عين الله تحرسه وترعاه كل حين وآنٍ!!

سورة النجم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨ ﴾

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى: (قسم) بالنجم إذا غرب وسقط.

مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ: ما عدل الرسول عن الحق والهدى (جواب القسم).

وَمَا غَوَى: ما اعتقد باطلا قط.

شَدِيدُ الْقُوَى: أمين الوحي جبريل عليه السلام.

ذُو مِرَّةٍ: قوة أو خلق حسن أو آثار بديعة.

فَاسْتَوَى: فاستقام على صورته الخلقية.

دَنَا: قرب جبريل من النبي ﷺ.

قَابَ قَوْسَيْنِ: قدر قوسين أو ذراعين من النبي ﷺ.

عَبْدِهِ: عبد الله وهو محمد ﷺ.

أَفَتُمَارُونَهُ: أتكذبونه فتجادلونه ﷺ.

نَزْلَةً أُخْرَى: مرة أخرى في صورته الخلقية.

سِدْرَةِ الْمُنتَهَى: التي تنتهي إليها علوم الخلائق.

جَنَّةُ الْمَأْوَى: مقام أرواح الشهداء.

يَغْشَى السِّدْرَةَ: يغطيها ويسترها.

مَا زَاغَ الْبَصَرُ: ما مال بصره عما أمر برؤيته.

وَمَا طَغَى: ما جاوزه إلى ما يؤمر برؤيته.

لَقَدْ رَأَى: ليلة المعراج.

القسم بالنجم إذا هوى - أي انحدر للغروب - فيه إشارة إلى النظام المحكم الدقيق لحركة النجوم والكواكب في الفضاء الهائل، ونظام الكواكب والنجوم هذا واحد من أنظمة الكون المادي التي تتسم بمنتهى الدقة والانضباط، بحيث لا يعتريها أدنى خلل أوْ اضطرابٍ أبداً، مما يتضمن قرينة توحي بأن النظام الروحاني الذي أنشأه الله - سبحانه وتعالى - في صورة الوحي النبوة لابد وأن يكون هو الآخر نظاماً محكماً دقيقاً كذلك.

وتجربة الرسول، من خلال الوحي والملك، تجربة حقيقية واقعة؛ يكفي لإثبات صحتها بيان القرآن وحده، فكلام القرآن المعجز يبرهن على كونه كتاب الله، وإذا أثبت كونه كتاباً إلهياً، فإن كل ما ورد في القرآن الكريم سيُعتبر، فور وروده فيه، بياناً صادقاً موثوقاً به لا يقبل الجدل والمراء!

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ

﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ﴾

أَفَرَأَيْتُمُ: فأخبروني ألهذه الأصنام قدرة.

اللاَّتَ وَالْعُزَّى: أصناماً كانوا يعبدونها في الجاهلية.

وَمَنَاةَ: أصناماً كانوا يعبدونها في الجاهلية.

قِسْمَةٌ ضِيزَى: جائرة أو عوجاء.

أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى: بل إله كل ما يشتهيه – لا.

اللات والعزى ومناة من أصنام العرب في الجاهلية، وقد كانت اللات بالطائف، والعزّى بنخلة بين مكة والطائف، وأما مناة فكانت عند قديد على مقربةٍ من يثرب، وكانوا يعتقدون أن هذه الثلاثة بنات الله، ومن ثم كانوا يعبدونها، والحق أن عقيدة كهذه لا تعدو أن تكون محض فرضية باطلة لا تستند إلى أساسٍ، وهي مناقضة لذاتها، حيث كان أولئك المشركون يكرهون ولادة البنات لأنفسهم، فما أغربه من زعم وأكثره إثارةً للعجب والدهشة أن الله الذي هو خالق البنين والبنات كليهما، يتخذ لنفسه من الولد – لو أراد على سبيل الافتراض – إناثاً دون الذكور !!

﴿ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ شرح ذلك شاه عبد القادر الدهلوي بقوله : "يعني هل ينال الإنسان من عبادة الأصنام والأوثان شيئاً؟ كلا ! وإنما يناله فقط ما يعطيه الله، الذي هو وحده مالك الدنيا والآخرة بلا شريك !!"

﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ

لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾

لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ: لا تدفع، أو لا تنفع.

إن اتخاذ الأصنام المنحوتة من الحجر آلهةً تعبد من دون الله، ووصف الملائكة بأنهم بنات الله، والأمل في دخول الجنة بناءً على الشفاعات المزعومة، كل هذه معتقدات غير جادة، والمعتقدات غير الجادة تنشأ دوْماً في العقل الفارغ من خوف المؤاخذة، والخوف قاتل للغو وفضول الكلام، فمن يخلو من الخوف لا يلبث أن يتحول مخه - بطبيعة الحال- إلى مصنع لفنون اللغو والعبث .

والذين أصيبوا بنفسية اللاخوف من العبث أن تخوض معهم في جدالٍ أوْ مناقشةٍ فكرية، فإنهم قلما يعيرون الدليل والمنطق أي اهتمامٍ، وبالتالي لا يكادون يستعدون للإذعان إلى أمر الحق فالأفضل الإعراض عنهم . بيْد أن الله - سبحانه وهو خالق البشر - خبير بحقيقتهم، مطلع على أحوالهم الظاهرة والخفية كلها، وإنه تعالى سيجازي كل أحد بحسب ذلك جزاء وافياً عادلاً !

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾

وَالْفَوَاحِشَ: ماعظم قبحه من الكبائر.

اللَّمَمَ: صغائر الذنوب.

فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ: فلا تمدحوها بحسن الأعمال.

إن هذا الكون الفسيح وما نشهد فيه من نظامٍ متناهٍ في الإحكام والإتقان ليدل على أن خالقه ومالكه إله قوي جبار إلى حدٍ لا يحيط به الوصف، وهذه الواقعة في ذاتها تكفي لإدراك أنه سيؤاخذ الإنسان حتماً، وعندما يؤاخذ الإنسان فلن يمكنه أن يفلت من قبضته بأي حيلةٍ من الحيل .

وحيث إن الإنسان مخلوق يعاني من شتى ألوان الضعف والنقائص هي مقتضى بشريته، لم يكن مطالباً بأن يقيم الدليل على طهارة مطلقة عن المعاصي كما هو شأن الملائكة الأبرار ، والله - سبحانه وتعالى - إذْ تفضل على الإنسان بإيضاح ما يجب عليه أن يتركه ، فقد أعفاه من "اللّمم " ، وهو يعني : تورط الإنسان في بعض المعاصي والذنوب تحت عاطفة وقتية قاهرةٍ ، بشرط أن يشعر من فوره بالندم على ما اقترفه من سوء فيرجع إلى ربه تائباً، ومستغفراً !

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾

وَأَكْدَى: قطع عطيته بخلا.

الَّذِي وَفَّى: أتم وأكمل ما أمر به.

تَزِرُ وَازِرَةٌ: لا تحمل نفس آثمة.

المُنتَهَى: المصير في الآخرة للجزاء.

هناك أناس كثيرون يرغبون إلى الحق قليلاً، ثم لا يلبثون أن تغلب عليهم مصالحهم المادية، فإذا بهم ينقلبون على أعقابهم راجعين إلى ما كانوا عليه قبلئذٍ، وربما يصطنع هؤلاء بعض العقائد الجميلة تبريراً لمواقفهم الخاطئ، ولكن هذا التبرير إنما يضاعف قبح جريمتهم، لأنه بمثابة زيادة الطغيان على الخطأ !!

والحقيقة التي كشفها الله سبحانه وتعالى بواسطة رسله تتلخص في أن كل إنسان مجزي بعمله لا محالةً، فلا أحد يستطيع أن ينقذ نفسه أوْ غيره من عاقبة ما قدمت يداه، وعليه، فليس ثمة أشد غباء وحماقةً في هذا العالم من الذين لا يتنبّهون ولا يفيقون من غفلتهم رغم هذا التحذير الإلهي المتكرر على ألسنة الأنبياء على تعاقب العصور والأجيال، والذي تم إعلانه مجدداً وبصورة نهائية من خلال هذا القرآن الكريم !!

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾

تُمْنَى: تدفق في الرحم.

النَّشْأَةَ الأُخْرَى: الإحياء بعد الإماتة كما وعد.

وَأَقْنَى: أفقر، أو أرضى بما أعطى.

الشِّعْرَى: كوكب معروف كانوا يعبدونه في الجاهلية.

كل واقعة من وقائع الدنيا تتعلق بأسباب ما ورائية فوق الطبيعية، بحيث لا يقدر

على إظهارها أحد غير الله - عز وجل - فالحياة والموت، والسرور والحزن، والغنى والفقر، وما يلاحظ في هذا الكون من نظام بديع مدهش، كل ذلك من مظاهر قوة أسمى وأعظم، وقد كان الإنسان في قديم الزمان ينظر إلى النجوم على أنها علة الحياة، ثم جاء العصر الحديث الذي برزت فيه فلسفات ومذاهب اعتبرت نواميس الطبيعة علة الوجود والحياة، ولكن الحقيقة أن هناك علةً أيضاً وراء هذه العلل والأسباب الظاهرة، ألا وهي الله رب العالمين، فكيف يسوغ للإنسان إذن، أن يجعل من أحدٍ سواه مركز اهتمامه وتوجهاته !!

﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾

عَاداً الأُولَى: قرى قوم هود عليه السلام.

وَثَمُودَ: قرى قوم صالح عليه السلام.

وَالمُؤْتَفِكَةَ: قرى قوم لوط عليه السلام.

أَهْوَى: أسقطها إلى الأرض بعد رفعها.

فَغَشَّاهَا: ألبسها وغطاها بأنواع من العذاب.

آلاءِ رَبِّكَ: نعمه تعالى ودلائل قدرته.

تَتَمَارَى: تتشكك.

إننا نرى في الأرض شعباً يحالفه التوفيق للأخذ بأسباب الرقي والتقدم، فلا يلبث أن يبرز ويتفوق على الشعوب الأخرى، لدرجة يكاد يبدو معها مستحيلاً أن يقهره أوْ

يتغلب عليه أحد ، ثم تظهر بعد ذلك عوامل شتى تتسبب في تعريض هذا الشعب الراقي، وهو في قمة مجده وازدهاره، للفناء أو التدهور والانحطاط بحيث يعود حديثاً يُروى وموضوعاً لا يهم إلا المؤرخين !! وهذه الواقعة تدل على أن هناك قوة فوق البشر هي التي تحسم مصائر الشعوب والأمم ، ولو أن وقائع التاريخ الصارخة هذه لم تنجح في فتح عيون الإنسان، فمن أي واقعةٍ بعدها سيستفيد الإنسان درساً أوْ عبرةً !؟

﴿ هَـٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَـٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾ ﴾

أَزِفَتِ الآزِفَةُ: اقتربت الساعة ودنت.

كَاشِفَةٌ: نفس تكشف أهوالها وشدائدها.

وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ: لاهون غافلون.

يتضح من تاريخ الأنبياء والمرسلين، كما حكاه القرآن الكريم، أن إنكار الحق وعاقبته الوخيمة ملتصقان أحدهما بالآخر كإصبعين من أصابع اليد ، فلو كان ضمير المرء حياً لرأى بطش الله قادماً نحوه حالما يضع أولى خطواته على طريق الإنكار والطغيان، فلا يلبث بالتالي أن يعود لتوِّه إلى حظيرة الطاعة والانقياد منصرفاً عن اتجاه الطغيان، غير أن الإنسان غارق في اللهو والغفلة إلى حد أنه لا يكاد يرى حتى الشيء الماثل أمام ناظريْه !!

سورة القمر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ﴾

وَانشَقَّ القَمَرُ: قد انفلق فلقتين معجزة له ﷺ .

سِحْرٌ: دائم. أو محكم أو ذاهب.

مُّسْتَقِرٌّ: منته إلى غاية يستقر عليها.

مُزْدَجَرٌ: ازدجار وانتهار وردع عما هم فيه من الكفر والضلال.

النُّذُرُ: الرسل أو الأمور المخوفة لهم.

شَيْءٍ نُّكُرٍ: منكر فظيع (هول القيامة) .

خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ: ذليلة خاضعة من شدة الهول.

الأَجْدَاثِ: القبور.

مُهْطِعِينَ: مسرعين مادي أعناقهم.

يَوْمٌ عَسِرٌ: صعب شديد لعظم أهواله.

يُظهر الله سبحانه من حين لآخر في عالمنا الراهن وقائع وأحداثاً من شأنها أن تقرب إلى الأفهام كيفية وقوع القيام مسبقاً ، وقد حدثت واقعة كهذه على عهد رسول الله ﷺ قبل الهجرة بسنوات عدة ، إذْ رأى الناس بأعينهم أن القمر قد انشق فلقتيْن ، فقال الرسول ﷺ للناس : " اشهدوا"؛ موجهاً أنظارهم إلى أنه كما رأيتم القمر ينشق، فكذلك سيتحطم هذا العالم بأسره، ثم يعاد بناؤه وترتيبه من جديدٍ !!

ومثل هذه الوقائع تنطوي حقاً على دروسٍ وعبر لا تُثمن ، ولكن الاعتبار بها لا يمكن إلا إذا وقف الإنسان عندها يتأمل ويتدبر ، وأما الذين تمكنت منهم أهواؤهم، فسيعرضون عنها قائلين : " إنها سحر" ، وقد يفسرون تلك الوقائع على هواهم بحيث لا تعود تؤثر في نفوسهم أوْ تحرك منهم ساكناً ، ومع أناسٍ كهؤلاء لا يجدي أي دليلٍ مهما بلغ من القوة والوضوح والجلاء .

﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝١٦ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧ ﴾

وَازْدُجِرَ: زجر عن تبليغ رسالته بالسب وغيره.

مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ: مقهور فانتقم لي منهم.

أَبْوَابَ السَّمَاءِ: السحاب.

بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ: منصب بشدة وغزارة.

وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ: شققناها.

أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ: قدرناه أزلاً (هلاكهم بالطوفان).

وَدُسُرٍ: مسامير تشد بها الألواح.

تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا: بحفظنا أو بمرأى منا أو بأمرنا.

تَّرَكْنَاهَا آيَةً: أبقينا ذكرها عبرة وعظة.

مُّدَّكِرٍ: معتبر متعظ بها.

وَنُذُرِ: إنذاري.

لقد كانت أنظار السادة والأكابر من قوم نوحٍ معلقةً بأمجادهم الكاذبة ومظاهر كبريائهم الجوفاء، فلم يستعدوا للاعتراف بنوح عليه السلام، وكان من نتيجة ذلك أن وقعوا تحت العذاب الإلهي، وقد حل بهم هذا العذاب في صورة فيضان هائل، غرقوا فيه بقضهم وقضيهم، ولم ينجُ من الهلاك سوى نوحٍ وأتباعه المؤمنين بدعوته، حيث ركبوا كلهم بإذن الله في سفينةٍ ظلت تجري بهم في موجٍ كالجبال إلى أن استقرت على جبل أراراط.

وأما أراراط فهو أعلى جبال تركيا، يقع بشرقي الأناضول قرب الحدود الإيرانية الروسية، يبلغ ارتفاع قمته ١٦٨٥٣ قدماً، ويحكي بعض الطيارين الذين اتفق لهم الطيران من فوق قمة أراراط الثلجية أنهم قد لمحوا هناك شيئاً منغرزاً وسط الثلوج، وهو أشبه ما يكون بالسفينة، وإنْ صحّ هذا فمعناه أن سفينة نوح هي الأخرى ربما يتم اكتشافها يوماً لتكون للناس آية من آيات الله، تماماً كما أمكن العثور على جثة فرعون التي ظلت مدفونةً بالأهرام حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي فصارت آية الله، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ

كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يونس] .

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

رِيحاً صَرْصَراً: شديدة السموم أو البرد أو الصوت.

يَوْمِ نَحْسٍ: شؤم عليهم.

مُّسْتَمِرٍّ: دائم نحسه. أو محكم أو بشع.

تَنزِعُ النَّاسَ: تقلعهم من أماكنهم وترمي بهم.

أَعْجَازُ نَخْلٍ: أصوله بلا رؤوس.

مُّنقَعِرٍ: منقلع عن قعره ومغرسه.

عندما حقت كلمة العذاب على قوم عاد، سلط الله عليهم ريحاً عاصفة شديدة لدرجة لم يعودوا معها يقوَوْن على التماسك أوْ الاستقرار على الأرض، وقد كانت العاصفة ترفعهم في الهواء ثم تقذف بهم هنا وهناك بحيث يصطدم هذا بالحائط وهذا بالشجر .. بينما انهار السقف على بعضهم من فوقه فاندفن حياً تحت أنقاض داره !! ولقد كان ذلك إعلاناً بأن الإنسان عاجز مطلق؛ لا يملك إزاء الله - عز وجل - أي نوعٍ من الخيار أوْ القدرة .

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ

﴿ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾

وَسُعُرٍ: شدة عذاب ونار أو جنون.

كَذَّابٌ أَشِرٌ: بطر متكبر.

فِتْنَةً لَّهُمْ: امتحانا وبلاء لهم.

وَاصْطَبِرْ: اصبر على آذاهم ولا تعجل.

قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ: مقسوم بينهم وبين الناقة.

كُلُّ شِرْبٍ: كل نصيب وحصة من الماء.

مُّحْتَضَرٌ: يحضره صاحبه في نوبته.

فَتَعَاطَى: فتناول الناقة بسيفه اجتراءً منه.

كَهَشِيمِ: كاليابس المفتت من شجر الحظيرة.

الْمُحْتَظِرِ: صانع الحظيرة (الزريبة) لمواشيه من هذا الشجر.

كانت ناقة الله المرسلة فتنةً واختباراً لقوم ثمود كناقة عادية في ظاهر الأمر، ولذلك لم يستطيعوا التعرف عليها ولا قدروها حق قدرها، بل أقدموا على قتلها ظلماً وعدواناً ! فعاقبهم الله على ذلك، فأبادهم عن آخرهم، ولم تبق لهم باقية!

إن القرآن الكريم - وإنْ كان كتاباً يحوي معاني عميقة - إلا أن أسلوبه البيان يتسم بمنتهى الوضوح، وبسبب هذا الوضوح فقد صار تفهم القرآن سهلاً ميسراً على كل

من يقرؤه بجدية وإمعانٍ، سواء أكان من عامة الناس أم من المثقفين والمتعلمين .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

حَاصِباً: ريحا ترميهم بالحصباء.

نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ: عند انصداع الفجر.

فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ: فكذبوا بها متشاكين.

رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ: طلبوا منه تمكينهم منهم.

فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ: أعميناهم أو أزلنا أثرها بمسحها.

بُكْرَةً: أول النهار.

لما نهض لوط عليه السلام يدعو قومه إلى الحق، آمن به بعضهم؛ حيث رضوا بالعيش صغيرين أمام الحق باعتباره كبيراً ومقدماً على أهوائهم، وأما أكثرهم فلم يستعدوا لذلك، فبدلاً من الاعتراف بالأدلة والبراهين الساطعة حاولوا دحضها بإثارة مجادلات كلامية عقيمة ، وهذا الموقف تجاه دعوة الحق جريمة جد عظيمة، ومن ثم لم يلبثوا أن تعرضوا جميعاً للبطشة الإلهية الشديدة، ماعدا المعترفين القلائل، وهذا مثال واقعي على أن المنكرين للحق إنما ينتظرهم هنا الهلاك والدمار، بينما يفوز المعترفون بالحق بالنجاة والخلاص !

﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ ﴾

فِي الزُّبُرِ: في الكتب السماوية.

لقد كان فرعون ملكاً في منتهى القوة والجبروت في عصره ، ولكنه صار عند الله تافهاً عديم القيمة بوقوفه من الحق موقف الرفض والإنكار ، فما لبث أن أُهلك كإنسان عاجز ذليل، وإن من يقف إلى جانب الحق في هذا العالم هو القوي، ومن يقف ضد الحق هو الضعيف العاجز !!

﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ ﴾

نَحْنُ جَمِيعٌ: جماعة. مجتمع أمرنا.

مُّنتَصِرٌ: ممتنع ، لا نغلب.

وَالسَّاعَةُ أَدْهَى: أعظم داهية وأفظع.

وَأَمَرُّ: أشد مرارة من عذاب الدنيا.

وَسُعُرٍ: نيران مسعرة أو جنون.

لقد كان للمكذبين نبى آخر الزمان ﷺ عظة بالغة فيما جرى على المكذبين بالأنبياء السابقين من قبل ، ولكنهم لم يتعظوا بأحداث الماضي، وهذا هو شأن كل الأمم

والشعوب في هذه الأرض ، فكل أمة تعدّ نفسها " استثناءً " ، وفي أمانٍ كاملٍ على الرغم من توافر الآيات الواضحة، المبطلة لمثل هذه المزاعم ، مما يجعل كل أمةٍ تسلك بدورها مسلك الطغيان نفسه ، الذي سلكته الأمم السابقة، فاستحقت بذلك عذاب الله !!

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۢ ﴿٥٥﴾ ﴾

خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ: بتقدير سابق أو مقدَّرًا محكما .

إِلاَّ وَاحِدَةٌ: كلمة واحدة وهي " كن" .

أَشْيَاعَكُمْ: أمثالكم في الكفر.

الزُّبُرِ: كتب الحفظة.

مُّسْتَطَرٌ: مسطور مكتوب في اللوح المحفوظ.

مَقْعَدِ صِدْقٍ: مكان مرضي.

لكل شيء في هذا العالم ضابط معين لا ينفك عنه ، وينسحب هذا المبدأ على الإنسان كذلك ، فقد أتيح للإنسان فرصة العمل في هذه الأرض وفق ضابط محددٍ، ثم يتم إخراجه، بموجب هذا الضابط نفسه، من مكان العمل هذا إلى مكان الجزاء ، وآثار قدرة الخالق التي نشهدها في أرجاء الكون الحالي كافية لإقناعنا بأن هذا الأمر سيتحقق في موعده المقرر له دون تأخير أوْ تأجيلٍ . وهكذا فإن وجود نظام التسجيل الدقيق في العالم الراهن هو إعلان مسبق بحقيقة أن كل أحدٍ إنما سيُعامل في الآخرة بحسب عمله

خيراً أوْ شراً .

النجاح والشرف سيفوز بهما في الآخرة الجالسون على مقعد الصدق وحده، أي الذين وقفوا بأنفسهم على أرضية الصدق في واقع الأمر ، وظهور القدرة الإلهية على أكمل الوجوه في الآخرة سيعود كفيلاً بتفادي وقوع أي اختلاطٍ في القيم والموازين؛ فلن يغني الجلوس على غير مقعد الصدق يومئذٍ عن صاحبه شيئاً !

سورة الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩ ﴾

عَلَّمَ الْقُرْآنَ: علم الإنسان القرآن.

بِحُسْبَانٍ: يجريان بحساب مقدر في بروجهما.

وَالنَّجْمُ: النبات الذي ينجم ولا ساق له.

يَسْجُدَانِ: ينقادان لله فيما خلقا له،

وَوَضَعَ الْمِيزَانَ: شرع العدل وأمر به الخلق.

أَلاَّ تَطْغَوْا: لئلا تتجاوزوا العدل والحق.

بِالْقِسْطِ: بالعدل.

وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ: لا تنقصوا موزون الميزان.

إن الله سبحانه خلق الإنسان، وزوّده بقدرة النطق الفذة التي لا يتمتع بها أحد سواه في الكون المعلوم ، ثم إنه تعالى قد وضع نموذجاً عملياً في هذا الكون للمسلك العادل المطلوب من الإنسان ، إن هذا الكون المحيط بالإنسان يقوم بأكمله

على مبدأ العدل ذاته الذي يطلبه الله من البشر ، ولقد جاء القرآن الكريم يبين هذا العدل نفسه بصورة لفظية واضحةٍ ، فالقرآن إذن تعبير لفظي مقروء عن العدل الإلهي، بينما الكون تعبير عملي منظور عن العدل الإلهي ، والآن، فمن واجب العباد أن يزنوا أقوالهم وأفعالهم دائماً بهذا الميزان ؟ فلا يجوروا في الأخذ ولا في العطاء !!

﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ ﴾

وَالأَرْضَ وَضَعَهَا: خلقها مخفوضة عن السماء.

ذَاتُ الأَكْمَامِ: أوعية الثمر وهي الطلع.

ذُو العَصْفِ: القشر أو التبن أو الورق اليابس.

وَالرَّيْحَانُ: النبات المشموم الطيب الرائحة.

آلاءِ رَبِّكُمَا: نعمه تعالى.

تُكَذِّبَانِ: تكفران أيها الثقلان.

صَلْصَالٍ: طين يابس يسمع له صلصلة.

كَالْفَخَّارِ: هو الطين يحترق حتى يتحجر.

مَارِجٍ: لهب صاف لا دخان فيه.

مَرَجَ البَحْرَيْنِ: أرسل العذب والملح في مجاريهما.

يَلْتَقِيَانِ: يتجاوزان أو يلتقي طرفاهما.

بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ: حاجز أرضي أو من قدرته تعالى.

لاَّ يَبْغِيَانِ: لا يطغى أحدهما على الآخر .

وَلَهُ الجَوَارِ: السفن الجارية.

المُنشَآتُ: المرفوعات الشرع (القلوع) .

كَالأَعْلامِ: كالجبال الشاهقة.

يتكون الجزء الأكبر من كوننا هذا من النّجوم التي هي كرات نارية هائلة ، وقد خُلق الجن من هذه المادة النارية ، وأما الإنسان، فقد صنعه الله من التراب الذي هو أندر شيءٍ في هذا الكون الفسيح . إن الأرض استثناء فذ في هذا الكون ، حيث وُفرت هنا كل العناصر والأسباب بنسبها المتوازنة للغاية، تلك التي كان لابد منها لاستمرار حياة مخلوقٍ كالإنسان وتمكنه من بناء المدنية والحضارة على ظهرها ، ومن جملة هذه التدابير وجود " المشرقين " و" المغربين " في الأرض ، فموضع شروق الشمس وغروبها في فصل الشتاء يكون مختلفاً عنه في الصيف ، وهكذا تتعدد هنا المشارق والمغارب ، وهذا التغير الموسمي (المناخي) ينشأ عن ميْل الأرض المحوريّ وهو ظاهرة نادرة جداً في هذا الكون؛ ويترتب عليه ما لا يحصى من فوائد حياتية وتمدّنية للإنسان .

إن هذا الاستثناء المتمثل في الكائن البشري والكوكب الأرضي فى هذا الكون المترامي الأطراف إلى حدٍ لا يُتصور، هذا الاستثناء مظهر عظيم من مظاهر قدرة الله وفضله وإنعامه، لدرجة أن الإنسان لن يقدر على أداء واجب الشكر نحوه على أية

حالٍ !!

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ ﴾

فَانٍ: هالك.

ذُو الجَلالِ: العظمة والاستغناء المطلق.

وَالإِكْرَامِ: الفضل التام.

فِي شَأْنٍ: يأتي بأحوال ويذهب بأحوال بالحكمة.

يتضح من دراسة الكون أن كل شيءٍ فيه معرض للفناء .. ووجود الأشياء، رغم كونها عرضةً للفناء، يثبت أن خالقها ومدبّرها إله غير فانٍ، إذْ لم تكن هذه الأشياء لتُوجد البتة، لو كان الخالق فانياً، أوْ لكانت - إن وُجدت -قد تلاشت ومُحيت من الوجود تماماً حتى الآن ! كما تدلنا دراسة الكون أيضاً على أن شيئاً من أشياء هذا العالم لا يتمتع بصلاحية الخلق والإيجاد ، ومعنى هذا أن الأشياء لم تخل بنفسها ما هي في حاجةٍ إليه لبقاء وجودها ، وهذا الواقع يشهد مرة أخرى بقدرة الخالق اللامتناهية ، وهذه الحقائق تبلغ من الوضوح والجلاء حداً لا يمكن معه لأي رجلٍ جادٍ أن يتناولها بالتكذيب والإنكار .

إن آيات الله متوافرة في أرجاء هذا الوجود بكثرة ، بحيث لا يستطيع إنسان جاد أن يتجاهلها أوْ يعرض عنها ، بيْد أن الإنسان ظالم لدرجة أنه لا يتحرج من إنكار الآيات وهي تغمره وتحيط به من كل جانبٍ !

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ ﴾

سَنَفْرُغُ لَكُمْ: سنقصد لمحاسبتكم بعد الإمهال.

أَيُّهَا الثَّقَلانِ: الإنس والجن.

تَنفُذُوا: تخرجوا هربا من قضائي.

فَانفُذُوا: فاخرجوا (أمر تعجب).

بِسُلْطَانٍ: بقوة وقهر. وهيهات .

شُوَاظٌ: لهب خالص لا دخان فيه.

وَنُحَاسٌ: صفر مذاب أو دخان بلا لهب.

بالرغم من الحرية التي أعطاها الله للإنس والجن إلا أنه ليس في مقدور أيٍ منهم أن يخرج من حدود الكون ويذهب إلى ما وراءها ... ! وهذه الواقعة في ذاتها كافية للبرهنة على أن الإنسان في قبضة الله وتحت سيطرته الكاملة ، ومن ثم فحين يبطش الله بالناس، بعد انتهاء فترة الامتحان، لن يتمكن أحد من أن يفلت من يده عز وجل .

﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ ﴾

فَكَانَتْ وَرْدَةً: كالوردة في الحمرة.

كَالدِّهَانِ: كدهن الزيت في الذوبان.

بِسِيمَاهُمْ: بسواد الوجوه ، وزرقة العيون.

فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي: بشعور مقدم الرؤوس.

حَمِيمٍ آنٍ: ماء حار تناهى حره.

إن الإنكار والطغيان ينشآن دوماً عن انعدام الخوف ، وسوف ينسى المجرمون تمردهم وطغيانهم بالمرة عندما يفاجئون بلحظة القيامة الرهيبة ، وسوف يبادرون يومئذٍ إلى الإقرار والتسليم بالحق الذي كانوا لا يستعدون للتسليم به في الحياة الدنيا، رغم توفر الأدلة والبراهين القوية على ظهره ، غير أن التسليم ساعتئذٍ لن يغني عن صاحبه شيئاً ، إذْ المطلوب هو الإيمان لقدرات الله وهي في الغيب ، لا بعد أن صارت ظاهرة ماثلةً للعيان !!

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ

وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾

جَنَّتَانِ: بستان داخل القصر وآخر خارجه.

ذَوَاتَا أَفْنَانٍ: أغصان، أو أنواع من الثمار.

عَيْنَانِ: التسنيم والسلسبيل.

زَوْجَانِ: صنفان معروف وغريب.

إِسْتَبْرَقٍ: غليظ الديباج.

وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ: ما يجنى من ثمارهما.

دَانٍ: قريب من يد المتناول.

قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ: قصرن أبصارهن على أزواجهن.

لَمْ يَطْمِثْهُنَّ: لم يفتضهن قبل أزواجهن.

للجنة حسب التقسيم الإجمالي العريض، درجتان كبيرتان ، وقد ذكرت الآيات هنا أولى هاتين الدرجتين، وهي تتألف من جنتيْن تحتويان على نعيمٍ من الطراز الملوكي ، وهذا النعيم الأسْنى إنما سيفوز به أناس كانوا لسيطرة شعور الله عليهم ودوام استحضاره قد أقاموا أنفسهم في الحياة الراهنة ذاتها بين يدي الله، وبالتالي أقاموا الدليل على الصلة بربهم وعبادته إلى حدّ الإحسان!!

﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا

تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ: أعلى أو أدنى من السابقتين.

مُدْهَامَّتَانِ: خضراوان شديدتا الخضرة.

نَضَّاخَتَانِ: فوارتان بالماء لا تنقطعان.

خَيْرَاتٌ حِسَانٌ: خيرات الأخلاق حسان الوجوه.

حُورٌ: نساء بيض حسان.

مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيَامِ: مخدرات في بيوت من اللؤلؤ.

رَفْرَفٍ: وسائد ذات فرش مرتفعة.

وَعَبْقَرِيٍّ: بسط ذات خمل رقيق.

تَبَارَكَ: تعالى أو كثر خيره وإحسانه.

ذِي الجَلالِ: العظمة والاستغناء المطلق.

وَالإِكْرَامِ: الفضل التام والإحسان .

تصف هذه الآيات الدرجة الثانية من الجنة، وهي بدورها تتألف - كالدرجة الأولى- من جنتيْن اثنتين، وهما لعامة المتقين ، وإن ما فيهما من نعيمٍ ومتاعٍ ، وإن كان

سيكون، بالقياس إلى النعم الدنيوية، كثيراً وفائقاً إلى حدٍ لا يوصف، إلا أنه سيكون دون نعيم ومتاع الدرجة الأولى السابقة الذكر ، وبالجملة ستكون الجنة، بكلتا درجتيْها، كما يليق بجلال خالق الكون ومالكه الذي تجلت آثار قدرته ودلائل عظمته في العالم الراهن بحيث يراها اليوم كل ذي بصرٍ وبصيرةٍ !!

سورة الواقعة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ ﴾

وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ: قامت القيامة بنفخة البعث.

كَاذِبَةٌ: نفس كاذبة تنكر وقوعها.

خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ: هي خافضة للأشقياء رافعة للسعداء .

رُجَّتِ الأَرْضُ: زلزلت وحركت تحريكا بشدة.

وَبُسَّتِ الجِبَالُ: فتتت كالسويق الملتوت.

هَبَاءً مُّنْبَثّاً: غباراً متفرقاً منشرا.

وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً: أصنافاً.

إن الإنسان يرى في حياته الراهنة أنه حر ليفعل ما يشاء ، مما يجعله يستبعد الآخرة ولا يكاد يصغي إلى الحديث عما سيكون هناك من حسابٍ وجزاءٍ ، غير أن بناء العالم الآخر ممكن الوقوع تماماً كواقعة بناء العالم الحالي .

وحين يأتي يوم القيامة ستنقلب الأوضاع وتتغير الموازين والقيم كلها ، وحيث تتبدل أقدار الناس فيعود أعلاهم أسفل وأسفلهم أعلى ، وسينقسم الناس يومئذٍ، بحسب أعمالهم، إلى أصنافٍ ثلاثة : السابقين، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال .

﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ ﴾

فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ: اليمن والبركة. أو ناحية اليمين.

ثُلَّةٌ: هو أمة من الناس كثيرة.

سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ: منسوجة من الذهب بإحكام.

وَلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ: مبقون على هيئة الولدان في البهاء.

بِأَكْوَابٍ: أقداح لها عرى وخراطيم.

وَأَبَارِيقَ: أوان لها عرى وخراطيم.

وَكَأْسٍ: خمر أو قدح فيه خمر.

مِن مَّعِينٍ: خمر جارية من العيون.

لاَ يُصَدَّعُونَ عَنهَا: لا يصيبهم صداع بشربها.

وَ لاَ يُنْزِفُونَ: لا تذهب عقولهم بسببها.

وَحُورٌ عِينٌ: نساء بيض واسعات الأعين حسانها.

اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ: المصون في أصدافه مما يغيره.

لَغْواً: كلاما لا خير فيها أو باطلاً.

وَلاَ تَأْثِيماً: ولا نسبة إلى الإثم أو لا ما يوجبه.

السابقون هم : الذين يتقبلون الحق فور ظهوره أمامهم، وبالتالي يُسَخِّرون أنفسهم وكل ما يملكون للحق دون تحفظٍ أوْ ترددٍ . وقد روت السيدة عائشة عن النبي - ﷺ- أنه قال : " أتدرون من السابقون إلى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله ؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : "الذين إذا أُعطوا الحق قبلوه، وإذا سُئلوه بذلوه ، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم " [1].

والذين يبادرون إلى قبول الإسلام في أولى مراحل الدعوة، يكون الإسلام بالنسبة إليهم نوعاً من الاكتشاف، بينما هو يكون بالنسبة إلى أجيالهم اللاحقة شيئاً وراثياً ، وهذا الفارق الجوهري بين الاكتشاف والوراثة هو الذي يجعل الرعيل الأول أعلى مرتبةً ممن يأتي بعده ، ومع كون الطائفة الأولى أقل الطائفة الأخيرة أكثر عدداً بطبيعة الحال، إلا أن نعيم الأولى في الآخرة سيكون أعلى من الأخرى !!

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

فِي سِدْرٍ: في شجر النبق يتنعمون به .

---

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ٢٨٣ .

مَّخْضُودٍ: مقطوع شوكه.

وَطَلْحٍ: شجر الموز أو مثله.

مَنضُودٍ: نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه.

وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ: دائم لا يتقلص أو ممتد منبسط.

وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ: مصبوب يجري في غير أخاديد.

مَرْفُوعَةٍ: على الأسرة أو منضدة مرتفعة.

عُرُباً: متحببات إلى أزواجهن.

أَتْرَاباً: مستويات في السن.

أما أصحاب اليمين فالمراد بهم : عامة أهل الجنة ، وينخرط في سلكهم كل أولئك الذين كانوا صالحين من حيث اعتقادهم وسلوكهم وعملهم ، وإنهم ، وإنْ لم يبلغوا المستوى الشعوري الأعلى من الإيمان، إلا أنهم كانوا مخلصين صادقين في الولاء لله ولرسوله، وظلوا ثابتين على جادة العدل والتقوى طيلة حياتهم الدنيوية ، وسيحتوي هذا الصنف على عددٍ كبير من الأولين ، كما سيضم عدداً كبيراً من الآخرين كذلك .

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ

ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾

سَمُومٍ: ريح شديدة الحرارة تدخل المسام.

وَحَمِيمٍ: ماء بالغ الحرارة.

يَحْمُومٍ: دخان شديد السواد أو نار.

وَلَا كَرِيمٍ: لا نافع من أذى الحر.

مُتْرَفِينَ: منعمين متبعين أهواء أنفسهم.

الحِنثِ: الذنب العظيم – الشرك.

زَقُّومٍ: شجر كريه جداً في النار.

شُرْبَ الهِيمِ: الإبل العطاش التي لا تروى.

هَذَا نُزُلُهُمْ: ما أعد لهم من الجزاء.

يَوْمَ الدِّينِ: يوم الجزاء (يوم القيامة).

وأما أصحاب الشمال فهم: الذين يُحكم عليهم بالعذاب، لقد غرتهم الأشياء التي كانت قد أتيحت لهم في الدنيا على وجه الامتحان والابتلاء، وسيُعتبر أمثال هؤلاء أهلاً لأقسى ألوان العذاب والنكال في يوم الدينونة الكبرى!!

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ

لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

أَفَرَأَيْتُم: أخبروني.

مَا تُمْنُونَ: المني الذي تقذفونه في الأرحام.

تَخْلُقُونَهُ: تصورونه بشراً سويا.

بِمَسْبُوقِينَ: بمغلوبين عاجزين.

مَا تَحْرُثُونَ: البذر الذي تلقونه في الأرض.

تَزْرَعُونَهُ: تنبتونه حتى يشتد ويبلغ الغاية.

حُطَاماً: هشيما متكسرا لا ينتفع به.

تَفَكَّهُونَ: تتعجبون من سوء حاله ومصيره.

إِنَّا لَمُغْرَمُونَ: مهلكون بهلاك رزقنا.

مَحْرُومُونَ: ممنوعون الرزق بالكلية.

الْمُزْنِ: السحاب أو الأبيض منه.

جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً: ملحا زعاقا أو مراً لا يمكن شربه.

النَّارَ الَتِي تُورُونَ: تقدحون الزناد لاستخراجها.

تَذْكِرَةً: تذكير لنار جهنم.

وَمَتَاعاً لِّلْمُقْوِينَ: منفعة للمسافرين في القواء (الفقر) أو المحتاجين إليها.

إن تخلق الجنين البشري ونموه في رحم المرأة، وخروج النبات والزرع من باطن الأرض، ونزول المطر من السحاب، وحصول النار من الوقود، كل ذلك من عند الله مباشرةً، فينبغي للإنسان، وهو ينتفع بهذه النعم الجليلة، أن يشكر الله، باعتبارها هبةً منه تعالى وفضلاً، وليس بنتاج عمله وجهده الذاتي!

وفي هذه الوقائع عظات لا تُحصى لمن يقف عندها وقفة تأملٍ، فهي تتضمن دليل الحياة الثانية التي تلي حياتنا الراهنة، كما أن فيها آيةً على أن الذي أعطاها قادر على أن يسلبها كذلك، ويتضح لنا هذا الأمر في أجلى صوره عندما نتدبر، مثلاً، قضية الماء الذي نشربه، إن ذخائر المياه توجد على هذا الكوكب الأرضي بشكل البحار والمحيطات، ومعظمها مالح، فالبحار تحتوي على حوالي ٩٨ في المائة من الماء الموجود في الأرض، وتسعة أعشارها ملح، وإنه لمن معجزات الناموس الإلهي الذي يجعل ماء البحر إذا تبخّر تحت حرارة الشمس يرتفع في الجو خالصاً تاركاً الملح تحته، والحقيقة أن عملية المطر هي عملية كونية هائلة لإزالة الملوحة. ولولا هذا التدبير الطبيعي لصار الماء بكافة أشكاله مالحاً كماء البحر؛ حتى لكانت الثلوج فوق الجبال والمياه الجارية في الأنهار هي الأخرى ملحاً أجاجاً، وبالتالي تعذر على البشر الحصول على الماء العذْب السائغ رغم تواجد كتلةٍ مائية ضخمةٍ من حولهم تغمر نحو ثلاثة أرباع سطح الكرة الأرضية، والتفكير في هذا الواقع حقيق بأن يملأ صدر الإنسان بمشاعر الحمد والشكر والتمجيد لله رب العالمين!

﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا

ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾

فَلاَ أُقْسِمُ: فأقسم و"لا" مزيدة للتأكيد.

بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ: بمغاربها أو منازلها.

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ: نفاع جم المنافع. أو رفيع القدر.

كِتَابٍ مَّكْنُونٍ: مستور مصون عند الله في اللوح المحفوظ من السوء.

لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ: صفة أخرى للقرآن.

أَنتُم مُّدْهِنُونَ: متهاونون أو مكذبون.

وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ: شكركم على الإنعام به.

المواقع صيغة جمع مفردها موقع، وهو اسم مكان معناه موضع الوقوع أوْ السقوط ، ومن ثم يقال للموضع الذي يسقط فيه المطر : مواقع القطر . وربما يكون المراد بمواقع النجوم هنا أفلاكها . حيث يوجد في الفضاء الكوني الهائل ما لا عداد له ولا حصر من الكواكب والنجوم الضخمة، وكلها تدور في أفلاكها بمنتهى الدقة .

وهذا الحدث عظيم إلى حدٍ مذهل ، وإن من ينظر في هذا النظام الفضائي بجديةٍ سوف لا يجد بداً من الاعتراف بأن خالق هذا الكون عظيم إلى حدٍ لا يحيط به الوصف . إذن، فالكتاب الذي جاء من لدن خالقٍ هذا شأنه، سيكون بدوره عظيماً بكل تأكيدٍ .. وليس من شكٍ في أن القرآن كتاب عظيم بأعمق معاني هذه الكلمة .

﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ : بلغت الحلقوم عند الموت .

وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ : بعلمنا وقدرتنا.

غَيْرَ مَدِينِينَ : غير مربوبين مقهورين.

إذا بلغت الروح عند الحلق وذلك حين الاحتضار ، وأنتم حينئذ تنظرون إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت ، ونحن أقرب إليه منكم بملائكتنا ولكن لا ترونهم ، فلولا إن كنتم غير مصدقين أنكم تدانون وتبعثون وتجزون فردوا هذه النفس إلى مكانها الأول ومقرها في الجسد.

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾

فَرَوْحٌ : فله استراحة أو رحمة .

رَيْحَانٌ : رزق حسن.

فَنُزُلٌ : فله قرى وضيافة.

حَمِيمٍ : ماء تناهت حرارته.

وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ : مقاساة لحر النار أو إدخال فيها.

أحوال الناس ثلاثة عند احتضارهم ، أما أن يكون من المقربين ، أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى.

فإن كان المحتضر من الذين فعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات، فلهم الرحمة والرزق الحسن وتبشرهم الملائكة بذلك

عند الموت.

وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين ، فتقول له الملائكة سلام لك أي لا بأس عليك أنت إلى سلامة أنت من أصحاب اليمين.

وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى ، له ضيافة من حميم وهو سائل تبلغ درجة حرارته مبلغاً تصهر به ما في بطون هؤلاء وجلودهم .

وإن هذا الخبر لهو حق اليقين الذي لا مرية فيه ولا محيد لأحد عنه ، وإذا آمنت بذلك فسبح باسم ربك العظيم الذي هو تدبيره وهذه قدرته[1].

(١) ابن كثير ، ٤ / ٣٠٠ (ط. دار الحديث ، القاهرة).

سورة الحديد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ﴾

سَبَّحَ لله : نزه الله ومجده ودل عليه.

العَزِيزُ: القادر الغالب على كل شيء.

الأَوَّلُ: السابق على جميع الموجودات.

وَالآخِرُ: الباقي بعد فنائها.

وَالظَّاهِرُ: بوجوده ومصنوعاته وتدبيره.

وَالْبَاطِنُ: بكنه ذاته عن العقول.

اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ: استواء يليق بكماله تعالى.

مَا يَلِجُ: ما يدخل من مطر وغيره.

وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا: ما يصعد إليها من الملائكة والأعمال.

وَهُوَ مَعَكُمْ: بعلمه المحيط بكل شيء.

يُولِجُ اللَّيْلَ: يدخله.

إن صفات الخالق جل وعلا، تلك التي يشهد بها الكون بلسان حاله، لقد تنُوولت بصياغةٍ لفظيةٍ عبر القرآن الكريم ، فحين يظهر هنا شيء ما إلى الوجود، ينطلق بلسان الحال أن وراءه موجداً، وكذلك إذْ ينتهي ذلك الشيء فيعلن بأن هناك من يتولى إنهاءه، وهكذا الشأن في سائر الصفات الإلهية الأخرى !

﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾

قَبْلِ الفَتْحِ: فتح مكة أو صلح الحديبية.

الحُسْنَى: المثوبة الحسنى (الجنة) .

ترتكز الدعوة الإسلامية عند قيامها ابتداءً على أساس " آيات بينات " . ثم إنها تدخل مرحلتها الثانية إذْ يُكتب لها " الفتح " في بيئتها ، ولا يتحمس للتضحية والفداء في سبيل الدعوة الإسلامية، ما دامت في مرحلتها الأولي، سوى أولئك الذين يتمتعون

بالقدرة على إدراك عظمة شيءٍ ما على مستوى الدلائل والبراهين ، وأما إذا تمكن الإسلام من إحراز النصر والغلبة، فكل أحدٍ يرى عظمته ومجده رأي العين، وبالتالي يحاول الكل أن يتقدم في فخر واعتزازٍ ببذل النفس والنفيس في سبيله !!

إن الذي ينفق إبان المرحلة الأولى من الدعوة إنما يُضطر إلى الإنفاق في سبيلها وليس هناك رجاء أوْ طمعا في عوضٍ أوْ منفعة قريبة المنال ، بينما تكون الظروف والأوضاع قد تغيرت لصالح الإسلام في المرحلة الثانية، بحيث ينال المرء ثمرة إنفاقه ألوانا وأشكالاً في هذه الدنيا ذاتها، وهذا هو السر في مدى ما بين الفريقين من تفاوت الدرجات عند الله - عز وجل !

﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿١١﴾ يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِى مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾

قَرْضاً حَسَناً: محتسبا به ، طيبة به نفسه.

انظُرُونَا: انتظرونا.

نَقْتَبِسْ: نصب ونأخذ ونستضيء.

بِسُورٍ: حاجز بين الجنة والنار (الأعراف)

يُنَادُونَهُمْ: ينادي المنافقون المؤمنين.

فَتَنتُمْ أَنْفُسَكُمْ: محنتموها وأهلكتموها بالنفاق.

وَتَرَبَّصْتُمْ: انتظرتم بالمؤمنين النوائب.

وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ: خدعتكم الأباطيل.

الغَرُورُ: الشيطان وكل خادع.

هِيَ مَوْلاكُمْ: النار أولى بكم ، أو ناصركم.

إن التقدم نحو الإسلام الصادق الخالص، وهو غريب في بيئته، يكون مرادفاً لإلقاء النفس في محنةٍ وبلاءٍ ، فإن حقيقة الإسلام تكون إذْ ذاك محجوبةً بأغطيةٍ من الشبهات ، والبذل في سبيله آنذاك شأنه شأن إعطاء الدين لأحدٍ على أملٍ موهومٍ ، حيث يحيط بالناس جو من الشك والتذبذب، وتتراءى الفوائد الحاضرة بين أيديهم آكد وأكثر ضماناً من الوعود الأخوية، وتفويض النفس والمال إلى الإسلام، والحالة هذه، يتطلب قوة إرادة وتصميم عظيمة ، وفي حالةٍ كهذه لا يكاد يجرؤ على المبادرة والتقدم نحو الأمام إلا الذي يملك كفاية التعرف على كنه الأشياء بقوة العقل والبصيرة . والذين يقيمون الدليل على هذه البصيرة في الحياة الدنيا، فإنها ستتحول يوم القيامة نوراً يمكّنهم من قطع أشواط رحلتهم الصعبة هناك في يسر وأمانٍ، إن البصيرة التي كانت مرشدهم في الدنيا إلى سبيل الرشاد ستقوم بدور المرشد لهم إلى دار السلام في الآخرة كذلك !!

﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا

يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾

أَلَمْ يَأْنِ: ألم يجئ.

أَن تَخْشَعَ: وقت أن تخضع وترق وتلين.

الأَمَدُ: الأجل أو الزمان.

إن الإسلام، وإن لم يكن عند نزول هذه الآيات، قد صار قويا من الناحية المادية، إلا أنه كان مؤيداً بقوة الدلائل والتحذيرات الإلهية على الوجه الأكمل، فالذي لا يستشعر في هذه الحالة نقل الدلائل؛ والذي لا تتمكن التحذيرات الإلهية من أن تهز كيانه وتحرك وجدانه، فإنما هو يثبت بعمله ذاك أنه مصاب بداء القسوة والبلادة . إن التربة تكتسب الخصوبة والنضارة والحيوية بعد ارتوائها من الماء، إذن، فكم سيكون الأمر مثار الدهشة والعجب لو لم ينتبه الإنسان ويستيقظ من رقدته رغم استماعه إلى الدلائل والبراهين الواضحة الصارخة !

﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾

إن إعطاء المال ابتغاء رضوان الله للمحتاجين، وبذله في مقتضيات الدين عمل جد عظيم ، ومن ينفق من الرجال والنساء على هذا النحو، هم الذين قد أقاموا الدليل على

صدق إيمانهم ، حيث إنهم رأوا الحق ، بينما كان الحق تثار حوله الشبهات والمطاعن ، ولمّا يقم له في المجتمع قائمة ، ولذا فسوف يصير عملهم في الآخرة نوراً يسعى بين أيديهم ، وهم يعتبرون من الصديقين الذين صدقوا بآيات الله إذْ كذب بها الآخرون ، وهم يرفعون إلى درجة الشهداء عند ربهم ؛ يعني المتحدثين عن أحوال الناس وأعمالهم أمام محكمة الآخرة!!

﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾

وَتَكَاثُرٌ: مباهاة وتطاول بالعدد والعدد.

أَعْجَبَ الكُفَّارَ: راق الزراع.

يَهِيجُ: ييبس في أقصى غايته.

يَكُونُ حُطَامَاً: فتاتاً هشيما متكسراً بعد يبسه.

سَابِقُوا: سارعوا مسارعة المتسابقين في المضمار.

لقد وضع الله في هذا العالم أمثلةً لشئون الآخرة ، منها مثال الزرع ، فحين يبلغ الزرع تمامه ويكتمل نضجه بعد نزول الغيث عليه ، يكون منظره لفترة من الزمان قصيرة رائقاً جذاباً يأخذ القلوب والأبصار ، ولكن سرعان ما تهب الرياح الحارة ، فإذا

بخضرته تأخذ في الاصفرار والجفاف ، ثم لا يلبث طويلاً حتى يُحصد ويستحيل هشيماً يابساً متكسراً يتطاير في الهواء هنا وهناك!!. وهكذا مباهج العالم الراهن هي الأخرى موقوتة زائلة . وإن المرء ليغتر بحصوله عليها إذا يعتبرها هي كل شيءٍ ، ولكنه عندما يرد إلى ربه في نهاية المطاف، فسيدرك أن مباهج الدنيا لم تكن لها بإزاء قيم الآخرة حقيقة وليس لهم وزن !.

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾

نَبْرَأَهَا: نخلق هذه الكائنات.

لِكَيْلا تَأْسَوْا: لكيلا تحزنوا حزن قنوط .

وَلاَ تَفْرَحُوا: فرح بطر واختيال.

مُخْتَالٍ فَخُورٍ: متكبر مباه متطاول بما أُتي.

إن المقصود من العطاء والمنع في هذه الحياة هو الامتحان ، حيث قضى الله سبحانه سلفاً بالصور والمواقف التي سيُعطى فيها شخص ما ورقة امتحانه ، إذن ، فالمسألة التي ينبغي أن تشغل بال الإنسان وتكون محور اهتمامه أصلاً ليست : ما الذي حصل عليه أو ماذا يُنتزع منه؟ وإنما تتمثل في : ما هو نوع استجابته أو رد فعله إزاء موقفٍ من المواقف الحياتية؟؟. والاستجابة أو رد الفعل الصحيح المطلوب من الإنسان هو ألا يجزع إذا فقد ، ولا يصاب بالفخر والغرور إذا نال .

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

وَالْمِيزَانَ: العدل وأمرنا به أو الآلة المعروفة.

وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ: خلقناه. أو هيأناه للناس.

بَأْسٌ شَدِيدٌ: قوة شديدة.

على المرء واجبان رئيسيان تجاه الدين : أحدهما : اتباع الدين ، وثانيهما : نصرة الدين، وكأن الميزان تمثيل رمزي لاتباع الدين .. فكما نعلم مقدار شيء من الأشياء المادية، قل أو كثر ، من خلال وزنه بالميزان ، فإن كتاب الله هو الآخر ميزان للحق ، وينبغي للناس أن يتناولوا أعمالهم دائماً بالنقد والتقويم في ضوء الكتاب الإلهي ، حتى يعلموا مدى قربها أو بعدها من الحق والصواب !؟ وهكذا فإن الحديد مثال رمزي لنصرة الدين ، فيجب على المرء إذا ما رأى الدين مهدداً ببعض الأخطار ، أن يصمد أمامه كالطود الشامخ ، وأن يدافع عن الدين ويزود عن حماه بإرادة فولاذية لا تلين ولا تتضعضع !!.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم: أتبعناهم وبعثنا بعدهم.

الإِنجِيلَ: وقد حرفوه بعد.

الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ: على دينه الذي أرسل به.

رَأْفَةً وَرَحْمَةً: مودة ولينا ، وشفقة وتعطفاً.

وَرَهْبَانِيَّةً: مغالاة في التعبد والتقشف.

مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ: ما فرضناها عليهم بل ابتدعوها.

فَمَا رَعَوْهَا: بل ضيعها أخلاقهم وكفروا بدين عيسى عليه السلام .

إن جميع الأنبياء الذين بُعثوا من عند الله ، إنما بُعثوا ، على اختلاف الأزمان والأماكن ، بدينٍ واحدٍ ليس غير ، ولكن الناس لم يلبثوا ، بعد مضي الزمان ، أن اخترعوا ألواناً شتى من البدع والطقوس ونسبوها إلى الأنبياء ، ومن أمثلة ذلك : اتباع سيدنا المسيح عليه السلام فقد كانت مهمة المسيح عليه السلام مقصورةً على إبلاغ الدعوة وحدها ؛ إذْ لم يكن القتال جزءاً من مسئولياته النبوية ، ومن ثم أكد عليه السلام على أخلاق الداعية أكثر من كل شيءٍ ، وأخلاق الداعية قوامها الرحمة والرأفة ، ولهذا أمر عليه السلام أتباعه بأن يتعاملوا مع الناس بأسلوب الرأفة والرحمة ، غير أن أتباع المسيح الذين جاؤوا بعده لم يستطيعوا إدراك هذا السر ، فطغى عليهم هذا المزاج حتى انتهى بهم إلى الرهبنة .. وبالتالي راحوا يبالغون في الابتعاد عن الدنيا والزهد في طيبات الحياة باعتباره هو المقصود الأصلي من الدين، مع كونهم إنما أمروا بذلك ابتداءً كي يتمكنوا من التجرد للدعوة!!.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ

ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ: نصيبين (أجرين) .

لِئَلاَّ يَعْلَمَ: ليعلم و "لا" مزيدة.

المراد بـ" الذين آمنوا" هنا هم المؤمنون بسيدنا المسيح عليه السلام إن الذين يؤمنون بمن سبق من الأنبياء والمرسلين ، ثم يكتشفون صدق نبي آخر الزمان - ﷺ- فيؤمنون به ، لهم أجر مضاعف ، وهكذا فإن الذين هم مسلمون بالإرث ، لو أنهم قاموا بدراسة الإسلام من جديدٍ ، لكي يولّدوا في أنفسهم وعياً إسلامياً يجدد إيمانهم وإسلامهم ، فإنهم سيعتبرون عند الله بدورهم أهلاً للأجر المضاعف !!

سورة المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾

تُجَادِلُكَ: تحاورك وتراجعك الكلام.

تَحَاوُرَكُمَا: مراجعتكما القول.

كان من عادة العرب في الجاهلية أن الرجل إذا قال لزوجته : "أنت علي كظهر أمي"، حُرمت عليه إلى الأبد ، وكان ذلك يُسمى ظهاراً ، وقد حدث ذات مرة أن قال أحد المسلمين في المدينة ، وهو أوْس بن الصامت ، لامرأته خولة بنت ثعلبة الأنصارية هذا الكلام ، فتوجهت إلى رسول الله ﷺ تحكي عليه ما جرى بينها وبين زوجها ، فأجابها - عليه الصلاة والسلام - قائلاً : "ما أراك إلا قد حُرمت عليه" مما جعل خولة تحزن وتقلق على مستقبلها هي وأولادها الصغار ، وما قد يتعرضون له من الضياع والتشرد ، فأخذت في البكاء والعويل ، فنزلت هذه الآية وما يليها تبياناً للحكم الإسلامي فيما يتعلق بقضية الظهار .

﴿ ٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَـٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّـٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ

مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾

يُظَاهِرُونَ: يحرمون نساءهم تحريم أمهاتهم.

مُنكَراً مِّنَ القَوْلِ: فظيعا منه ينكره الشرع والعقل.

وَزُوراً: كذبا باطلاً منحرفاً عن الحق.

يَتَمَاسَّا: يستمتعا بالوقاع، أو دواعيه.

الإسلام يفرق بين الجوهر والمظهر أو بين الصورة والحقيقة، ومن ثم رفض الإسلام الإقرار بهذه العادة المتبعة من قديم الزمان التي تجعل المرأة كالأم الحقيقية تماماً فور مناداة زوجها إياها بلفظ الأم !! ، وإذا كان كلام كهذا لغواً من القول وزوراً، فإنه ليس من شأنه البتة أن يغير قوانين الفطرة .

وقد بين القرآن الكريم أن المرأة لا يقع عليها الطلاق عقب ظهار زوجها منها حسب الطريقة المألوفة، إلا أنه ألزم الزوج المظاهر بأداء الكفارة قبل أن يستمتع بزوجته مرة أخرى، وحين يؤدي المرء الكفارة على هذا النحو، إثر وقوعه في خطأ ما، فإنما هو يبعث يقينه من جديد، ويعمل على تقوية وترسيخ عقيدته في ذلك المبدأ الذي كان قد تخلى عنه بسبب الغفلة أو الحماقة !

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾

يُحَادُّونَ: يعادون ويشاقون ويخالفون.

كُبِتُوا: أذلوا ، أو أُهلكوا ، أو لعنوا.

أَحْصَاهُ الله: أحاط به علماً.

إن مخالفة الحق مخالفة لله ، ومخالفة الله إنما يجني المرء بمخالفته إياه على نفسه هو ليس غير ، وإن المرء لا يستطيع أن يخفي شيئاً مما يعمله سراً أو جهراً عن الله ، وليس في مقدوره أن ينقذ نفسه من مؤاخذة الله - عز وجل!!

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ ﴾

نَّجْوَى ثَلاثَةٍ: تناجيهم ومسارتهم.

هُوَ رَابِعُهُمْ: بعلمه حيث يطلع على نجواهم.

هُوَ مَعَهُمْ: بعلمه المحيط بكل شيء.

لَوْلا يُعَذِّبُنَا: هلا يعذبنا.

حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ: كافيهم جهنم.

يَصْلَوْنَهَا: يدخلونها أو يقاسون حرها.

كان بعض اليهود والمنافقين إذا جاؤوا إلى رسول الله ﷺ حيّوه قائلين : السّام عليك ،

بدلاً من السلام عليك ، ولقد كان هذا - ولا يزال - دين السطحيين من البشر دائماً ، وقد يشعر ذوو الأذواق السطحية كهؤلاء بموجةٍ من الفرح تغمرهم إذا هم نجحوا في النيل من عرض إنسان صادقٍ أو الحطّ من قدره ، ويغيب عن بالهم أن مظاهر الألوهية المنبثة في أرجاء الوجود تكون شاهدةً بعلو مكانة الإنسان الصادق حتى في الوقت الذي يكونون هم قد استعملوا آخر ما في عقولهم الضيقة المحدودة من كلمات التحقير والإهانة !!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

إِنَّمَا النَّجْوَى: المنهي عنها.

لِيَحْزُنَ: ليوقع في الهم الشديد.

إن المناجاة أي إفضاء بذات نفسه سراً مما لا يُستحسن في الأحوال العادية ، ولكن ربما تدعو الحاجة في بعض الأحايين إلى المناجاة والمحادثات السرية لبعض الأغراض النبيلة كذلك ، ومدار الأمر في هذا الصدد على نية المتناجين ، فإن كان التناجي بنية حسنةٍ فلا بأس به ، وأما إنْ كان بنية سيئةٍ فلا يجوز .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾

تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ: توسعوا فيها ولا تضاموا.

انشُزُوا: انهضوا للتوسعة أو لعبادة أو خير.

ربما يحدث ، بمقتضى أدب المجالس ، أن يُطالب شخص بالتأخر عن مكانه ليجلس فيه غيره ، كما يحدث في بعض الأحيان أن يقال للحاضرين ، على خلاف رغبتهم في مواصلة الحديث واستمرار الجلسة : "ارجعوا الآن" !! إن اتخاذ أمورٍ كهذه مسألة كرامةٍ دليل على تدني المستوى الشعوري ، وأما الذي لا يتخذ منها مسألة كرامة فقد برهن على كونه بالغاً أعلى مستويات الشعور!!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

أَأَشْفَقْتُمْ: أخفتم الفقر والعيلة.

وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ: خفف عنكم بنسخ حكمها.

شاءت إرادة الله سبحانه ألا يلقى الرسول إلا من يرغب في لقائه لأي غرضٍ جادٍ في واقع الأمر ، وأن يُفرز من بينهم الفضوليون الذين إنما يتسببون في إضاعة الوقت من غير جدوى بثرثراتهم وأحاديثهم الفارغة ، ومن ثم فُرض على كل راغبٍ في لقاء الرسول والتناجي معه أن يتصدق قبل نجواه ، وإن عجز عن تقديم الصدقة فليتطوع بفعل بعض الحسنات الأخرى ...، وهذا الحكم ، وإن كان في الأصل مطلوباً بالنسبة لرسول الله ﷺ ، إلا أنه سيبقى بعد الرسول مطلوباً كذلك ، حسب مقتضيات الأحوال، بالنسبة إلى قادة الأمة على قدر مراتبهم !!

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ ﴾

إِلَى الَّذِينَ: هم المنافقون.

تَوَلَّوْا قَوْماً: اتخذوا اليهود أولياء.

غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِم: هم اليهود.

جُنَّةً: وقاية لأنفسهم وأموالهم.

لقد كان منافقو المدينة منضمين إلى جماعة أهل الإسلام ، كما كانوا إلى جانب ذلك متواطئين مع اليهود أيضاً . وهكذا يكون دائماً موقف أولئك الذين لا يعتنقون الحق بالإخلاص والتجرد الكاملين ، وأمثال هؤلاء يتظاهرون بالولاء للجميع ، إلا أنهم في الحقيقة يكونون أوفياء لمصالحهم وحدها ، وإن كانوا يحلفون على كونهم أتباع الحق بكل محرجةٍ من الأيمان !!

﴿ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾

لَن تُغْنِيَ: لن تدفع.

اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ: استولى وغلب على عقولهم.

يُحَادُّونَ: يعادون ويشاقون ويخالفون.

الأَذَلِّينَ: الزائدين في الذلة والهوان.

عَزِيزٌ: غالب على أعدائه غير مغلوب.

إن الإنسان النفعي عندما يعارض ويعرقل دعوة الحق ؛ يخيل إليه كأنه يحافظ بذلك على مصالحه وأسباب سعادته ، إلا أنه سيقف مبهوتاً في الآخرة ، يوم يرى أن الأشياء التي كان قد جعل منها موضع ثقته في الدنيا ، لم تعد تجدي عنه في ساعة القضاء الرهيبة هذه فتيلاً !

والرجل المنافق يتحذلق ويتكلم بملء شدقيه لكي يبرر موقفه ، حتى إنه يحلف بالأيمان الغليظة تأكيداً على صدقه وإخلاصه ، وهو إذْ يفعل كل ذلك يعتقد أنه "على شيءٍ " وأنه قد هيّأ في صالحه أرضيّة واقعية صلبة يستند عليها ، ولكن انفجار القيامة حين يكتشف النقاب عن الحقائق ، فإنه سيدرك عندئذٍ أنها كانت كلمات زائفة من إلقاء الشيطان ، تلك التي ظل يرددها باعتبارها أدلة قاطعةً على براءته!!

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

بِرُوحٍ مِّنْهُ: بنور يقذفه في قلوبهم. أو بالقرآن.

إن الفوز والنجاح في هذا العالم لحزب الله وحده ، وما حزب الله ؟ أو ما أوصاف

رجاله ؟؟ إنهم أناس ثبت الإيمان في قلوبهم كأعظم حقيقةٍ ، وهم الذين بلغوا من ولائهم لله بحيث راحوا يتلقون من لدن ربهم فيضاً روحياً غامراً ، وهم الذين يكون ارتباطهم بالحقائق الإلهية عميقاً لدرجة أنه يصير عندهم هو الأساس للحب والبغض والصداقة والعداوة ، فهم أقرب ما يكونون ممَنْ هو قريب من الصدق الإلهي وأبعد ما يكون عمن هو بعيد عن الصدق الإلهي ، ولو كان من آبائهم أو ذوي قرباهم !!

سورة الحشر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾

سَبَّحَ لله: نزهه ومجده تعالى ودل عليه.

الَّذِينَ كَفَرُوا: هم يهود بني النضير قرب المدينة.

لأَوَّلِ الحَشْرِ: في أول إخراج وإجلاء إلى الشام.

في شرقي المدينة،كانت هناك مساكن يهود بني النضير،وقد كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد أبرموه عقب قدومه إلى المدينة،مؤداه : أن يقفوا منه على الحياد،لا له ولا عليه، ولكنهم لم يفوا بهذا العهد ، وما زالوا يغدرون بأهل الإسلام كلما سنحت لهم الفرصة ، إلى أن هيّأ الله - جل شأنه-في أوائل السنة الرابعة من الهجرة النبوية ظروفاً مكنت المسلمين من إرغامهم على الجلاء عن المدينة .

فكان منهم من سار إلى خيبر وأقام بها ، بينما ارتحل الباقون إلى منطقة أذرعات ، بيد أنهم لم يزالوا على عهدهم بالدسّ والوقيعة بين الناس ، حتى تم طردهم نهائياً ، مع سائر القبائل اليهودية من جزيرة العرب في زمن الخليفة الثاني عمر الفاروق ﷺ ،

فتوجهوا بعدئذٍ إلى بلاد الشام واستوطنوها .

وقوله : ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ﴾ يشرحه الفقرة التالية :

﴿ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ ... فقد قاموا باتخاذ كل ما يلزم من العدة والعتاد والمؤن والتحصينات الخارجية، إلا أن الجيش الإسلامي لم يكد يزحف نحو مساكنهم ويضرب الحصار من حولها ، حتى تسربت موجة من الانهزامية إلى نفوسهم ، وفقدوا روح المقاومة ، مما اضطرهم بالتالي إلى التسليم دون حربٍ أو قتالٍ !!

﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾

فَأَتَاهُمُ الله: فأتاهم أمره وعقابه.

لَمْ يَحْتَسِبُوا: لم يظنوا ولم يخطر لهم ببال.

وَقَذَفَ: ألقى وأنزل إنزالا شديداً

الجَلاءَ: الخروج من الوطن بالأهل والولد.

شَاقُّوا: عادوا وعصوا وحادوا.

لِّينَةٍ: نخلة ، أو نخلة كريمة .

عَلَى أُصُولِهَا: على سوقها.

إن العقوبة التي أنزلت بيهود الجزيرة العربية ، كانت بموجب القانون الإلهي ،

وهذه العقوبة مقدرة على كل أولئك الذين يقفون من الرسول موقف المعارض ، كما أن ما جرى أثناء حصار بني النضير من قطع بعض الأشجار من نخيلهم وتحريقها لمصلحة حربية ، كان هو الآخر تبعاً لأمرٍ من الله مباشرٍ ، ولكن هذا ليس بالمبدأ العام، وإنما هو حكم استثنائي يتم تنفيذه في صورة أو أخرى بالنسبة إلى معاصري الرسول !.

﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾

وَمَا أَفَاءَ اللهُ: وما رد وما أعاد.

فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ: فما أجريتم على تحصيله.

رِكَابٍ: ما يركب من الإبل خاصة.

دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ: ملكا متداولاً بينهم خاصة.

ما يحصل للمسلمين من أموال العدو بعد الحرب والقتال يسمى غنيمةً ، وما يحصل لهم من مال العدو بدون حرب أو قتال يسمى فيئاً ، والغنائم تُوزع أربعة أخماسها على رجال الجيش ، وأما الفيء فهو ملك خالص للحكومة الإسلامية تصرفها في وجوه الخير والمصالح العامة .

إن الإسلام يريد ألا يكون المال محصوراً في طبقة بعينها بحيث يحرم منه الآخرون كلياً، بل يجب أن يصل إلى طبقات المجتمع كافةً، ولتحقيق هذا الغرض لم يلجأ الإسلام إلى سياسة القسر والإجبار، وإنما شرع من القوانين الاقتصادية الحكيمة ما يتكفل بعدم تكدّس الأموال وصيرورتها حكراً على طبقةٍ دون أخرى، ويضمن تداولها المستمر بين الجميع!!

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠ ﴾

تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ: توطنوا المدينة وأخلصوا الإيمان.

حَاجَةً: حزازة وحسداً.

خَصَاصَةٌ: فقر واحتياج.

وَمَن يُوقَ: من يجنب ويكف.

شُحَّ نَفْسِهِ: بخلها مع الحرص على المنع.

غِلاًّ: حقداً وبغضاً وغشاً.

لقد كان المهاجرون الذين قدموا المدينة فراراً بدينهم من كفار قريش تاركين ديارهم وأموالهم بمكة، كانوا "كلاً" أو "عالةً" على الأنصار (سكان المدينة الأصليين)، ولكنهم استقبلوا إخوانهم في الدين أولئك، بمنتهى الحفاوة وبأحسن ما يكون من

الترحاب، ولما استولى النبي ﷺ على أموال بني النضير قسمها على المهاجرين وحدهم، (ما عدا رجلين من الأنصار كانا يعانيان من الفقر والحاجة وهما سهل بن حنيف وأبو دجانة بن سماك) ، وقد رضي الأنصار بهذا التقسيم عن طيب نفسٍ) ، ولم يظهر منهم أي تذمر أو استياء، ولقد ظلت قلوبهم تفيض بمشاعر الحب والتقدير للمهاجرين ، وألسنتهم تدعو لهم بأفضل الدعوات . إن هذه الروح العالية من المروءة والإيثار والكرم هي التي تؤهل جماعةً ما لتكون صانعة التاريخ!

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

عندما أعلن رسول الله ﷺ جلاء بني النضير عن المدينة توجه إليهم المنافقون قائلين: اثبتوا ، ولا تبرحوا مكانكم ، وإن كان ثمة قتال ، فسنقف إلى جانبكم وننصركم بكل ما نملك من العدد والسلاح، غير أن أقوال المنافقين هذه إنما كانت لتحريض بني النضير ضد المسلمين ، إذْ لم يكونوا صادقين مطلقاً فيما قالوا لهم ولا مخلصين فيما وعدوهم به من النصر والمساعدة ، ومن هنا فلما زحف المسلمون نحوهم وضيقوا عليهم الخناق بحصارهم الذي دام بضعاً وعشرين ليلةً ، لم يتقدم أحد من المنافقين ليقف إلى جانبهم أو يقاتل دونهم، وهذه هي الأخلاقيات المميزة لعبيد المصالح والمنافع في كل زمانٍ ومكانٍ.

﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ

تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾

بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ: قتالهم فيما بينهم.

وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى: متفرقة لتعاديهم.

إن قوة الله لا تُرى ظاهراً، بينما قوة البشر يراها الجميع رأي العين، مما يجعل عبدة الظواهر والمظاهر يعيشون في غير خوف ولا رهبةٍ من الله، ولكن سرعان ما يدب الخوف والذعر في قلوبهم إذا ما وجدوا أنفسهم في مواجهة أحد الأقوياء الأشداء من البشر، وكونهم يفتقرون إلى الوعي والشعور فيما يتعلق بجلال الله وعظمته يفقدهم الوعي والشعور حتى فيما يتعلق بأمور دنياهم !!

والذين يجتمعون على هدف سلبي؛ بحيث يكون هذا الهدف السلبي هو وحده أساس ما يُرى بين صفوفهم من اتحاد وائتلافٍ، فإنهم قلما يتمكنون من الإبقاء على الوحدة القائمة فيما بينهم إلى أمد طويلٍ؛ ذلك لأن الاتحاد الحقيقي الدائم يتطلب أساساً إيجابياً، وهو ما لا يوجد عندهم البتة.

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

وَبَالَ أَمْرِهِمْ: سوء عاقبة كفرهم.

كان المنافقون في المدينة يحرضون بني النضير ضد المسلمين ويغرونهم بالمقاومة، وفاتهم أن يتعلموا درساً من الواقع أن قريشاً ويهود بني النضير قد قاموا بشن الهجوم المشترك عليهم في قريب الماضي، ولكنهم باؤوا بالهزيمة النكراء، وهكذا يكون دائماً

حال أولئك الذين يتخذون من الشيطان مستشاراً لهم ويتبعون خطواته ، حيث إنهم لا يعتبرون بالأحداث أي اعتبارٍ ، فهم يعملون أول الأمر على إغراء الناس بالممارسات الإجرامية في حماس بالغ ، ثم إذا رأوا نهايتها البائسة الوبيلة ، بدؤوا في محاولة تبرئة أنفسهم من تبعتها ، ولكن محاولاتٍ كهذه لن تنجي أصحابها من بطش الله - عز وجل!!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ ﴾

نَسُوا الله: لم يراعوا أوامره ونواهيه.

فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ: فلم يقدموا لها ما ينفعها عنده.

إن الحياة الإنسانية مقسومة بين "اليوم" و"الغد" . والعالم الراهن هو يوم الإنسان الحاضر ، وعالم الآخر هو غده المرتقب ، وكل ما يفعله الإنسان من خير أو شر خلال حياته الراهنة سيلاقي جزاءه الوفاق حتماً في حياته القادمة الأبقى والأوسع مدىً .

وتلك الحقيقة الكبرى في هذا الوجود ، والإسلام هو الاسم الآخر لهذه الحقيقة ذاتها، ونجاح الإنسان في أن يأخذ هذه الحقيقة في الحسبان في غدوه ورواحه ويضعها نصب عينيه دائماً ، فإن من يغفل عنها سارت حياته كلها في اتجاه خاطئٍ ، ولا فرق في هذا الخصوص بين المسلم وغير المسلم ، فلن يحصل المسلمون من فوائد هذه الحقيقة العظيمة على شيءٍ إلا إذا كانوا متمسكين بها في واقع حياتهم ، وأما لو نسيها المسلمون أو غفلوا عنها فإنهم سينتهون بدورهم إلى المصير البائس المشئوم نفسه ، الذي قد انتهى

إليه اليهود من قبل لما أصيبوا بالغفلة والنسيان !!

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾

خَاشِعاً: ذليلاً.

مُّتَصَدِّعاً: متشققاً.

المَلِكُ: المالك لكل شيء المتصرف فيه.

القُدُّوسُ: البليغ في النزاهة عن النقائص.

السَّلامُ: ذو السلامة من كل عيب ونقص.

المُؤْمِنُ: المصدق لرسله بالمعجزات.

المُهَيْمِنُ: الرقيب على كل شيء.

العَزِيزُ: القوي الغالب.

الجَبَّارُ: القهار أو العظيم.

المُتَكَبِّرُ: البليغ الكبرياء والعظمة.

البَارِئُ: المبدع المخترع.

المُصَوِّرُ: خالق الصور على ما يريد.

الأَسْمَاءُ الحُسْنَى: الدالة على محاسن المعاني.

القرآن إعلان بحقيقة عظيمة هي أن الإنسان ليس حراً طليقاً من أية قيود أو التزامات في هذه الحياة ، بل هو مسئول عن كل أعماله وأقواله بين يدي الله الذي لا إله إلا هو ، والذي هو ذو قوةٍ وجبروتٍ لا يحيط بهما الوصف ، وهو مطلع بذاته على كل ما يصدر من الإنسان في الظلام أو النور ، وهذا النبأ عظيم وشديد الوطأة لدرجة أنه يكفي لهز الجبال الراسيات ، ولكن الإنسان قد يبلغ من الغفلة وتحجّر القلب وموات الإحساس إلى أنه لا يتنبّه ولا يقلق باله رغم استماعه المكرر إلى هذا النبأ الرهيب المزلزِل!

وأسماء الله الحسنى التي ورد ذكرها هنا هي من جهةٍ تعرفنا بالله تعالى، ومن جهة أخرى تدلنا على مدى عظمة الله الذي هو خالق كل شيءٍ، وهو خالق الناس أجمعين، والذي يراقبهم من فوقهم كل حين وآنٍ، ولو أدرك المرء هذا الواقع حقاً، لاستغرق كيانه كله في حمد الله وتسبيحه .

وإن الكون بما يكمن وراء ظواهره من حكمة ومعنى وروعة إبداعية هو مرآة لصفات الله - عز وجل - . وإنه من خلال انشغاله بكل موجوداته في الحمد والتسبيح ليدعو الإنسان أيضاً إلى الانسجام والتجاوب معه، حتى لا يكون كالنغمة النشاز في هذه الترنيمة الكونية للتحميد والتسبيح الإلهي !!

سورة الممتحنة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣ ﴾

أَوْلِيَاءَ: أعوانا توادونهم وتناصحونهم.

أَن تُؤْمِنُوا: لإيمانكم أو كراهة إيمانكم.

يَثْقَفُوكُمْ: يظفروا بكم. أو يصادفوكم.

وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ: يمدوا إليكم.

عندما قرر رسول الله ﷺ غزو مكة في السنة الثامنة من الهجرة، وضع خطته بمنتهى السرية، حذراً من أن تتسرب الأخبار إلى قريش فيتأهبوا للمقاومة، وعندئذٍ وجه أحد الصحابة، وهو حاطب بن أبي بلتعة، وكان ممن شهد بدراً، رسالةً سرية إلى أهل مكة يخبرهم فيها بما عزم عليه الرسول، وقد أراد بذلك أن يصنع معهم جميلاً يرضيهم عنه فلا ينال بنيه وأقرباءه المقيمين بمكة منهم أذىً، ولكن الله - جلت قدرته- أعلم رسوله

بذلك عن طريق الوحي، فأرسل ﷺ من أدرك حامل الرسالة وانتزعها منه قبل أن يصل إلى مكة ..

إن كل عملٍ من هذا القبيل لا يتفق مع مقتضيات الإيمان بصورة مطلقة؛ فالصراع بين الإسلام وغير الإسلام إذا بلغ ذروته التي تتكون عندها جبهتان منفصلتان تحارب إحداهما الأخرى؛ فإن من واجب أهل الإيمان حينئذٍ أن يقطعوا كل ما يربطهم بالجبهة غير الإسلامية من صلات المودة أو التعاطف، حتى لو كانت الجبهة غير الإسلامية تضم أهلهم وذوي قرابتهم . إن الإيمان بالحق، وإقامة صلةٍ ما بالمناوئين للحق ضدان لا يجتمعان معاً في قلب واحدٍ !!

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ: قدوة حميدة في التبري من الضالين .

بُرَآءُ مِنكُمْ: أبرياء منكم.

وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا: إليك رجعنا تائبين.

لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً: مفتونين بهم معذبين بأيديهم.

عرض سيدنا إبراهيم عليه السلام رسالة التوحيد على أهل بيته أول الأمر بأسلوب النصح والموعظة ، ولكنهم لما أبوا عن الإيمان وأصروا على العناد والتعنت، رغم قيام الحجة عليهم، فارقهم معلناً براءته منهم بصيغةٍ حاسمة جازمةٍ ، بيْد أنها كانت مرحلة قاسية جداً ، فإن إعلان البراءة كان معناه دعوة أولئك الجاحدين المعاندين للحق ليتناولوه هو ومن آمن معه بكل ما يستطيعون من ألوان الأذى والاضطهاد ، ويلجأوا، بعدما انهزموا في مواجهة الدليل، إلى التنكيل بالمؤمنين وإذلالهم بوسائل القوة والقهر ، وهذا هو السر أن إبراهيم سأل الله بوجهٍ خاص وهو يدعوه بعد ذلك في ضراعةٍ قائلاً : ربنا لا تجعلنا فتنةً للذين كفروا، أي لا تسلط الكفار علينا ولا تمكنهم من رقابنا ليتخذوا منا عرضةً لممارساتهم العدوانية الظالمة .

وإظهار البراءة من ذوي بالأرحام والأقارب ليس إظهاراً للعداوة بالمعنى المعروف، إنما هو تعبير نهائي حازم عما يتمتع به الداعي من ثقةٍ ويقينٍ، وعليه فإن تبرؤ الداعي هو الآخر يحمل في طياته جانباً من الأهمية الدعوية، إذْ يحدث أحياناً أن الشخص الذي لم يكن قد تأثر مطلقاً بلغة " النصح والبلاغ "، قد تنجح لغة " الثقة واليقين " في إثارة اهتمامه واجتذابه بالتالي إلى حظيرة الإيمان !

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾

أَن تَبَرُّوهُمْ: تحسنوا إليهم وتكرموهم.

وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ: تفضوا إليهم بالقسط والعدل.

وَظَاهَرُوا: عاونوا الذين قاتلوكم وأخرجوكم.

أَن تَوَلَّوْهُمْ: أن تتخذوهم أولياء.

يأمر الإسلام أتباعه أن يتعاملوا مع الناس كافة بالعدل والإنصاف حيثما كانوا، وبغض النظر عما إذا كان الفريق الآخر من معسكر العدو أوْ غير العدو. أما صلة المودة والولاء فإنه لا يسمح بإقامتها مع كل أحدٍ دون تحفظٍ، وإنما تجوز الموالاة في أحد وضعيْن لا ثالث لهما : أن يكون مَن تواليه موالياً لله، أوْ لا يكون، على الأقل، عدواً لله !!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾

فَامْتَحِنُوهُنَّ: فاختبروهن وكان ذلك بالتحليف.

أُجُورَهُنَّ: مهورهن.

بِعِصَمِ الكَوَافِرِ: بعقود نكاح المشركات.

فَاتَكُمْ شَيْءٌ: انفلت أحد بردة.

فَعَاقَبْتُمْ: فغزوتم فغنمتم منهم.

تتناول هاتان الآيتان بالشرح بعض قوانين الإسلام المتصلة بالقضايا العائلية التي قد تنشأ بين دار الإسلام ودار الحرب في ظروف وملابساتٍ خاصةٍ، كالتي نشأت في أعقاب صلح الحديبية .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾

بِبُهْتَانٍ: بإلصاق اللقطاء بالأزواج.

يَفْتَرِينَهُ: يختلقنه.

تتضمن هذه الآية بيان الشروط التي لابد من إقرارها لأي امرأةٍ تريد الدخول في الإسلام ، ومن بين هذه الشروط هناك شرطان أساسيان هما : عدم الإشراك بالله، وعدم معصية الرسول ، وأما مطالب الدين الأخرى سواء المذكورة منها في هذا النص وغير المذكورة، فهي تندرج تلقائياً تحت هذين الشرطين الأساسيين!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾

لاَ تَتَوَلَّوْا: لا تتخذوا أولياء.

قَوْماً: هم اليهود، أو الكفار عامة.

إن اليهود المؤمنين بالكتب السماوية، والكفار الذين لا يؤمنون بها إطلاقاً، كلاهما

سواء فيما يتعلق بالآخرة، فالكفار لا يعلقون رجاءً ما بالموتى لاعتقادهم أن أمرهم قد انتهى وأنهم لن يُبعثوا الآن من قبورهم مرة أخرى ، وهكذا يكون حال أولئك المؤمنين أيضاً الذين لا يلبثون أن يصابوا، على مر الزمن، بالغفلة والقساوة وبلادة الإحساس شأن اليهود، بحيث لا تعود حياتهم العملية - رغم إقرارهم بالآخرة بألسنتهم - تختلف عن حياة الكفار الصرحاء في شيءٍ !!

سورة الصف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾

سَبَّحَ للهِ: نزهه ومجده تعالى ودل عليه.

كَبُرَ مَقْتاً: عظم بغضا بالغ الغاية.

صَفاً: صافين أنفسهم أو مصفوفين.

بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ: متلاصق محكم لا فرجة فيه.

الكون كله - ماعدا الإنسان - يخلو من التناقص في كل ناحية من نواحيه ، فالخشب في هذا العالم يبقى خشباً أينما وُجد، وما نراه في صورة الحديد أوْ الحجر مثلاً، نجده على محك التجربة العملية حديداً أو حجراً كذلك . والمطلوب من الإنسان أيضاً أن يكون كذلك ، فينبغي أن يكون ظاهره وفقاً لباطنه، وأن يكون فعله مطابقاً لقوله، حتى لو اضطر إلى دفع ثمن قوله بالصبر والصمود كالجبل الشامخ في وجه العقبات والشدائد على اختلاف أنواعها !!

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾

زَاغُوا: مالوا باختيارهم عن الحق.

أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ: حرمهم التوفيق لاتباع الحق.

بُعث موسى عليه السلام في بني إسرائيل ، وقد كان بنو إسرائيل يوم ذاك شعباً أصيب بالفساد والانحطاط، بحيث لم يعد في نفوسهم من الشجاعة الإيمانية ما يجعلهم يفعلون ما يقولون، ويقولون ما يفعلون ، ففيما كانوا يدّعون الإيمان بموسى عليه السلام من جهةٍ، لم يكونوا يتحرجون من نقض العهود والمواثيق ولا يتورعون عن إتيان المعاصي والمنكرات من جهةٍ أخرى ، حتى إنهم كانوا يواجهون ضروب الاتهامات الكاذبة إلى موسى تبريراً لسلوكهم الشائق معه عليه السلام (ولمزيد من التفصيل في هذا الشأن يراجع سفر الخروج وسفر العدد من العهد القديم). وكلما خالف الإنسان العهد أوْ نقضه بعد إبرامه، اتسعت الفجوة بينه وبين الحق أكثر من ذي قبل !

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾

نُورَ اللهِ: الحق الذي جاء به الرسول ﷺ .

وَأُخْرَى: ولكم من النعم نعم أخرى.

لقد كانت معجزات سيدنا المسيح عليه السلام تتضمن دليلاً قاطعاً على أنه نبي مرسل

من عند الله ، ولكن اليهود قابلوه بالإعراض والتكذيب باعتبار معجزاته سحراً وشعوذةً ، وهكذا كانت الكتب السماوية السابقة تحتوي على نبوءةٍ واضحةٍ بمجيء نبي آخر الزمان ﷺ ولكنه لما جاء قوبل بأشنع الرفض والإنكار من جانب اليهود والنصارى على حدٍ سواء .

إن الإنسان ظالم لدرجة أنه يأبى الاعتراف حتى بالحقائق الجلية الصارخة التي لا سبيل إلى إنكارها !! والمقصود من الغلبة في الآية ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ هي الغلبة الفكرية ، يعني تمكين عقيدة التوحيد من البقاء وحدها كفكرة غالبةٍ في أنحاء العالم كافة، وجعل ما سواها من المعتقدات غير التوحيدية عن قضايا الألوهية والدين والعبادة، مغلوباً على أمره من الناحية الفكرية إلى الأبد ، ولقد نزلت هذه النبوءة القرآنية سنة ٣ هجرية في ظروف غير مواتية للغاية، إلا أنها تحققت حرفاً حرفاً فيما تلاها من الأعوام والقرون !

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

في عالم التجارة يقوم الإنسان بالبذل والعطاء أولاً، ليظفر بما يعود عليه من الربح أخيراً ، وكفاح الدين هو الآخر نوع من التجارة، من حيث إن المرء يُضطر في سبيله كذلك إلى بذل الكثير من وقته ونفسه وماله، بيْد أن ربح التجارة الدنيوية محدود وهو يقتصر على الحياة الراهنة وحدها، وأما تجارة الدين فأرباحها لا تُحد وهي تشمل كلتا

الحياتين الدنيا والآخرة ، كما أن هذه " التجارة " تفتح باب الغلبة والتمكين، الذي هو الوسيلة الكبرى بالنسبة إلى طائفةٍ ذات مبدأ ورسالة للحصول على حياةٍ كريمةٍ تحت ظلالٍ وارفة من الأمن والاستقرار على هذه الأرض!!

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَـٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

لِلْحَوَارِيِّينَ: أصفياء عيسى وخواصه.

فَأَيَّدْنَا: قوينا المحقين بالإيمان.

ظَاهِرِينَ: غالبين بالحجج والبينات.

إن سيدنا المسيح عليه السلام وإن كان قد قوبل بالرفض والإنكار من جانب الأغلبية العظمى من بني إسرائيل، إلا أن بعضاً منهم وقفوا إلى جانبه عليه السلام وناصروه ما دام بين أظهرهم بكامل الإخلاص والوفاء، ثم قاموا بعد رفعه، بنشر تعاليمه ودفع مسيرته إلى الأمام بهمةٍ ونشاطٍ ، وهم الذين عرفوا بالحواريّين ، وهذه الفئة القليلة العدد هي وحدها قد أُعتبرت عند الله في عداد المؤمنين، بينما أُعتبر سائر اليهود، رغم إيمانهم بالأنبياء السابقين على المسيح، كافرين !

والغلبة المشار إليها في هذه الآية هي غلبة المؤمنين برسالة المسيح عامةً، على المكذبين برسالته من بني إسرائيل عامةً، كما حدث في التاريخ بالفعل ، فعلى إثر المسيح اعتنق الإمبراطور الرومانى قسطنطين الثاني (٢٧٢-٣٣٧م) الديانة النصرانية ، وقد كانت رقعة مملكته تمتد من بلاد الشام إلى فلسطين، مما جعل معظم رعاياه الرومانيين يدخلون في دين المسيح زرافات ووحداناً، حتى بات اليهود إزاءهم أقليةً مغلوبةً على أمرها ، كما

أن دولة إسرائيل اليهودية في العصر الحديث هي الأخرى ليست مستقلةً بذاتها أوْ قائمة على رجليها ، وإنما هي تابعة لكبرى الدول المسيحية من كل الوجوه والاعتبارات !!

سورة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾

يُسَبِّحُ لله: ينزهه ويمجده ويدل عليه.

المَلِكِ: مالك الأشياء كلها.

القُدُّوسِ: البليغ في النزاهة عن النقائص.

العَزِيزِ: القادر الغالب القاهر.

الأُمِّيِّينَ: العرب المعاصرين له ﷺ .

وَيُزَكِّيهِمْ: يطهرهم من أدناس الجاهلية.

وَآخَرِينَ مِنْهُمْ: من العرب.

لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ: لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون.

إن بعث الله – سبحانه وتعالى – بالرسل لهداية بني الإنسان، يتمثل، على المستوى البشري، ظهور نفس تلك الصفات الإلهية التي تجلت في هذا الكون على المستوى المادي . ولقد بُعث رسول الإسلام ﷺ شأنه شأن من سبقه من الأنبياء والمرسلين،

للقيام بوظيفة ذات جانبين: أحدهما : تلقى الوحي عن الله وإبلاغه إلى الناس كافةً، وثانيهما: العمل على إيقاظ وعي الناس وتنبيه شعورهم لكي يفهموا كلام الله، ويتمكنوا من الربط بينه وبين حياتهم الواقعية برباطٍ عملي وثيق ، وسيبقى هذان العملان - تعليم القرآن والتربية العقلية - هما المحور الرئيسي الذي يدور عليه جهد الدعوة والإصلاح فيما بعد عصر النبوة كذلك .

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾

حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ: كلفوا العمل بما فيها (اليهود) .

يَحْمِلُ أَسْفَاراً: كتبا عظاما ولا ينتفع بها.

هَادُوا: تدينوا باليهودية.

إن شعباً ما حين يُؤتمن على كتاب الله، فإنما يؤتمن عليه لكي يُقرّه في صميم كيانه، ويسير في حياته العملية على هداه ، ولكن الشعب الذي لا ينهض بحمل أمانة الكتاب السماوي بهذا المعنى، فإن مثله كمثل حمار ينوء بالكتب العلمية الضخمة وهو لا يدري ماذا يحمل على ظهره ؟! وإن اليهود، وإن كانوا قد نبذوا دين الله عملياً وراء ظهورهم، إلا أنهم كانوا قد اتخذوا منه موضع الفخر والاعتزاز القومي ، غير أن فخراً مجرداً كهذا لن يغني عن أحدٍ فتيلاً ، ومثل هذا الفخر يقوم دوْماً على الزيف والخداع ، وحسبك

دليلاً على ذلك أنك تراه يحاول التنصل، إذ جدّ الجد، من تقديم أية تضحياتٍ لهذا الدّين الذي يكون قد جعل منه أداة فخره واعتزازه ، على أن أمثال هذا سيدركون، إذا حضرهم الموت، أن الفخر الذي كانوا يعيشون عليه في الدنيا لم يكن ليعود عليهم في الآخرة بشيءٍ سوى الذل والهوان!!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١ ﴾

وَذَرُوا البَيْعَ: اتركوه وتفرغوا لذكر الله.

فَانتَشِرُوا: تفرقوا للتصرف في حوائجكم.

انفَضُّوا إِلَيْهَا: تفرقوا عنك قاصدين إليها.

الإنسان في هذه الحياة مطالب بمقتضيْن اثنين في آنٍ واحدٍ،أحدهما : مقتضى المعاش، والآخر مقتضى الدين،وكلاهما ضروري لابد من العناية بتحقيقه على السواء،إلا أنه ينبغي أن يتم تقسيم الوقت والجهد والطاقة بينهما بحيث تبقى الأنشطة المتصلة بكسب المعاش تابعةً دائماً للمقتضيات الدينية . فلا بأس في أن يكدح المؤمن سعياً وراء ابتغاء المعاش في إطار الحدود المشروعة ، ولكن يجب عليه أن يعدّ نجاح مسعاه ذاك منةً خالصةً من الله وفضله،وأن يظل موصول القلب بالله، دائم الذكر له تعالى في أثناء اشتغاله بالكسب والارتزاق،كما ينبغي له - إلى جانب ذلك - أن يكون دوْماً على أهبة الاستعداد للاستجابة وتلبية النداء إذا ما دُعي إلى

القيام ببعض مقتضيات الدين،نافضاً يده في ذلك الوقت من كل المشاغل الأخرى سواه .

ولقد حدث ذات مرةٍ أن نهض بعض الصحابة، والرسول قائم في المسجد يخطبهم للجمعة، وانصرفوا مسرعين إلى سوق المدينة لشراء ما جاء به أحد التجار من الطعام ، خشية أن ينفد لو انتظروا تمام الصلاة ، وفي تلك المناسبة نزلت هذه الآيات الكريمة بما فيها من تعقيب على الحادث وتوجيه وتأديب لمن تركوا الرسول في أثناء الخطبة خاصةً، وللمسلمين عامةً. وهذا الحكم ، وإن كان يتعلق أساساً بصلاة الجمعة، إلا إنه ينسحب، بصورة غير مباشرةٍ، على كل الأعمال الدينية ، فكلما جُمع المسلمون على صعيد واحدٍ لأي مهمة خاصةٍ من مهام الدين، فإن مغادرة المجلس عندئذٍ، بدون إذن الأمير أو القائد، حرمان عظيم لا يعدله حرمان !!

سورة المنافقون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ﴾

جُنَّةً: وقاية لأنفسهم وأموالهم.

آمَنُوا: بألسنتهم لا غير.

من علامة نفاق المرء أن يرفع عقيرته بالأقوال والدعاوى الكبيرة، ويحلف بالله تأكيداً على كلامه ليصدقه الآخرون مخدوعين بأيْمانه الكذوب . إن الإنسان المخلص يتميز بسمة التواضع والخشوع لسيطرة الخشية الإلهية عليه دائماً .. فهو ينطق بقلبه أكثر مما ينطق بلسانه ، والمنافق إنما يحرص على إيصال صوته إلى مسامع البشر أمثاله وحدهم، بينما يود الإنسان المخلص أن يُسمع صوته الله رب البشر، ولا يتحقق ذلك إلا إذا كان صادراً من قلب نقيٍ وضمير خالصٍ ، وحين يؤمن شخص ما، فإنه يقطع على نفسه عهداً جاداً، ثم تواجهه من بعد ذلك شتى المواقف العملية في الحياة اليومية، حيث يقتضي الأمر أن يعمل وفقاً لعهده ذاك ، والآن، فمن ينصت في مواقف كهذه لنداء ضميره، ويوفي بمقتضيات العهد، يزداد إيمانه قوةً ورسوخاً باستمرارٍ ، وعلى العكس من هذا، فإن من لا يلتفت إلى نداء ضميره حين يناديه بالتزام العهد، ويعمل بخلاف مقتضاه، سيصل به الأمر شيئاً فشيئاً إلى أن يفقد حساسيته مطلقاً إزاء العهد

الذي كان قد قطعه على نفسه يوم نطق بكلمة الإيمان ، وهذا هو معنى الطبع على القلب الذي لا يعود صاحبه بعد ذلك يفقه أوْ يَعي من أمر الحق شيئاً !!

﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝ ﴾

فَطُبِعَ: ختم بسبب الكفر.

لاَ يَفْقَهُونَ: لا يعرفون حقيقة الإيمان.

خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ: إلى الحائط ، أجسام بلا أحلام.

هُمُ العَدُوُّ: الراسخون في العداوة.

أَنَّى يُؤْفَكُونَ: كيف يصرفون عن الحق ؟.

لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ: عطفوها إعراضا واستهزاء.

المنافق يحافظ على مصالحه بالسير على سياسة الانتهازية والمداهنة في حياته،فهو لا يتعرض أبداً لموضوع الحق والباطل في خلال معاملاته وارتباطاته مع الناس،مما يجعله يلقى الحفاوة والترحيب أينما حل وسار ،وهو يعيش خالي البال من كل همٍ وغمٍ؛ فيسمن بدنه نتيجة ذلك، بحيث يعود محل الإعجاب لدى الناظرين،وهو إذ يتحدث، يتخير في كل مناسبة من المواضيع والألفاظ والأساليب ما يتفق مع أمزجتهم وميولهم، ولذا يجد الكل في حديثه ما يثير اهتمامه ويستهويه،بيد أن هذه الأشجار الضخمة

المتفرعة الباسقة، على ما يبدو ظاهراً، لا تعدو في الحقيقة أن تكون خشباً جافاً ليس فيها حياة ولا حركة ، وهكذا المنافق يخدع العيون بمظهره الوقور الأنيق وملء إهابه الجبن والخور والبلادة، وتكون مصالح دنياه عنده أكثر أهمية وأجدر بالعناية من كل مصلحة دينيةٍ ، وأمثال هذا، رغم كونهم يدّعون الإيمان بأصواتٍ مدويةٍ مجلجلة، ليسوا من المؤمنين في شيءٍ !!

﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾

حَتَّى يَنفَضُّوا: كي يتفرقوا عنه ﷺ .

رَّجَعْنَا: من غزوة بني المصطلق.

لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ: الأشد والأقوى يعنون أنفسهم.

الأَذَلَّ: الأضعف والأهون ، يعنون الرسول ﷺ والمؤمنين.

وَلِلَّهِ العِزَّةُ: الغلبة والقهر.

كان المجتمع المدني في عهد الرسول يضم صنفين من المسلمين : مهاجرين وأنصار ، ولقد جاء المهاجرون إلى المدينة بوصفهم مشردين مطرودين تركوا ديارهم وأموالهم في مكة ، فكان سندهم الظاهري الوحيد في هذا المجتمع الجديد هو ما أبداه المسلمون المحليون - الذين عُرفوا بالأنصار - من روح التضامن والسماحة والإيثار ، وبناء على هذا كان عبيد المادة السطحيون ينظرون إلى المهاجرين باحتقارٍ شديدٍ باعتبارهم فئةً ذليلةً لا يقام لها وزن، وبالمقابل كان الأنصار عندهم أصحاب العزة والكرامة ، حتى

بلغت الجرأة والوقاحة بعبد الله بن أبي، زعيم المنافقين، إلى حد أنه استخف بشأن المهاجرين على مسمع من بعض الأنصار قائلاً : ما حقيقة هؤلاء ؟ فلئن أخرجناهم من بلادنا، إنهم لن يجدوا في الأرض مأوى يلجؤون إليه ! إن ألفاظاً كهذه لا يمكن أن يتفوه بها إلا من يجهل حقيقة أن ما في السماوات والأرض كله لله، وأنه تعالى هو وحده يعطي من يشاء وينتزع ممن يشاء ؛ لحكمة دقيقة لا يعلمها إلا هو !!.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١١ ﴾

لاَ تُلْهِكُمْ: لا تشغلكم وتصرفكم.

ذِكْرِ الله: عبادته وطاعته.

لَوْلا أَخَّرْتَنِي: هلا أمهلتني وأخرت أجلي.

إن قضية الآخرة هي القضية الكبرى بالنسبة لكل إنسان في هذا العالم ، غير أن الانشغال في الأموال والأولاد يلهي الإنسان عن هذه القضية الكبرى ، ويجدر بالإنسان أن يدرك -قبل فوات الأوان - أن المال والولد ليسا غاية وجوده، بل إنهما وسيلة فقط، وإنما يتاح لأحد الناس ما يُتاح من ذلك لكي يوظفه في تحقيق مشيئة الله وإنجاز منهجه، وفي سبيل الإعداد لآخرته وتحسين عاقبته الدائمة هناك ، ولكن الجاهل ينظر إلى المال والولد على أنهما الغاية المقصودة ذاتها من هذه الحياة ، وحين ينتهي الجهلة الغافلون المغرورون كهؤلاء إلى المصير النهائي البائس الذي ينتظرهم، فلن يملكوا إزاءه سوى أن يتجرعوا مرارة الندم والحسرة إلى الأبد !

سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾

يُسَبِّحُ لله: ينزهه ويمجده ويدل عليه.

لَهُ الْمُلْكُ: التصرف المطلق في كل شيء.

بِالْحَقِّ: بالحكمة البالغة.

فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ: أتقنها وأحكمها.

قوله : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ معناه أن الكون كله آية مصداق للحقيقة، التي كشفها الله – سبحانه وتعالى – عبر القرآن الكريم ، وأنه يؤيدها بلسان حاله تأييداً يبلغ درجة الحمد والثناء ، فالذين لا يؤمنون، رغم هذا الإعلان الثاني، إنما ينبغي لهم أن يرتقبوا الإعلان الثالث الذي سيحضر البشر على إثره بين يدي الله، لكي يستمعوا إلى رب الكون نفسه وهو ينطق بقضائه الأخير في شأن مصيرهم الأبدي !!

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴿٦﴾

وَبَالَ أَمْرِهِمْ: سوء عاقبة كفرهم في الدنيا.

وَتَوَلَّوْا: أعرضوا عن الإيمان بالرسل.

يتضمن تاريخ الأنبياء والمرسلين الذين جاؤوا برسالة الحق في مختلف العصور الماضية، رصيداً دائماً لا ينفد من العبر والعظات الغالية لبني الإنسان ، فمثلاً : بُعث إلى قوم عاد وثمود وأهل مدين وقوم لوط وغيرهم رسل من الله، ولم يكن يملك هؤلاء للدلالة على صدقهم أي مهارة أو خصوصيةٍ فوق البشرية، سوى الدليل ، وإن إنكار الحق على مستوى الدليل هو ما جعل تلك الشعوب تستحق العذاب الإلهي ، ومن هذا نعلم أن امتحان المرء في هذه الدنيا هو أن يتعرف على الحق على مستوى الدليل، ومن يفشل في معرفة الحق على مستوى الدليل سيظل محروماً من الحق ما دامت السماوات والأرض .

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٨﴾ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٠﴾ ﴾

وَالنُّورِ: القرآن.

لِيَوْمٍ: في يوم القيامة حيث تجتمع الخلائق للحساب والجزاء.

يَوْمُ التَّغَابُنِ: يظهر فيه غبن الكافر بتركه الإيمان وغبن المؤمن بتقصيره في الإحسان.

الناس يحسبون الدنيا موضع الربح والخسارة (التغابن) ، فإذا حصل بعضهم هنا على النجاح طار فرحاً ومرحاً. وأما إذا تعرض شخص ما للفشل تحامته العيون ازدراءً واحتقاراً لشأنه، ولكن الحقيقة هي أن خسارة الدنيا وربحها كلاهما عديم القيمة والجدوى على حدٍ سواءٍ .

إن مكان الربح والخسران الحقيقي هو الآخرة ، فالخاسر هو الذي يخسر في الآخرة، وكذلك الرابح هو من يربح في الآخرة ، ومقياس الربح والخسران هناك يختلف عن مقياسهما في حياتنا الراهنة ، حيث يقاس الربح والخسارة في الدنيا بالأسباب والمظاهر المادية المحسوسة، بينما هما يقاسان في الآخرة بمدى قرب الإنسان أو بعده من مستوى الأخلاق الإلهية ، وسيُصاب الناظرون يومئذٍ بالدهشة ، إذ يرون أن الأمر ها هنا قد تغير تماماً ، فما كان يعده الناس فوزاً كان في الحقيقة خسراناً، وما ظلوا ينظرون إليه على أنه خسران، كان هو الأحْرى والأحق بأن يُسمى بالفوز. والواقع أن ربح يومئذٍ هو الربح وخسارة يومئذٍ هي الخسارة !!

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

بِإِذْنِ اللهِ: بإرادته وقضائه وقدره تعالى.

يَهْدِ قَلْبَهُ: يوفقه لليقين والصبر والتسليم.

إن المصيبة - أية مصيبةٍ - لا تجيء تلقائياً، بل تأتي المصائب كلها - صغيرة كانت أوْ

كبيرةً - من عند الله وبإذنه تعالى ، وهي تأتي لكي يُتاح للإنسان عَبْرَها فرصة لتلقي الهداية ، فالمصيبة تُلين قلب الإنسان وتُرقق فؤاده، وتهز نفسيته هزاً عنيفاً ، وعليه فالمصائب تلعب دور الموقظ أوْ المنشِّط للعقل الإنساني ، ولو حفظ المرء نفسه من الانفعالات السلبية، لصارت المصيبة بالنسبة إليه أفضل معلم رباني!! .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾

فِتْنَةٌ: بلاء ومحنة واختبار.

يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ: يكف بخلها الشديد مع حرصها.

قَرْضاً حَسَناً: احتسابا بطيبة نفس وإخلاص.

إن نفس الإنسان أشد ما تكون تعلقاً بأولاده في هذه الحياة ، حيث تراه يتحدث كثيراً عن المبدأ ويؤكد عليه بشدةٍ ما دام الأمر يتصل بأشياء أخرى غير أولاده، ولكنه سرعان ما ينسلخ من كل المبادئ والالتزامات ويضرب بها عرض الحائط إذا كان في الأمر مساس بمصلحة من مصالح أولاده ، ومن هنا جاء في الحديث : " الولد مجبنة مبخلة ، كما ورد في حديث آخر : " يؤتى برجلٍ يوم القيامة فيقال : أَكَل عيالُه حسناته" . يضن الإنسان بماله فيمسك يده عن البذل والإنفاق في سبيل الله من أجل أولاده ، في حين أنه لو أعطى في سبيل الله عن طيب نفسٍ، لعوّضه الله من ذلك في

صورٍ شتى ما يزيد على عطائه هو في سبيله تعالى أضعافاً كثيرةً ، وفوق هذا سيتلقاه الله يوم القيامة بما هو أحوج ما يكون إليه يومئذٍ، ألا وهو العفو عن الخطايا وغفران الذنوب !!

سورة الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾

فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ: مستقبلات لعدتهن (الطهر).

وَأَحْصُوا العِدَّةَ: اضبطوها وأكملوها ثلاثة قروء.

بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ: بمعصية كبيرة ظاهرة.

بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ: قاربن انقضاء عدتهن.

مَخْرَجاً: من كل شدة وضيق وبلاء.

لاَ يَحْتَسِبُ: لا يخطر بباله ولا يكون في حسابه.

فَهُوَ حَسْبُهُ: كافيه ما أهمه في جميع أموره.

قَدْراً: أجلا ينتهي إليه أو تقديرا أزلا.

شرّع الإسلام الطلاق كعلاجٍ لا مفر منه لحالة استثنائية؛ يتعذر معها ارتباط الزوجين أحدهما بالآخر واشتراكهما في حياة واحدةٍ في جوٍ من المودة والتعاون الإيجابي البنّاء والثقة المتبادلة،ولكنه حدّد لإيقاعه أسلوباً خاصاً يستغرق فترةً معينةً من الزمان،وهكذا تم تقييد عملية الطلاق ببعض الحدود والحكمة من هذا التقييد أن تظل فرصة المعاودة بين الفريقين قائمة حتى اللحظة الأخيرة، وألا يتسبب حادث الطلاق ما أمكن في إثارة أي نوعٍ من الفساد الأسري أوْ الفوضى الاجتماعية. ويُلاحظ هنا أن الطلاق لا يكون على وفق الشريعة الإسلامية إلا إذا كان يصحبه روح الخشية الإلهية عبر كل مراحله !!

﴿ وَٱلَّـٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّـٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَـٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ ﴾

يَئِسْنَ: انقطع رجاؤهن لكبرهن.

وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ: لصغرهن عدتهن ثلاثة أشهر.

يُسْراً: تيسيرا وفرجا.

فرضت الشريعة الإلهية على الإنسان فيما يتعلق بقضية الطلاق وغيرها من قضايا الحياة الاجتماعية مجموعةً من الضوابط والقيود، وقد تبدو هذه الضوابط والقيود للوهلة الأولى كأنها حاجز يحول بين الإنسان وبين استخدامه حريته كيفما يشاء، ولكنها نعمة وأي نعمةٍ ، فالمرء إذا التزم بهذه الضوابط في حياته اليومية، صار بمنجاةٍ من كثيرٍ

من المتاعب والخسائر غير الضرورية ، وبالإضافة إلى ذلك فقد جُعل نظام هذا العالم بحيث يتم هنا تلافي كل خسارةٍ بالضرورة على نحو ما .. غير أن هذا التلافي ليس إلا من نصيب مَن لا يخرج من دائرة الفطرة على أية حالٍ !

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾

وُجْدِكُمْ: وسعكم وطاقتكم.

وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم: تشاوروا في الأجرة والإرضاع.

تَعَاسَرْتُمْ: تضايقتم وتشاحنتم فيهما.

ذُو سَعَةٍ: غنى وطاقة.

قُدِرَ عَلَيْهِ: ضيق عليه.

المطلوب من المسلم - كما يريده الإسلام - أن يعامل الآخرين بروح السماحة وسعة القلب، فيقابل ما لا يروق له أوْ يزعجه من سلوك الغير بجميل الصبر والتحمل ، ويؤدي إلى الغير حقه مهما ساءت العلاقات بينهما، والمرء إذْ يفعل ذلك فإنه لا يحسن إلى غيره فقط، وإنما يحسن إلى نفسه كذلك ، حيث إنه يولّد بذلك في داخله مزاج الواقعية ، وليس من شكٍ في أن مزاج الواقعية هو الوسيلة الكبرى لإحراز النجاح في أي مجالٍ من مجالات الحياة .

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ﴾

وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ: كثير من أهل قرية.

عَتَتْ: تجبرت وتكبرت وأعرضت.

عَذَاباً نُّكْراً: منكرا شنيعا في الآخرة.

وَبَالَ أَمْرِهَا: سوء عاقبة عتوها.

خُسْراً: خسرانا وهلاكا.

ذِكْراً: قرآنا.

رَسُولاً: أرسل رسولاً، أو جبريل.

قوله ﴿ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ جاء هنا في سياق القوانين التي شرعها الإسلام عن تنظيم الأسرة . لقد كان العالم في قديم الزمان تسوده الأوهام والخرافات من أقصاه إلى أقصاه، كما كانت هناك شتى العقائد الخرافية التي أقامت العلاقات بين الرجل والمرأة على الأسس غير الفطرية ، ولما نزل القرآن الكريم قضى على هذه الخرافات البالية قضاءً مبرماً، وأقام العلاقة بين الجنسيْن على أساس الفطرة من جديدٍ ، والذين لا يسلكون في طريق الصلاح، رغم هذا التدبير

الإلهي، فليس لهم في دنيا الله هذه شيء سوى الهلاك والخسران عاجلاً أوْ آجلاً ..

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ هذه الفقرة تدلنا على أن مصدر التقوى هو العقل، فعن طريق استخدام العقل والشعور وحده يرقى المرء إلى ذلك المقام الأسمى الذي يُسمى في الاصطلاح الديني بالتقوى !!

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾

يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ: يجري قضاءه وقدره أو تدبيره.

لئن كان المراد بقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ هو السبع أرضين كالسماوات السبع، فإن العلوم الفلكية لم تتمكن بعدُ من اكتشافها ،فالأرض هذه - طبقاً للمعلومات المتوافرة لدينا، إلى حين كتابة هذه السطور - استثناء فريد من نوعه في هذا الكون بأسره ، لذا فالله وحده أعلم بالمقصود من قوله هذا .

﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ هذا يوضح لنا أن ما يطلبه الله من الإنسان أصلاً إنما هو " العلم". يعني الشعور بالذات الإلهية. إن هذا المصنع الكوني الضخم إنما تم إيجاده لكي يتعرف المرء من خلاله على الخالق، ولكي يصل عبره إلى معرفة قدرة الله المطلقة اللانهائية !!

سورة التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾

مَا أَحَلَّ الله لَكَ: شرب العسل.

تَبْتَغِي: تطلب.

تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ: تحليلها بالكفارة.

وَاللهُ مَوْلاكُمْ: ناصركم ومتولى أموركم.

حلف رسول الله ﷺ في مواجهة بعض المشكلات العائلية المثارة من قبل زوجاته، بأنه لن يشرب العسل أبداً، ولكن فعل الرسول تشريع؛ فكل ما يُلزم به نفسه يصير نموذجاً يحتذى به بالنسبة إلى أمته جمعاء، ولذلك أمره الله سبحانه بأن يتحلل من يمينه بأدَاء كفارتها الشرعية، ويعود بالتالي إلى الاستمتاع بما حرمه على نفسه مما هو حلال له، ذلك لكيلا يأخذ أفراد أمته فيما بعد في اجتناب العسل وعدم تناوله مطلقا باعتبار هذا العمل من لوازم الورع والتقوى!!

﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ

إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾

نَبَّأَتْ بِهِ: أخبرت به غيرها.

وَأَظْهَرَهُ الله عَلَيْهِ: أطلعه الله تعالى على إفشائه.

صَغَتْ قُلُوبُكُمَا: مالت عن حقه ﷺ عليكما.

تَظَاهَرَا عَلَيْهِ: تتعاونا عليه بما يسوؤه.

هُوَ مَوْلاهُ: وليه وناصره.

ظَهِيرٌ: فوج مظاهر معين له.

قَانِتَاتٍ: مطيعات خاضعات لله.

سَائِحَاتٍ: مهاجرات ، أو صائمات.

تعقيباً على الحادث المذكور أعلاه، جاءت هذه الآيات تلفت انتباه زوجات الرسول إلى خطورة ما أحدثه بعضهن من الأزمة العائلية في بيته - عليه الصلاة والسلام - بأسلوبٍ يشبه التهديد والإنذار، ومن هذا يتبين لنا أهمية النساء في شؤون الحياة .. والحقيقة أن النساء هن " النصف الأفضل " لأزواجهن إذا قمن بواجب مرافقتهم على خير ما يرام من الصدق والإخلاص والوفاء .. وأما إذا لم يرضين بأداء دورهن كرفيقات مخلصات على مدى العمر، فإنهن يستطعن إحباط مشروع إنسان هادف بأكمله بإثارة الضجة أوْ الشغب في بيته على توافه الأمور !!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

قُوا أَنْفُسَكُمْ: جنبوها بالطاعات.

غِلاظٌ شِدادٌ: قساة أقوياء وهم الزبانية.

كثيراً ما يحدث في حياتنا الراهنة أن المرء ينظر إلى بعض الأشياء على أنه حق، ولكن حبه الزائد الشديد لزوجته وأولاده يحمله على ترك ما يعتقده في قرارة نفسه حقاً، وفعل ما يُرضي أولاده وزوجته ولو بالوسائل اللامشروعة أو الطرق غير المحمودة ، بيْد أن هذا خطأ وخيم العواقب ، فلْيأخذْ المرء في حسبانه دائماً أن أولاده هؤلاء الذين يبالغ في الاعتناء بتلبية رغباتهم لدرجة أن ينسى - أوْ يتناسى - معها الاعتناء بالحق، سيتم تسليمهم غداً، من جراء سلوكهم المنحرف هذا، إلى زبانية جهنم الموكّلين بتعذيب أهل النار، وهم من القسوة والغلظة بحيث لا يعرفون اللين والرحمة، كالإنسان الآلي (الروبوت)، وإنما همهم الوحيد أن ينفذوا ما وُكلوا به فوراً بلا هوادة ولا محاباة !!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾

تَوْبَةً نَّصُوحاً: خالصة، أو صادقة أو مقبولة.

لاَ يُخْزِي الله النَّبِيَّ: لا يذله بل يعزه ويكرمه.

وضُع الإنسان في هذا العالم وسط ظروف وأحوال مهيأةٍ للامتحان والاختبار، ولذا فلا مندوحة للإنسان هنا من الوقوع بين حينٍ وآخر في خطأ ما ، ولكن بإمكانه أيضاً أن

يتلافى ذلك بالتوبة، أي بالرجوع إلى الله. وحقيقة التوبة هي الندم ولو أحس المرء بسوء ما فعل حقاً ، لأصيب بأشد حالات الندم والأسى، مما سيرغمه على تجنب ذلك الفعل فيما بعد قدر المستطاع .. ومن ثم جاء في الحديث : " الندم توبة " . كما روي عن بعض الصحابة، وهو يصف الإنسان التائب، قوله : "يتوب ثم لا يعود". والتوبة هي ما كانت توبةً نصوحاً أي صادقةً . وهي ليست علَماً على التفوه ببعض الكلمات وترديدها دون وعْي أوْ ندمٍ، فعن عليّ ﷺ أنه سمع أعرابياً يقول :" اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك " وذلك على إثر اقترافه بعض الذنوب، فقال علي : " يا هذا إن سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين .. " إن التوبة الصادقة هي نور الآخرة، بينما التوبة الكاذبة ستنقلب ظلاماً في الآخرة !

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ: شدد. أو اقس عليهم.

فَخَانَتَاهُمَا: بالنفاق أو النميمة.

فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا: فلم يدفعا ولم يمنعا عنهما.

إن الأمر بجهاد المنافقين - إلى جانب جهاد الكفار - هنا يعني تناولهم بالمحاسبة الشديدة ، وهذا حكم دائم،حيث ينبغي للكبار والمسئولين في المجتمع الإسلامي أن يتعهدوا أفراد المجتمع بالإشراف والرعاية دائماً، ويرصدوا كل تحركاتهم بعيونٍ ساهرة، فمن واجبهم إذا ما رأوا أحداً منهم يباشر ما لا يليق به كفرد مسلمٍ،أوْ يعود عليه وعلى المجتمع بالضرر،أن يحاولوا منعه من ذلك بكل الطرق والأساليب الممكنة ، وإن

الإنسان ليس ينفعه عند الله يوم القيامة شيء سوى عمله الذاتي،حتى قرابته من الصالحين أوْ انتسابه إليهم لن يغني عنه يومئذٍ فتيلاً. فلقد كان نوح ولوط نبيين عظيمين من أنبياء الله، غير أن زوجتيْهما لم تكونا وفيتيْن لهما بإضمارهما المودة القلبية والولاء لأعداء الحق ، مما أدى إلى انخراط كل واحدةٍ منهما، رغم كونها في عصمة النبي، في سلك أهل النار !!

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾

أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا: عفت وصانته من الرجال.

مِن رُّوحِنَا: روحا من خلقنا بلا توسط أب (عيسى) .

مِنَ القَانِتِينَ: من القوم المطيعين لربهم.

كان فرعون رجلاً كافراً وظالماً ، ولكن زوجته (آسية بنت مزاحم) كانت امرأة مؤمنةً صالحةً ، ولما أخذت الزوجة نفسها بالتزام طريق الصلاح والاستقامة، لم يضرها فساد الزوج شيئاً ، حيث أُلقي بالزوج في نار جهنم، بينما حظيت الزوجة بمقام أمين كريم في جنات النعيم !!

قوله: ﴿ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ كناية عن الحفاظ على عفتها ، فقد ظلت السيدة مريم -عليها السلام- عفيفةً طاهرة مصونة من كل ما يخدش الشرف أوْ العرض مذ كانت طفلة صغيرةً إلى أن بلغت سن الشباب ، ومن ثم اختارها الله سبحانه لتكون أماً للنبي "المعجزة "،وقد نفخ جبريل بأمرٍ من الله - كما ورد في بعض الروايات - نفخةً في جيب قميصها، فحملت بسيدنا عيسى عليه السلام بدون أب !

سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ ﴾

تَبَارَكَ الَّذِي: تعالى وتمجد أو تكاثر خيره.

بِيَدِهِ الْمُلْكُ: له الأمر والنهي والسلطان.

خَلَقَ الْمَوْتَ: أوجده، أو قدره أزلا.

لِيَبْلُوَكُمْ: ليختبركم فيما بين الحياة والموت.

أَحْسَنُ عَمَلاً: أصوبه وأخلصه أو أسرع طاعة.

طِبَاقاً: كل سماء مَقْبيَّةٌ على الأخرى.

تَفَاوُتٍ: اختلاف وعدم تناسب.

فُطُورٍ: شقوق وصدوع أو خلل.

كَرَّتَيْنِ: رجعتين رجعة بعد رجعة.

خَاسِئاً: صاغراً لعدم وجدان الفطور.

وَهُوَ حَسِيرٌ: كليل من كثرة المراجعة.

إن شخصاً ما حين يدرس عالمنا الراهن يفاجأ بوجود نوعٍ من التناقض ، حيث يرى الكون بأكمله، ما عدا الإنسان؛ يتسم بمنتهى الكمال ودقة التنظيم والانسجام؛ ولا يوجد فيه نقص أوْ خلل في أي ناحية من نواحيه، بينما تبدو الحياة الإنسانية، على نقيض من هذا، مملوءةً ظلماً وفساداً وفوضى . والسبب في هذا التناقض بين العالَمَيْن - عالم الطبيعة وعالم البشر - يرجع إلى وضعية الإنسان المتميزة ، فالإنسان يمر في هذه الدنيا بحالة امتحان، والامتحان يستلزم توفير حرية العمل والتصرف بالضرورة .. وحرية العمل هذه هي التي أتاحت للناس فرصتهم ليملؤوا البر والبحر بألوان الظلم والفساد .

إن مظالم العالم الإنساني هي ثمن الحرية المتاحة للإنسان امتحاناً ، ولولا هذا الوضع فكيف يمكن إذن انتقاء تلك النفوس الغالية التي تجنّبت الظلم رغم توافر إمكاناته ودواعيه، والتي ترفعت عن العناد والطغيان رغم القدرة على ممارسته .

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١ ﴾

بِمَصَابِيحَ: بكواكب عظيمة مضيئة.

رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ: بانقضاض الشهب منها عليهم.

شَهِيقاً: صوتا منكرا كصوت الحمير.

تَكَادُ تَمَيَّزُ: تتقطع وتفرق وتنشق.

فَوْجٌ: جماعة من الكفار.

فَسُحْقاً: فبعدا من الرحمة والكرامة.

صور القرآن أحوال جهنم وأهوالها في مواضع منه شتى ، وهذه جهنّم ، وإن كانت خارجةً عن حدود مشاهدة الإنسان المباشرة اليوم ، إلا أنها متجلية، بصورة غير مباشرةٍ، فيما ينطوي عليه هذا الكون العجيب من حكمة ومعنى وغايةٍ شاملةٍ ، والحقيقة هي أنه لولا وعيد اليوم الآخر الذي يؤاخذ فيه المجرمون ويلاقون جزاء إجرامهم،لصار هذا الكون، بكل ما يسري في أرجائه من حكمة وغاية، غير قابلٍ للتفسير !

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾

كون عذاب الآخرة غير قابلٍ للمشاهدة والتجربة في عالمنا الراهن مطابق تماماً للتدبير الإلهي ، حيث يريد الله سبحانه أن ينتقى من بين البشر أفراداً يسلمون بعظمته وهم لم يروه، ويمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه وهم لم يروه، وليس للتعرف على أمثال هؤلاء من سبيل إلا إذا أخفي عن أعين الناس مصيرهم الأخروي المحتوم، حتى يعمل المرء ما يعمل بمحض اختياره، لا خضوعاً لأوامر قسرية مفروضة عليه من الخارج فرضاً !

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم

مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾

الأَرْضَ ذَلُولاً: مذللة لينة سهلة تستقرون عليها.

مَنَاكِبِهَا: جوانبها، أو طرقها وفجاجها.

وَإِلَيْهِ النُّشُورُ: إليه تبعثون من القبور.

مَّن فِي السَّمَاءِ: أمره وقضاؤه وسلطانه.

يَخْسِفَ بِكُمُ: يغور بكم.

هِيَ تَمُورُ: ترتج وتضطرب فتعلو عليكم.

حَاصِباً: ريحا من السماء فيها حصباء.

كَيْفَ نَذِيرِ: كيف إنذاري وقدرتي على العقاب.

كَانَ نَكِيرِ: إنكاري عليهم بالإهلاك.

كل شيء في هذا الكوكب الأرضي يتسم بالتوازن إلى أقصى حدٍ، وهذا التوازن هو الذي جعل الأرض صالحةً لسكنى الإنسان ، ولو حدث أدنى خللٍ في هذا التوازن لأصبحت حياة الإنسان جحيماً لا يطاق،ودوام التوجه إلى الله بالشكر والامتنان على هذا العالم المتوازن الذي هيّأه لنا، والتعوذ به تعالى من المتاعب التي يمكن أن نتعرض لها في حالة اختلال هذا التوازن الكوني فجأةً، هو ما يطلبه الله من البشر !!

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ

ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾

صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ: باسطات أجنحتهن في الجو عند الطيران ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن.

أَمَّنْ هَذَا: بل من هذا ؟

جُندٌ لَّكُمْ: أعوان لكم ومنعة.

غُرُورٍ: خديعة من الشيطان.

لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ: تمادوا في استكبار وعناد.

وَنُفُورٍ: شراد وتباعد عن الحق.

إن طيران الطيور في الجو، وخروج الرزق من باطن الأرض ونحوهما من الظواهر والوقائع مما يحير العقل، ويدعو إلى الدهشة والإكبار الشديدين ، ولو تأمل الإنسان في هذه الوقائع بجديةٍ لغمره فيض من الشعور الإلهي ، ولكن الإنسان غافل لدرجة أنه يعاند ويتمرد على الله في عالم يلقنه فيه كل ما حوله من الأشياء درساً واحداً ليس غير، ألا وهو درس الطاعة الإلهية !

﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

مُكِباً عَلَى وَجْهِهِ: ساقطا عليه لا يأمن العثور.

يَمْشِي سَوِياً: يمشي مستويا منتصبا سالماً من العثور (مثل للمشرك والموحد) .

ذَرَأَكُمْ: خلقكم وبثكم وفرقكم.

خُلق الإنسان مزوداً بقوى السمع والبصر والتعقل ، والناس، بالنسبة إلى استخدام هذه المواهب، صنفان: فمنهم مَن يندفع وراء ما يسمع بلا رويّةٍ، ويصدق بما وقع عليه بصره كما يبدو ظاهراً دون التحقق من حقيقة أمره ، ويتمسك بالفكرة تنبت في رأسه من غير تمحيصٍ أوْ مراجعةٍ ، وهذا الإنسان شأنه شأن الحيوان يأخذ في السير على أي طريقٍ وُجه إليه وبصره ملتصق بمواطئ أقدامه، لا يلتفت إلى اليمين ولا إلى اليسار، وهو لا يدري إلى أين المسير ولماذا !؟

أما الإنسان الآخر فهو الذي يتحقق مما سمع، ويحاول الاطلاع على ما رآه بمزيدٍ من الدقة والصواب، وهو الذي يكتشف الصدق متحرراً من أنانيته وتحطيم قوقعته الذاتية. هذا الإنسان الأخير هو الذي يسير منتصباً معتدلاً على طريق واضح المعالم مستقيم لا عوج فيه، وإنما زُوِّد الإنسان بملكات السمع والبصر والفؤاد، كي يتعرف على الحق، لا أن يظل جاهلاً به غافلاً عنه كالأعمى الأصم !!

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾

رَأَوْهُ زُلْفَةً: رأوا العذاب قريبا منهم.

سِيئَتْ: كئبت واسودت غماً وذلاً.

بِهِ تَدَّعُونَ: تطلبون أن يعجل لكم استهزاء.

أَرَأَيْتُمْ: أخبروني أو أروني.

يُجِيرُ الكَافِرِينَ: ينجيهم أو يمنعهم أو يؤمنهم.

غَوْراً: غائرا ذاهبا في الأرض لا ينال.

بِمَاءٍ مَّعِينٍ: جار أو ظاهر سهل التناول.

إذا أبى المخاطب الإذعان للدليل، ولم تعدْ وسائل الإقناع المنطقي تجدي معه شيئاً، فإن الداعي يلجأ إلى تنبيه ضميره معبراً عن يقينه بقوةٍ ، والآيات محل تدبرنا هي بمثابة كلمات اليقين من هذا النوع ، ولئن كان المرء لا يزال يحتفظ بشعوره حياً لدرجةٍ ما، فإن هذه الكلمات الأخيرة ستقلق باله وتقض عليه مضجعه بكل تأكيدٍ، وأما الذي تبلد إحساسه وخمد شعوره كلياً، فإنه لا يستيقظ بأي تدبيرٍ أوْ وسيلةٍ، وهو لا يسلم بقيمة "الماء" ولا يقدره حق قدره إلا إذا حُرم منه وقذف به وحيداً في أحضان الصحراء !.

سورة القلم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ ﴾

وَالْقَلَمِ: (قسم) بالقلم الذي يكتب به.

وَمَا يَسْطُرُونَ: والذي يكتبونه بالقلم.

مَا أَنْتَ: يامحمد ﷺ.

غَيْرَ مَمْنُونٍ: غير مقطوع عنك .

بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ: في أي الفريقين منكم المجنون.

الخلق العظيم هو أن يتعامل الإنسان مع الآخرين بطريقة أسمى من طريقة تعاملهم معه، فهو لا يتبنى أسلوب المعاملة بالمثل؛ بأن يسيء إلى من أساء إليه، ويحسن إلى من أحسن إليه سواء بسواء، بل هو يحسن إلى الكل، حتى ولو كان الآخرون يسيئون إليه ، ولقد كان خلق رسول الله ﷺ من هذا النوع ذاته ، مما يثبت أنه - عليه الصلاة والسلام - كان رجل المبدأ، وأن شخصيته لم تكن وليدة الظروف المحيطة به، وإنما كانت شخصيته نتاج مبادئه العليا ، وكونه متحلياً بهذا الخلق الأسمى يتفق تماماً مع دعواه : أني رسول الله !

وأما القسم بالقلم وما يسطرون فالمقصود منه هو التسجيل التاريخي ، إن القرآن

وشخصية صاحبه - عليه الصلاة والسلام - يحتلان مكانةً استثنائيةً فذةً في كل ما تم تسجيله من الأحداث والذكريات الإنسانية في صورة التاريخ منذ أقدم العصور إلى يوم الناس هذا، وهذا الاستثناء لا يمكن تفسيره إلا بأن ننظر إلى القرآن على أنه كتاب الله وإلى محمدٍ على أنه رسول الله ﷺ .

﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ ﴾

وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ: أحبوا لو تلاينهم وتصانعهم.

فَيُدْهِنُونَ: فهم يلاينونك ويصانعونك.

حَلَّافٍ: كثير الحلف في الحق والباطل.

مَّهِينٍ: حقير في الرأي والتمييز أو كذاب.

هَمَّازٍ: عياب أو مغتاب للناس.

مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ: بالسعاية والإفساد بين الناس.

عُتُلٍّ: فاحش لئيم ، أو غليظ جاف.

زَنِيمٍ: دعي ملصق بقومه شرير.

أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ: أباطيلهم المسطرة في كتبهم.

سَنَسِمُهُ عَلَى الخرطوم: سنلحق به عارا لا يفارقه كالوشم على الأنف.

قوله: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ معناة أن المكذبين ليسوا جديرين بأن يطاعوا البتة ، فهناك - من جهةٍ - حامل لواء الحق الذي يقف على أرضية الدليل، والذي لا يوجد تناقض بين قوله وفعله ، - ومن جهةٍ أخرى - يعارضه قوم لا بضاعة عندهم سوى الأكاذيب والأخلاقيات الهابطة ، ويضع الداعي ثقته كلها في الحق والصدق، بينما يضع معارضوه ثقتهم في أوضاعهم المادية، والداعي إلى الحق ملتزم بالمبدأ، وأما معارضوه فليس نصب أعينهم أية مبادئ يراعونها ، ومن ثم لا يثبت هؤلاء على قولٍ أوْ رأي محدد، فتارةً يقولون كلاماً، وتارةً أخرى يقولون ما يناقضه تماماً ، ومَن رُزق نصيباً من العقل والفطنة يكفيه هذا الفارق وحده لكي يعرف المحق من المبطل !!

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

بَلَوْنَاهُمْ: امتحنا أهل مكة بالقحط.

الجَنَّةِ: بستان بالقرب من صنعاء.

لَيَصْرِمُنَّهَا: ليقطعن ثمارها بعد الاستواء.

مُصْبِحِينَ: داخلين في وقت الصباح.

وَلاَ يَسْتَثْنُونَ: حصة المساكين مخالفين لأبيهم.

فَطَافَ عَلَيْهَا: أحاط نازلا عليها.

طَائِفٌ: بلاء وعذاب (نار محرقة) .

كَالصَّرِيمِ: كالليل الأسود أو البستان المصروم.

فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ: نادى بعضهم بعضا حين أصبحوا.

اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ: باكروا مقبلين على ثماركم.

صَارِمِينَ: قاصدين قطعها .

يَتَخَافَتُونَ: يتسارون بالحديث فيما بينهم.

وَغَدَوْا: ساروا غدوة إلى حرثهم.

عَلَى حَرْدٍ: على انفراد عن المساكين.

قَادِرِينَ: على الصرام.

إِنَّا لَضَالُّونَ: الطريق ، وما هذه جنتنا.

أَوْسَطُهُمْ: أحسنهم رأيا وأرجحهم عقلا.

لَوْلا تُسَبِّحُونَ: هلا تستغفرون الله من فعلكم وخبث نيتكم.

يَتَلاوَمُونَ: يلوم بعضهم بعضا على قصدهم.

إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ: طالبون منه الخير والعفو.

إن ما يكسبه المرء في هذه الدنيا يبدو ظاهراً كأنه يأتيه من الحقل أوْ من أي موردٍ آخر ، ولكنه في الحقيقة من هبات الله سبحانه، ومَن ينظر إليه على أنه هبة الله ، ويخرج منه بالتالي حق العباد الآخرين، يبارك الله في كسبه . أما الذي يعد كسبه نتيجة مؤهلاته الذاتية ، ويأبى أداء حقوق الآخرين منه،فلن يغني عنه ما كسب شيئاً،وتلك سنة الله في الأفراد والأمم لا تتخلف أبداً ،وهي قد تنطبق على البعض في الحياة الراهنة ذاتها، وإنها ستفرض نفسها حتماً في الآخرة على كل الناس بدون أي استثناء أو محاباة !!

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾

لَمَا تَخَيَّرُونَ: للذي تختارونه لأنفسكم.

لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا: عهود مؤكدة بالأيمان.

لَمَا تَحْكُمُونَ: للذي تحكمون به أنفسكم.

زَعِيمٌ: كفيل بأن يكون لهم ذلك.

إن مَن لا يستشعر بقلبه مخافة الله يعطى الأهمية كلها للأشياء المحسوسة الماثلة بين يديه وحدها ، وفي مقابل ذلك فإن الخائف من الله هو الذي يصبح جاداً بالنسبة إلى حقائق الغيب، وهذان دوران متغايران تماماً ، وليس من شك في أن مصيرهما عند الله لن يكون سواءً!

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً

أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾

يُكْشَفُ عَن سَاقٍ: كناية عن شدة هول القيامة.

خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ: ذليلة منكسرة.

تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ: يغشاهم ذل وخسران وندامة.

فَذَرْنِي: دعني وخلِّني (تهديد شديد).

سَنَسْتَدْرِجُهُم: سندنيهم من العذاب درجة فدرجة حتى نوقعهم فيه.

وَأُمْلِى لَهُمْ: أمهلهم ليزدادوا إثما.

في يوم القيامة؛ إذْ يتجلى الحق - سبحانه وتعالى - للعيان، فلن يلبث جميع أهل الإيمان أن يخرّوا أمامه ساجدين تماماً كما خروا له ساجدين في سابق حياتهم ، ولن يوفق إلى هذا السجود لله يومئذٍ إلا المؤمنون الصادقون وحدهم ، وأما الذين كانوا يتظاهرون بالسجود في الدنيا كذباً ورياءً للناس، فستتصلب ظهورهم ساعتئذٍ مثلما كانت في واقع أمرهم متصلبةً عناداً واستكباراً في الحياة الدنيا ، وعبثاً يحاول هؤلاء أن يسجدوا هناك مع الساجدين ولكنهم لا يستطيعون ، وإنه لتقدير لأهل الإيمان المخلصين أيما تقديرٍ يوم يتجلى الله سبحانه بنفسه ليتلقى سجودهم له بالقبول، وبالمقابل فإنها ستكون ساعة خزيٍ وهوان لا يوصفان بالنسبة لأدعياء الإيمان الكاذبين، حيث يقفون بحضرة خالقهم ومالكهم ، ولا يملكون الإقرار بعبوديتهم له عملياً !!

﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ

﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

مَّغْرَمٍ: غرامة ذلك الأجر.

مُّثْقَلُونَ: مكلفون حملا ثقيلا.

كَصَاحِبِ الْحُوتِ: يونس عليه السلام.

مَكْظُومٌ: مملوء غيظا في قلبه على قومه.

لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ: لطرح من بطن الحوت بالأرض الفضاء المهلكة.

فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ: فاصطفاه بعودة الوحي إليه.

لَيُزْلِقُونَكَ: ليزلون قدمك فيرمونك.

العلاقة بين الداعي والمدعو علاقة جد حساسة ، والداعي مطالب بالتزام حسن السلوك وسمو الخلق من جانبٍ واحدٍ، فمهما فعل المدعو من إثارة الأقاويل السخيفة والشبهات حول الدعوة، ومهما قابل الداعي بالاحتقار والازدراء، ورماه بألوان التهم الكاذبة، ينبغي للداعي، على كل حال، أن يجَنّب نفسه مشاعر رد الفعل، وسر نجاح الداعي يكمن في شيئين اثنين هما : الصبر على إساءات المدعو، وعدم انتظار أية عوائد أوْ تعويضات مادية من المدعو على إرشاده إلى طريق الرشد والهداية.

سورة الحاقة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ۝١٢ ﴾

ٱلْحَآقَّةُ: الساعة يتحقق فيها ما أنكروه.

مَا الحَاقَّةُ: أي شيء هي في أهوالها.

بِالْقَارِعَةِ: بالقيامة تقرع القلوب بأفزاعها.

بِالطَّاغِيَةِ: بالصيحة المجاوزة للحدِّ في الشدة.

بِرِيحٍ صَرْصَرٍ: شديدة السموم أو البرد أو الصوت.

عَاتِيَةٍ: شديدة العصف.

سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ: سلَّطها عليهم بقدرته تعالى.

حُسُوماً: متتابعات. أو مشؤومات.

أَعْجَازُ نَخْلٍ: جذوع النخل بلا رؤوس.

خَاوِيَةٍ: ساقطة أو فارغة أو بالية.

وَالْمُؤْتَفِكَاتُ: قرى قوم لوط (أهلها).

بِالْخَاطِئَةِ: بالفعلات ذات الخطأ الجسيم.

أَخْذَةً رَّابِيَةً: زائدة في الشدة على الأخذات.

الْجَارِيَةِ: سفينة نوح عليه السلام.

تَذْكِرَةً: عبرة وعظة.

وَتَعِيَهَا: ولتحفظها.

من الناس مَن ينكر الآخرة صراحةً، ومنهم مَن لا ينكر الآخرة بألسنتهم، ولكن الهمّ الذي يشغل بالهم ليل نهار إنما يتمثل في هذه الدنيا وحدها، وبالتالي لا يكون ثمة فارق يُذكر بين حياتهم العملية وحياة المنكرين الصرحاء، فكلا هذين الصنفين من الناس واحد من حيث الحقيقة، وكلاهما عند الله مكذب بالآخرة، وإن كان تكذيب أحدهما بلسان المقال وتكذيب الآخر بلسان العمل، وأمثال هؤلاء معرضون للهلاك حتماً بموجب القانون الإلهي .. ولقد شهدت عصور الأنبياء وقوع هذا الهلاك بالمكذبين في الحياة الراهنة ذاتها، وسيقع ذلك بمن يستحقّه بعد عصر النبوة في الآخرة.

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾

نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ: النفخة الأولى لخراب العالم.

وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ: رفعت من أماكنها بأمرنا.

فَدُكَّتَا: فدقتا وكسرتا، أو فسويتا.

وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ: قامت القيامة.

وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ: تفطرت وتصدعت من الهول.

وَاهِيَةٌ: ضعيفة متداعية بعد الإحكام.

عَلَى أَرْجَائِهَا: جوانبها وأطرافها.

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ: بعد النفخة الثانية للحساب والجزاء.

إن العالم الراهن بُني تبعاً لمصلحة الامتحان، وإذا انقضت مهلة هذا الامتحان، فسوف يتم بناء عالم جديدٍ على أنقاض هذا العالم وفق مقتضيات جديدةٍ، وبينما يظهر جلال الله اليوم بصورة غير مباشرةٍ، سيظهر الجلال الإلهي يومئذٍ بصورة مباشرةٍ !!

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

هَاؤُمُ: خذوا أو تعالوا.

كِتَابِيَهْ: كتابي والهاء للسكت.

رَّاضِيَةٍ: مرضية لا مكروهة .

قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ: ثمارها قريبة التناول إذ يجنى.

هَنِيئاً: أكلا غير منغص ولا مكدر.

كَانَتِ القَاضِيَةَ: الموتة القاطعة لأمري ولم أبعث.

مَا أَغْنَى عَنِّي: ما دفع العذاب عني .

مَالِيَهْ: الذي كان لي من مال ونحوه .

سُلْطَانِيَهْ: حجتي أو تسلطي وقوتي.

فَغُلُّوهُ: اجعلوا الغُلَّ في يديه وعنقه.

الجَحِيمَ صَلُّوهُ: أدخلوه أو احرقوه فيها.

فَاسْلُكُوهُ: فأدخلوا فيها.

وَلاَ يَحُضُّ: لا يحث ولا يحرض.

حَمِيمٌ: قريب مشفق يحميه من العذاب.

غِسْلِينٍ: صديد أهل النار.

الخَاطِئُونَ: الكافرون.

النجاح في عالم الآخرة سيكون حليف من يعيش حياته الراهنة وهو يخاف الله ويخشى عقابه، أما الذي يعيش هنا وقلبه خاوٍ من كل خوف أوْ حذرٍ، ويعامل عباد الله

بالتجبر والعناد والطغيان، فإنه سيتورط في الآخرة في أشد العذاب وأقساه فلن يخفف عنه ساعةً ولن ينقذه منه أحد !!

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ﴾

فَلاَ أُقْسِمُ: أقسم و"لا" مزيدة.

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ: يبلغه عن الله أوحي إليه.

تَقَوَّلَ عَلَيْنَا: اختلق وافترى علينا.

بِالْيَمِينِ: بيمينه. أو بالقوة والقدرة.

الوَتِينَ: نياط القلب. أو نخاع الظهر.

عَنْهُ حَاجِزِينَ: مانعين الهلاك عنه.

لَحَسْرَةٌ: ندامة عظيمة.

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ: نزهه عما لا يليق به تعالى.

إن ما تبصرون وما لا تبصرون كلاهما شاهد على صدق هذا الكلام يعني أن المعلومات التي كانت في متناول الإنسان عند نزول القرآن الكريم، والمعلومات التي

كانت ستدخل في متناول الإنسان عبر العصور التالية، كلتاهما تتضافر على إثبات حقيقة هذا الكلام، فهذا الكلام لا يُبطله علم الحاضر، ولن يتمكن علم المستقبل من دحضه وإبطاله كذلك ، وعلى الرغم من هذا، فإن الذين لا يؤمنون به، إنما يقيمون الدليل على خلوّ أنفسهم من الجديّة فيما يتعلق بقضية الحق والباطل !!

سورة المعارج

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ ﴾

سَأَلَ سَائِلٌ: دعا داع على نفسه وقومه .

ذِي المَعَارِجِ: ذي السموات مصاعد الملائكة.

تَعْرُجُ المَلائِكَةُ: تصعد في تلك المعارج.

وَالرُّوحُ: جبريل عليه السلام .

فِي يَوْمٍ: هو يوم القيامة.

مِقْدَارُهُ: قي حق الكفار.

صَبْراً جَمِيلاً: لا شكوى فيه لغيره.

السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ: كالمعدن المذاب أو دُرْدِيِّ الزيت.

الجِبَالُ كَالْعِهْنِ: كالصوف المصبوغ ألوانا.

حَمِيمٌ: قريب مشفق لشدة الهول.

يُبَصَّرُونَهُمْ: يعرف الأحماء أحماءهم.

وَفَصِيلَتِهِ: عشيرته الأقربين المنفصل عنهم.

تُؤْوِيهِ: تضمه في النسب. أو عند الشدة.

إن مشاهد القيامة لا يمكن وصفها على نحوٍ حقيقيٍ في عالمنا الراهن ، وإنما تناولها القرآن بالتقريب من خلال الإشارة أوْ التصوير أوْ التمثيل في مواضع منه شتى، لكيما يتمكن الإنسان من استشعارها على وجه الإجمال ، والقيامة إذا قامت فإنها ستكون رهيبة مروعة لدرجة أن المرء يذهل عندئذٍ عن أقاربه ومصالحه، تلك التي هو يعتبرها اليوم من الأهمية بحيث يهمل من أجلها أمر الحق ولا يكاد يلقى إليه بالاً !!

﴿ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

إِنَّهَا لَظَى: جهنم، أو الدركة الثانية منها.

نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى: قاَّعَة للأطراف أو جلد الرأس.

فَأَوْعَى: أمسك ماله في وعاء بخلا.

جَزُوعاً: كثير الجزع والأسى.

مَنُوعاً: كثير المنع والإمساك.

وَالْمَحْرُومِ: من العطاء لتعففه عن السؤال.

مُّشْفِقُونَ: خائفون استعظاما لله تعالى.

العَادُونَ: المجاوزون الحلال إلى الحرام.

بينت هذه الآيات باختصارٍ صفات كلا النوعين من البشر؛ حيث عرّفت الذين سيُعتبرون أهلا لدخول الجنة، إلى جانب وصف أولئك الذين سيصبح ما قدمت أيديهم من سوء الأعمال سبباً في دفعهم إلى نار جهنم يوم القيامة .

﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

مُهْطِعِينَ: مسرعين مادي أعناقهم إليك.

عِزِينَ: جماعات متفرقين.

مِّمَّا يَعْلَمُونَ: من نطف مهينة مذرة.

إن الذين يقومون على غير الحق يرون في الدعوة الصريحة إلى الحق الخالق زوال سيادتهم واعتبارهم ، مما يجعلهم يسعون وراء إحباط دعوة كهذه واقتلاع جذورها

بكل ما يملكون من حول وطولٍ ، وتصرفاتهم اللاعقلانية هذه تحدو بهم شيئاً فشيئاً إلى الجحيم، ولكنهم يحسبون - بناءً على آمالهم الزائفة - أنهم يواصلون رحلتهم السريعة نحو جنات النعيم !!

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

فَلاَ أُقْسِمُ: أقسم و"لا" مزيدة.

بِمَسْبُوقِينَ: مغلوبين عاجزين.

فَذَرْهُمْ: فدعهم وخلهم غير مكترث بهم.

يَخُوضُوا: ينغمسوا في باطلهم.

الأَجْدَاثِ: من القبور.

سِرَاعاً: مسرعين إلى الداعي.

نُصُبٍ: أحجار عظموها في الجاهلية.

يُوفِضُونَ: يسرعون.

خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ: ذليلة منكسرة لا يرفعونها.

تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ: تغشاهم مهانة شديدة.

إن تعدد مشارق الأرض ومغاربها من حين لآخر يرجع إلى خصوصية فذة من

خصائص الأرض، وهي ما يُعرف بالميل المحوري، والذي يتسبب في حدوث الفصول المختلفة على مدار السنة، ولولا ميل الكرة الأرضية هذا بالنسبة إلى الشمس، لكانت الأرض أقل فائدةً بكثيرٍ مما هي عليه الآن ، فبفضل هذا الميل المحوري قد صارت الأرض لنا نحن البشر مصدر خيرات لا تحصى ومنافع لا توصف ، والعالم الذي يشهد مثالاً لتحويل الأقل نفعاً إلى الأكثر نفعاً كما ذكرنا آنفاً، ليس من المستبعد أيضاً أن تحدث فيه وقائع أخرى مماثلة ، وأما الذين لا يتَّعظون، رغم هذه الآيات الصارخة، فإنهم - ولا ريب - أناس يفتقرون إلى الجدية، وقلما يتعظ المفتقرون إلى الجدية أوْ يعتبرون، اللهم إلا إذا كانوا قد أرغموا على ذلك إرغاماً !

سورة نوح

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤ ﴾

إِنَّ أَجَلَ الله : وقت مجيء عذابه إن لم تؤمنوا.

سيدنا نوح عليه السلام هو أول الرسل إلى أهل الأرض بعد آدم - عليه السلام- وقد لخّص القرآن هنا فحوى رسالته التي عرضها على الفاسدين من أهل زمانه في النقاط الثلاث التالية : العبادة، التقوى، وإطاعة الرسول . يعني التخلي عن عبادة غير الله وإفراد الله وحده بالعبادة دون شريك ، وتأسيس الحياة الدنيا على تقوى الله وخشيته ، وأخيراً اعتبار الرسول هو القدوة في كل شأن من شؤون الحياة ، وهذه النقاط تمثل دعوة جميع الأنبياء المرسلين على اختلاف الأزمنة والأمكنة، كما أنها هي جوهر دعوة القرآن الكريم كذلك .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۝٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ۝٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم

مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾

فِرَاراً: تباعداً ونفاراً عن الإيمان.

وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ: بالغوا في التغطي بها كراهة لي.

وَأَصَرُّوا: تشددوا وانهمكوا في الكفر.

يُرْسِلِ السَّمَاءَ: المطر الذي في السحاب.

مِّدْرَاراً: غزيراً متتابعاً.

لاَ تَرْجُونَ لله وَقَاراً: لا تعتقدون أو لا تخافون عظمة الله.

خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً: مُدَرِّجا لكم في حالات مختلفة.

سَمَوَاتٍ طِبَاقاً: كل سماء مقبية على الأخرى.

نُوراً: منوراً لوجه الأرض في الظلام.

الشَّمْسَ سِرَاجاً: مصباحاً مضيئاً يمحو الظلام.

أَنْبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ: أنشأكم من طينها.

الأَرْضَ بِسَاطاً: فراشاً مبسوطاً للاستقرار عليها.

سُبُلاً فِجَاجاً: طرقا واسعات.

يتضح من خطبة نوح هذه أنه قد اختار لدعوته الأسلوب نفسه الذي تبناه القرآن لإقناع الناس بما يدعوهم إليه، حيث عرض عليه السلام دعوته مستَدِلاً بشتى الظواهر الكونية، كما خاطب قومه بكل الطرق الممكنة سراً وعلانيةً، وعلى المستويَيْن الفردي والجماعي،وقد استنفد كل طاقته في سبيل إصلاحهم وإرشادهم إلى الحق ، ولكنهم أبوا الإيمان بدعوته وتمادوا في غيّهم وطغيانهم يعمهون ، وقال ابن عباس في تفسير قوله : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ أي ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته [1].

ومن هذا نعلم أن قوم نوح كانوا يسلِّمون بوجود الله، إلا أن الشعور بعظمة الله وجلاله لم يكن مستولياً على نفوسهم كما ينبغي، والحقيقة أن هذا هو المعيار الحقيقي لعبادة الله وعبوديته .. فمن يعيش هنا وقلبه مملوء بعظمة الله، فهو عابد لله حقاً، وأما من كان قلبه خاوياً من الإحساس بعظمة الله فليس من عباد الله وعبوديته في شيءٍ !

﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ ﴾

خَسَاراً: ضلالاً في الدنيا وعقاباً في الآخرة.

مَكْراً كُبَّاراً: بالغ الغاية في الكفر.

وَداًّ: أصنام عبدوها ثم انتقلت إلى العرب ، فكان ود لكلب.

سُوَاعاً: وسواع لهذيل .

---

(١) تفسير الطبري ٢٩/ ٥٩ .

يَغُوثَ: ويغوث لغطفان.

وَيَعُوقَ: ويعوق لهمذان.

وَنَسْراً: ونسر لآل ذي الكلاع من حمير.

مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ: من أجل ذنوبهم و"ما" زائدة.

لماذا قوبلت دعوة نوح - عليه السلام - من جانب قومه بالرفض والإنكار ؟ لقد كان السبب في ذلك أن كلام نوح بدا للقوم أقل قيمةً ووزناً من كلام أولئك الذين كانوا يحتلون يومئذٍ مراكز السيادة والكبرياء والوجاهة الدنيوية ، فبينما جحد كبار العصر بدعوة الحق معتزّين بمكانتهم وكبريائهم، تناولها الصغار بالجحود نظراً إلى كون كبارهم جاحدين لها !

ولقد دبر معارضو نوح مكائد عظيمة ضده ، من بينها دعايتهم المغرضة ! إن نوحاً قد جاء بما يتنافى مع ما كان عليه أكابرنا وهم ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر ، وهؤلاء الخمسة كانوا أفراداً صالحين في قديم الزمان ، ثم وصل بهم الأمر شيئاً فشيئاً إلى أن صاروا موضع الإجلال والتقديس لدى الأجيال التالية ، وبالتالي راحوا يعبدونهم باتخاذ أصنام وتماثيل ترمز إليهم ، ولقد كان من السهولة بمكانٍ أن يتم تحريك مشاعر العامة وتحريضهم ضد نوحٍ بأسماء هذه الرموز ، وقد استطاع الرؤساء بالفعل أن يجعلوه - عليه السلام - "مشبوهاً " في أعين الجماهير قائلين : إنه سائر في طريق آخر جديدٍ حائداً عن طريق أسلافنا الصالحين !

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾

دَيَّاراً: أحداً يدور ويتحرك في الأرض.

تَبَاراً: هلاكا ودماراً.

يظهر من دعاء سيدنا نوحٍ هذا أن الفساد في عصره كان قد استفحل حتى بلغ منتهاه، حيث صار المجتمع بأسره خاضعاً لسيطرة العقائد الضالة والأفكار المنحرفة، وأصبح كل طفلٍ يولد في رحاب ذلك المجتمع يومئذٍ يرث جرثومة الانحراف الفكري والضلال العقائدي، ويتربى عليها ، وإذا بلغ مجتمع ما إلى هذا الحد من التدهور والانحراف، وطغيان الشر، فلا ينتظره بعد ذلك شيء سوى أن يُقضى عليه بطوفانٍ كطوفان نوحٍ !!

سورة الجن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧ ﴾

قُرْآناً عَجَباً: عجباً بديعاً في بلاغته وفصاحته.

الرُّشْدِ: الحق والصواب. أو التوحيد والإيمان.

تَعَالَى: ارتفع وعظم.

جَدُّ رَبِّنَا: جلاله أو سلطانه أو غناه.

يَقُولُ سَفِيهُنَا: جاهلنا (إبليس اللعين).

شَطَطاً: قولا مفرطاً في الكذب والضلال.

يَعُوذُونَ: يستعيذون ويستجيرون.

فَزَادُوهُمْ رَهَقاً: إثما. أو طغيانا وسفها.

هناك نوع من المخلوقات يسكن في هذا الكون، له خصائص وصفات مختلفة عن البشر، يقال له : الجن، وهم من جملة المخلوقات المستترة عن الحواس غير المرئية

للإنسان، وقد ورد ذكرهم في مواضع عديدة من القرآن الكريم ، وهذه الآيات توضح لنا أن الجن بدورهم ينقسمون إلى فريقين : ضالين ومهتدين ، وكما يوجد بين الإنس قادة سفهاء يضللون الجماهير، يوجد أمثالهم في عالم الجن كذلك، وهم يعملون على تغرير أتباعهم من الجن وإضلالهم عن سبيل الرشد والهدى !

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾

حَرَساً شَدِيداً: حراسا أقوياء من الملائكة.

وَشُهُباً: شعل نار تنقض كالكواكب.

شِهَاباً رَّصَداً: راصدا ، مترقبا يرجمه.

رَشَداً: خيرا وصلاحا ورحمة.

طَرَائِقَ قِدَداً: ذوي مذاهب متفرقة مختلفة.

ظَنَنَّا: علمنا وأيقنا الآن.

فَلاَ يَخَافُ بَخْساً: فلا يخشى نقصا من ثوابه.

وَلاَ رَهَقاً: غشيان ذلة له.

وَمِنَّا القَاسِطُونَ: الجائرون بكفرهم العادلون عن طريق الحق.

تَحَرَّوْا رَشَداً: قصدوا خيراً وصلاحاً.

لِجَهَنَّمَ حَطَباً: للنار وقوداً.

إن نفراً من الجن، أولئك الذين استمعوا إلى الرسول وهو يتلو القرآن الكريم، لم يتلقوه بالإيمان والقبول فور سماعهم إياه فقط، وإنما عادوا مبشرين بدعوته كذلك، مما يدل على أن الكلام الصادق حين يصل إلى مسامع أصحاب القلوب الحية والضمائر النابضة بالحياة، يحدث في نفوسهم أثراً مزدوجاً يتمثل أولاً في مبادرتهم إلى الاعتراف بصدقه، وثانياً في قيامهم بتبليغه إلى بني جنسهم !

﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَـٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾

عَلَى الطَّرِيقَةِ: طريقة الهدى "ملة الإسلام".

مَّاءً غَدَقاً: كثيراً يتسع به العيش.

لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ: لنختبرهم فيما أعطيناهم.

يَسْلُكْهُ: يدخله.

عَذَاباً صَعَداً: شاقا يعلوه ويغلبه فلا يطيقه.

عَبْدُ الله يَدْعُوهُ: هو النبي ﷺ يعبد ربه.

عَلَيْهِ لِبَداً: متراكمين من ازدحامهم عليه تعجباً.

رَشَداً: نفعاً أو هداية.

لَن يُجِيرَنِي مِنَ الله : لن يمنعني من عذابه إن عصيته.

مُلْتَحَداً: ملجأ أو حرزا أركن إليه.

إن نظام العالم الراهن وُضع تبعاً لمصلحة الامتحان .. ولذا يتم إظهار الحق هنا على مستوى البلاغ والتبيين وحده، ولو لم تكن ثمة مصلحة الامتحان، وأُزيح الستار المسدل بيننا وبين الغيب المكنون، لرأى الناس رأي العين أن الملائكة ومَن صلَح من أفراد الجن كلهم يعترفون بألوهية الله وجلاله في تواضع وخشوع .. كما يجدون الكون أيضاً مصداقاً لذلك بكل ظواهره وموجوداته .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾

أَمَداً: زمانا بعيداً.

رَصَداً: حرسا من الملائكة يحرسونه.

وَأَحَاطَ: علم علما تاما.

وَأَحْصَى: ضبط ضبطاً كاملاً.

الداعي إلى الحق لا يعدو في ظاهره أن يكون إنساناً عادياً ، ومن هنا يتكالب على أذاه والنيل منه كل أولئك الذين تصدم دعوته مشاعرهم أوْ تمس مصالحهم من قريب أوْ بعيدٍ، ويعزب عن بالهم أن أي إجراء يتُخذ ضد الداعي إلى الحق هو في الواقع إجراء ضد الله نفسه، ومَن ذا يستطيع، أن ينجح في اتخاذ إجراءات ضد الله - عز وجل !؟

سورة المزمل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ ﴾

المُزَّمِّلُ: المتلفف بثيابه (النبي ﷺ).

وَرَتِّلِ القُرْآنَ: اقرأه بتمهل، وتبيين حروف.

قَوْلاً ثَقِيلاً: شاقاً على المكلفين (القرآن).

قوله: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ ﴾ يعني: اقرأه في مهلٍ وتُؤَدةٍ، مع تركيز الانتباه على المعاني، وعندما يفعل المرء ذلك تبتدئ بينه وبين القرآن عملية مزدوجة؛ فمن جهة يكون القرآن بالنسبة إليه خطاباً إلهياً، ومن جهة أخرى لا يزال قلبه يستجيب لكل آية يمر بها من آيات هذا الخطاب، فإذا ذكر القرآن عظمة الله وجلاله، خشع كيان القارئ كله استشعاراً لكبرياء الله وهيبته، وإذا عدّد القرآن نعم الله وإحساناته، امتلأ فؤاد القارئ بمشاعر الشكر والامتنان، وإذا حذّر القرآن من وعيد الله وعقابه، ارتعدت فرائص القارئ وَجَلاً وخوفاً.. وإذا بين القرآن حكماً من أحكام الله، تجدّد عزم القارئ على امتثاله في حياته طاعةً لربه وابتغاءً لمرضاته.

والمراد بـ " القول الثقيل " هو الأمر بالإنذار الوارد في السورة التالية: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدثر] أي تنبيه الناس إلى خطورة قضية الآخرة، وهذا من غير شكٍ أشد الأعمال صعوبة ومشقةً في هذا العالم على الإطلاق، حيث يضطر الداعي في سبيل ذلك إلى

التمسك بالحق الخالص والثبات عليه حتى ولو صار " غريباً " بين ذويه ومن حوله جميعاً ، وهو يُضطر إلى تحمل أذى الناس وإساءتهم؛ إبقاءً على علاقة الداعي والمدعو، بينه وبين المخاطبين حتى اللحظة الأخيرة، كما يلزمه فوق هذا أن يأخذ نفسه بالصبر والإعراض من طرف واحدٍ، تفادياً من أن تنْخدش سمعته كداعٍ إلى الحق بأي حالٍ من الأحوال !!

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ۝٦ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلاً ۝٩ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً ۝١٠ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ۝١١ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالاً وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً ۝١٤ ﴾

نَاشِئَةَ اللَّيْلِ: العبادة التي تنشأ به وتحدث.

أَشَدُّ وَطْئاً: ثباتاً للقدم ورسوخاً في العبادة.

وَأَقْوَمُ قِيلاً: أثبت قراءة لحضور القلب فيها.

سَبْحاً: تصرفاً وتقلباً في مهماتك.

وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ: انقطع إلى عبادته تعالى ، واستغرق في مراقبته.

هَجْراً جَمِيلاً: اعتزالاً حسناً لا جزع فيه.

وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ: دعني وإياهم فسأكفيكهم.

أُوْلِي النَّعْمَةِ: أرباب التنعم ، ورغادة العيش.

وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً: أمهلهم زمانا قليلاً بعده النكال.

أَنكَالاً: قيوداً شديدة ثقالاً.

وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ: ذا نشوب في الحلق فلا ينساغ.

يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ: تضطرب وتتزلزل (يوم القيامة).

النهوض بدعوة الحق الخالص نهوض بأصعب مهمةٍ وأعسرها إطلاقاً، حيث إن الناهض بها لا يلبث أن يعود في بيئته شخصاً غير مرغوب تماماً، وبالتالي فإن الإله الذي يجده الداعي إلى الحق أنيساً له في وحشته، وكفيلا بأن يكل إليه جميع أموره قرير العين مرتاح البال، هو الله ربه، ومن ثم فهو لا يذكر الله في النهار وحده، وإنما يقف بين يديه تعالى مصلياً ومناجياً في آناء الليل كذلك، والليل هو وقت التفرغ والصفاء والسكون الشامل، إذْ تهدأ فيه الأصوات وتنقطع الحركات، وهو بذلك أنسب الأوقات ليتمكن الإنسان فيه من الإقبال على ذكر الله ومناجاته بتجرد كاملٍ وتركيزٍ ذهني تامٍ، وذلك هو الزاد الحقيقي لمن يسلك في طريق الدعوة الطويل المليء بشتى المصاعب والمتاعب المحفوف بضروب الأهوال والمخاطر..

والداعي الصادق إذا ما أصابه مكروه من جانب المدعو فهو لا يتعرض له، وإنما يندفع نحو الله راجياً منه العون على احتمال الأذى والتثبيت على الجادة، وهو يجنب نفسه مشاعر الانتقام ورد الفعل جهد طاقته، وإن العمل المصحوب بالاستعلاء على نفسية رد الفعل هو الشرط الضروري الوحيد الذي يجعل من شخصٍ ما داعي الحق بمعناه الصحيح.

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولاً ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ

فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

كَثِيباً مَّهِيلاً: رملا متجمعاً – سائلا منهالاً.

أَخْذاً وَبِيلاً: شديداً ثقيلاً وخيم العقبى.

إن الغاية الرئيسية من بعث الرسل هي الفصل بين الحق والباطل ، ولقد تم هذا الفصل قبلئذٍ بين موسى وفرعون، وها هو ذا يتم الآن بين رسول الإسلام وبين كفار قريش، والذين لا يخضعون أمام الداعي إلى الله ، في هذه الدنيا ، عن رضا وطواعية ، فإنما يعرضون أنفسهم لخطر أن يخضعوا لعذاب الله في الآخرة رغم أنوفهم !

﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ: شيء منشق في ذلك اليوم لهوله.

أَن لَّن تُحْصُوهُ: لن تطيقوا ضبط وقت قيامه.

فَتَابَ عَلَيْكُمْ: بالترخيص في ترك قيامه المقدر.

فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ: فصلوا ما سهل عليكم من صلاة الليل.

الْقُرْآنِ : وفي الصلاة قرآن.

يَضْرِبُونَ: يسافرون للتجارة.

وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ: المفروضة.

قَرْضاً حَسَناً: احتساباً بطيبة نفس.

إن كل ما هو مفروض من الأعمال والتكاليف الدينية قد تم تحديده بحسب استطاعة الإنسان العادي ، غير أن هذه الفرائض والواجبات إنما تدل فقط على النصاب اللازم أوْ القدر الضروري الذي لابد من أدائه لكل إنسان يقر بعبوديته لله ويرجو رحمته ويخشى عذابه، فإن الأعمال المطلوبة منا لا تنتهي عند هذا الحد، بل تتجاوزه إلى أبعد من ذلك بكثير، ولكنها نافلةً، يأتي بها العبد طوعاً من غير إيجاب عليه، كصلاة التهجّد فوق الصلوات الخمس المفروضة، أوْ صدقة التطوع فوق الزكاة الواجبة مثلاً ، وهنا مجال التنافس والمسابقة بين أرباب الطموح والعزائم من الرجال ، فبقدر ما يُكثر المرء من النوافل والطاعات، يزداد نصيبه من ثواب الآخرة وترتفع منزلته عند الله - سبحانه وتعالى !

سورة المدثر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ ﴾

الْمُدَّثِّرُ: المتغشى بثيابه (النبي ﷺ) .

وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ: اخصص ربك بالتكبير والتعظيم.

وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ: كناية عن تطهير النفس من المذام.

وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ: اهجر المآثم الموجبة للعذاب.

وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ: لا تعط طالبا الكثير عوضا عنه.

إن العمل النبوي الأصيل في هذه الدنيا هو الإنذار ، أي إعلام الناس بخطورة القضية التي تواجههم في الآخرة، ولا يستطيع القيام بهذا العمل على الوجه المطلوب إلا الذي يملأ قلبَه دائماً الشعور بكبرياء الله وجلاله،والذي يتحلى بحسن الأخلاق ونبالة السلوك،والذي يكون بعيداً عن السوء بكل أنواعه وأشكاله ، والذي يعمل الخير ويسدي المعروف إلى غيره غير متطلع إلى عوضٍ أوْ مكافأةٍ ما ، والذي يتمكن من الصبر على إساءات الآخرين وتحمل أذاهم من طرفٍ واحدٍ !

﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ۝١٦

سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾

نُقِرَ فِي النَّاقُورِ: نفخ في الصور للبعث والنشور.

ذَرْنِي: دعني وخلني (تهديد ووعيد) .

مَالاً مَّمْدوداً: كثيرا دائماً غير منقطع عنه.

وَبَنِينَ شُهُوداً: حضوراً معه ، لا يفارقونه للتكسب لغناهم عنه.

وَمَهَّدتُّ لَهُ: بسطت له النعمة والرياسة والجاه.

كَلاَّ: كلمة ردع وزجر عن المطمع الفارغ.

لآيَاتِنَا عَنِيداً: معانداً جاحداً أو مجانبا للحق.

سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً: سأكلفه عذابا شاقا لا يطاق.

إن مَن يجد نفسه بحيث يتوافر لديه مال وثروة طائلة ، هذا إلى جند من الأعوان والأنصار يلتفون حوله، تتولد في داخله ثقة كاذبة ؛ مما يجعله يقول : سأكون في الآخرة أيضاً من حسن الحال واستقامة الأمور حيث أنا في حياتي الراهنة ، ولكن حين يأتي يوم القيامة ينقلب الوضع كله رأساً على عقبٍ ، فالذي كان يرى أسباب الرفاهية وصنوف التسهيلات تحيط به من كل جانبٍ، إذا به يجد نفسه يوم القيامة متورطاً في مآزق حرجة لا يمكن اجتيازها!!

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾

وَقَدَّرَ: هيأ في نفسه قولاً طاعناً في القرآن والرسول ﷺ.

فَقُتِلَ: لعن وعذب أو قُبِّحَ.

نَظَرَ: تأمل فيما قدر وهيأ من الطعن.

عَبَسَ: قطب وجهه لما ضاقت عليه الحيل.

وَبَسَرَ: اشتد في العبوس وكلوح الوجه.

سِحْرٌ: يروى ويتعلم من السحرة.

إن أكبر عائقٍ عن تلقى دعوة الحق بالقبول هو الاستكبار ، فالذين يحتلون مقام الزعامة والكبرياء في مجتمعهم، يرفضون الاعتراف بالحق، لما يخيل إليهم أن الاعتراف به سيقضى على زعامتهم وكبريائهم ، وهم يمعنون في الإجرام، إذْ يأخذون في تعييب كلام الداعي والطعن فيه، تبريراً لعدم اعترافهم بصدقه ، وإذْ يحاولون الحط من قدر الداعي وتلويث كرامته من خلال إشاعة التهم والدعايات الكاذبة ضده بين الجماهير .

﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ: سأدخله جهنم.

لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ: مسودة للجلود محرقة لها.

فِتْنَةً: سبب فتنة وضلال.

وَمَا هِيَ: وما سقر.

إن أحوال جهنم وأهوالها التي وصفها القرآن الكريم تتعلق بالعالم غير المرئي لنا تماماً، وقيام التسعة عشر من الملائكة حراساً على جهنم، هو الآخر حقيقة من هذا القبيل .. فلو انشغل المرء في التنقير أوْ اتخذ من هذه الأشياء الغيبية موضوع الجدل والمماحكة، فإنها ستزيده حيرةً وارتياباً، أما لو سار المرء على نهج الإيمان المجمل بما كشفه الله من حقائق الغيب، لازداد خوفه وحذره من الآخرة .

﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾

وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ: ولى وذهب (قسم) .

وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ: أضاء وانكشف (قسم) .

إِنَّهَا لإِحْدَى الكُبَرِ: لإحدى الدواهي العظيمة (جواب القسم) .

أَن يَتَقَدَّمَ: إلى الخير والطاعة.

بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ: مرهونة عنده تعالى بعلمه.

مَا سَلَكَكُمْ: أي شيء أدخلكم.

وَكُنَّا نَخُوضُ: نشرع في الباطل ولا نبالي.

بِيَوْمِ الدِّينِ: بيوم البعث والحساب والجزاء

إن هذا الكون يسوده نظام الحركة والدوران ، وإليه يرجع تعاقب الليل والنهار على سطح الأرض، وما يعتري القمر من أحوال شتى على مدار الشهر ، وكأن نظام الحركة والتغيير هذا يتضمن إشارة إلى أن عالم الدنيا الحالي سيظل يتغير هكذا ما شاء الله أن يتغير وينتقل من حال إلى حالٍ، ليحل محله في النهاية عالم الآخرة، والذين يتأملون في هذا النظام الكوني سيودّون أن يستفيدوا من " نهارهم " قبل أن يغشاهم " الليل " بظلامه، وسيفرون من الأعمال الجهنمية إلى الاشتغال بالأعمال المؤدية إلى الجنة .

﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾ ﴾

حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ: حمر وحشية شديدة النفار.

قَسْوَرَةٍ: أسد. أو الرماة القنص.

أَهْلُ التَّقْوَى: أهل أن يتقيه عباده .

إن الموعظة، مهما كانت بليغة مؤيَّدةً بالأدلة والبراهين، لا تكاد تؤثر في نفس السامع إلا إذا هو وقف منها موقف الجد، ولو لم يكن السامع جاداً، فإن أبلغ المواعظ وأقواها تأثيراً لن تتمكن من تحريك ساكنه أوْ النفاذ إلى قلبه، وإن الدليل الذي يُلهب فؤاد إنسان جادٍ ويملك عليه مشاعره كلها، سوف لا يزيد غير الجاد إلا رغبةً في إثارة الجدل العقيم والخوض فيما لا طائل تحته !!

سورة القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ۝١٤ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥ ﴾

لا أُقْسِمُ: أقسم و"لا" مزيدة.

بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ: كثيرة اللوم والندم على ما فات .

بَلَى: نجمعها بعد التفرق والبلى.

نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ: أطراف أصابعه فنرد عظامها كما كانت على صغرها بقدرتنا فكيف بكبارها.

لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ: ليدوم على فجوره مدة عمره.

بَرِقَ البَصَرُ: دهش وتحير فزعا مما أري.

وَخَسَفَ القَمَرُ: ذهب ضوؤه.

جُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ: في الطلوع من المغرب مظلمين.

أَيْنَ الْمَفَرُّ: المهرب من العذاب أو الهول.

لاَ وَزَرَ: لا ملجأ ولا منجى له من الله.

وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ: لو جاء بكل عذر لم ينفعه.

إن الإنسان مفطور على الشعور بالخير والشر والتمييز بين الحسن والقبيح ، وهو يريد، بحكم فطرته، أن يلقى المسيء عقوبة إساءته ويلقى المحسن جزاء إحسانه بالضرورة ، وهذا الشعور هو الذي أطلق عليه القرآن هنا تسمية " النفس اللوامة " . إن هذه النفس اللوامة تمثل شهادة نفسية على كون عالم الآخرة حقيقة واقعةً ، والذي يتقاعس، بعد هذه الشهادة الداخلية، عن الوفاء بمقتضياتها اللازمة، فكأنما هو ينكر حقيقة كامنة في فطرته ذاتها!!

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾

جَمْعَهُ: في صدرك وحفظك إياه.

وَقُرْآنَهُ: أن تقرأه بلسانك متى شئت.

قَرَأْنَاهُ: أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل.

بَيَانَهُ: تفسير ما أشكل من معانيه.

كان رسول الله ﷺ إذا ما نزل عليه الوحي أسرع في تلقيه، فنهاه الله سبحانه عن ذلك، كما أمره في هذا السياق أيضاً بأنه ينبغي لك أن تركز اهتمامك كله على الجزء الذي تم نزوله من القرآن والذي أصبحت أنت مخاطباً به بالفعل، بدلاً من التطلع إلى بقية أجزاء القرآن التي لم تنزل عليك بعد، ولم يتوجه خطابها إليك فعلاً ! ومن هذا نعلم أن

المطلوب من الفرد المؤمن أن يوجه كل عنايته نحو الجزء الذي هو مكلف به من القرآن في وقتٍ معينٍ، دون الاندفاع في ذلك الوقت وراء ما لم يكلف به بعد، إما لانعدام شروطه أوْ لكونه لم يأت أوانه بعد، فإن ذلك من " العجلة " التي تتنافى مع الحكمة القرآنية كلياً !!

﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ ﴾

نَّاضِرَةٌ: حسنة مشرقة متهللة.

بَاسِرَةٌ: شديدة الكلوحة والعبوس .

فَاقِرَةٌ: داهية عظيمة تقصم فقار الظهر.

بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ: وصلت الروح لأعالي الصدر.

مَنْ رَاقٍ: من يداويه: وينجيه من الموت

وَالْتَفَّتِ: التوت. أو التصقت.

المَسَاقُ: سوق العباد للجزاء.

الغفلة عن الآخرة ترجع دوماً إلى سبب واحدٍ ليس غير ، ألا وهو حب العاجلة . أي رغبة المرء في الحصول على ثمرة عمله فوراً بدون تأخيرٍ ، وبما أن العمل لأجل الآخرة لا يُثمر إلا آجلاً، لا يعيرها المرء أي اهتمامٍ ، وأما الدنيا فهو يلهث وراءها لأنه يجني ثمار عمله وسعيه لها في الحال .

والناس يشاهدون أن الإنسان - أي إنسانٍ - يعتريه الموت في نهاية المطاف حتماً، وبالتالي يهدم الموت صرح أمجاده ويحيل كل نجاحاته أثراً بعد عينٍ، ولكن ليس ثمة أحدٍ يعتبر بهذا المشهد الواقع المتكرر تحت سمعه وبصره كل حين وآنٍ، وهو يظل كذلك - إلى أن يقترب هو نفسه من موته فينتزع منه الفرصة لتلقى الدرس والاعتبار !

﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾

يَتَمَطَّى: يتبختر في مشيته اختيالاً.

أَوْلَى لَكَ: قاربك ما يهلكك.

يُتْرَكَ سُدًى: مهملا فلا يكلف ولا يجازى.

مَّنِيٍّ يُمْنَى: يصب في الرحم.

فَسَوَّى: فعدله وكمّله ونفخ فيه الروح.

إنَّ الإنسان يدخل إلى بطن أمه في البداية ، وهو نطفة صغيرة من ماء مهينٍ، ثم يأخذ شكل علقةٍ (وهي دودة مائية تمتص الدم)، ثم يمر بمراحل أخرى من النمو والتطور؛ تتكون خلالها أعضاؤه وأجهزته المختلفة وتتشكل صورته بتخطيطها وملامحها الدقيقة، حتى يصير آخر الأمر جنيناً معتدلاً، منسقةً أعضاؤه أروع تنسيقٍ، فيخرج إلى النور ذكراً أوْ أنثى ، وكل هذه التغيرات المدهشة تتم على مدى الرحلة الجنينية الطويلة دون تدخلٍ أوْ محاولةٍ من الإنسان، إذنْ، أفليست يد القدرة الإلهية الخلاقة المبدعة التي

تحدث هذه العجائب كل يومٍ، بقادرةٍ على تكوين عالمٍ آخر جديدٍ بعد فناء العالم الحالي؟! والحقيقة هي أن الشيء الذي يحول بين الناس وبين اعترافهم بالحق إنما هو أنانيتهم، وليس قلة أوْ عدم توافر الدلائل والقرائن المؤيدة للحق !

سورة الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ ﴾

أَمْشَاجٍ: أخلاط ممتزجة متباينة الصفات.

نَّبْتَلِيهِ: مبتلين له بالتكاليف فيما بعد.

هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ: بينا له طريق الهداية والضلال.

نزل القرآن الكريم في القرن السابع الميلادي، وعندئذٍ لم يكن هناك من أحدٍ في العالم أجمع يدري أن جنين الإنسان (أوْ الحيوان) يتولد في رحم المرأة ابتداءً من نطفةٍ أمشاجٍ أي مختلطةٍ، ولم تعرف البشرية، رغم تقدمها العلمي المدهش في ميادين المعرفة، إلا في أوائل القرن العشرين، أن الخلية الأولية للجنين الإنساني تنشأ عن التمازج بين عنصرين : أحدهما بويضة المرأة (ovum) وثانيهما حُوَيْمن الرجل أوْ الحيوان المنوي (sperm)، فحينما يلتقي هذان الجزيئان المجهريان (الميكروسكوبيان) أحدهما بالآخر ويتحدان، يبدأ داخل رحم المرأة تكّون ذلك الشيء الذي يتحول، بعد المرور بأطوارٍ مختلفة متباينةٍ، إلى إنسانٍ، وإن ورود لفظ " النطفة الأمشاج " - أي المختلطة - في القرآن الكريم للدلالة على بداية نشأة الإنسان الجنينية قبل أكثر من ألفٍ وأربعمائة عامٍ، برهان ناطق بأن القرآن كتاب الله .

والقرآن حافل بأمثلةٍ من هذا النوع كثيرةٍ، وهي تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن

القرآن منزل من عند الله العليم الخبير، وإذا ثبت كون القرآن كتاب الله بصورة قطعيةٍ، فإن كل ما ورد فيه يعد صحيحاً بالضرورة لوروده في هذا الكتاب الإلهي !!

﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾

سَلاسِلَ: بها يقادون وفي النار يسحبون.

وَأَغْلالاً: بها تجمع أيديهم إلى أعناقهم ويقيدون.

كَأْسٍ: خمر أو زجاجة فيها خمر.

مِزَاجُهَا: ما تمزج الكأس به وتخلط.

كَافُوراً: ماء كالكافور في أحسن أوصافه.

عَيْناً: ماء عين أو خمر عين.

يَشْرَبُ: يشرب منها. أو يرتوي بها.

يُفَجِّرُونَهَا: يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم.

مُسْتَطِيراً: فاشيا منتشراً غاية الأنتشار.

يَوْماً عَبُوساً: تكلح فيه الوجوه لهوله.

قَمْطَرِيراً: شديد العبوس.

وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً: اعطاهم حسنا وبهجة في الوجوه.

الأَرَائِكِ: السرر في الجحال [1].

زَمْهَرِيراً: برداً شديداً. أو قمراً.

وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها: قريبة منهم ظلال أشجارها.

وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا: قربت ثمارها لمتناولها.

وَأَكْوَابٍ: أقداح بلا عرى ولا خراطيم.

قَوَارِيرَ: كالزجاجات في الصفاء.

قَدَّرُوهَا: جعلواها شرابها على قدر الري.

كَأْساً: خمراً أو زجاجة فيها خمر .

خلق الله الإنسان مزوداً بالحرية وبشتى وسائل المعرفة والإدراك . ثم كشف له عن طريق الشكر وطريق الكفران ، ثم تركه ليختار بنفسه أي الطريقين شاء في حياته المحدودة على وجه الأرض ، فإن اختار طريق الكفران صار في الآخرة إلى عذاب السعير، وإن اختار طريق الشكر فاز هناك بالجنة وما فيها من نعيمٍ مقيم .

---

(١) جمع حجلة محركة – بيت يزين بالثياب والأسرة والستور.

﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾

مِزَاجُهَا: ما تمزج به وتخلط.

زَنجَبِيلاً: ماء كالزنجبيل في أحسن أوصافه.

تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً: يوصف شرابها بالسلاسة في الانسياغ.

وَلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ: مبقون على هيئة الولدان في البهاء.

لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً: كاللؤلؤ المفرق في الحسن والصفاء.

ثِيَابُ سُندُسٍ: ثياب من ديباج رقيق.

وَإِسْتَبْرَقٌ: ديباج غليظ.

هذا وصف الجنة العليا، حيث يسكن أولئك الذين أقاموا الدليل على أرفع مستويات الإيمان، وصنوف النعيم والمتاع والكرامة المتاحة لأهل هذه الجنة ستكون من الطراز الملوكي الفخم !!

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ

وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾

بُكْرَةً وَأَصِيلاً: أول النهار وآخره. أو دائما.

يَوْماً ثَقِيلاً: شديد الأهوال (يوم القيامة).

وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ: أحكمنا خلقهم.

يأبى الإنسان قبول دعوة الحق لأحد سببين لا ثالث لهما : فإما أن تكون أمامه مصلحة من مصالح دنياه يقف حرصه عليها، أوْ خوف الحرمان منها بمثابة حجر عثرةٍ دون تقدمه نحو الحق، أوْ يكون مصاباً بنفسية الكبر والغرور، مما يحول بينه وبين التسليم بأية عظمة أوْ كبرياء خارج ذاته ، وكلا هذين الصنفين من الناس يزرعون في طريق دعوة الحق شتى العقبات والعراقيل، ولكن الداعي إلى الحق مأمور بأن يواصل مسيرته صابراً على أذاهم غير مبالٍ بما يبيتون لإحراجه أوْ النيل منه، فإن الله يكفيه شرهم .

سورة المرسلات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ ﴾

وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً: (أقسم الله) برياح العذاب متتابعة كعرف الفرس.

فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً: الرياح الشديدة الهبوب المهلكة.

وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً: كاللؤلؤ المفرق في الحسن والصفاء.

الْفَارِقَاتِ فَرْقاً: الملائكة تنشر أجنحتها في الجو عند النزول بالوحي.

فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً: الملائكة تأتي بالوحي فرقانا بين الحق والباطل.

عُذْراً: للإعذار من الله للخلق.

نُذْراً: للإنذار والتخويف بالعقاب.

تتصاعد البخارات من البحر وتتجه نحو أعالي الفضاء؛ لتتحول سحاباً تزجيه الرياح من جهة إلى أخرى ، وبينما تقف الرياح أثناء سيرها بالسحاب فوق بعض المناطق ليتساقط عليها مطر يعيد إليها خضرتها ونضارتها من جديدٍ، تمر به من فوق منطقة أخرى مراً سريعاً تاركة إياها وراءها مجدبة كما هي بدون إمطارٍ ، وهذا يوضح لنا أن نظام هذا الكون يسير على مبدأ التفريق بين بعضه وبعضٍ ، ولقد ظهر هذا المبدأ في عالمنا الراهن بصورة جزئيةٍ، وهو سيظهر في عالم الآخرة في أتم صوره وأكملها .

وطبيعة الرياح الفارقة هذه تحمل نذيراً للإنسان، ففي صيرورتها رحمةً ببعضهم

ونقمةً بالنسبة لبعضهم الآخر وفي ذلك تذكير بحقيقة أنه إذا كان هناك نوعان من البشر مختلفان في هذا العالم، فإن قضاء الله فيهما لن يكون متشابهاً أبداً، كما أن طبيعة الرياح هذه إعذار من الله أيضاً لعباده، حيث لا يبقى لأحدٍ منهم بعدها حجة أوْ معذرة عند الله - عز وجل !!

﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ۝١٧ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٨ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٩ ﴾

النُّجُومُ طُمِسَتْ: مُحِيَ نورها وأذهب ضوؤها.

السَّمَاءُ فُرِجَتْ: شقت، أو فتحت فكانت أبواباً.

الجِبَالُ نُسِفَتْ: قلعت من أماكنها بسرعة.

أُقِّتَتْ: بلغت ميقاتها (يوم القيامة) .

لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ: يقال لأي يوم أخرت.

لِيَوْمِ الفَصْلِ: بين الخلائق أو الحق والباطل.

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ: هلاك في هذا اليوم الهائل.

إذا جاء يوم القيامة تحطم نظام العالم الحالي وانقلبت موازينه وقيمه رأساً على عقبٍ، والذين يعدون أنفسهم اليوم أقوياء شديدي البأس، وبالتالي يرفضون دعوة الحق اغتراراً بما عندهم من وسائل القوة، سيصير حالهم يومئذٍ أضعف الناس قوةً وأشدهم عجزاً!!

﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾

مَّاءٍ مَّهِينٍ: مني ضعيف حقير.

قَرَارٍ مَّكِينٍ: متمكن ، وهو الرحم.

فَقَدَرْنَا : فقدرنا ذلك تقديراً.

الأَرْضَ كِفَاتاً: وعاءً تضم الأحياء على ظهرها.

أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً: والأموات في باطنها.

رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ: جبالاً ثوابت مرتفعات.

مَّاءً فُرَاتاً: حلوا عذباً.

لقد بُني العالم الراهن بحيث يستطيع المتأمل فيه أن يرى الآخرة في مرآته ، وعلى الرغم من ذلك فإن بعضهم لا يزال يكذب بها، ومن يكذب بالحق هو من غير شكٍ أعظم الناس جرماً على الإطلاق !

﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ

لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾

ظِلٍّ: هو دخان جهنم.

ثَلاثِ شُعَبٍ: فرق ثلاث كالذوائب.

لاَ ظَلِيلٍ: لا مظلِّلٍ من الحر.

وَلاَ يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ: لا يدفع شيئا من حره.

تَرْمِي بِشَرَرٍ: هو ما تطاير من النار متفرقاً.

كَالْقَصْرِ: كل شجرة كالبناء المشيد في العظم والارتفاع.

كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ: كأن الشرر إبل سود و"وتسميها العرب صفراء " في الكثرة والتتابع وسرعة الحركة واللون.

لَكُمْ كَيْدٌ: حيلة لاتقاء العذاب.

إن الإنسان حين يُواجَه بأهوال الآخرة، سيجد نفسه إزاءها عاجزاً كل العجز، وستَخرِس يومئذٍ ألسنة أولئك الثرثارين الذين كانوا يتكلمون في الحياة الدنيا كما لو أن ثروة ألفاظهم لن تنفد أبداً !!

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

إن نعم الله في هذه الدنيا إنما وُضعت لفترةٍ محدودة لحكمة الامتحان والابتلاء ، أما نعم الله في الآخرة فإنها ستظهر في أكمل صورة وأدومها لتبقى أبد الدهر ، واليوم ينال كل أحدٍ من هذه النعم نصيباً قل أوْ كثر ، ولكن نعم الآخرة الأبدية لن تقع إلا في نصيب أولئك الذين أطاعوا الله حين عصاه غيرهم، والذين خضعوا له تعالى حين أبى الآخرون الخضوع له ، إن الذين " يركعون " استجابة للقول، أولئك لهم الجنة ، وأما الذين " يركعون " بعد أن رأوا " الويل " رأي العين فمصيرهم إلى جهنم !!

سورة النبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّـٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ ﴾

عَمَّ: عن أي شيء عظيم الشأن.

عَنِ النَّبَأِ العَظِيمِ: عن القرآن أو البعث.

كَلاَّ: ردع وزجر عن الاختلاف فيه.

الأَرْضَ مِهَاداً: فراشا موطأ للاستقرار عليها.

وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً: كالأوتاد للأرض لئلا تميد.

وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً: أصنافاً ذكوراً وإناثاً للتناسل.

نَوْمَكُمْ سُبَاتاً: قطعاً لأعمالكم وراحة لأبدانكم .

اللَّيْلَ لِبَاساً: ساتراً لكم بظلمته كاللباس.

النَّهَارَ مَعَاشاً: تحصلون فيه ما تعيشون به.

سَبْعاً شِدَاداً: سموات قويات محكمات.

سِرَاجاً وَهَّاجاً: مصباحاً منيراً وقاداً (الشمس) .

الْمُعْصِرَاتِ: السحائب التي حان لها أن تمطر.

مَاءً ثَجَّاجاً: منصبا بكثرة مع التتابع.

وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً: بساتين ملتفة الأشجار.

إن العرب لم يكونوا منكرين للآخرة أصلاً، وإنما كانوا ينكرون وقوعها على النحو الذي وصفه القرآن الكريم، أي أنهم كانوا في شكٍ من أن عدم إيمانهم بـ" محمدٍ "، وهو لا يعدو أن يكون بشراً مثلهم، سيؤدي بهم إلى الخزي والهوان الأبديَيْن في عالم الآخرة !!

إن الوقائع الطبيعية التي توجد في عالمنا الراهن تشير إلى حتمية اليوم الآخر ، إن حاضر العالم الراهن يقتضي أن يكون مستقبله مطابقاً له ، وإذا نحن تأملنا، من وجهة النظر هذه، وجدنا أنفسنا مضطرين إلى الاعتراف بأن هذه البداية العظيمة ستعقبها نهاية عظيمة حتماً. وأن هذا العالم لن ينتهي عبثاً !

﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾

فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً: أمما أو جماعات مختلفة الأحوال.

فَكَانَتْ أَبْوَاباً: صارت ذات أبواب.

فَكَانَتْ سَرَاباً: كالسراب الذي لا حقيقة له.

كَانَتْ مِرْصَاداً: موضع ترصد وترقب للكافرين.

لِلطَّاغِينَ مَآباً: مرجعاً ومأوى لهم.

أَحْقَاباً: دهوراً متتابعة لا نهاية لها.

بَرْداً: نوما أو روحا من حر النار.

حَمِيماً: ماء بالغا نهاية الحرارة.

وَغَسَّاقاً: صديداً يسيل من جلودهم.

جَزَاءً وِفَاقاً: جزيناهم جزاء موافقاً لأعمالهم.

كِذَّاباً: تكذيبا شديداً.

أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً: حفظناه وضبطناه مكتوبا.

يجد الإنسان في ممارسة الطغيان في هذه الحياة لذة كبيرة ، حيث إنه يغذي كبرياءه ويُرضي أنانيته ، بيْد أن الوضع سينقلب رأساً على عقبٍ حين يظهر طغيانه بشكله الحقيقي في عالم الآخرة، فالشيء الذي كان مثار اللذة والمتعة لدى الإنسان في الحياة الدنيا، سيفاجأ به هناك ، وقد تحول إلى عذابٍ فظيع يحيط به من كل جانبٍ !!

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَـٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

مَفَازاً: فوزاً وظفرًا بكل محبوب.

وَكَوَاعِبَ: فتيات ناهدات (نساء الجنة) .

أَتْرَاباً: مستويات في السن.

وَكَأْساً دِهَاقاً: مترعة مليئة من خمر الجنة.

لَغْواً: كلاما غير معتد به. أو قبيحا.

كِذَّاباً: تكذيباً.

عَطَاءً حِسَاباً: إحسانا كافيا أو كثيراً.

خِطَاباً: إلا بإذنه.

الرُّوحُ: جبريل عليه السلام .

مَآباً: مرجعا بالإيمان والطاعة.

كُنتُ تُرَاباً: في هذا اليوم فلا أعذب

إن بيئة الجنة ستكون خلواً من كل ألوان اللغو والأكاذيب،ومن ثم فلن يُختار لسكنى الجنة - وهي عالم النظافة والسمو والجمال في أكمل صورها المادية والمعنوية- إلا ذوو الأذواق الرفيعة وحدهم؛ أولئك الذين أقاموا الدليل في حياتهم الراهنة على أنهم مؤهلون للعيش بعيداً عن اللغو والفضول والأكاذيب .

سورة النازعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ۝١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤ ﴾

وَالنَّازِعَاتِ: (أقسم) الله بالملائكة تنزع أرواح الكفار من أقاصي أجسامهم.

غَرْقاً: نزعاً شديداً مؤلما بالغ الغاية.

وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً: الملائكة تسل أرواح المؤمنين برفق.

وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً: الملائكة تنزل مسرعة لما أمرت به.

فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً: الملائكة تستبق بالأرواح إلى مستقرها ناراً أو جنة.

فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً: الملائكة تنزل بالتدبير المأمور به.

يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ: لتبعثن (جواب القسم) يوم تضطرب الأجرام بالصيحة الهائلة (نفخة الموت) .

تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ: نفخة البعث التي تردف الأولى.

وَاجِفَةٌ: مضطربة أو خائفة وجلة.

أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ: ذليلة منكسرة من الفزع.

فِي الحَافِرَةِ: إلى الحالة الأولى (الحياة).

كُنَّا عِظَاماً نَّخِرَةً: بالية مفتتة.

كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ: رجعة غابنة.

زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ: صيحة واحدة (نفخة البعث) .

هُم بِالسَّاهِرَةِ: هم أحياء على وجه الأرض.

نرى الدنيا كل عامٍ من حولنا ساكنة هادئة ، ثم لا نلبث طويلاً حتى تهب الرياح الشديدة التي تزجى السحب الثقال فينزل منها مطر غزير ، وما هو إلا قليل حتى يفاجأ الناس بقيام عالم جديدٍ بهيجٍ حيث لم يكن بالأمس سوى أرضٍ يابسة جرداء ، إن واقعة الطبيعة هذه تدلنا على إمكان الآخرة ، إنها تشهد، بلغةٍ رمزيةٍ، أن انبثاق العالم الآخر من العالم الحالي ممكن تماماً كانبثاق الحقول الناضرة الخضراء من باطن الأراضي الخالية الجرداء !!

﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾

طُوًى: اسم الوادي المقدس.

طَغَى: عتا وتجبر وكفر بالله تعالى.

تَزَكَّى: تطهر من الكفر والطغيان.

الآيَةَ الكُبْرَى: معجزة العصا واليد البيضاء .

يَسْعَى: يجد في الإفساد والمعارضة.

فَحَشَرَ: جمع السحرة أو الجند.

نَكَالَ: عقوبة. أو بعقوبة.

إن حياة فرعون وأمثاله من المنكرين دليل على أن مَن ينكر الحق يلقى عقوبته حتماً، وفي هذه الأمثلة التاريخية ما يكفى درساً وعظةً للإنسان ، غير أن أي عظة ما لا يعتبر بها إلا الذي يحمل نفسية الحذر والخوف ، والذي ينظر نحو عملٍ ما من حيث نهايته وليس من حيث بدايته وحدها !!

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾

رَفَعَ سَمْكَهَا: جعل ثخنها مرتفعا جهة العلو.

فَسَوَّاهَا: فجعلها مستوية الخلق بلا عيب.

وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا: أظلمه.

وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا: أبرز نهارها المضيء بالشمس.

دَحَاهَا: بسطها وأوسعها لسكنى أهلها.

وَمَرْعَاهَا: أقوات الناس والدواب.

وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا: أنبتها في الأرض كالأوتاد.

إن وجود هذا الكون الممتد أمام أعيننا إلى غير نهايةٍ، واقعة عظيمة لدرجة أن كل واقعة أخرى إزاءها تعود أصغر وأهون ، فالعالم الذي أمكن فيه ظهور الواقعة العظيمة، لِمَ لا يمكن فيه ظهور الواقعة الأصغر منها بكثيرٍ ؟!

فقول القرآن إذن، بأن الإنسان سيُبعث من جديدٍ، خبر لا غرابة فيه، إذْ يتوفر من حولنا بصورة مسبقةٍ أسباب لا حصر لها تجعله في متناول كل الأفهام !

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾

الطَّآمَّةُ الكُبْرَى: الداهية العظمى (القيامة) .

وَبُرِّزَتِ الجَحِيمُ: أظهرت إظهارا بيناً.

هِيَ المَأْوَى: هي المرجع والمقام له لا غيرها.

أَيَّانَ مُرْسَاهَا: متى يقيمها الله ويثبتها ؟

يجد المرء نفسه هنا بين شيئيْن : أحدهما : هذه الدنيا الماثلة أمام ناظريه ، وثانيهما : عالم الآخرة المستتر وراء الغيب ، وامتحان المرء الحقيقي هو أن يؤثر الآخرة على الدنيا الحاضرة ، غير أن هذا لا يقدر عليه سوى أولئك الذين يملكون الشجاعة الكافية لضبط النفس والحيلولة دون انسياقها وراء الأهواء والشهوات .

سورة عبس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ۝١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ۝١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ۝١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ۝١٦ ﴾

عَبَسَ: قطب وجهه الشريف ﷺ.

وَتَوَلَّى: أعرض بوجهه الشريف ﷺ.

لَعَلَّهُ يَزَّكَّى: يتطهر بتعليمك من دنس الجهل.

يَذَّكَّرُ: يتعظ.

لَهُ تَصَدَّى: تتعرض له بالإقبال عليه.

جَاءَكَ يَسْعَى: وصل إليك مسرعا ليتعلم.

عَنْهُ تَلَهَّى: تتلهى – تتشاغل وتعرض.

كَلاَّ: حقا أو إرشاد، بليغ لترك المعاودة.

إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ: إن آيات القرآن موعظة وتذكير.

فِي صُحُفٍ: منتسخة منه اللوح المحفوظ.

مَرْفُوعَةٍ: رفيعة القدر والمنزلة عنده تعالى.

بِأَيْدِي سَفَرَةٍ: ملائكة ينسخونها من اللوح المحفوظ.

بَرَرَةٍ: مطيعين له تعالى أو صادقين.

كان النبي ﷺ ذات يوم مشغولاً بالحديث إلى سادة قريش يعرض عليهم دعوة الإسلام، رجاء أن يستجيبوا له؛ إذْ جاءه الصحابي الأعمى عبد الله بن أم مكتوم، فقال : " يا رسول الله،علمني مما علمك الله " وكرر ذلك،فأعرض عنه رسول الله كارهاً مجيئه في تلك الساعة وقطْعه لكلامه ، فنزلت هذه الآيات بما فيها من عتاب الرسول على إعراضه عن الأعمى القادم راغباً في العلم والهداية .

وهذه الآيات ، وإن كان سبب نزولها حادثاً فردياً عابراً، وخطابها موجه أساساً إلى رسول الله - ﷺ- إلا أنها جاءت تهدف إلى تقرير حقيقة من الحقائق الدينية المطلقة، وهي أن الله - عز وجل - لا قيمة عنده لأولئك السادة والكبراء الذين هم بعيدون عن الدين، وإنما القيمة عند الله تعالى لمن يحمل بين جنَبيْه روحاً ملؤها الخشية والخشوع، حتى ولو كان رجلاً أعمى !!

﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾

قُتِلَ الإِنسَانُ: لعن الكافر. أو عُذب .

فَقَدَّرَهُ: أطوارًا أو هيأه لما يصلح له.

السَّبِيلَ يَسَّرَهُ: سهل له طريقي الهدى والضلال.

فَأَقْبَرَهُ: أمر بدفنه في قبر تكرمة له.

أَنشَرَهُ: أحياه بعد موته.

لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ: لم يفعل ما أمره الله به بل قصر.

شَقَقْنَا الأَرْضَ: بالنبات أو بالحرث.

وَقَضْباً: علفاً رطبا للدواب كالبرسيم.

وَحَدَائِقَ غُلْباً: بساتين عظاماً متكاثفة الأشجار.

وَأَبّاً: كلأ وعشباً. أو هو التبن خاصة.

الدافع الأصلي الكامن وراء العبادة المطلوبة من الإنسان هو الشكر والعرفان بالجميل، ولو فكر الإنسان في كيفية خلقه، وفيما حوله من الأسباب والتدابير الطبيعية اللازمة لحياته، لتولدت في داخله عاطفة الشكر والامتنان لربه، والسلوك الذي ينبثق من عاطفة الشكر والامتنان هذه هو ما يسمى العبادة والعبودية لله رب العالمين .

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾

جَاءَتِ الصَّاخَّةُ: الصيحة تصم الآذان لشدتها (النفخة الثانية) .

مُّسْفِرَةٌ: مشرقة مضيئة (وجوه المؤمنين) .

غَبَرَةٌ: غبار وكدورة (وجوه الكافرين) .

تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ: تغشاها ظلمة سوداء.

إن إنكار الحق واتخاذ موقف العناد والطغيان إزاءه، هو الجريمة الكبرى على الإطلاق، ومَن يرتكبها سيعود عديم القيمة فاقداً لكل اعتبار في الآخرة ، وأما الذين يعترفون بالحق ويخضعون أنفسهم له، فهم وحدهم سيُعتبرون ذوي قيمة واعتبار في الآخرة ، وأولئك وحدهم سيفوزون بها في الآخرة من ضروب النعيم والعزة والكرامة .

سورة التكوير

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤ ﴾

الشَّمْسُ كُوِّرَتْ: أزيل ضياؤها أو لفت وطويت.

النُّجُومُ انكَدَرَتْ: تساقطت وهوت.

الجِبَالُ سُيِّرَتْ: أزيلت عن مواقعها.

العِشَارُ عُطِّلَتْ: النوق الحوامل أهملت بلا راع.

الوُحُوشُ حُشِرَتْ: جمعت من كل صوب.

البِحَارُ سُجِّرَتْ: أوقدت فصارت ناراً تضطرم.

النُّفُوسُ زُوِّجَتْ: قرنت كل نفس بشكلها.

المَوْءُودَةُ: البنت التي تدفن حية.

الصُّحُفُ نُشِرَتْ: صحف الأعمال فرقت بين أصحابها.

السَّمَاءُ كُشِطَتْ: قلعت كما يقلع السقف.

الجَحِيمُ سُعِّرَتْ: أوقدت وأضرمت للكفار.

الجَنَّةُ أُزْلِفَتْ: قربت وأذنت من المتقين.

عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ: ما عملت من خير أو شر (جواب إذ).

في هذه السورة، كما في غيرها من سور القرآن العديدة، تصوير رائع لما يقع من أحداث عند قيام الساعة وبعد قيامها ، وحين تقوم الساعة، يختل هذا التوازن الدقيق الذي يعم الكون كله، وسيقف الإنسان حينئذٍ حائراً مكتوف الأيدي لا يستطيع أن يفعل شيئاً لشعوره بالعجز المطلق ، وسيفقد يومئذٍ كل شيءٍ قيمته ووزنه ما عدا أعمال البر والصالحات، وسيكون من حق المظلوم هناك أن ينتقم من الظالم كيفما شاء !

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

فَلاَ أُقْسِمُ: (أقسم) و"لا" مزيدة.

بِالْخُنَّسِ: بالكواكب السيارة تخنس نهارا وتختفي عن البصر وهي فوق.

الْجَوَارِ الْكُنَّسِ: الأفق ، وتظهر ليلاً ثم تكنس وتستتر في مغيبها تحت الأفق.

وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ: أقبل ظلامه ، أو أدبر.

وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ: أقبل وأضاء وتبلج.

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ: جبريل عليه السلام (جواب القسم) .

مَكِينٍ: ذي مكانة رفيعة وشرف.

رَآهُ: رأى الرسول جبريل بصورته الخلقية.

الغَيْبِ: الوحي وخبر السماء.

بِضَنِينٍ: ببخيل فيقصر في تبليغه.

إن تعاقب الليل والنهار وانتقال النجوم من مكان إلى آخر، كما يتراءى لعيوننا نحن البشر، كلاهما يترتب على حركة الأرض حول محورها،وعلى هذا فمعنى القسم بهاتين الظاهرتين الكونيتين أن نظام الدورة المحورية للأرض شاهد بأن محمداً رسول الله، وأن القرآن كلام الله الذي أنزل عليه بواسطة الملك .

ودوران الأرض حول محورها ظاهرة فذة وعظيمة للغاية ، وإنها بمثابة نموذجٍ كوني يجعل قضية الوحي في متناول أفهامنا ، فلو تخيّلنا الأرضَ ، وهي تدور حول محورها أمام الشمس في الفضاء الهائل، لبدا لنا كأن هناك نظاماً مضبوطاً للتحكم عن بعدٍ هو الذي يتحكم في ذلك بمنتهى الدقة ، وقيام الاتصال بين الله وبين أحد عباده المختارين عن طريق الملك، هو الآخرة واقعة من هذا النوع ، فالواقعة الأولى تساعدنا، في صورة التمثيل، على فهم حقيقة الواقعة الثانية .

سورة الانفطار

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩ ﴾

السَّمَاءُ انفَطَرَتْ: انشقت عند قيام الساعة.

الكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ: تساقطت متفرقة.

البِحَارُ فُجِّرَتْ: شققت جوانبها فصارت بحراً واحداً.

القُبُورُ بُعْثِرَتْ: قلب ترابها وأخرج موتاها.

مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ: ما خدعك وجرأك على عصيانه؟

فَسَوَّاكَ: جعل أعضاءك سوية سليمة.

فَعَدَلَكَ: جعلك معتدلاً متناسب الخلق.

تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ: بالبعث والجزاء أو بالإسلام.

الأَبْرَارَ: الذين بروا وصدقوا في إيمانهم.

يَصْلَوْنَهَا: يدخلونها أو يقاسون حرها.

أخبر القرآن الكريم مراراً وتكراراً بأن يوماً للدينونة أوْ الجزاء النهائي العادل قادم، يُحشر فيه الناس بأجمعهم، ليُعاقَبوا أوْ يُكافَئوا بحسب أعمالهم في الحياة الراهنة ، وهذا الخبر يتفق مع وضع عالمنا الراهن تماما الاتفاق ، حيث يجد واقع خلق الإنسان الهادف تفسيراً له في هذا الخبر، كما يمكننا في ضوء هذا الخبر أيضاً أن ندرك السر فيما يوجد في هذا الكون من نظام تسجيل دقيق لأقوال الإنسان وأعماله [1] !

(١) ولمزيد من المعلومات في هذا الموضوع يراجع فصل " دليل الآخرة " من كتاب " الإسلام يتحدى " للمؤلف .

سورة المطففين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧ ﴾

وَيْلٌ: عذاب أو هلاك أو واد في جهنم.

لِلْمُطَفِّفِينَ: المنقصين في الكيل أو الوزن.

اكْتَالُوا: اشتروا بالكيل ، ومثله الوزن.

كَالُوهُمْ: أعطوا غيرهم بالوزن.

وَزَنُوهُمْ: أعطوا غيرهم بالوزن.

يُخْسِرُونَ: ينقصون الكيل والوزن.

لِرَبِّ العَالَمِينَ: لأمره وحكمه.

كِتَابَ الفُجَّارِ: ما يكتب من أعمالهم.

لَفِي سِجِّينٍ: لمثبت في ديوان الشر

كِتَابٌ مَّرْقُومٌ: بين الكتابة ، أو معلم بعلامة.

مُعْتَدٍ: فاجر متجاوز عن نهج الحق.

أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ: أباطيلهم المسطرة في كتبهم.

كَلاَّ: ردع وزجر عن قولهم الباطل.

رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم: غلب وغطى عليها أو طبع عليها.

لَصَالُوا الجَحِيمِ: لداخلوها أو لمقاسو حرها.

كل إنسانٍ يريد أن يأخذ حقه من الآخرين وافياً كاملاً، ولكن من سمو الخُلُق الإنساني أن يدفع المرء ما يجب عليه تجاه الآخرين كاملاً غير منقوصٍ كذلك ، وأن يحب للآخرين ما يحب لنفسه، وأما الذين يستوفون إذا أخذوا، ويبخسون إذا أعطوا، فإنهم سيدخلون عالم الآخرة وما ينتظرهم هناك سوى الدمار والخسران ، والآخذ لنفسه وافياً، كأنما يؤكد بعمله ذاك على وجوب استيفاء الإنسان حقه،وفي هذه الحالة، فهو إذْ يعطي غيره ناقصاً، فإنما يقلّل من حساسيته تجاه الحق الواجب عليه للآخرين،ومن يفعل ذلك عن عمدٍ مرةً بعد أخرى ويصر عليه، يصل به الأمر في نهاية المطاف إلى أن تنعدم حساسيته تماماً فيما يتعلق بحقوق غيره، ويغلب على قلبه صدأ أعماله بحيث تنطمس بصيرته فلا يعود يعرف الرشد من الغي .

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى

ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

كِتَابَ الأَبْرَارِ: ما يكتب من أعمالهم.

لَفِي عِلِّيِّينَ: لمثبت في ديوان الخير.

الأَرَائِكِ: الأسرة .

نَضْرَةَ النَّعِيمِ: بهجته ورونقه وبهاءه.

رَحِيقٍ: أجود الخمر وأصفاه.

مَخْتُومٍ: إناؤه حتى يفكه الأبرار.

خِتَامُهُ مِسْكٌ: ختام إنائه المسك بدل الطين.

فَلْيَتَنَافَسِ: فليتسارع أو فليستبق.

وَمِزَاجُهُ: ما يمزج به ويخلط.

تَسْنِيمٍ: عين عالية شرابها أشرف شراب.

يَشْرَبُ بِهَا: يشرب منها.

يَتَغَامَزُونَ: يشيرون إليهم بالأعين استهزاء.

فَكِهِينَ: متلذذين باستخفافهم بالمؤمنين .

ثُوِّبَ الكُفَّارُ: جوزوا بسخريتهم من المؤمنين.

أغلب الناس في هذا العالم قلما يهمّهم أن يعطوا الآخرين حقوقهم كاملةً، وإنما يهمّهم أولاً وآخراً أن يستوفوا ما لهم عند الآخرين من حقوق كاملةً ، وأمثال هؤلاء سيعودون في الآخرة محرومين ، والعاقلون هم الذين يهتمون أشد الاهتمام بإعطاء الآخرين حقوقهم من غير بخسٍ ، لأنهم هم الذين سيُعتبرون في الآخرة أهلاً لما أعده الله هناك من نعيم وافرٍ وسعادة دائمةٍ . ومَن يُهمل مصالحه الدنيوية لأجل الآخرة ربما يعود حقيراً لدى عبد الدنيا، ولكن عندما تأتي الآخرة فسيتضح بجلاءٍ أن الذين تم اعتبارهم في الدنيا سفهاءَ كانوا في الحقيقة هم الأذكياء !

سورة الانشقاق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٢٥ ﴾

السَّمَاءُ انشَقَّتْ: انصدعت عند قيام الساعة.

وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا: استمعت وانقادت له تعالى.

وَحُقَّتْ: حق الله عليها الاستماع والانقياد.

الأَرْضُ مُدَّتْ: بسطت وسويت كمد الأديم.

وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا: لفظت ما في جوفها من الموتى.

وَتَخَلَّتْ: خلت عنه غاية الخلو.

كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ: جاهد في عملك إلى لقاء ربك.

فَمُلاقِيهِ: فملاق لا محالة جزاء عملك.

يَدْعُو ثُبُوراً: ينادي هلاكاً قائلاً يا ثبوراه.

وَيَصْلَى سَعِيراً: يدخلها أو يقاسي حرها.

لَن يَحُورَ: لن يرجع إلى ربه تكذيباً بالبعث.

فَلاَ أُقْسِمُ: أقسم و"لا" مزيدة.

بِالشَّفَقِ: بالحمرة في الأفق بعد الغروب.

وَمَا وَسَقَ: ما ضم وجمع ما انتشر بالنهار.

اتَّسَقَ: اجتمع وتكامل وتم نوره.

لَتَرْكَبُنَّ: لتلاقن أيها الناس (جواب القسم) .

طَبَقاً: أحوالاً بعد أحوال متطابقة في الشدة.

يُوعُونَ: يضمرونه أو يجمعونه من السيئات.

غَيْرُ مَمْنُونٍ: غير مقطوع عنهم.

إن ما قيل عن القيامة هنا، يبدو ظاهراً كأنه إخبار مجرد عن العالم المجهول ، على أن ثمة شواهد وقرائن عديدة تدل على صدقه ، ومن ذلك، مثلاً، عالمنا الراهن ، فوجود عالم قائم بالفعل دليل في ذاته على إمكان بروز عالمٍ آخر إلى حيز الوجود مماثلٍ لهذا العالم أوْ مختلفٍ عنه ، ومن تلك الشواهد أيضاً تميّز القرآن الكريم بجوانب غير عادية تثبت

أنه كتاب الله ، وأن كل ما ورد فيه حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه [١].

والذين لا يؤمنون بالآخرة، رغم توافر هذه القرائن الواضحة، ويقضون أعمارهم في غفلة وذهول عن الآخرة، فإنما يرتكبون جريمة تؤهلهم في الواقع لعذاب السعير !!

(١) وقد تناول المؤلف هذا الموضوع بالبسط والتفصيل في كتابه " عظمة القرآن " ونرجو أن نتمكن بإذن الله تعالى من نقله إلى اللغة العربية في قريب المستقبل.

سورة البروج

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢ ﴾

وَالسَّمَاءِ: (أقسم) الله بها وبما بعدها.

ذَاتِ الْبُرُوجِ: ذات المنازل المعروفة للكواكب.

وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ: يوم القيامة.

وَشَاهِدٍ: من يشهد على غيره فيه.

وَمَشْهُودٍ: من يشهد عليه غيره فيه.

قُتِلَ: لقد لعن أشد اللعن (جواب القسم).

الأُخْدُودِ: الشق العظيم ، كالخندق.

وَمَا نَقَمُوا: ما كرهوا وما عابوا وما أنكروا.

فَتَنُوا: عذبوا أو أحرقوا.

بَطْشَ رَبِّكَ: أخذه الجبابرة والظلمة بالعذاب.

هُوَ يُبْدِئُ: يخلق ابتداء بقدرته.

وَيُعِيدُ: يبعث الموتى يوم القيامة بقدرته.

الوَدُودُ: المتودد إلى أوليائه بالكرامة.

المَجِيدُ: العظيم الجليل المتعالي.

إن نظام الكون يقضي بأن يأتي يوم للجزاء الأخير ، وقد ظل الأنبياء، والذين تحملوا الأمانة من بعدهم عن صدق وإخلاص، ينبّئون الناس بهذا اليوم المرتقب (الموعود) على اختلاف العصور والأمصار ، وبالرغم من ذلك فإن الذين لا يعترفون بالحق، ويناصرون العداء لدعاة الحق، فإنما يمارسون طغياناً لن يستطيعوا النجاة بأنفسهم من عاقبته الوخيمة على أية حال ، أما الذين يلّبون نداء الحق، رغم كل العقبات والصعوبات التي تقف أمامهم، فإنهم سينالون من لدن ربهم الودود مكافأةً .

إن القرآن هو الكتاب الوحيد المحفوظ من بين سائر الكتب السماوية ، مما يوحي بأن القرآن مؤيّد بنصرةٍ من الله خاصةٍ، وليس في مقدور أحد أن ينال منه أوْ يتغلب عليه إلى أن تقوم الساعة !

سورة الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ۝١٧ ﴾

وَالطَّارِقِ: (قسم) بالنجم الثاقب يطلع ليلاً.

النَّجْمُ الثَّاقِبُ: المضيء المتوهج أو المرتفع العالي.

لَمَّا عَلَيْهَا: إلا عليها.

حَافِظٌ: : مهيمن ورقيب وهو الله تعالى.

مَاءٍ: ممتزج من مائي الرجل والمرأة.

دَافِقٍ: مصبوب بدفع وسرعة في الرحم.

مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ: ظهر كل من الرجل والمرأة.

وَالتَّرَائِبِ: عظام الصدر أو الأطراف من كل منهما ، أو يخرج من كل البدن منهما ، والصلب والترائب كناية عنه.

رَجْعِهِ: إعادة الإنسان بعد فنائه.

تُبْلَى السَّرَائِرُ: تكشف مكنونات القلوب.

ذَاتِ الرَّجْعِ: المطر لرجوعه إلى الأرض مراراً .

ذَاتِ الصَّدْعِ: النبات الذي تنشق عنه.

لَقَوْلٌ فَصْلٌ: فاصل بين الحق والباطل.

وَأَكِيدُ كَيْداً: أجازيهم على فعلهم بالاستدراج.

فَمَهِّلِ الكَافِرِينَ: فلا تستعجل بالانتقام منهم.

أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً: إمهالاً قريباً أو قليلاً حتى يأتيهم العذاب.

إن تلألؤَ النجم فوق الإنسان فيه تذكير - بلغة التمثيل - بأن هناك " مراقبًا " يراقب الإنسان ، وأنه يسجل على الإنسان كل حركاته وسكناته ، وأنه سيعيد الإنسان حياً بعد موته ليحاسبه عما صدر منه من قولٍ وفعل في الحياة الدنيا، وإنما هي مهلة الامتحان، تلك التي تقف حاجزاً بين الإنسان وبين تلك الساعة الرهيبة، فحين تنتهي هذه المهلة، يواجهه مصيره المحتوم ذاك الذي يتراءى له اليوم بعيداً جداً !

سورة الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩ ﴾

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ: نزهه ومجده تعالى عما لا يليق به.

خَلَقَ: أوجد كل شيء بقدرته.

فَسَوَّى: بين خلقه في الإحكام والإتقان.

قَدَّرَ: جعل الأشياء على مقادير مخصوصة.

فَهَدَى: فوجه كل واحد منهما إلى ما ينبغي له.

أَخْرَجَ الْمَرْعَى: أنبت العشب رطبا غضًا.

فَجَعَلَهُ غُثَاءً: يابسا هشيما من بعد كالغثاء [1].

(١) هو ما يحمله السيل من البالي . من أوراق الشجر مخالطا زبده .

أَحْوَى: أسود وأسمر بعد الخضرة.

سَنُقْرِئُكَ: ما نوحي إليك بواسطة جبريل عليه السلام.

فَلاَ تَنسَى: أبدا من قوة الحفظ والإتقان.

وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى: نوفقك للطريقة اليسرى في كل أمر.

يَصْلَى النَّارَ الكُبْرَى: يدخل جهنم أو يقاسي حرها.

أَفْلَحَ: فاز بالبغية.

تَزَكَّى: تطهر من الكفر والمعاصي.

إِنَّ هَذَا: المذكور (الآيات الأربع السابقة).

إن هناك تخطيطاً ملحوظاً وراء خلق الإنسان والكون، وهذا التخطيط يستلزم أن يكون لهذا الخلق غاية ، ولقد جاء الوحي لكي يكشف للإنسان عن هذه الغاية ذاتها ، بيد أن الوحي لا يتعظ به إلا مَن يتوافر لديه مزاج التأمّل والتأثّر ، وأمثال هذا سيدخلهم ربهم في الجنان الأبدية حيث كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، وأما الذين حال طغيانهم بينهم وبين تلقيهم الموعظةَ بالقبول، فما ينتظرهم شيء سوى أن يظلوا يحترقون بنار جهنم إلى الأبد.

سورة الغاشية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ۝٥ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ۝٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ۝٧ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ۝٨ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ۝١٠ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ۝١٣ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ۝١٦ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ۝١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ۝١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ۝٢٠ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ۝٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ۝٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ۝٢٤ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ۝٢٦ ﴾

الغَاشِيَةِ: القيامة تغشى الناس بأهوالها.

خَاشِعَةٌ: ذليلة خاضعة من الخزي.

عَامِلَةٌ: تجر السلاسل والأغلال في النار.

نَاصِبَةٌ: تعبة مما تلاقيه فيها من العذاب.

تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً: تدخل أو تقاسي ناراً تناهى حرها.

عَيْنٍ آنِيَةٍ: بلغت أناها (غايتها) في الحرارة.

ضَرِيعٍ: شيء في النار، كالشوك مر منتن.

وَلاَ يُغْنِي مِن جُوعٍ: لا يدفع عنهم جوعا.

نَاعِمَةٌ: ذات بهجة وحسن ونضارة.

لاغِيَةً: لغواً وباطلاً.

سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ: مرتفعة السمك أو رفيعة القدر.

وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ: أقداح بين أيديهم للشرب منها.

وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ: وسائد ومرافق يتكأ عليها موضوع بعضها إلى جنب بعض.

وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ: بسط فاخرة مفرقة في المجالس.

يَنظُرُونَ: يتأملون فيدركون.

بِمُسَيْطِرٍ: بمتسلط جبار.

إِيَابَهُمْ: رجوعهم بعد الموت بالبعث.

عندما يحيل المرء بصره فيما حوله فيرى، مثلاً، أن الجمل، وهو حيوان ضخم يتميز بتكوينه العضوي العجيب، خاضع لأمره يستخدمه كيف يشاء، وأن السماء بأجرامها الهائلة مسخرة له، وأن الأرض جُعلت بخصائصها الفريدة ملائمةً لنا نحن البشر إلى أقصى الحدود دون أدنى سعي منا. وهذه الوقائع تُذَكِّر مَن يتأملها ويديم النظر إليها بعظمة الله، وبالآخرة، والذين يستمدّون من هذه المظاهر الكونية زاد التذكر والاعتبار فقد برهنوا على جدارتهم بنعم الله الأبدية، وأما الذين ظلوا سادرين في الغفلة، فإنما يقيمون الدليل على أنهم لا يستحقون إلا أن يُحرموا من كل ألوان النعم إلى الأبد!

سورة الفجر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِى ذَٰلِكَ
قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ
يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى
ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ
سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ
وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ
أَهَٰنَنِ ۝١٦ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝١٨
وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠ كَلَّآ إِذَا
دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ
بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٢٣ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى
۝٢٤ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٦ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ
ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩
وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝٣٠ ﴾

وَالْفَجْرِ: (أقسم تعالى) بالوقت المعروف.

وَلَيَالٍ عَشْرٍ: العشر الأُوَل من ذي الحجة.

وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ: يوم النحر ، ويوم عرفة.

وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ: إذا يمضي ويذهب أو يسار فيه.

هَلْ فِي ذَلِكَ: المذكور الذي أقسمنا به.

قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ؟: مقسم به حقيق بالتعظيم لدى العقلاء – نعم – (وجواب قسمه) لنعذبن الكافرين.

بِعَادٍ: قوم هود ، سموا باسم أبيهم.

إِرَمَ: هو اسم جدهم وبه سميت القبيلة.

ذَاتِ الْعِمَادِ: الشدة أو الأبنية الرفيعة المحكمة بالعمد.

جَابُوا الصَّخْرَ: قطعوه ونحتوا فيه بيوتهم.

ذِي الأَوْتَادِ: الجيوش الكثيرة التي تشد ملكه.

سَوْطَ عَذَابٍ: عذابا شديداً مؤلما دائماً.

إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ: يرقب أعمالهم ويجازيهم عليها.

ابْتَلاهُ رَبُّهُ: امتحنه واختبره بالنعم أو النقم.

فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ: فضيقه عليه ولم يبسطه له.

كَلاَّ: ردع للإنسان عما قاله في الحالتين.

وَلاَ تَحَاضُّونَ: لا يحث بعضكم بعضاً.

وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ: ميراث النساء والصغار.

أَكْلاً لَّمًّا: جمعا بين الحلال والحرام.

حُبًّا جَمًّا: كثيراً مع حرص وشره.

دُكَّتِ الأَرْضُ: دقت وكسرت بالزلازل.

دَكًّا دَكًّا: دكا متتابعاً حتى صارت هباء.

وَالْمَلَكُ: ملائكة كل سماء.

وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى: من أين له منفعتها ؟ هيهات .

ولا يُوثِقُ: لا يشد بالسلاسل والأغلال.

يتأرجح الإنسان في هذه الحياة بين نوعين من الأحوال : الفوز بما يشتهي تارة، والحرمان منه تارة أخرى ، والمقصود من كلا هذين الحالين هو الامتحان ، أي اختبار الإنسان ماذا سيكون رد فعله إزاء موقف معينٍ ، فأما الذي يُصاب بالبطر والتفاخر والغرور إذا حصل على شيءٍ، وتتملكه المشاعر السلبية إذا حُرم منه، فقد فشل في هذا الامتحان . وأما الذي إذا أُعطى شيئاً خضع لربه شاكراً، وإذا انتُزع منه شيء خضع لربه ثانياً معترفاً بعجزه وقلة حيلته، فهذا الإنسان الأخير هو الذي أُطلق عليه هنا "النفس المطمئنة " أي " الروح المطمئنة".

وإن مقام النفس المطمئنة إنما يناله الشخص الذي يتدبر في آيات الله وآثار قدرته المنبثة في أرجاء الكون، وهو الذي يستمد زاد العبرة والعظة من أحداث التاريخ ، وهو الذي يقيم الدليل على أنه يُؤْثر الحق على ذاته كلما وقع صدام بين الحق وبين ذاته ، وهو الذي لا يخذل الحق بعد اعتناقه للمرة الأولى ولا يتخلى عنه أبداً، حتى لو اضطُر في سبيله إلى أن يضع نفسه وكبرياءه تحت قدميه، وحتى لو صارت حياته نتيجة استمساكه به خاليةً مُقفرةً!!

سورة البلد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ۝١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ۝٢٠ ﴾

لا أُقْسِمُ: (أقسم) و"لا" مزيدة.

بِهَذَا البَلَدِ: بمكة المكرمة.

حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ: حلال لك ما تصنع به يومئذ.

وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ: آدم وجميع ذريته أو الصالحين منهم.

لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ: نصب ومشقة ومكابدة للشدائد.

أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَداً: كثيراً في المكرمات مباهاة وتعاظما.

وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ: بينا له طريقي الخير والشر.

فَلاَ اقْتَحَمَ العَقَبَةَ: فهلا جاهد نفسه في أعمال البر.

فَكُّ رَقَبَةٍ: تخليصها من الرق والعبودية .

ذِي مَسْغَبَةٍ: مجاعة.

يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ: قرابة في النسب.

مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ: فاقة شديدة لصق منها بالتراب.

بِالْمَرْحَمَةِ: بالرحمة فيما بينهم.

أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ: اليمن. أو ناحية اليمين.

أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ: الشؤم أو ناحية الشمال.

نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ: مطبقة مغلقة أبوابها.

إن الإنسان لا يكاد يستطيع في هذه الحياة أن يحرر نفسه من التعب والعناء والمشقة، وهذا الواقع يدل على أن الإنسان خاضع لقوة عليا ، وهكذا يدل وجود العينين لدى الإنسان أن هناك " عيناً " فوقه لا تزال تراه وإن لم يكن يراها ، وما يتمتع به الإنسان من قوة النطق يشير إلى أن هناك صاحب نطقٍ أعلى هو الذي وهب له القدرة على النطق والإبانة ، وأرشده إلى طريق الرشد والهداية ، ولو أن الإنسان عرف نفسه حقاً لعرف ربه أيضاً بكل تأكيد ، لقد أمر الله سبحانه الإنسان بالصعود في مرتفعَيْن معاً : أحدهما : أن يعامل أخاه الإنسان بالعدل وأن يواسيه ويمد إليه يد العون عند الحاجة، وثانيهما : الإيمان واليقين بالله ، وهذا الإيمان واليقين حين يتمكن من نفس المرء ويتغلغل في أعماقه، فلا يبقى محصوراً في ذاته وحدها، بل يتعدى أثره إلى ما حوله ومَن حوله بالضرورة ، فإن إنساناً كهذا لا يهدأ له بال إلا أن يحاول جهده لدعوة الآخرين كذلك إلى سلوك طريق الحق ذاته الذي اختاره لنفسه !

سورة الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَىٰهَا ۝١٥ ﴾

وَالشَّمْسِ: (قسم بها وبما بعدها) .

وَضُحَاهَا: ضوئها إذا أشرقت.

تَلاهَا: تبعها في الإضاءة بعد غروبها.

جَلاَّهَا: أظهر الشمس للرائين.

يَغْشَاهَا: يغطيها حين تغيب فتظلم الآفاق.

وَمَا بَنَاهَا: والذي خلقها وهو الله تعالى.

وَمَا طَحَاهَا: والذي بسطها ووطأها.

وَمَا سَوَّاهَا: والذي عدل أعضاءها ومنحها قواها.

فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا: معصيتها وطاعتها وخيرها وشرها.

قَدْ أَفْلَحَ: فاز بالبغية وظفر (جواب القسم).

مَن زَكَّاهَا: ظهرها وأنماها بالتقوى.

وَقَدْ خَابَ: خسر.

مَن دَسَّاهَا: نقصها وأخفاها وأخملها بالفجور.

بِطَغْوَاهَا: بسبب طغيانها وعدوانها.

انْبَعَثَ أَشْقَاهَا: قام مسرعا يعقر الناقة .

نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا: احذروا عقرها ونصيبها من الماء.

فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ: أهلكهم وأطبق عليهم العذاب.

فَسَوَّاهَا: فجعل الدمدمة عليه سواء.

عُقْبَاهَا: عاقبة هذه العقوبة، لهداية الإنسان قد اتخذ الله بلطفه تدابير ثلاثة .

أولاً : أنه صنع الكون بحيث أصبح مظهراً عملياً لمرضاته .

ثانياً : أنه أودع في فطرة الإنسان، قوة التمييز.

ثالثاً : أنه أرسل الرسل كي يبينوا للناس الحق والباطل بلغةٍ واضحةٍ مفهومةٍ لديهم .

إذن، فالذين يتنكبون عن الصراط المستقيم، رغم هذه التدابير الإلهية كلها، هم الظالمون المعتدون حقاً . لقد كانت ناقة النبي صالح - عليه السلام - بمثابة علامةٍ على أنه لابد من احترام صاحب الحق وأداء حقه إليه كاملاً؛ ولو كان ضعيفاً وعاجزاً عن الدفاع عن نفسه، وأن ما يبدو للناظرين في ظاهره مجرد " ناقة " عساه أن يكون آية أقامها الله بلاءً واختباراً للناس!!

سورة الليل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ۝١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ۝٢١ ﴾

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى: يغطي الأشياء بظلمته (قسم).

وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى: ظهر ضوؤه ووضح.

إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى: إن عملكم لمختلف في الجزاء (جواب القسم).

وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى: بالملة الحسنى وهي الإسلام.

فَسَنُيَسِّرُهُ: فسنوقفه ونهيئه.

لِلْيُسْرَى: للخصلة المؤدية إلى اليسر والراحة.

لِلْعُسْرَى: للخصلة المؤدية إلى العسر والشدة.

وَمَا يُغْنِي: ما يدفع العذاب عنه.

تَرَدَّى: هلك أو سقط في النار.

إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى: الدلالة على الحق أو بيان طريقه.

نَاراً تَلَظَّى: تتلهب وتتوقد.

لاَ يَصْلاهَا: لا يدخلها أو لا يقاسي حرها.

وَسَيُجَنَّبُهَا: سيبعد عنه.

يَتَزَكَّى: يطهر به من الذنوب.

تُجْزَى: تكافأ، نزلت في الصديق ﷺ.

إن مبدأ الزوجية يسري في أجزاء هذا الكون كافة، فمن الذكر والأنثى . إلى الليل والنهار، إلى الجزيء السالب والجزيء الموجب، إلى المادة والمادة المضادة (اللاّمادة)، كل شيءٍ في هذا العالم يحقق الغاية من وجوده عبر الانضمام إلى زوجه، وهذا دليل واضح على أن هذا الكون يتصف بالغائيّة، أي يكمن وراء إيجاده هدف ومعنىً، وفي كونٍ هادفٍ كهذا لا يمكن أن ينتهي كل من العمل الصالح والطالح إلى مصير واحدٍ مماثلٍ، فإن هذا لا يتفق مع عظمة الخالق الذي يعرفنا به هذا الكون، وصلة الله بعباده ليست كصلة الحاكم بمحكوميه فحسب، بل هو ناصرهم ومعينهم كذلك، فهو يأخذ بأيدي عباده الذين يرغبون في الوصول إليه، ويتكفل بتذليل العقبات التي تواجههم على طول الطريق، وأما الذين يسيرون في الاتجاه المعاكس، في طريق التمرد والطغيان فهو يدعهم يتخبطون في الطريق الذي اختاروه!

سورة الضحى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١ ﴾

وَالضُّحَى: (أقسم) بوقت ارتفاع الشمس.

سَجَى: سكن أو اشتد ظلامه.

مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ: ما تركك منذ اختارك (جواب القسم) .

وَمَا قَلَى: ما أبغضك منذ أحبك.

أَلَمْ يَجِدْكَ: ألم يعلمك ربك – قد علمك.

يَتِيماً: طفلاً مات أبوك وأنت جنين.

فَآوَى: فضمك إلى من يكفلك ويرعاك.

ضَالاًّ: غافلاً عن أحكام الشرائع.

فَهَدَى: فهداك إلى مناهجها بما أوحي إليك.

عَائِلاً: فقيراً عديماً.

فَأَغْنَى: فرضاك بما أعطاك ومنحك.

فَلاَ تَقْهَرْ: فلا تغلبه على ماله ولا تستذله.

فَلاَ تَنْهَرْ: فلا تزجره وارفق به.

لقد جُعل نظام هذا الكون بحيث يسطع فيه ضوء النهار تماماً كما يغشاه ظلام الليل، بتعاقب الاثنين، الواحد بعد الآخر، يكتمل هنا نظام الوجود، وهكذا لابد لارتقاء الإنسان وتكامله الظاهري والمعنوي أيضاً أن يجرب قسوة العيش ونعومته معاً، فما تشتد وطأة الظروف والأحوال على عبد من عبيد الله في هذه الحياة إلا لكي تستيقظ مواهبه الكامنة، وإنما توضع العقبات والعراقيل في طريقه لكي يكون مستقبله أفضل من حاضره.

وقد وُلد رسول الله ﷺ يتيماً، فقيّض الله له خير كفيلٍ شمله بعطفه وتعهده بالرعاية، وكان - عليه الصلاة والسلام - يعاني من الحيرة والقلق بحثاً عن الحق، ففتح الله له باب الحق على مصراعيه، وكان - عليه الصلاة والسلام - فقيراً من المال، فأغناه الله بزوجته خديجة، وهذا مثال تاريخي خالد يدلنا على كيفية تولي الله عباده بالنصر والتأييد من حيث يحتسبون ولا يحتسبون.

وينبغي للإنسان أن يُعين الضعفاء حتى يستحق عون الله، وأن يكون حديثه شكراً لله وإظهاراً لنعمته، حتى يُتم الله عليه نعمه في هذه الدنيا وفي الدار الآخرة!

سورة الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾

أَلَمْ نَشْرَحْ: ألم نفسح بالحكمة والنبوة – قد أفسحنا.

وَوَضَعْنَا عَنكَ: خففنا عنك وسهلنا عليك. **وِزْرَكَ**: حملك "أعباء النبوة" والرسالة.

الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ: أثقله حتى سمع له نقيض " صوت ".

فَإِذَا فَرَغْتَ: (من عبادة) أديتها.

فَانصَبْ: فاجتهد وأتبعها بعبادة أخرى.

فَارْغَبْ: فاجعل رغبتك في جميع شؤونك.

كان رسول الله خلال حياته قبل النبوة قلقاً مضطرب البال وهو يبحث عن الحقيقة في لهفةٍ وشوقٍ ، فأعطاه الله علم الحقيقة وحول بحثه إلى المعرفة ، فانشرح صدره لمعرفة الحقائق وكتمانه الأسرار ، ثم إنه لما بدأ بدعوة التوحيد في مكة، تعرض لأقسى ألوان المعارضة ، ولكن بسبب هذه المعارضة ذاتها انتشر ذكره في طول الجزيرة العربية وعرضها، وتلك هي سنة الله في هذا العالم ، ففي البداية يتعرض الإنسان هنا لأحوال العسر، ولكنه لو تذرّع بالصبر وظل ثابتاً على الجادة، لصار هذا العسر مطية للوصول إلى يُسر جديدٍ ، ولذا ينبغي للإنسان أن يواصل جهده وكفاحه على قدر المستطاع متوجهاً دائماً نحو ربه !!

سورة التين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨ ﴾

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ: (قسم بمنبتهما من الأرض المباركة) .

وَطُورِ سِينِينَ: جبل المناجاة للكليم موسى عليه السلام .

البَلَدِ الأَمِينِ: مكة المكرمة.

لَقَدْ خَلَقْنَا: (جواب القسم) بالأربعة قبله.

أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ: أكمل تعديل وأحسن صورة.

رَدَدْنَاهُ: رددنا الكافر أو جنس الإنسان .

أَسْفَلَ سَافِلِينَ: إلى النار أو الهرم وأرذل العمر.

غَيْرُ مَمْنُونٍ: غير مقطوع عنهم.

بِالدِّينِ: بالجزاء بعد البعث والحساب.

التين والزيتون جبلان، يقع على القرب منهما بيت المقدس، يعني مولد السيد المسيح وموضع نشاطه الدعوى، وطور سينين هو الجبل بشبه جزيرة سيناء الذي كلم الله عليه

سيدنا موسى ، وأما البلد الأمين فالمراد به مكة، حيث بُعث رسول الإسلام ﷺ .

لقد خلق الله الإنسان مزوداً بأفضل المواهب ، وما زوده تعالى بتلك المواهب إلا ليتعرف بها على الحق المُعلَن عن طريق الأنبياء، ويضع حياته العملية على أساسٍ منه ، والذين يفعلون ذلك يتبوءون أعلى مراتب العزة والرفعة في دار الخلود، أما الذين لا يستخدمون مواهبهم تبعاً لمرضاة الله، فإنهم سيُجردون من كل النعم المتاحة لهم في الحياة الراهنة، هذا إلى جانب كونهم لن يجدوا في الآخرة مكاناً يلجؤون إليه سوى دار الحرمان الأبدي، وهذه حقيقة تشهد بصدقها رسالات الأنبياء والمرسلين وما نتج عن كفاحهم الطويل من الأحداث والتحولات التاريخية عبر مختلف العصور !

سورة العلق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩ ﴾

عَلَقٍ: دم جامد استحال إليه المني.

عَلَّمَ: علم الإنسان الكتابة بالقلم .

كَلاَّ: حقا.

لَيَطْغَى: ليجاوز الحد في العصيان.

الرُّجْعَى: الرجوع في الآخرة للجزاء.

أَرَأَيْتَ: أخبرني.

لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ: لنسحبنه بناصيته إلى النار.

فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ: أهل مجلسه من قومه وعشيرته.

سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ: ملائكة العذاب لجره إلى النار.

الآيات الخمسة الأولى من هذه السورة هي أول ما نزل به الوحي على رسول الله ﷺ.

لقد خلق الله الإنسان من الأجزاء المادية التافهة ، ثم منحه هذه القوة الفذّة التي تمكنه من القراءة وإدراك المعاني بواسطة الألفاظ ، كما علمه كيفية استعمال القلم، ليضبط به شتى العلوم والمعارف ويحفظها من الضياع والنسيان ، فإذا كانت قدرة القراءة تؤهل الإنسان للتعلم الذاتي، فإن القلم يؤهله لإبلاغ عمله إلى الآخرين على أوسع نطاقٍ .

إن الذين يعاندون الحق، ويضعون العراقيل في طريق أَتْبَاع الحق عاقبتهم وخيمة جداً، والسند الحقيقي بالنسبة إلى داعي الحق، وهو يمر بمثل هذه الظروف غير المواتية ، أن يعبد الله راجياً فضله؛ إذ انقطع رجاؤه من الناس، وأن يقترب من رب الناس إذ ابتعد هو عن الناس أو ابتعد عنه الناس !!

سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾

أَنزَلْنَاهُ: ابدأنا إنزال القرآن العظيم.

لَيْلَةِ القَدْرِ: ليلة الشرف والعظمة.

وَالرُّوحُ: جبريل عليه السلام.

مِن كُلِّ أَمْرٍ: بكل أمر من الخير والبركة.

سَلامٌ هِيَ: على أولياء الله وأهل طاعته.

هناك ليلة من ليالي السنة (والمعروف أنها واحدة من الليالي العشر الأخيرة من شهر رمضان) اختصّها الله سبحانه بالقضاء والحكم ، حيث يغدو الملائكة ويروحون طوال هذه الليلة بين الأرض والملأ الأعلى بإذن ربهم لاتخاذ ما يلزم لتنفيذ القرارات الإلهية المتصلة بتدبير مختلف شئون العباد على مدار العام ، وقد شهدت ليلة خاصة كهذه بدء نزول القرآن الكريم على قلب محمد - ﷺ .

ويبدو أن الأرض تشهد في هذه الليلة من كل عام تجمّع عددٍ كبيرٍ من الملائكة، مما يخلق على الأرض مناخاً روحياً خاصاً، والآن، فالذين يتمتعون باليقظة الروحية الدائمة يتأثرون بهذا الفيض القدسي الغامر، ويتولد في داخلهم، نتيجة ذلك، تأثير روحي غير عادي يزيد من قيمة أعمالهم الدينية إلى حد أكبر بكثير مما هي في الأحوال المعتادة !

سورة البينة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾

مُنفَكِّينَ: مزايلين ما هم عليه من الكفر.

تَأْتِيَهُمُ البَيِّنَةُ: الحجة الواضحة هي الرسول ﷺ.

صُحُفاً: مكتوبا فيها القرآن العظيم.

مُطَهَّرَةً: منزهة عن الباطل والشبهات.

فِيهَا كُتُبٌ: آيات وأحكام مكتوبة.

قَيِّمَةٌ: مستقيمة حقة عادلة محكمة.

وَمَا تَفَرَّقَ: في الرسول بين مؤمن وجاحد.

جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ: بالهدى وكان الحق ألا يتفرقوا.

الدِّينَ: العبادة.

حُنَفَاءَ: مائلين عن الباطل إلى الإسلام.

دِينُ الْقَيِّمَةِ: الملة المستقيمة أو الكتب القيمة.

الْبَرِيَّةِ: الخلائق أو البشر.

كان المشركون في شبه الجزيرة العربية وأهل الكتاب يطالبون رسول الله ﷺ بأن يريهم معجزةً ما، أوْ ينزل من السماء ملاك يكلمهم وجهاً لوجهٍ، فإذا تمّ ذلك، صدقوا برسالته ، ولكن مطالب كهذه إنما يقترحها دوماً أناس غير جادين ، فلقد طالبت الشعوب والأمم فيما مضى من القرون رسلها بمثل ذلك، ولكنها لم تؤمن رغم الاستجابة لطلبها على الوجه الأكمل .

إن دين الله القيم يتلخص في ألا يعبد الإنسان إلا الله الواحد الأحد، وأن يصير محباً له من صميم قلبه ، وأن يقيم الصلاة ويؤدي الزكاة ، ذلك هو الدين الأصيل الذي جاء من عند الله سبحانه على اختلاف العصور ، وخير الخلائق هم الذين يتمسكون بهذا الدين القيم، وشر الخليقة هم الذين يرفضون التمسك به، أوْ يختلقون من عند أنفسهم ديناً آخر سواه، ثم يطلقون عليه تسمية الدين القيم كذباً وافتراءً على الله !!

سورة الزلزلة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾

زُلْزِلَتِ الأَرْضُ: حركت تحريكاً عنيفاً متكرراً عند النفخة الأولى .

أَثْقَالَهَا: كنوزها وموتاها في النفخة الثانية.

تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا: تدل بحالها على ما عمل عليها.

أَوْحَى لَهَا: جعل حالها دلالة على ذلك.

يَصْدُرُ النَّاسُ: يخرجون من قبورهم إلى المحشر.

أَشْتَاتاً: متفرقين على حسب أحوالهم.

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ: وزن أصغر نملة أو هباءة.

إن زلزلة القيامة ستكون إيذاناً بانتهاء مهلة الامتحان ، وإنها ستعني أن الحرية المتاحة للناس لحكمة الامتحان والاختبار في الحياة الدنيا قد انتزعت منهم الآن، وأنهم واقفون الآن بين يدي الساعة الحاسمة التي يُجزى فيها الكل بما عمل جزاءً وفاقاً !

إن عالم الله اليوم يسوده الصمت والسكون في ظاهر الأمر ، ولكن عندما تتغير

الأوضاع وتبدل الأرض غير الأرض والسموات على إثر زلزال القيامة، فإذا بكل شيءٍ هنا يعود " ناطقاً " ، فلقد أثبتت المخترعات الحديثة أن الأشياء الجامدة هي الأخرى تتمتع بقدرة " النطق " ، فالأفلام السينمائية وشرائط الفيديو مثلاً تعيد كل ما يجرى بالأستوديو بمنتهى الدقة ، وهكذا فكأنما العالم الراهن هو أستوديو إلهي ضخم، وكل ما يصدر عن الإنسان في رحابه من قولٍ أوْ فعلٍ يتم تسجيله لحظة صدوره، وسيقوم هذا الكون بإعادة عرض قصة حياة كل إنسان يومَ الجزاء الأخير بحيث لن يغادر شأناً من شئون حياته مهما كان صغيراً أوْ كبيراً !!

سورة العاديات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١ ﴾

وَالْعَادِيَاتِ: (قسم) بالخيل تعدو في الغزو.

ضَبْحاً: هو صوت أنفاسها إذ عدت.

فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً: المخرجات النار بصك حوافرها الأحجار .

فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً: المباغتات للعدو وقت الصباح.

فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً: هيجن في الصباح غباراً.

فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً: فتوسطن فيه من الأعداء.

إِنَّ الإِنسَانَ: بطبعه إلا من رحم الله (جواب قسم) .

لَكَنُودٌ: لكفور جحود.

وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ: لأجل حب المال.

لَشَدِيدٌ: لقوي مجد في تحصيله متهالك عليه.

بُعْثِرَ: أثير وأخرج ونثر.

وَحُصِّلَ: جمع وأخرج ونثر.

الفرس حيوان غاية في الوفاء ، فهو يضحي بنفسه لأجل سيده إلى أقصى حدٍ؛ حيث إنه يرمي بوجوده في الخطر، ولا يتخلى عن سيده حتى في ساحات الوغى ، وهذا مثال رمزي يوضح لنا كيف ينبغي للإنسان أن يكون ؟ فينبغي على الإنسان أن يكون بدوره وفياً لربه تماماً كما يكون الفرس وفياً لسيده ، ولكن الواقع القائم بالفعل غير هذا .

فالحيوان في هذا العالم شاكر لسيده، ولكن الإنسان كنود لربه ناكر لفضله . والحيوان هنا يعرف حق سيده عليه، ولكن الإنسان لا يعرف حق مولاه عليه ، والحيوان هنا يجدّ في خدمة سيده والانقياد له، ولكن الإنسان يتقاعس عن طاعة ربه وامتثال أوامره .

والإنسان لا يُقَدِّر من الحيوانات إلا الحيوان الذي يكون وفياً له، فكيف يمكن إذن، أن يجهل الإنسان السر القائل بأنه لن يُعتبر أهلاً للتقدير عند الله كذلك إلا الذي يكون وفياً له تعالى ، غير أن حب المال الزائد يُعمي الإنسان ويسلبه بصيرته ، مما يجعله محروماً من معرفة الحقيقة التي كان قد شهدها وجرّبها مراراً وتكراراً خلال حياته اليومية !!

سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾

الْقَارِعَةُ: القيامة تقرع القلوب بأهوالها.

كَالْفَرَاشِ: هو طير كالبعوض يتهافت في النار.

الْمَبْثُوثِ: المتفرق المنتشر.

كَالْعِهْنِ: كالصوف المصبوغ بألوان مختلفة.

الْمَنفُوشِ: المفرق بالأصابع ونحوها.

ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ: رجحت مقادير حسناته.

خَفَّتْ مَوَازِينُهُ: رجحت مقادير سيئاته.

فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ: فمأواه جهنم يهوى فيها.

مَاهِيَهْ: ما هي – والهاء للسكت.

إن زلزال القيامة سيحطّم كل شيءٍ ، وسيعود الناس عقبه، وكل ما كانوا مرتكزين عليه في الحياة الدنيا – وإن كان في قوته ورسوخه كالجبال – هباءً، تتقاذفه الرياح ،

وبعدئذٍ سيتكون عالم جديد؛ حيث يكون الثقل كله إلى جانب الحق وحده، وستفقد كل الأشياء الأخرى سواه ثقلها يومئذٍ ، والعالم الراهن يسوده هوى الناس؛ تستمد فيه الأشياء قيمتها ووزنها من اعتبارات الناس وتقويمهم، أما الآخرة فهي عالم الله، وسيثقل هناك شيء ما أوْ يصير عديم الثقل والقيمة بحسب مشيئة الله وتقويمه وحدهما .

وتوزن الأعمال في الدنيا باعتبار ظاهرها، بينما توزن في الآخرة باعتبار جوهرها الداخلي ، فبقدر ما يكون عمل الإنسان منطوياً على الإخلاص، يزداد ثقله في ميزان الآخرة، وبقدر ما يكون عمله خالياً من الإخلاص، يكون خفيف الوزن هناك، مهما بدا ثقيلاً وضخماً لعبَدة الظواهر في الدنيا !!

سورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾

أَلْهَاكُمُ: شغلكم عن طاعة الله ربكم.

التَّكَاثُرُ: التباهي بكثرة متاع الدنيا

زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ: متم ودفنتم في القبور.

لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ: لو تعلمون ما لكم علما يقينا لما ألهاكم.

لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ: والله لترون الجحيم.

عَيْنَ الْيَقِينِ: نفس اليقين وهو المشاهدة.

النَّعِيمِ: الذي ألهاكم عن طاعة ربكم.

الإنسان يرغب في أن يكسب أوفر قدرٍ من المال وأن يقتني من المتاع الدنيوي أنواعاً وألواناً ، وهو لا يزال مشغولاً بتحقيق رغبته تلك، حتى يوافيه الموت، وساعتها يدرك - ولكن بعد وفات الأوان - أن الجدير بالكسب والاقتناء كان شيئاً آخر غير الذي ظل يكد ويسعى وراءه طيلة حياته ! إن الزيادة في أعراض الحياة الدنيا إنما تزيد من تبعة الإنسان ومسئوليته، بينما هو يحسب، لفرط حماقته وغروره، أنه يعمل على زيادة أسباب نجاحه وسعادته!!

سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾

وَالْعَصْرِ: (قسم) بالدهر أو عصر النبوة.

إِنَّ الإِنسَانَ: جنس الإنسان (جواب القسم) .

لَفِي خُسْرٍ: خسران ونقصان وهلكة.

وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ: الخير كله اعتقاداً وعملاً.

وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ: عن المعاصي وعلى الطاعات والبلاء

الإنسان يتقدم كل لحظةٍ نحو موته ، وهذا يعني أنه لو غفل عن استعمال عمره فيما يعود عليه بالنفع والخير، فلن يحصل في نهاية المطاف على شيءٍ سوى الضياع والهلاك ، والإنسان إذا أراد النجاح في هذه الحياة تحتّم عليه أن يعمل، وأما الفشل فلا يتطلب عملاً من أي نوعٍ، وإنما هو يسعى نحو كل عاطلٍ من تلقاء نفسه !

وقد روي عن بعض السلف أنه قال: فهمت معنى السورة (العصر) من بائع الثلج، كان يصيح ويقول : ارحموا من يذوب رأسماله، ارحموا من يذوب رأسماله !! فقلت : هذا معنى {إن الإنسان لفي خسر} يمر به العصر (الوقت) فيمضى عمره؛ ولا يكتسب فإذا هو خاسر. (نقلاً عن التفسير الكبير، للرازي)

والمُستعمِل لوقته خير استعمالٍ هو الذي يقيم الدليل على ثلاثة أمور ، وهي :

أولاً : الإيمان ، أي الشعور بالحقيقة والاعتراف بها .

ثانياً : العمل الصالح ، أي أن يفعل ما ينبغي أن يفعل ويدع ما لا ينبغي أن يفعل .

ثالثاً : التواصي بالحق وبالصبر ، أي أن يدرك الحقيقة إدراكاً عميقاً يعود معه داعياً إليها ومبشراً بها بين الناس!!

سورة الهمزة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩ ﴾

وَيْلٌ: عذاب أو هلاك أو واد في جهنم.

هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ: طعان غيّاب عيّاب للناس .

وَعَدَّدَهُ: أحصاه أو أعده للنوائب.

أَخْلَدَهُ: يخلده في الدنيا.

لَيُنۢبَذَنَّ: ليطرحن.

الْحُطَمَةِ: جهنم، لحطمها كل ما يلقى فيها.

تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ: تغشى حرارتها أوساط القلوب.

مُّؤْصَدَةٌ: مطبقة مغلقة أبوابها.

فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ: بأعمدة ممدودة على أبوابها.

إذا ثار بينك وبين أحد الناس خلاف، فبإمكانك أن ترد عليه بالدليل، وهذا وحده سائغ ومقبول شرعاً وعقلاً، أما لو تناولت عرضه بالطعن، وسُمْعَته بالتشويه، وألصقت به ألوان التهم الكاذبة، فذلك ما لا يجوز ولا يُساغ إطلاقاً.

والذين يفعلون ذلك إنما يشجعهم عليه ما يرونه من أن مركزهم الدنيوي محفوظ وراسخ الجذور، وبالتالي يحسبون أنهم لن يخسروا شيئاً أوْ يتعرضوا لأي مكروهٍ بتوجيه الاتهامات الباطلة نحو الغير جزافاً ، ولكن هذا الحسبان صادر عن الحماقة المحضة ، إذ الحقيقة أن فعلاً كهذا يعني اقتحام هاويةٍ من نارٍ، وهي هاوية لن يسأل عمن يقع فيها أحد، ولا يجد إلى الخروج منها سبيلاً !

سورة الفيل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥ ﴾

بِأَصْحَابِ الفِيلِ: وقعت القصة أول عام مولده ﷺ .

يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ: سعيهم لتخريب الكعبة.

تَضْلِيلٍ: تضييع وإبطال وخسار.

طَيْراً أَبَابِيلَ: جماعات متفرقة متتابعة.

سِجِّيلٍ: طين متحجر محرق (آجر) .

كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ: كتبن أكلته الدواب فراثته.

كان أبرهة ملكا حبشياً يحكم جنوبي الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادي، وفي سنة ٥٧٠م قام - بدافعٍ من الجنون الديني - بالهجوم على مكة ناوياً هدم الكعبة ليصرف عنها حجاج العرب ، وكان معه جيش كبير مزود بنحو اثني عشر فيلا، ولذلك سمي هؤلاء بأصحاب الفيل .

وعندما اقترب هؤلاء من أرض مكة، أبت الفيلة عن التقدم نحو الأمام ، ومن جانبٍ آخر جاءت أسراب من الطيور تحمل في مخالبها ومناقيرها أحجاراً صغيرةً، وأخذت تلقيها على أبرهة وجنوده، فأصيب الجميع بمرضٍ من نوعٍ غريبٍ، مما جعلهم

يفرون هاربين وقد تملكهم الذعر والفزع الشديد، لكن أكثرهم، بمن فيهم أبرهة، لم يلبثوا أن هلكوا في منتصف الطريق !!، ولقد حدثت هذه الواقعة في العام نفسه الذي شهد مولد الرسول - ﷺ - وقد كان ذلك إرهاصاً من الله بأن رسول الإسلام قد كتب له الغلبة والظهور، فما من أحدٍ يصطدم معه أوْ يتعرض لدينه إلا سيبوء حتماً بالهزيمة والذل والهوان !!

سورة قريش

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ۝٤ ﴾

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ: اعجبوا لإيلافهم الرحلتين وتركهم عبادة رب البيت.

كانت قريش شعباً تجارياً، وقد كانت قوافلهم التجارية تتجه نحو بلاد الشام وفلسطين في أيام الصيف، ونحو اليمن في أيام الشتاء ، وعلى هاتين الرحلتين كانت تتوقف معيشتهم ، وفيها كان التجار في قديم الزمان يتعرضون عموماً لغارات السلب والنهب، كانت قوافل قريش تسير آمنة، وتعود رابحة، وحيثما حلت وجدت الكرامة والرعاية، وكان الفضل في ذلك يرجع إلى صلة قريش بالكعبة، حيث إنهم كانوا سدنة الكعبة وخدامها ، وبما أن الكعبة كانت لها حرمة عظيمة في نفوس العرب، كانوا يقابلون خدامها وسدنتها أيضاً بمنتهى التكريم والحفاوة والاحترام، ولا يمسونهم بسوء أبداً .

وقد تم تكريمهم هنا بهذا الواقع بغية استمالتهم إلى الإسلام بأسلوب حكيمٍ، فكأنما قيل لقريش: إنه سيكون جحوداً للنعمة نكراناً للجميل أن تتمتعوا بالفوائد الدنيوية لجوار بيت الله، ولا تقوموا بأداء مقتضيات هذا الجوار ! إن الله الذي يفيض على الإنسان بالفوائد المادية هو وحده يستحق أن يعبده الإنسان بلا شريك !!

سورة الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾

أَرَأَيْتَ الَّذِي: أخبرني الذي يكذب من هو؟

يُكَذِّبُ بِالدِّينِ: يجحد الجزاء لإنكار البعث.

يَدُعُّ اليَتِيمَ: يدفعه دفعا عنيفاً عن حقه.

وَلاَ يَحُضُّ: لا يحث ولا يبعث أحداً.

فَوَيْلٌ: عذاب أو هلاك ، أو واد في جهنم.

لِّلْمُصَلِّينَ: نفاقاً أو رياءً

سَاهُونَ: غافلون غير مبالين بها.

يُرَاءُونَ: يقصدون الرياء بأعمالهم.

وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ: ما يتعاوره الناس بينهم بخلاً.

إن اليقين بمؤاخذة الآخرة إذا استقر في قلب الإنسان جعله صالح العمل مستقيم السلوك، أما الذي يخلو قلبه من هذا اليقين فإنه سيكون خالياً من كل أنواع الصلاح والاستقامة ، فيصبح غافلاً عن عبادة الله، ولا يخجل حتى من أن يدفع الضعيف

العاجز بطريقة عنيفةٍ وقحة، وهو لا يشعر بحاجة ما لمساعدة الفقراء والمساكين، ولا تسمح نفسه بأن يعطي للناس الشيء الذي لا يسبب إعطاءه إياهم أية خسارة له !!

سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣ ﴾

أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ: نهر في الجنة أو الخير الكثير.

وَانْحَرْ: الأضاحي نسكاً شكراً لله تعالى.

هُوَ الأَبْتَرُ: المقطوع الأثر ،أو الخير.

كان رسول الله - ﷺ - قد نهض بدعوة الحق الخالص ، وذلك أصعب عملٍ على الإطلاق يقوم به إنسان في هذا العالم .. ومن ثم فقد اضطر - عليه الصلاة والسلام - في سبيل دعوته إلى التضحية بكل ما يملك، حيث انقطع عن قومه، وتدهورت حالته المعيشية، وأظلم مستقبل أولاده، ولم يقف إلى جانبه سوى قلة قليلة ليس عندها قوة ولا عتاد ، ولكن في تلك الظروف نفسها القاسية المثبطة أخبر الله - عز وجل - نبيه قائلاً بأننا قد أعطيناك - يا محمد - الكوثر، يعنى خيراً كثيراً، وهو يشمل النجاح بأشكاله وأنواعه كافة ، وقد تحققت هذه النبوءة القرآنية حرفاً حرفاً خلال الأعوام التالية .

وهذا الوعد الإلهي بالخير الكثير كما تحقق لرسول الإسلام على الوجه الأكمل، يمكن أن يتحقق أيضاً - مع تفاوت الدرجات - بالنسبة إلى أفراد أمته كذلك، بشرط أن ينهضوا بذلك الدين الخالص الذي نهض به الرسول وأصحابه من قبل ، وهذا الخير الكثير يمتد من الدنيا إلى الآخرة، لا يتوقف ولا ينتهي فيضه أبداً !!

سورة الكافرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾

لَكُمْ دِينُكُمْ: شرككم وكفركم أو جزاؤه.

وَلِيَ دِينِ: إخلاص وتوحيدي أو جزاؤه.

نزلت هذه السورة في ختام العهد المكي، وقد ظل الرسول - ﷺ - حقبةً من الزمان يدعو الناس منادياً إياهم بـ " يا قوم " ولكنهم حين أبوا الإيمان رغم قيام الحجة عليهم، خاطبهم بقوله : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ ﴾ والمقصود من هذا الخطاب في هذه المرحلة الحاسمة هو البراءة دون الدعوة .

وقوله : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾ لا يتضمن تصديقاً بدين الآخرين، وإنما هو تأكيد على التمسك بالحق والثبات عليه بمنتهى القوة والتصميم، وإعلام بأنكم - أيها المخاطبون - قد بلغتم بدوركم من العناد والتعنت إلى نقطة اللاعودة، أي الحد الأقصى الذي لا يعود بعده أمل في الرجوع إلى الحق أبداً !

سورة النصر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣ ﴾

جَاءَ نَصْرُ الله : عونه لك على الأعداء.

وَالْفَتْحُ: فتح مكة في السنة الثامنة الهجرية.

أَفْوَاجاً: جماعات كثيرة.

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ: فنزهه تعالى ، حامداً له.

كَانَ تَوَّاباً: كثير القبول لتوبة عباده.

إن النصر الإلهي الذي يسمى " فتحاً " إنما يأتي دوماً عن طريق الدعوة،إن إدخال الناس في دين الله أفواجاً هو النصر الإلهي الأعظم،وعن طريقه يتوصل أهل الدين الحق إلى مرحلة الفتح والغلبة،وقد تولدت في السنوات الأخيرة من حياة الرسول (٩-١٠هـ) - ﷺ - أحوال مهدت الطريق إلى دخول الناس في دين الله بأعداد كبيرة، وبالتالي انفتح باب الانتصارات والفتوحات على مصراعيه .

إن فتح المؤمن إنما يزيد من شعوره بالعجز والتواضع، وهو يتوجه إلى الله سائلاً العفو حتى عن عمله الذي لا بأس به في ظاهر الأمر، وهو يحيل على الله كل شيءٍ، حتى النجاح الذي أحرزه - على ما يبدو - بجهوده الذاتية !

سورة المسد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾

تَبَّتْ: هلكت أو خسرت أو خابت.

وَتَبَّ: وقد هلك أو خسر أو خاب.

مَا أَغْنَى عَنْهُ: ما دفع التباب عنه.

وَمَا كَسَبَ: الذي كسبه بنفسه.

سَيَصْلَى نَاراً: سيدخلها أو يقاسي حرها.

فِي جِيدِهَا: في عنقها.

مِن مَّسَدٍ: مما يفتل قويا من الحبال.

" أبو لهب " هو اسم لأحد الأشخاص من ناحيةٍ، وهو، من ناحية ثانية، علم على "دور معين "، إنه رمز تاريخي لمعارض الدعوة إلى الحق، الذي يذهب في سبيل العداء والكيد لها إلى حد الخسة والنذالة ، وهذا " الدور " كما واجهه الرسول الكريم - ﷺ- يمكن أن يواجهه الدعاة الآخرون من أمته كذلك ، على أن الداعية لو كان قد نهض لأجل الله حقاً، فإن نصر الله سيدركه لا محالةَ، وبالتالي ستذهب محاولات كل معاندٍ كأبي لهبٍ أدراج الرياح دون أن تنال من الداعي أو من دعوته شيئاً ، وسيتعرض هو - عاجلاً أوْ آجلاً - للدمار المحقق رغم كل ما يتوافر لديه من وسائل القوة والثروة ،

وسيحترق هو نفسه بنار عناده، وسيتم سوقه في النهاية - وبصورة أبدية - إلى تلك العاقبة المشئومة ذاتها التي كان يريد أن يسوق داعي الله إليها !!

سورة الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾

الله الصَّمَدُ: هو وحده المقصود في الحوائج.

كُفُواً: مكافئاً ومماثلاً ونظيراً.

هذه السورة هي سورة التوحيد، تعرض مفهوم الإله خالصاً من كل الشوائب والانحرافات التي ظلت غالبة على أفكار البشر ومعتقداتهم في كل العصور، فليس هناك آلهة متعددة، إنما هو إله واحد أحد وهو الله، الجميع محتاجون إليه، وهو غنى عن الكل لا يحتاج إلى أحد، وهو قادر على كل شيء قدرةً ذاتيةً، وهو أسمى وأرفع من أن يكون مولوداً لأحدٍ أوْ يكون له ولد كما هو شأن المخلوقين. إنه إله فذ ليس كمثله، ولا يشاركه أوْ يماثله أحد بأي وجه من الوجوه وفي أي ناحية من النواحي !!

سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾

أَعُوذُ: أعتصم وأستجير.

بِرَبِّ الفَلَقِ: برب الصبح أو الخلق كلهم.

وَقَبَ: دخل ظلامه في كل شيء.

النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ: النساء السواحر ينفثن في عقد الخيط.

إن الله هو الوجود الحي القادر الذي يشق ظلمة الليل ليستخرج منها ضياء الفجر .. وهو القادر كذلك على أن يكشف عن الإنسان ما يحيط به من غيوم المصائب السوداء، ويغمره بنور العافية والهدوء والطمأنينة .

ولقد أُنشئ هذا العالم الذي نعيش فيه لمصلحة الامتحان ، مما اقتضى هنا أن يقترن الخير بالشر ، ولا سبيل إلى النجاة من هذا الشر سوى أن يستعيذ الإنسان بالله منه ، وهذا الشر له أنواع شتى ، منها - على سبيل المثال - ما يعمله الخبثاء الفاسدو الطوية في ظلام الليل ، وما يصنعه السحرة وأمثالهم غالباً عن طريق النفث في العقد، وهكذا الذين يصابون بالحسد على الغير إذا ما رأوه في نعمة وحسن حالٍ، وبالتالي يتخذون إجراءات حاقدة شريرة سعياً وراء إزالتها ، وينبغي للمؤمن أن يستعيذ بالله ويلوذ بحماه من كل هؤلاء ، والله وحده يقدر على أن يعيذ الإنسان من كل أنواع الشرور !

سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾

أَعُوذُ: أعتصم، وأستجير.

بِرَبِّ النَّاسِ: مربيهم ومدبر أحوالهم.

مَلِكِ النَّاسِ: مالكهم ملكا تاماً .

إِلَهِ النَّاسِ: معبودهم الحق.

الوَسْوَاسِ: الموسوس جنيا أو إنسيا.

الخَنَّاسِ: المتواري المختفي.

الجِنَّةِ: الجن.

الإنسان مخلوق عاجز ضعيف ، وهو في أمس حاجة إلى " حِمىً " يلجأ إليه ، وهذا الحمى لا يمكن أن يوفره له أحد غير الله الواحد الأحد، فهو وحده رب الناس جميعاً، وهو وحده مليكهم ومعبودهم بلا شريك، فمن هناك سواه إذن، يصلح ليكون سناد الناس وملاذهم ضد الشرور والفتن ؟!

الشيطان هو الفتنة الأشد خطورةً على الإطلاق، الذي ينبغي على الإنسان أن يتعوذ بالله منه ، وهو أشد خطورةً لأنه يخفى حقيقة ذاته دائماً، فهو يُغوي الإنسان بأساليب الخداع والتمويه، ومن ثم لا يستطيع أن ينجو من جبال الشيطان إلا الذي يكون غاية

في الحذر والتيقظ، والذي أعطاه الله فهماً يميز به الحق من غير الحق، ويدرك به ما له حقيقة وما لا حقيقة له من القضايا والأمور .

وليس الشياطين من الجن وحدهم هم الذين يقومون بهذه الوسوسة الماكرة والإغراء الخفي، وإنما هناك شياطين من الإنس أيضاً يتظاهرون بأزياء مصطنعة، ويحاولون صرف الناس بمعسول كلامهم عن طريق الهدى إلى طريق الضلال ..

عن أبي ذرٍ قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو في المسجد، فجلست، فقال : يا أبا ذر ! هل صليت ؟ قلت : لا، قال : قم فصل، قال : فقمت فصليت ثم جلست، فقال : " يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن " قال : فقلت : يا رسول الله وللإنس شياطين ؟ قال : " نعم "[1].

والاستعاذة بالله من الفتن عملية مزدوجة ، فهي من ناحيةٍ طلب من الله أن يوجه إلينا عنايته ويبسط لنا كنفه ، ومن ناحية أخرى يُقصد بها إيقاظ وعينا تجاه الفتن لكي نتمكن من مواجهتها بحذرٍ أشد وتيقظٍ أكثر !

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٤/ ٥٧٥ .

فهرس الموضوعات

تفسير سورة العنكبوت..... ٥
تفسير سورة الروم..... ٢٦
تفسير سورة لقمان ٤٣
تفسير سورة السجدة ٥٥
تفسير سورة الأحزاب ٦٢
تفسير سورة سبأ ٩١
تفسير سورة فاطر ١١٢
تفسير سورة يس ١٢٩
تفسير سورة الصافات ١٤٥
تفسير سورة ص ١٦٦
تفسير سورة الزمر ١٨٦
تفسير سورة غافر ٢١٠
تفسير سورة فصلت ٢٣٥
تفسير سورة الشورى ٢٥٤
تفسير سورة الزخرف ٢٧٤
تفسير سورة الدخان ٢٩٥
تفسير سورة الجاثية ٣٠٥
تفسير سورة الأحقاف ٣١٥

تفسير سورة محمد ٣٢٩
تفسير سورة الفتح..... ٣٤٢
تفسير سورة الحجرات ٣٥٥
تفسير سورة ق ٣٦٣
تفسير سورة الذاريات..... ٣٧٢
تفسير سورة الطور..... ٣٨٢
تفسير سورة النجم ٣٩٠
تفسير سورة القمر..... ٣٩٨
تفسير سورة الرحمن ٤٠٧
تفسير سورة الواقعة ٤١٦
تفسير سورةالحديد ٤٢٦
تفسير سورة المجادلة ٤٣٦
تفسير سورة الحشر ٤٤٤
تفسير سورة الممتحنة ٤٥٣
تفسير سورة الصف ٤٥٩
تفسير سورة الجمعة ٤٦٤
تفسير سورة المنافقون..... ٤٦٨
تفسير سورة التغابن ٤٧٢
تفسير سورة الطلاق ٤٧٧
تفسير سورة التحريم ٤٨٢

تفسير سورة الملك ٤٨٧
تفسير سورة القلم ٤٩٤
تفسير سورة الحاقة ٥٠١
تفسير سورة المعارج ٥٠٧
تفسير سورة نوح ٥١٢
تفسير سورة الجن ٥١٧
تفسير سورة المزمل ٥٢٢
تفسير سورة المدثر ٥٢٧
تفسير سورة القيامة ٥٣٢
تفسير سورة الإنسان ٥٣٧
تفسير سورة المرسلات ٥٤٢
تفسير سورة النبأ ٥٤٧
تفسير سورة النازعات ٥٥١
تفسير سورة عبس ٥٥٥
تفسير سورة التكوير..... ٥٥٩
تفسير سورة الانفطار ٥٦٢
تفسير سورة المطففين ٥٦٤
تفسير سورة الانشقاق ٥٦٨
تفسير سورة البروج ٥٧١
تفسير سورة الطارق ٥٧٣

تفسير سورة الأعلى ٥٧٥
تفسير سورة الغاشية ٥٧٧
تفسير سورة الفجر ٥٧٩
تفسير سورة البلد ٥٨٢
تفسير سورة الشمس ٥٨٤
تفسير سورة الليل ٥٨٦
تفسير سورة الضحى ٥٨٨
تفسير سورة الشرح ٥٩٠
تفسير سورة التين ٥٩١
تفسير سورة العلق ٥٩٣
تفسير سورة القدر ٥٩٥
تفسير سورة البينة ٥٩٦
تفسير سورة الزلزلة ٥٩٨
تفسير سورة العاديات..... ٦٠٠
تفسير سورة القارعة ٦٠٢
تفسير سورة التكاثر..... ٦٠٤
تفسير سورة العصر ٦٠٥
تفسير سورة الهمزة ٦٠٧
تفسير سورة الفيل ٦٠٩
تفسير سورة قريش ٦١١

تفسير سورة الماعون ٦١٢
تفسير سورة الكوثر ٦١٤
تفسير سورة الكافرون..... ٦١٥
تفسير سورة النصر..... ٦١٦
تفسير سورة المسد ٦١٧
تفسير سورة الإخلاص ٦١٩
تفسير سورة الفلق ٦٢٠
تفسير سورة الناس ٦٢١